

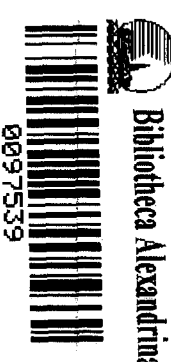
أدب أمريكا اللاتينية
قضايا ومشكلات

(القسم الثاني)

تنسيق وتقديم :
سيزار فرناندث مورينو

ترجمه عن الاسبانية :
احمد حسان عبد الواحد

راجعه : د . شاكر مصطفى



ية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت





سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

أدب أمريكا اللاتينية
قضايا ومشكلات

(القسم الثاني)

تنسيق وتقديم :
سيزار فرناندث مورينو

ترجمه عن الاسبانية :
احمد حسان عبد الواحد

راجعه : د . شاكر مصطفى

١٢٢ - جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ - فبراير (شباط) ١٩٨٨ م

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب ٢٣٩٩٦ الصفاة / الكويت - 13100

AMERICA LATINA EN
SU LITERATURA
Coordinación e introduccion de.
CÉSAR FERNABDEZ MORINO
(8th. Edition, 1982.)

بين يدي القارئ

تحرص هيئة تحرير سلسلة عالم المعرفة على أن تقدم كل ما هو نافع ومفيد في العلوم والمعارف والآداب المؤلف منها والمترجم، وادراكا من السلسلة لما للآداب من أهمية بالغة -خصوصا الآداب الأجنبية- فقد رأت أن تعرف القارىء العربي بآداب بعض البلدان الأجنبية لما لهذه الآداب من خصائص وسمات مميزة.

ونظرا لما لآداب أمريكا اللاتينية من منافع وميزات - يحسن تعريف القارىء بها- فقد أصدرت سلسلة عالم المعرفة ترجمة للقسم الأول من كتاب «أدب أمريكا اللاتينية» في اغسطس ١٩٨٧ - العدد ١١٦-. وقد اشتمل على بابين. واستكمالا لفائدة القارىء العربي وتوخيا لنفعه فقد رأت هيئة تحرير سلسلة عالم المعرفة ان تقدم ترجمة القسم الثاني من كتاب - أدب أمريكا اللاتينية- ويتضمن اربعة أبواب.

تأمل السلسلة أن تكون - بهذا العمل - قد قدمت للقارىء الكريم ما يمهد له السبيل وينير له الطريق للبحث في أعماق أدب أمريكا اللاتينية.

والله الموفق





الباب الثالث :

الأدب بوصفه تجريبيًا



الفصل الأول

التحطيم والاشكال في الفن القصصي

نوح خيتريك(*)
Noe Jitrik

١ ـ التساؤل الذاتي هو الأصل في التغيرات

من بين أسناني ذاتها أخرج يتصاعد مني الدخان ،
صارخا ، مجاهداً ،
مُسقِطاً سراويلي . . .
معدتي خاوية ، ، أحشائي خاوية ،
البؤس يشدّني من بين أسناني ذاتها ،
تمسكني عصا من خناق قميصي .
سيزار فاييخو ، عَجَلة الجائع .

لاشك أن فاييخو يقص في هذه القصيدة إحدى لحظات وجوده المزعزع ، ويطوّر شعرياً لحظات محسوسة من « جوعه » الفيزيقي الحقيقي ، وهو بُعدٌ

(*) كاتب أرجنتيني (ولد في ريبرا ١٩٢٨) أهم أعماله : أيام أعياد (بوينس أيرس ١٩٥٦) ، هدراسيو كيروغا ، عمل من التجربة والمخاطرة (بوينس أيرس ١٩٥٩)، طرائق ورسالة في الرواية (قرطبة ١٩٦٢) ، عبد في المنزل وقصائد أخرى (بوينس أيرس ١٩٦٥) ، الصدع الأكبر (بوينس ايرس ١٩٦٧) ، الكاتب الأرجنتيني : تبعية أم حرية ؟ (بوينس أيرس ١٩٦٧) ، الثمانون وعالمها (تقديم عصر) بوينس أيرس ١٩٦٨) ، نار القضية (بوينس أيرس ١٩٧١). عمل أستاذاً في جامعات قرطبة (كوردوبا في الأرجنتين) وبوينس أيرس وبيزانسون [المراجع] .

يعترف به الجميع دون صعوبة ، سواء بطريقة مجازية أو دون مجاز . لكن يطور ، يعني أنه يحور ، ولو أن هذا التحوير ليس إلا في الإيقاع الشعري : فمقاله منسرب ، ومثقل ، ومحزن . لكن ما يطوره هو أكثر من ذلك : إنه صورة كأنها رسم لميلاد « توالده الذاتي » (الخروج ، الصراخ ، المجاهدة ، الشد ، لكن من ذاته ، أن يكون هو أحشاءه ذاتها ، كل هذه الأفعال تشكل حركة تمتزج خطوطها بخطوط حركة أخرى ، هي حركة التعرّي ، وفيما بين الحركتين المتشابكتين تتجسد فكرة أن الوجود يأتي على درجات ، وأن الوجود الثاني يبلغ التشكل بدءاً من انكار الأول الذي هو وجود يرجع إلى أحشاء خارجية ولهذا فهو مكسوّ بالثياب : والتعري ، إذن ، هو الميلاد) . والجوع والبؤس هما القابلتان لهذا الميلاد ، هذا الزوج من أشكال الحرمان مغروس بالتأكيد في أرضية اجتماعية ، لكن ذلك لايحدّ من مدى الحدث : فما يولد الآن تكون له هوية في النهاية (أسناني ذاتها) ، ويحتل موقعاً في العالم ويتميز بهشاشة مايعتمد على « عصا » هذه هي المادية الوحيدة الممكنة للإنسان ، إنها وجوده المحسوس ـ العارض . إن فاييخو ينتزعنا ، بطريقة جدالية ، من الوضعية التي هي مملكة تأكيدات الوجود القاطعة ، والمتكبرة ، والمتجانسة .

كل هذا يبدو مؤكداً : ففاييخو يسكب هنا وضوحه المعذب وكذلك أسئلته حول « الإنسان » (وهو المضمون الكامن لكل تساؤل ، حتى أكثر التساؤلات علمية) ، لكنه كذلك يتساءل عن الإنسان الذي يفعل في ما يفعله هو تماماً عندما يتساءل ، أي ، عن الشاعر الذي يأخذ دور البطولة في نسق الأسئلة الذي يتكون منه الشعر . إنه يصنع هنا تصويرياً (وكذلك في قصائد أخرى) مايجري صنعه منذ القدم ، يصنع فناً شعرياً ، لكن يصحح اتجاهه ، محوّلاً التركيز صوب الشاعر ، محاولاً العثور على اللحظة الأولية التي تتشكل فيها الكلمة داخله ، وهذه اللحظة ترتبط بصورة الميلاد. إنها ممكنة في قلب الهشاشة المحسوسة للوجود .

ويمكننا أن نرى هذا كله من زاوية أخرى : فتلك الصورة تتعارض مع كل

الصور الواثقة ، والمركزة ، والتي لايمكن كسرها ، والتي ظل يطرحها « الشعراء العظام » الأمريكيـون اللاتـين حتى لوتشـوكانـو Lo Chocano ، ولوجـونس Lugones أو نيرودا ؟، لم يكن لدى « الشعراء العظام » سبب يجعلهم يرتجفون لهشاشة الوجود ، لم يكن شيء يدفعهم لأن يروا في أنفسهم هذه المقولة ، التي لايمكن التفكير فيها ، من ناحية أخرى ، في سياق تاريخي معين ، ولايسمح بها التفكير السائد ، وبالفعل ، فإن المجتمعات التي ليس بها انفصـال بين البنيـة الكلية وبين المجموعات ، والتي هي دون ظلال بين الوعي الجماعي للمجموعة و بين الوعي الفردي وهذه المجتمعات برغم التعارضات ، لابد من أن تفرز بشراً لايستطيعون سوى الايمان بنظرتهم وبالمعطيات ـ المتغيرة بلاشك ـ النابعة من الكيان العضوي الخارجي . لكن فاييخو ، بالمعاناة ، والتمرد ، والوضوح كوسائط ، هو ابن زمن آخر ، وبالتناقضات التي تطحنه ، يمثل نمطاً جديداً لأنه يحمل البنية في داخله من ناحية ، ومن ناحية أخرى لأن كل ماينكسر في الخارج يرّن داخله من خلال تجارب تضمّه من جديد ، وتضفي عليه هويّته : إنه ليس مجرد نتاج لزمنه لكنه كذلك مثل وترجمان. في تقاطع الخطوط هذا الذي يصنع رموز علاقته مع العالم تتولد كلمته الشعـرية ، هنـا تكمن ، بالنسبـة له ، الـ « لحظة الأولية » : وربما لهذا السبب يبدو عمله كله وكأنه اضطهاد مُلحّ لنفسه في اضطهاده للكلمة ، والاسئلة تجعل تقاطع الخطوط هذا معاصراً ، إنها تضفي عليـه الطابـع الدرامي وهـذا في النهايـة يتيح الشكـل الشعري ، يتيـح نسق العلامات الشخصي ، ويتيح كتابته . حسناً ، هذه الدرامية التي تستقر فوقها « لحظته الأولية » أودأن أسميها « التساؤل الذاتي » ، وهو مصطلح لايشير فقط إلى موقف فلسفي أو أخلاقي، بل إلى ميزة هذا الموقف في التحول إلى شكل . وبالعكس ، فإن الشكل المطلوب والموضوع في توتـر يقـرّبنا من « التسـاؤل الذاتي » ، بوصفه نواة توليده ، بوصفه منطقة تميّز شاعراً ما مثلما تميّز أدباً ، ومثلما تميّز فترة مانسقاً اجتماعياً ما .

في لحظة القصائد الإنسانية Poemas Humanos ثمة أسباب أكثر من كافية

لجعل بعض اليقينيات تهتز ، لكن يجب القول كذلك بأن عمل فاييخو هو نتاج لعملية نقد تبدأ قبله في أمريكا اللاتينية وتستمر بعده . وثمة اختلافات جوهرية بين ما قبله وما بعده : فما قبله يشتمل على إطار للتساؤل الذاتي يظهر في حالات منعزلة وحدّية ، مرتبطة في أغلب الحالات بالنسق النقدي لطليعية العقود الأولى من القرن ، وما بعده يمثل عمومية تضم تجارب مختلفة ربما كانت تعطي واحداً من أهم مبررات ما نسميه « الأدب الأمريكي اللاتيني الراهن » . لكن فاييخو ليس لحظة شاملة في هذه العملية ، ولاهو بالمحور الوحيد لها : وإذا كنت أتناوله كنقطة انطلاق فهذا يرجع إلى أنه يوضحها بصورة بارزة ، اذ يبدو أن « التساؤل الذاتي » يتخلل عمله بتماسك لانجده لدى شعراء أو كتاب آخرين . إن ثراءه يفسح المجال لضروب من الوصف وتحليل « الشكل » تلقيان الضوء على مدى « تساؤله الذاتي » ، ومن ثم على بعض المعاني الأساسية التي تنظمه . ورغم أن هذا ليس المكان المناسب ، فإنني ، قبل أن أترك المجال الفسيح للاتجاهات المستخلصة من عمل فاييخو ، أود أن أذكر باستخلاص قام به كوئينه Coyné يرتبط بكل هذا . أعني ذلك الذي يتصل باللغة ويلاحظ فيها قدرة على التحويل الجوهري ، إنها بمثابة مجال يمكن فيه تحويل الذي يتضمنه كل شعره أن يبلغ اكتماله التام : « إن فاييخو لايتلقى اللغة باعتبارها ثروة متشكلة مسبقاً ، يحاول من ثم استخدامها بأفضل الطرق الممكنة ، بل إنه يراها تولد وتموت أمام عينيه متمتعةً بوجود مقلق ، مقلق كالوجود ذاته . إن الشاعر لايرث لغة مكتملة فعلاً بقانونها للاستخدامات والمدلولات ، بل إنه يناضل مع عناصر تندفع لتختفي ويحاول هو استعادتها حين تفلت منه ، أو استنفادها حين تستحوذ عليه »[1] . هذا المجال يبدو هنا محورياً ، لكن تبدّى سمات « التساؤل الذاتي » ، السابقة على فاييخو ، ليست قاصرة عليه كما لاتتبدى لديه بالضرورة نتائج « تساؤل ذاتي » يتطور بعده ، حيث إن الأشكال التي يمكن تسجيلها الآن تبدو بالغة التنوع لدرجة أن

---

(١) André Coyne César Vallejo y su dova poética, en Letas peruanas, Lima 1957.

التنوع هو أحد جوانب الثراء التي يجب تسجيلها ، وبفضل هذا التنوع قفز الأدب الأمريكي اللاتيني قفزته النوعية الضخمة . ومثلما تظهر تجربة فاييخو العظيمة فيما يمكن أن نسميه « منطقـة » اللغة ، فـإن تجارب أخـرى ، قصصية عـلى وجه الخصوص ، تتحقق في مناطق نوعية أخرى في قطاعات مختلفة يمارس « التساؤل الذاتي » فيها طاقته التوليدية . هذه القطاعات تحدد الحقيقة الأدبية بالقدر نفسه والإقـرار بها يعني إخـراج التحليل من المقـولة الضيقـة واللفظيـة الخالصـة لـ « الأسلوب » وهي المقولة بالغة الفائدة في النقد التقليدي .

٢ ـ مفهوم جديد لوظيفة الكاتب

لكن « التساؤل الذاتي » ليس مجرد نواة منتجة تختفي في الشكل الذي تنتجه : فإننا نستعيدها فيه ، وفي كل اللحـظات التي يبدو فيهـا أنها تقدم لنـا منظوراً مزدوجاً ، منظور عالم تصبح معرفته قابلة للشك من ناحية ، ومن ناحية أخرى منظورا مؤلفاً ينقل بالتالي شكوكاً مماثلة بشأن قدرته على المعرفة . حسناً ، وإذا أحلناهذا المنظور المزدوج إلى مجال شكلي يجب فيه استخلاص النتـائج ، فـإن التحولات الناتجة تكشف عن مواجهة حادة مع الواقعيـة التقليديـة الأمريكيـة اللاتينية ، الى درجة تدميرها ، ومن ثم ،التوكيد على مايمكن أن نسميه معالجة « الكلمة » الأدبية متجاوزةً تقييم المضمون . ويمكن الوصول إلى ذلـك بطرق عديدة ، لكن بآلية مشابهة في النهاية ، يطلقها « التساؤل الذاتي » . ومما يستحق العناء أن نبحث الآن كيف أمكن الوصول إلى هذا التغير المتكامـل وذلك من خلال ماجرى في قطاعات أو عناصر قصصية نوعية .

حوالي عام ١٩١٠ وبفضل الأعمال الأساسية لروبرتو بايروه Roberto J. Payró وخصوصا حوالي عام ١٩١٤ ، بعد إنطلاقة مانويل جالفث Manuel Gálvez إلى الرواية الواقعية الكلاسيكية الفرنسية ـ الروسية ، وكذلك بفضل أعمـال ماريـانو أزويـلا Mariano Azuela وروموـلو جـاييخـوس Rómulo Gallegos بالاضافة إلى آخرين ، دعمت الواقعية مملكتهـا . وهذه الـواقعية كانت ، من الناحية الإيديولوجية ، مرادفة للنقد الاجتمـاعي ، للنزال ضـد

الامتيازات ، وبالتالي كان المشروع الواقعي يضع موضع التساؤل مجمل المجتمع وكان يحتاج إلى إحصائه من أجل أن يتحقق ، لكن حظه من النجاح يتفاوت : فسرعان مايجعل نوع معين من الحكمة وصف الأجواء والمشكلات أمراً جذاباً ، وسرعان ما يجعل الحاح الموضوعات المتراكمة هذه العروض المسهبة قاصرة عن التوصيل . وليست الرواية وحدها هي التي تتولى تلك المهمة بدءاً من ذلك المنظور ، بل كذلك يفعل المسرح ، وكذلك الشعر . وقد بقيت وثائق طيبة من لحظة اجتماعية أمريكية لاتينية معينة ، ومن فلسفة معينة وكذلك من موقف أدبي مشبع بالحس الاخلاقي . لكن مهما بلغ من اكتمال وتحقق تلك النتاجات ، كما هو الحال في بعض روايات جالفث ، فإنه لايجري التخلي عن تجريب إحساس بالخارجية ، بمعنى الانفصال بين الرواية والقارىء ، إن الواقعية تؤكد ذاتها بقدرتها على اعادة انتاج الواقع ، وهذه المسؤولية تجعلها تميّز تشوّهات وانحرافات ذلك الواقع ، وإظهارها يعد شجباً لها ، يعد إجباراً للقارىء على الانحياز ، والقارىء يدين أو يبرّىء ، كما يشاء الكاتب الواقعي ، لكنه يفعل ذلك في قضية ليست هي قضيته بفعل تصويرها بإسهاب ، وإذا أردنا أن نضرب مثلاً على ذلك فإن بإمكاننا اعتبار أن كون المرء ابناً طبيعياً* هو شيء بالغ الفظاعة ، ويكشف عن مشكلة أو عن عيب اجتماعي ، لكن لما لم يكن كل القراء أبناءً طبيعيين فإن بإمكانهم أن ينحازوا ، أن يتعاطفوا مع ذي الحظ العاثر ، لكن دون أن يمس ذلك ضميرهم[٢] إلا أن التناقض الأساسي لواقعية جالفث ، ولواقعية جاييخوس كذلك، وبالدرجة الأولى ، للرواية الإجتماعية والرواية ذات النزعة الأهلية الهندية ، هو أنها تفلح في التواصل مع القارىء عبر سلسلة متتابعة من توحيد الهوية يجب أن تنتهي بارتباط عاطفي من جانب القارىء . والقارىء ، على

---

* الإبن الطبيعي هو الابن غير الشرعي يولد دون أن يتزوج الأبوان ، في مقابل الابن الشرعي (المترجم)

(٢) أشير هنا إلى مونسالفات Mansalvat ، شخصية رواية ناتشاريجوليس Nacha Regules ، المصوغ بطريقة تولستوي وفق نسق المتصوف ابن الزنا .

العكس ، لايمكن أن يكف عن كونه متفرجاً ، متعاطفاً في النهاية مع المواقف المعروضة عليه لكنه لايتغير بصورة أساسية ، ويمكن للموضوعة أن تكون قد اخترقت حسه الأخلاقي لكن الكلمة الأدبية لم تأخذه بكليّته ، لم تجبره على التعرّي ، كما أراد فاييخو ، لتجعله يولد من هشاشته نفسها .

إنني أعتقد أنه يمكن ، في كل استمرار للواقعية الاجتماعية الأمريكية اللاتينية ، أن نتبين التناقض نفسه وتأثيره الذي سأسميه « ذهنياً » ، لكن الشيء الأساسي في هذه الملاحظة يكمن في حقيقة أن الشخصيات هي العنصر الذي يقوم عليه نسق توحيد الهوية الذي يكسب النسق الواقعي شكله ، طبعاً ، الموضوع (الثيمة) كذلك ، لكن التوفيقات الممكنة لاتتجاوز هذين العنصرين اللذين يختلطان في نهاية المطاف .

إذن ، ففي أوج فترة الواقعية ودون الابتعادعن متطلباتها الأساسية ، يمكن القول بأن عمل أوراثيو كيروجا Horacio Quiroga يتضمن إختلافاً جذرياً .[٣] بالطبع ، فإن كيروجا بدوره يقدم شخصيات ويركز في اتجاهاتها التأثير الذي يسعى إليه ، لكن مايهم هو الموقف الذي تجد نفسها فيه والذي يجب أن تطوّره أو تتبيّنه . هنا يبدأ الاختلاف في الظهور : فحيث تكون الشخصية أكثر ما يجري عليه التركيز تتحول هذه الشخصية إلى بطل ، إلى كائن استثنائي بشكل أو بآخر ، سواء بفضل جوانب تفوقه أو عيوبه ، وعلى النقيض ، يبدأ كيروجا عمله في التحويل معمماً إياه بحيث لايرسمه عن طريق الوصف من جهة ، ومن جهة أخرى يكون مايجري له ، وما يولّد الحكاية ، ممكن الحدوث لأي شخص (أفعى تلدغ ، أو ضربة شمس ، أو تزحلق) . وفي لحظة تالية ، ينزع سلاحه أمام الخارج ، وبذلك يجعله يدخل في مستوىً رمزي لاتهم فيه الأفعى التي تلدغ بالنسبة لكل خطر ، ثم ، بالنسبة لكل تحدّ إنساني ، بالنسبة لكل عمل أو لكل تأمل بصدد مايحمل إنساناً على مواجهة الخطر . من خلال هذه

(٣) Cf. Noé Jitrik, Horacio Quiroga,una obra de experiencia y riesgo,Monte-video, Arca, 1967,2 ed.

الشخصيات يتم التأثير في القارىء بطريقة أخرى ، من داخل خطر ما لايسعه إلّا المشاركة فيه لأنه يكون جزءاً من نسق علاقاته هو مع العالم .

تحدث إذن إزاحة : فالبطل الذي يتمتع بالمكانة بفضل خصائصه الشخصية أو بفضل أصله أو بفضل مميزاته ، أخذ يقوم كذلك بوظيفة إضافية لكنها نموذجية ، هي أن يبين أن اختياره قد تدخل فيه معيار ضارب بجذوره في الواقع ، وهو معيار المؤلف ، بالطبع ، الذي يبدو ، لنا ، من خلال الشخصيات المنتقاة ، بعيداً بصورة متجانسة ، وإيجابية ، تماماً كبعد القراء أنفسهم عما يصفه أو يحكيه . وبالمقابل ، فإنه من خلال تعميم البطل ، وتجريده من استثنائيته في سبيل موقف أوسع مدىً ، يذوب المؤلف في البطل ، ويكون أسهل بالنسبة له أن يلقي بظله على قسماته ، واذا كان ثمة خطر يجب التعبير عنه فسيكون هو أول المتورطين ، وهذه الشخصية المطلوبة بسبب ما تحياه ستكون بالدرجة الأولى شكلاً محتملاً من أشكال وعيه هو[4] ولهذه الإزاحة نتيجة أخرى أكثر أهمية فالمؤلف سيظهر كذلك بهذه الطريقة ذوبانه في مجموع أخذ بدوره في الذوبان : ستكون الشخصية ، إذن ، شكلاً من أشكال بحثه ، وتشخّصها سيكون بالتالي تجريباً بالمعنى المزدوج للتشخص الأدبي وللتعرف على الذات ، يريد المؤلف أن يرى كيف تتفاعل داخل هؤلاء الآخرين ـ نظرائه المحتملين ـ العلاقات التي لديه مع العالم . هكذا نجدنا تجاه تغيّر في وظيفة الكاتب : بالنسبة لأوراثيو كيروجا ، الحالة الوحيدة منذ عام ١٩٠٧ حتى عام ١٩٢٥ ، فإن الطريق الوحيد هو التساؤل عن ذاته في المحل الأول كشكل من أشكال استعادة شيء مفقود وممزق ، هو واقعه من جهة والواقع الخارج عنه من جهة أخرىٰ ، والذي لايستطيع أن يضيئه إلا في جانبه الهش الذي لايمكن الامساك به . من خلال تطوير السؤال تنتج كتابته ، ومن خلال مجهود إخراج المتسائلين يجد أشكاله .

---

(٤) كارلوس فوينتس في Mundo Nuevo رقم ١ ، باريس ، ١٩٦٦ . « ما حدث هو أنه عند فرض العالم الرأسمالي الأمريكي الشمالي على الهياكل الإقطاعية وشبه الإقطاعية لأمريكا اللاتينية ، فقد الكاتب مكانه في النخبة ، وأصبح غائصاً في البورجوازية الصغيرة . . . تحول إلى كاتب حقيقي » .

٣ ـ شخصيه الفن القصصي .

أعتقد أنه يمكن أن نستنتج من ذلك كله موقفاً جديداً بالنسبة للشخصية ، ربما يرتسم فقط في قصص كيروجا لكن من الواضح أنه متطور بعده في نـوبات . ويفهم من ذلك أن الشخصية قد ألقيت عليها مسؤولية مماثلة : إنها العنصر من الفن القصصي كما نعرفه الذي يمثـل أقصى ما يقبـل الفهم من بين مـايجري قصصه ، إنها أكثر العناصر المبنية دقة إذ إن القصة يحكيها كائن بشري لآخر ، إنها ما يحقق علاقة الأنسنة antropomórfica التي تسود كل أفعال الإنسان . لكن « الـ » شخصية بدورهـا هي شخصيات لاتحصى تختلف أشكـالها وفقـاً لشروط تطبيق بُعد الأنسنة ، هكذا ، سيكون من الممكن تتبُّع تاريـخ شكل الشخصية الذي تتطابق فيه بالتأكيد لحظات تطورها أو تغيّرها مع لحظات تغيّر الفن القصصي نفسـه . ومن الممكن أن نـرى ذلـك في الأدب الأمـريكي الـلاتيني الراهن : فإن ما يكسبه طابع الجدة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما تغيّر في مفهوم ووظيفة الشخصية . ومن الواضح أن هذا الموضوع يتطلب تطويراً خاصاً ، تأمـلاً لن يضيع تعميقه عبثاً لأنه يفتقر حتى إلى وضع الخطوط العريضة له ، إلاّ أنني أتركه حتى لايضيـع عن بصرنـا وصف العملية العينيـة للتغير في مفهـوم الشخصية ووظيفتها في أدبنا المعاصر .

أعود إلى كيروجا لأنني أود القول إن شخصياته إذا كـانت ترسم نـوعاً من الذوبان في المجموع فإن هذا لايشكل محاولة وحيدة بل جانباً أو لحظةً من اتجاه أوسع وأود أن أشير إلى ذلك بأن أذكّر بالتأملات والمقالات التي كتبها ماثيدونيو فرناندث Macedonio Fernandez في كتابه متحف رواية الأبد Museo de la novela de la eterua وهو الكتاب الذي يفتتح التحول الكبيرفي التوجه الواعي للأدب الأمريكي اللاتيني لهذاالقرن . ومحـاولته من الاتسـاع والتعقيد بحيث لايمكن إيجازها هنا : أوصيْ بشدة بقراءته ، أما فيما يخصني فإنني سأفحص فقط واحدةً من أفكاره . هي تلك المتعلقة بملاحظته حول ما سوف يسمّى باسم

« إدّعاء المؤلف » اختيار شخصية تكون « عبقرية » لأن ذلك يفترض أن المؤلف عبقري كذلك ، وهي ملاحظة صائبة إذ لايوجد خيال لايمكن مقارنته بالموضوع الذي يستطيع تخيّله ، وعلاوة على ذلك ، فإن الشخصية إذا جرى إدراكها وفق معايير المصداقية verosimilitud فلايمكن أن تتوقف عن أعمال ميكانيكية توحد الهوية الذي تقوم عليه المصداقية : الشخصية- المؤلف ، الشخصية - القارىء ، القارىء - المؤلف . ودون أن يكون عبقرياً ، لكن دون أن يكف عن ذلك تماماً - من يستطيع تأكيد ذلك ؟ - يفكر ماثيدونيو في شخصية تكون « ربما - عبقرية » ، بمعنى أن شكلها هو شكل تخمين في ذاتها ، شكل إمكانية لايمكن التحقق منها . هذا المجال غير المضبوط يطيل من مدى المؤلف الذي أدركه ويضمّه إذا سلمنا بأنه انطلق منه . يتضح اذن أن ماثيدونيو قد تبقى لديه شيء من المصداقية ، من توحد الهوية identificacion ، لكن يتضح أيضاً أنه يوجهه صوب نماذج تخمينية ، إنه لايريد أن يواصل نسخ ماهو واقعي ، هذه النماذج تستقر في الخيال وتتمشى مع معاييره سواء حين يدرك ف غ م NEC - أي الفارس غيّر الموجود No-Existente Caballero ، أو حين يشكل طاقم ممثليه الغريب : تلك الشخصيات التي تسأل قبل أن تقبل ضمها في الرواية ، هل سيتركها تخرج منها ، الشخصيات التي لاتقبل الدخول لأن عليها أن تهتم ببعض اللبن الموضوع على النار ، شخصيات روايات أخرى ، شخصيات تستأذن وتمضي ، إلى آخره .

لكن إذا كان خلق شخصية « عبقرية » يعد « إدعاء » غير مقبول ، فماذا عن خلق شخصيات خيالية ؟ إنه اتباع نماذج خيالية - نذكّر هنا بأن توحيد الهوية (التقمص) - سيستمر - توجد هناك حيث يمكن للخيال ان يعطيها شكلاً . وإذا كان توحد الهوية (التقمص) سيستمر ، فإن المؤلف ينتزع من ذاته مالديه من خيال ينتزع « جوهره » التخميني . وهذا يتضمن ، من جهة ، رفضاً قاطعاً لكل مايُفرض على الإنسان ، أو بالأحرى تأكيداً للحرية ، ومن جهة أخرى ، يخلق هذا الجوهر التخميني نماذج ، ويمارس نشاطاً موضوعه هو ذاته ويترجم - بفضل حريته - في كمية لانهائية من العمليات : الانبساط ، والانقسام ، وإعادة

التخلق ، واسقاط ذاته . وكل واحدة منها ، أوالتركيب بين بعضها ، يتيح أشكالاً ممكنة للشخصيات ، وكل من يبلغ هذا المستوى منها ينتظم لكي يبدي « الجوهر » التخميني الكامن في أصلهامعناه . هذا التنظيم يشكل كياناً أرقى في وعي المؤلف ، وعلاوة على ذلك ، فالمؤلف مؤلف لأن هدفه هو إنتاج هذا التنظيم .ونصل ، إذن ، الى نتيجة هي : أن المؤلف يطرح نفسه من خلال نصوص ماثيدونيو ، بوصفه منظِّماً ، ونتيجة عمله هي الشكل الجدي الذي تأخذ في تفسيره وتوضيحه الدائرة التي تمضي من التساؤل الذاتي الى نظريته في الرواية .

لاشك أننا سنعود فيما بعد إلى هذا الموضوع للمؤلف بوصفه منظِّماً ، حين سيكون علينا أن نشير إلى فكرة « المونتاج » وهي الفكرة المحورية في بنية الأدب المعاصر ، وأفضل أن أتابع بحث الشخصية ، التي لم تكد ترتسم الخطوط العريضة لتاريخها من المتغيرات والتطورات . وأود الآن أن أشير إلى روايات خوان كارلوس أونيتي Juan Carlos Onetti ، التي يبدو فيها أن أوجه نقد ماثيدونيو للاتساق « الواقعي » للشخصية تمتد وتتحول ، فبدءاً من الحياة القصيرة La vida breve يرسم أونيتي الشخصيات لتعني التبادل ، فبطل هذه الرواية ، براوسن Brausen ، في حين أنه يقص نوعاً معيناً من الأفعال ويصف أفكاراً تعزله ، يحيا حياة أخرى تحت اسم آخر في المسكن المجاور لمسكنه ، وفي هذه الأثناء ، يكتب سيناريو سينمائي يمثل بطله ، ديّاث جراي Diaz Grey ، طبعة جديدة من نفسه لكنها خيالية هذه المرة ، وحين يقص هذا الفصل ـ رواية داخل الرواية ـ بضمير الغائب ، يفرض ضمير المتكلم في الفصل الأخير . فكأن دياث جراي يسود فوق من تخيله . وتتبادل الشخصيات الثلاث ، لاجوانب مختلفة ممزقة من شخصية واحدة ، بل إنها عبارة ريمبو ، « أنا هو آخر Je est un autre بقوة تصفي الفروق بين الواقع المتخيل من جانب المؤلف وبين خداع وخيال الشخصية . هذه الازاحات تخلق بنية مركبة تبرز فوقها مجموعة من الإيحاءات يبحث التباسها المعذب عن مخرج ، وهذا الواقع يجري تعميمه وتصبح

الرواية كلها بحثاً وبذلك تكتسب طابعاً بوليسياً .

على هذا النحو يطوّر أونيتي مخططاً يظهر في قصص بورخس بصورة تكاد تكون مثالية نموذجية باراديجماتية* : فالتساؤل ، والبحث عن الذات ، واسقاط الذات على الآخرين من أجل العثور على إجابة أو حل ، كلها لحظات لتوازن اللغز ـ الاستقصائي الذي يصوغه بورخس بنقاء خالٍ من التاريخ في القصص ـ المذكرات البيليوجرافية التي يقدمها أو يقوم فيه في النهاية ، بتقديم تاريخ سببي خالص لايلغي ضرورة تأسيس حركة الاستقصاء(٥) في هذه الحركة تغير الشخصيات جلدها كذلك ويصبح مايجري البحث عنه بصورة قاهرة هو الهوية . الشخص الذي يحلم في **الأطلال الدائرية** Las ruinas circulares هو حلم شخص آخر ، على النحو نفسه الذي نجده في **علامة السيف** La maraca de la espada أو **موضوعة الخائن والبطل** El tema del traidory el heroe حيث يصبح به أ هو ب وهذا نفسه غامض ، وليس أ هو أ ولا ب هو ب ، فكأنه لايمكن لشيء أن يتحدد ، وكأن نتيجة الاستقصاء توقعنا في لغز آخر لانعطي أي مفتاح له . آلية الذوبان هذه ، المتكررة والمميزة لدى بورخس ، أقل اعتيادية عند أونيتي لكنها كذلك أقل ميكانيكية رغم أنها بدءاً من (**الحياة القصيرة**) ، وخصوصاً في (**قبر بلا اسم** Una tuwba sin nombre) ، تصبح أكثر رقياً ودرامية باضطراد ، وكأن المسافة تقل بالتدريج بين البنية الروائية والسؤال الأساسي الموجه ، دون شك ، إلى نفسه بالدرجة الأولى .

ولأن الشخصيات معممة ، وخيالية ، وتبادلية ، فإن الحلول عديدة وتسجيلها جميعاً يتطلب سجلاً ضافياً ، ويكفي أن نضيف الحل الرائع في رواية جابرييل جارثيا ماركث ، مائة عام من العزلة ، فالشخصيات التي تبقى وتبقى ،

(*) باراداجماتية . Paradigmataca تعبير عن علاقة غياب تجم بين وحدة حاضرة ووحدات غائبة لكن ثمة علاقة تقابل تجمع بينها ـ [المترجم] .

(٥) انظر مقالي Estructira u signifícacioń en 'Ficiones', de Jorge Luis Borges, en El fneae dela especie, Siglo XXI Argentiua Editores, Bueuos Aires, 1971.

يزداد اتساقها نحولا لكنها تعاود الظهور في سلالتها كانعكاسات لذواتها ، والحل التخميني عند البرتو فاناسكو Alberto Vanasco (في رواية : كان خوان حيّاً دون شك Sin embargo Juan vivia) وعند خوسيه إميليو باتشيكو - José Emilio Pacheco، الذي تعد روايته ، (ستموت بعيداً Mariras lejos) ، في رأيي ، نوعاً من التتويج لكل العملية التي حاولت ترتيبها . ولنر كيف يسلك هذان المؤلفان الأخيران .

يقدم فاناسكو حكاية بضمير المخاطب وفي زمن مستقبلي مما يتضمن نوعا من النظام ، يقدمه القصاص ، للوجود ، والشخصيات المشكّلة على هذا النحـو تعتمد على إرادة منظِّمة واضحة ، وتقدم كشخوص يكون تاريخها ـ الذي يجري تتبّعه ـ فرضية ليس من تأكيد لها : « في الصباح التالي ستنهض مبكراً » هي عبارة تلخص كل طريقة القصص . ويبدأ بـاتشيكو ، من نـاحيته ، من حقيقـة ، شخصية تجلس في حديقة وأخرى تنظر إليها من نافذة ، يتم تجاهل من تكونان ؟ وماذا تفعلان ؟ لكن القصاص يبدأ في التخمين وكل لحظة من لحظات التخمين (وهي سبع وعشرون) ترتبط بالواقع ، لأن كـل الاحتمالات يمكن التحقق منها ، من جهة ، ومن جهة أخرى لأن تخيلها وصياغتها تعني إيقاظ المجموع ، وإدارة عجلة نسق يكـون فيـه الشيء الـوحيـد المستبعـد هـو المســافـة بـين الشخصيتين ، وأكثر من ذلك ، المسافة بين المؤلف والقصاصين . من هذا تنشأ فكرة اندماج أخلاقي مباشر ، اذا أخذنا في الاعتبار مدى التخمينات : فلسنا بمنجاة من أي جريمة ، ولا من تلك التي لم نرتكبها . والأسئلة الأصلية ، حتى تلك التي توضع فيها الهوية ذاتها موضع التسـاؤل ، لاتتضمن موقفاً هروبيـا تاريخياً ، بل تتضمن، على العكس ، التزاماً ربما كان أكثر عمقاً من ذلك الذي تشهره واقعية الوعي المؤكد والمعلن وكأنه بلا حدود ولا حواجز .

٤ ـ علاقة « الشخصية ـ المؤلف »

واضح أن التعديـلات التي يقدمهـا هذا المفهـوم للشخصية لاتستنفـد كل التعديلات التي تميز الأدب الأمريكي اللاتيني الراهن ، وأكرر ، أن الشخصية

هي مجرد عنصر « واحد » بين عناصر أخرى ، وكل واحد فيها من ناحيته، أخذ يتغير على اختلاف في الدرجة ، يحفزه أو يضفي عليه التوتر الموقف العميق نفسه من التساؤل الذاتي الذي يعد بمثابة مركز الاعصار ، المولّد للتغيرات . هـذه « العناصر » ليست أكثر مما ينبغي لكنها كافية لاتاحة عدد معين من التوافيق ، يتيح كل منها نصاً معيناً . ومن المناسب أن نعدد هذه العناصر :

الشخصيات (ش) ومعالجات القصص (ق) ، الموضوعة (م) ، والوصف والشروح (وش) ، و الايقاع (إي) واللغة المستخدمة (ل م)[٦] حسناً ، إن التركيبة (ت وش ش إي ق ل م) ستعطي من خلال هذه العناصر شكلاً نصياً مختلفاً عن التركيبة /ش ل م وش ت/ وكل واحدة من هاتين التركيبتين (وترتيب العناصر يدل على ترتيب الأهمية داخل كل تركيبة) تصور أو تصف رواية معينة ، وهذا يعني ، بالتالي ، أن كل رواية ـ موجودة أو ممكنة ـ تدين بشكلها الخاص ، بهويتها ، الى طرح معين للعناصر يمكن تحليله ووصفه . لكن يجب القول كذلك بأن التركيبة تتحقق بفضل طاقة منظمة معينة تأتي دون شك من اللغة ، التي تعد الرواية مظهراً أو نتيجةً لها . بهذا الشكل فإن التركيبة تعادل التنظيم . والآن ، فإن التركيبات تتحقق ، بدورها ، وفق نماذج تستعيرها تركيبات تنظمُ اللغة ، ومن ثم يمكن إجراء تناظر بين المستويين ، مما يسمح بأن نفهم أنه ، مع إعطاء عناصر معينة ، فإن التركيبات ـ أي الروايات ـ لايمكن حصرها (في اللغة ، فإنه بدءاً من عدد معين من الأصوات نصل إلى إنتاج عبارات لانهائية ، أوكما يريد هو مبولت لقواعد النحو ، فإن نسقاً محدوداً من القواعد يولد مالا نهاية له من البنيات السطحية والعميقة المرتبطة بعضها مع بعض بطريقة ملائمة)[٧] لكن كل تركيبة تقدم عنصراً أو عدة عناصر أكثر تطوراً من غيرها ، بحيث إن الشكل النهائي

---

(٦) في كتابي المعالجة والرسالة في الرواية Procedimieutos y mensaje en la novela Córdoba, Universldad Nacionel, 1962 ، أحاول إظهار وجود، ومنشأ، وسلوك «لعناصر» لكنني أهتم أساساً بمعالجة القصص التي أفحص بتفصيل احتمالاتها الخمسة .

(٧) راجع Cf. Chaue, mim1, Paris,1968, Noam Chomsky; Linguistorue et etude de la peusée' حيث يقول: « لكي نستخدم مصطلحات فيلهلم فون هو مبولت عند بداية =

للرواية يكمن في (أو يعتمد على) التشديد المذكور : ويمكن فهمها أو استبصارها بشكل أفضل عند فهم أو التقاط العنصر الذي أصبح تطوره سائداً ، على هذا النحو يمكننا القول بأن شكل الرواية السيكولوجية ، على سبيل المثال ، يكون مركزه المنظِّم هو « عنصر » الشخصية (المجانين السبعة Los siete locos ، لروبرتو آرلت Roberto Arlt ، وبالمقابل ، بالنسبة للرواية الاجتماعية يكون العنصر المنظِّم هو « الموضوعة » (الثيمة) كما في (المدينة والكلاب La ciudad y los perros لماريو بارجاس يوسا أو ملاكو الأرض Los dueuos de la tierra لدافيد بيناياس) ، وبقدر ما نجد في رواية مثل الفردوس ، لخوسيه ليثاما ليما ، أن الانفجار المولّد يظهر في اللغة في حالة نقية ، فإن ما يهمنا ينمو فوق التوترات التي تظهر في لغة تستيقظ . و « الرواية » هي أساساً عمل حول لغة معينة تجعل كل الشروط الأخرى مكمِّلة لها ، الشخصيات ، ومعالجات القصص ، إلى آخر ما هنالك[8] .

لاشك أن فكرة تركيبات العناصر باعتبارها صوراً لتنظيم الرواية تقدم لنا توسيعاً للمعايير من أجل أن نقترب بصورة أكثر حميمة من التحولات الحادثة في شكل الأدب الأمريكي اللاتيني الراهن ابتداءً من نواة نسميها التساؤل الذاتي . ولن يكون من العبث أن نتأمل قليلاً بشأن « الشخصية » رغم أننا لن نطيل لئلا نزيح جانباً حقيقة أن هذا العنصر مثله كمثل « العناصر » الأخرى في أن لها نشأة وتاريخاً وأنها أنتجت نتائج متنوعة حسب شروط تطبيقها .

= القرن التاسع عشر، يجب على قواعد النحو أن تمارس استخداماً غير محدود لوسائل محدودة . ويقول جان ـ بيير فاي Jean - Pierre Faye، مشيراً إلى تشومسكي : « وما يجعلنا ندخل في إنتاج اللغة لذاتها نفسه : هو القدرة على إنتاج عدد غير محدود من التتابعات باستخدام محدود من العناصر، على إنتاج (مفاهيم غير مفهومة مطلقاً) » . ـ بالفرنسية في الأصل ـ م .

(٨) راجع خوليو كورتاثار، Cf. Julio Cortázar, La vuelta al dia en ocheuta mundos, México, Sigb XXI, 1967 : « لماذا لا يجب أن نقبل أن تتحدث شخصيات الفردوس دائماً بدءاً من الصورة، مع التسليم بأن ليثاما يسقطها بدءاً من نسق شعري، أوضحه من نصوص عديدة . . . » .

قلنا إن الرواية أنثروبولوجية أساساً في جانبها السيمانطيقي (الرسائل والمعاني التي تخرج من الانسان وتعود إليه) لكنها كذلك ، ولنفس السبب تحمل طابع الأنسنة antropomorfica بسبب المعاني التي تستنفرها وكذلك لأن الشخصية ـ التي تمثل الإنسان داخل الرواية ـ هي التي تستنفر . فالشخصية هي التي تثير التركيز اللغوي الذي ينتج عنه شكل يمكن التعرف عليه . وبدوره ، فإن القارىء اذا فهم ذلك الشكل فذلك لأنه يشارك الشخصيات في أسلوب حياة ـ فكلاهما يشارك في النسق نفسه ، وهو يوحّد ذاته معها لأنه من خلالها تصبح العلامات الكامنة في النص قابلة لفك رموزها . والمؤلف ، من ناحيته ، يؤسس شخصياته متبعاً الرسم الفعلي والافتراضي الذي يعرفه في الأشخاص ، فهو يضفي عليها الطابع الفريد محترماً لها ، ومنوعاً لها ، ونافياً نماذج معينة تمرّ في اختيارها بالتأكيد المرحلة الأولى من مراحل تكوُّن الرواية . والآن ، فإن التحديد الدقيق لهذه اللحظة يقدم لنا مجالاً للتحليل قابلاً للوصف : في المحل الأول ، نجد أن اختيار النماذج دلالي indicativa ، فلماذا اختيرت بعض النماذج وليس غيرها (عسكريين عند فارجاس يوسا ، ومستخدمين عند بنيديتي Benedetti ، وفي المحل الثاني ، سيكون علينا تحديد ماذا فعل الكاتب بالنماذج ، أوبالأحرى أي شخصيات حصل عليها ، وفي المحل الثالث ، سيكون علينا أن نرى من أي زاوية يعرضها وهي تومىء وتؤدي ؟ وهذا المجال الأخير يطرح ، بدوره ، متطورين محتملين :(أ) أن يعرضها من داخل وعيها ، أن يجعلنا نعتقد أنه مزروع في هذا الداخل الذي يوضحه ، و(ب) أن يعرضها بدءاً من وعي خارجي ، كمن يصف . فإذ اختار (أ) فإنه سيحبذ الاندماج ، أو على الأقل ، سيكون من الصعب عليه جداً أن يحافظ على المسافة بينه وبين الشخصية التي يصورها، وإذا لم يحافظ عليها فعلاً ،واذا نتج الاندماج ، فإن ما يفعله هو أن يتحدث إلى نفسه من خلال الشخصيات المختارة ، وفي النهاية فإنه يختار نفسه نموذجاً ، وإذا اختار (ب) فإن الوعي الخارجي يمكن أن يخلق تباعداً يبلغ من ضخامته أنه قد يفقد اختيار النموذج يفقد معناه لأن الشخصية المتسقة

على هذا النحو ، والمكتسبة طابعها الفريد بهذه الطريقة ، ستنفصل عنه أكثر مما يجب ، ومن ثم ، ستنفصل عن الأسباب التي دفعته لاختيارها .

هذه المواقف الحدّية تبينّ الحدود التي يمكن أن تعوق نقداً يـود أن يضع في اعتباره كل العناصر التي تتدخل في إنتاج نصٍ ما ، من شكل الشخصيات حتى مجال دوافع المؤلف ، لكن ما يهم أكثر من ذلك هو حقيقة أنه في هذين الطرفين يتحاوركل بناء للشخصية في الأدب الأمريكي اللاتيني الراهن : إن اندماج أو انقطاع الصلة هو الفخاخ ، ويجب النضال ضده . وبالطبع توجد داخل كل واحد من كلا المخرجين ظلال مُثرية لكن أكثرها شيوعاً هي الحلول الوسط بين الداخلية والموضوعية ، بين الواقعية التي مـازالت قويـة نشيطة والـوعي الذي يصف ذاته . وفي اعتقادي أن هذا الحل الأخير هو الطريق الأفضل اذا ما صاحبه تباعد يتيح تحويـلاً للنموذج الى شخصيـة ، وإلا فإنـه أحيانـا كثيرة المـلاذ في الاعترافات الشخصية الرتيبـة التي تكتسب طابعـاً تقنياً من خـلال المونـولوج الداخلي . كذلك مازال مفتوحاً طريق معالجة الشخصيـات بدءاً من نـظرات خارجية ، بشرط أن يتم اختراق القشور الخارجية ، وأن يتحول النموذج وفقاً لاحتياجات المؤلف .

ومن الواضح أن هذا كله لايعني أن الانعزال الصارم في أي واحد من هذين الطرفين لايعـطي نتائـج ، ولا يمنع من إنجـاز قفزات ضخمـة ذات مغزى ، هكذا ، مثلاً ، فإن الموضوعية الحازمة للقرن التاسع عشر أو للقرن الثامن عشر والتي يعرض بها جابرييل جارثيا ماركث (**في مائة عام من العزلة**) شخصياته لاتعوق ، بل تحبّذ تنسيقاً معقداً يعرض من خلاله في نوع من اللوحة المؤثرة ، الأنماط والصراعات الأساسية التقليدية الأمريكية اللاتينية (النموذج التالي) ، ومن ناحية أخرى فإنه من خلال سلسلة الأنساب المشوشة التي يرسمها يقودهم الى مستوى الأسطورة (تحويل النموذج)[٩] ثمة بالطبع ثراء لفظي ملازم لخيال

---

(٩) Cf. Propp, Les transformations des contes fautasiliques, en Theorie de la Littéra'ture, Paris, Seuil 1966.

غير عادي ، لكن العبور من نماذج تمثيلية إلى شخصيات أسطورية إنما ينتج بفضل الإصرار على تقديمها من الخارج ، باعتبارها مؤدية خالصة ، إلى درجة أنها بقوة كونها في ذاتها تتجاوز ذاتها تبدأ في أن تتمثل في روح القارىء فيما وراء الصيغ التي توصف بها . ويستخدم فارجاس يوسا في الدار الخضراء La casa verde النسق نفسه رغم أنه يغيض عليه تكنيكية أكثر : فالشخصيات تكاد تكون موضوعة في البؤرة من عدسة تسجّل ما يفعلون ويقولون دون انفعالات ، وتخلق منطقة المسافة بينها وبين المؤلف عن طريق هذه الآلية ، وتبدأ الشخصيات ، التي حررت نفسها ، في اكتساب أرض لنفسها ، وتتحول الى شخوص تمثل في تجريدها مواقف وأنماطاً ، وأجواء بارادجماتية ، تشبه بعض الشيءصور الكنيسة بالغة التعبير في صفائها . وفي الطرف المقابل يقدم خوسيه ماريا أرجيداس (الثعلب الذي في أعلى والثعلب الذي في أسفل El zorro de arribay el zorro de abajo)[١٠] شخصية لاتتحدث بضمير المتكلم فقط، رابطة نفسها بالراوي ، بل إن كليهما ، أو هذه الشخصية الواحدة الناشئة عن الاندماج ، يحمل اسم المؤلف : اختفت المسافة تماماً لكن لأن هذه الشخصية مرسومة على هامش المواضعات الأدبية فإن النموذج يتحول وتتباعد الشخصية عن المؤلف ، وتسمو وتتعمم .

بعبارات عامة يمكنناالإشارة إلى أن وجودخطيّن متطرفين ، بما يحققه كل منهما وبما يحدد كلاً منهما ، يبرر محاولات التوازن ، مثلما يمكننا ملاحظته في تغيير الجلد Camloio de piel لكارلوس فوينتس ، أو الرجال على صهوة الخيول Los hombres de a caballo لدافيد فينياس . فشخصيات الروايتين مرسومة بحيث تتولى كلاً من الاتجاهين وبجهد واضح لتحقيق مركب منهما : الشخصيات مرئية من الخارج ومعروضة من الداخل دون شك ، لكن إرادة التكامل بين كل من المنظورين أكثر بروزاً من النقطة التي تضمها ، النقطة التي يمكن عندها العبور

---

(١٠) ثمة سلف لهذه الرواية في أمارو Amaru ، العدد ٦ ، ليما ، ١٩٦٨ .

من أحدهما إلى الآخر كأنما نحن في بناء متصل ، وبالطبع فإن هذا هدف مركب : وقد حاول أناس من أمثال فوينتس نفسه (في أورا Aura) وكورتاثار (في كتاب الحيوانات) وبيوي كاسارس Bioy Casares (في حكاية رائعة) حل ذلك عن طريق الفانتازيا والتخيل ، وكل هذه المحاولات هامة جداً في نهاية المطاف لكن لها حدوداً ، لأن الأمر إذا كان عرضاً لشخصيات تكون هي داخلها وخارجها في الوقت نفسه بانتزاعها من مجرد المصداقية لإضافة الصفة الامريكية اللاتينية إليها، واذا كان الأمر يتعلق بتجنب الأطراف الحدّية الخطرة ، فيبدو أن المخرج التخيلي الفانتازي يقلص المشكلة برمتها إلى مشكلة لامصداقية سيمانطيقية ، مما ينتج عنه تجزئة جديدة .(١١)

٥ ـ المعالجة القصصية .

العنصر الآخر الذي أود دراسة تغيراته هو معالجة السرد . ولنبدأ بالتذكير بأن وحدة ما تجري حكايته تكمن في زاوية الرؤية التي يتم فيها ذلك : النظرة الواقعية هي التي تحلل ماهو خارجها ، وترتبه ، وتصنفه مراتبياً ، وتسبغ عليه معنى . هذه النظرة يحملها راوٍ ، يفترض أنه موضوعي ، ثم يقص بضمير الغائب كل مايجده في متناوله ، والراوي تقليد مرعى ، فهو الذي يوصّل كلا المجالين ، الواقعي والخيالي ، واختلافه عن المؤلف يتمثل في أنه هو الذي يقص من داخل الحكاية بينما المؤلف يكتب ، يحقق عملاً ، يحقق نشاطاً واقعياً . والتقليد ضروري إذ لابد من الحفاظ على الانفصال ، ومن جهة أخرى يجب دفع الحكاية إلى الأمام وفق قوانين حكاية إنسانية وواقعية . حسناً ، كذلك فإن الأبعاد التي تعمل ضمنها النظرة « الموضوعية » اصطلاحية وضرورية بالدرجة نفسها : فبالطريقة ذاتها التي يحكى لنا بها ما تراه النظرة بشكل يبدو حقيقياً ، فإن الزمان الذي تكتمل خلاله النظرة يرتب بحيث يبدو حقيقياً (وهو يرتب عموماً بطريقة

---

(١١) Cf. Comminicatons,núm11, Paris, 1968,

وهو عبارة عن مقالات متنوعة حول « المصداقية » .

خطية ومتابعة زمنياً) والمكان ، المأخوذ بوصفه إطاراً خالصاً ومنظوراً خالصاً ، يقدم بوصفه متصلاً يخرج من النظرة ويعود اليها كطريقة وحيدة لأن يصبح مدركاً ومفهوماً . وأعتقد أن هذا هو السبب في الاحساس بافتقاد التجسيم الذي تنتجه الرواية الواقعية ، ويوجه مجموع التقاليد الثلاثة إلى القارىء بحيث لايستطيع سوى التوصل إلى إجابة وحيدة المعنى ، تتطابق مع « زاوية الرؤية » الأولية .

لكن الواقعية ليست هي « الـ » واقعية بل المحاولات الواقعية العديدة . وفي كل واحدة منها يمكن التقليل من المحدودية الأساسية سواء لأن العلاقات بين النظرة والزمان والمكان ليست علاقات إنسيابية بالضرورة أو بصورة ميكانيكية ، بل قد تكون أحياناً محطمة جداً وجدلية ، أو لأن التجريب يرسي هنالك أشياءه الواقعية أيضاً ، إن لم يكن في العناصر الثلاثة ففي واحد منها على انفراد . ولإعطاء مثال واحد على ذلك فإن الموضوعية « السابقة على التسمية avant la lettre لأنطونيو دي بنيديتو Antonio di Benedetto[١٢] وهي عبارة عن وصف الجو ابتداءً من الأشياء ذاتها ، وكأن النظرة هي نظرتها وليست نظرة شخص خارجي . هذه الموضوعية تندرج ضمن محاولة واقعية من الناحية الجوهرية . لكن التأثير الناشىء عنها ليس سطحياً بأي حال وذلك بالتأكيد لأن إزاحة زاوية الرؤية يبعثر العلاقات ، ويكسر الاقتران الخانق . إن تجربة دي بنيديتو نموذجية وتبين ، بالدرجة الأولى ، إطاراً معيناً من الممكن أن تجري بداخله تحولات أخرى كثيرة ، وهكذا نجد أن واحداً من أهم هذه التحولات هو الراوي بضمير المتكلم الذي كان لايحتمل في الرواية التقليدية ، رواية عصر النهضة والرواية البورجوازية ، إلا من داخل حكاية بضمير الغائب ، هذه المعالجة الجديدة تتولى منظوراً جديداً وتشكله ، وتعلن أن « النظرة » التي تحاول الدخول من جديد في الشخصيات ومن هناك تقفز إلى الخارج من جديد هي نظرة أخرى أقل تقليداً إذا شئت ، وعلى أي حال فإن هذا التجديد إذا كان لايتخلى عن اعتماد المبدأ نفسه للمصداقية

---

(١٢) Antonio di Benedetto El abandono y la pasividad, en Dedinación y ángel, Mendoza, Biblioteca Pública San Martin, 1958

(بفرض أن تلك النظرة الجديدة ستكون أكثر فاعلية وأكثر « صدقاً ») فإنها من جهة أخرى تبين أن الأدوات يجب أن تتكيف . وتكفي هذه النتيجة للتأكيد على المدى النقدي الذي تتمتع به معالجة جديدة .

أعتقد أن أول ليٍّ منهجي للمعالجات يجب البحث عنه عند ماثيدونيو فرناندث .من أي زاوية يحكى في رواية الأبدية Novela de la eterna ؟ليس من زاوية رؤية شخص يدعى أنه يرى ويعرف كل شيء من الخارج بل من داخل الحكاية نفسها ، ويقوم ماثيدونيو بكل الحيل التي يمكن تخيلها من أجل تأكيد هذا التعديل : فالمتحدث ـ الراوي ـ يغطي عدة مستويات في وقت معاً ويحشر نفسه في كل مكان ، ويجري حوارات مع الشخصيات دون أن يكون هو شخصية ، ويؤنب المؤلف بدءاً من أكبر قدر من العمل يتولاه ، ويسمح بتدخل القراء في محادثات الشخصيات ، ويختار ويصفي أو يخترع شخصيات كما يشاء. يكتب إذن بصراحة وصخب ، كل القدرة على التدخل،« العلم الكلي » للراوي التقليدي ، لكن ، من ناحية أخرى ، بالطريقة نفسها التي يستحضر بها المؤلف ، بوصفه منظماً ، عنار واقعية ليضفي شكلاً على عالم خيالي ، إن الراوي ، داخل الحكاية ، هو الذي يوحد بين العناصر التي كانت ستظهر في فوضى شاملة مالم تكن قد أقيمت بينها صلة وعلاقة ، وما لم تكن قد أُعطيت معنى . ونتائج ذلك هامة : فهي تقويم الراوي باعتباره « عنصراً » أساسياً للقصص ، وبالتالي تحطيم تجانس الراوي الذي يظل خارج مايحكيه . ولايعني هذا أن ماثيدونيو قد ابتكر راوياً من نمط جديد ، ولا يعني حتى معالجة جديدة ، بل يعني أنه بتأكيد وظيفته وبترسيخها سيساعد على أن يظهر في العملية التالية عليه معنى تنويعاته .

ومع تزايد انتباهنا البطيء بهذه المشكلات تستمر في أمريكا اللاتينية تلك السطور التي كتبها ماثيدونيو لتكون مجرد مقالات ، وفي معظم الحالات يتم ذلك دون معرفة بؤرة التجديد العظيمة تلك ، وعلى النقيض فإن بورخس ، وريثه العظيم ، يقدم عرضاً رائعاً لما كان يمكن أن ينتجه تطبيق واعٍ وخيالي لما كان ينادي به ماثيدونيو . لكن الاستمرار الأعظم يكمن في حقيقة ظهور روائيين

وقصاصين يجدون في البحث عن وظائف الراوي وعن معالجات جديدة .
وواضح أننا بهذا المعنى يجب أن نفرق بين المجربين الرواد وبين أولئك الذين يقبلون تجارب صنعها آخرون ويعممونها . من الحالة الأولى ، سأذكر البرتوفاناسكو Vanasco وفبيثنتي لينيرو V. Lenero ومن الحالة الثانية خوان رولفو وجييرمو كابريرا إنفانتي .

تحدثنا عن (**دون شك كان خوان حياً**) : إن راويها بضمير المخاطب وزمنها المستقبل يقومان بوظيفتين : هما توضيح كيف أن الراوي هو المنظم للحدث وكيف أن كل الحدث افتراضي . ونضيف أنه في مقابل الزمن النمطي للحكاية ، الزمن التام الدال ، زمن ما اكتمل ، مايمكن قياسه والإشارة إليه ، يبدو لنا زمن المستقبل باعتبار ماهو مهدوم ومتنافر ، ما يكمن في الخيال أو التأمل النقدي أكثر منه في القياس : تكف الحكاية عن كونها شيئاً يحكى لتصبح شيئاً يجري بناؤه . ولاشك أن هنا قسراً للوظائف الكلاسيكية للراوي : إنها بتجاوزها ، بجعلها مطلباً ، وبوصعها في مستوى آخر ، توضح تفاهة الإنسان التي خلقتها نظرة تصنف عبثاً مالا تستطيع رؤيته أو قصصه كافتراض للعمل بدءاً من عُرىً أساسي . هكذا فإن المعالجة والحكاية متناظرتان : ففقدان الحكاية شحنتها ، وبتحولها الى مهمة تلقى المعالجة هي الأخرى بشحنتها ، أي ، بكل ما نتلقاه في الأدب ويخنقنا ، ذلك الجانب من الأدب الذي يعوق الإبداع الأدبي .

أما لينيرو ، في رواية البناؤون Los albáñiles فإنه يطمس ملامح الشخصيات فينشأ جو فيه « كل شيء ممكن » مما لايعني شيئاً سوى أطر جديدة ، وأنساق لاتتحدد بالضرورة على أساس « نعم » و « لا » اللتين تنظمان معرفتنا .

واضح أن هذه النتائج تخطيطية بل ومتعجلة (ولابد من أن هذا يبدو لبعضهم مجرد تخمين محض) وسيكون تطبيقها على مجمل الأدب الأمريكي اللاتيني أمراً خطراً ، مما لايمنعنامن فهم أنه خلف التجريب المتطرف . ترتسم دائرة تمتد من التساؤل الذاتي الأولي مارة « بمجال التعديلات الشكلية ، وحتى مناطق تتجادل فيها مشكلات معرفية لاتحيط بها في صياغتها النوعية سوى مناهج بالغة التطور .

وأعتقد أن تأملات تشومسكي التالية يمكن تطبيقها على ما يبحث عنه الفن القصصي الأمريكي اللاتيني الراهن : « لايبدو لي أمراً غير متوقع أن تكون قد نشأت ، في هذه اللحظة بالذات من تطور الفكر الغربي ، إمكانية أن نشهد ميلاد علم سيكولوجي غير موجود بعد ، سيكولوجية تبدأ بأن تتناول المشكلة التالية : تحديد الكثير من الأنساق الممكنة لأنواع المعرفة والمعتقدات الإنسانية ، والمفاهيم التي تنتظم بالنسبة لها هذه الأنساق ، والمبادىء التي تبررها »[١٣] ومن المحتمل أن يقربنا المعنى الكلي لتحليلاتنا من هذا المنظور ، وعلى أي حال فإننا بحاجة إلى تحديد المسارات النوعية حتى لو كان ذلك فقط بالنسبة للأعمال الأكثر نموذجية ، ومجرد افتراض هذا الإطار الذي لايخلو من القيمة سيصبح هو الشرط الأساسي لثرائه الدلالي ـ وهو شرط سيكون بدوره في أحسن حالاته ، شرط إيقاظ عالم القراء ـ لكنه إضافة إلى ذلك سيحول الرواية الأمريكية اللاتينية إلى قوة تغيير على مستوى الفكر والوعي المرتبط، على هذا النحو ، بالحركةالعامة والتي لايمكن كبحها لأمريكا اللاتينية صوب خلق أشكالها الجديدة ، أي صوب ثورتها .

وللدخول إلى الجانب الثاني يمكننا القول إن (رواية بدرو بارامو) لخوان رولفو ، على سبيل المثال ، تقدم حكاية سهلة التصنيف : إنها تنتمي إلى تقاليد الرواية الريفية الأمريكية اللاتينية ، التي هي فرع من الرواية الاجتماعية ، وفيها يتكون الشيء الأساسي من وصف السمات الهمجية للحياة الريفية ومن شجب الفظاعات والجور والاستغلال . ولأنها رواية اجتماعية ورواية أرض فإنهاتقدم مضامينها الصريحة من خلال مجموعة من المعالجات ليس هدفها التقليل من هذه المضامين بل تجاوزها رغم أنها تأخذها على عاتقها : الموضوعة أساسية هنا لكنها بمثابة الأساس ، الحبكة التي تنسج فوقها المعالجات ـ الدلالات . هكذا يسمح راو أول بضمير المتكلم بظهور ثان بضمير المتكلم أيضاً ، وبانتهاء تدخله يتشابكان (خوان بريثيادو Juan Preciado وإيدوفيجس Eduviges) مما

(١٣) N. Chomsky, Contributions de la linguistigue á l etude de la pensée eu Change, núm1, Seuil, Paris, 1968.

يجعل مستويين يتشابكان أيضاً وهما الزمن ومفهوم الواقع ، أحدهما حي والآخر ميت ، يموت الراوي الأول ورغم ذلك تستمر الحكاية : بعدها نجد راوياً بضمير الغائب ، يتناول حدثاً ويطوره : وصورة بدروبارامو ، ووصف الجو والمراجعة المسهبة لأسطورة الموت المكسيكية تأخذ في التشكل بدءاً من كل هذه الطرق للحكاية والتي لاتمثل بؤراً مختلفة للواقع نفسه بل تكمل بعضها بعضاً إنها معطيات تتراكم . ولأنها تأتي من منظورات مختلفة فإنها تفتت النظرة وتجمع الموضوع في لحظة ، مثلمافي التصوير التنقيطي* إن الموضوعة والشخصيات تجبرنا على التفكير في الفن الجداري المكسيكي ، لكن مجموعة المعالجات المستخدمة تدفعنا إلى التنقيطية : التشابك مثرٍ ، وتبنى تكنيكات معينة يتيح القيام بقفزة ويتخيل أن وراء المضمون التقليدي ، المقدم بصورة أكثر فعالية ، ثمة أيضاً فكر كامن في كل مستويات الواقع وليس فقط في الشجب ، الذي يتمتع بقيمة في حد ذاته . وأكتفي بهذا القدر فلا حاجة للإلحاح في ذلك .

أما في ثلاثة نمور حزينة ، لكابريرا إنفانتي ، وتدور حول وصف ليل هافانا والصراعات ، والمغامرات أو المشكلات الجنسية والثقافية لفريق من الناس ـ وهي موضوعة شائعة في الأدب الواقعيالمديني ـ فتطبق مجموعة متنوعة من المعالجات ربما أمكن تلخيصها في واحدة : التراكم المتعارض للحكايات ، ومن ثم للرواة . لايكاد الحدث يتدخل ، بالتأكيد، فيها. بفضل أولئك الرواة الذين يكونون مجموعة لكنها مجموعة لا تتباعد فيها أي نظرة عنالأخرى بصورة متميزة. كلهم يبدأون بأن يحكوا حكايتهم ـ اعتراف ـ ولذا فهم أبطال متتالون وهم بذلك لايظهرون ميلاً كبيراً إلى المساواة بين الشخصيات ـ وهو أمر يفعلونه أيضا ـ من حيث المبدأ ، بل يظهرون أنه لافرق بين الراوي والشخصيات ، فالوظائف متبادلة ، ويبدو أن الراوي يقوم بدورجديد : فهو من يحكى ، من جهة ، ولايمكن فهم القصة بدونه ، وله ، من جهة أخرى ، قوام الشخصيات ومادتها

---

* أحد أساليب المدرسة الانطباعية وفيه يرسم الفنان الأشكال بنقاط متجاورة ـ [المترجم] .

نفسها . ونستعيد هنا نتيجة ظهرت لنا بكل وضوح عند الحديث عن ماثيدونيو : إن الـراوي ينتمي بصورة جـوهريـة إلى النسق العام مثـل أي عنصر آخـر ، الشخصيات والموضوعة التي ظـل يعترف بـوصفها ممـا لاغنى عنه في كـل بناء قصصي . لكننا رأينا أيضاً كيف أن التجارب التي توسع مداها يمكن أن تندمج في مخطط لاتكون غاياته جديدة في مجموعها . ودلالة هذه التكّيفات لايمكن إلا أن تكون إيجابية : فالأداة تجدد في مجموعها ، وثراؤها الكبير يباعد بينها وبين التفاهة والانقراض .

٦ ـ النظرة والزمان ، والمكان .

إيجازاً نقول : إن الراوي عبارة عن عنصر يأخـذ شكله بدءاً من نـظرة منظِّمة تأخذ مكانها ، بدورها ، في منظور ، وبالتالي يعاد على هذا الأساس تنظيم الزمان والمكان ، وهما المقولتان الأوليان لكل منظور . هكذا ، فإن ما سميته « المعالجة » القصصية سيتركب من طريقة تناول النظرة (الراوي) ، وكذلك من طريقة تناول الزمان والمكان . والآن فالعلامة المميزة للتعديلات التي تجرى في مجال الراوي هي التفتت وتبادلية النظرات ، وما حدث للزمان والمكان في الفن القصصي الأمريكي اللاتيني يؤكد هذا الميل : فقد تعرض التعبير عن زمان خطي أو عن مكان يعتبر كوسط محيط ، تعرض لهجوم قاس يمكن قياس نتائجه من التحولات الناشئة . ونلاحظ ذلك في رواية رولفو التي تقوم فيها الحكاية بكسر الخطية الزمنية ، وذلك بتقدمه عبر نسق بالغ التعقيد من التقهقرات : فتحكي شريحة ما حتىٰ نقطةٍ معينة ، ثم عود على بدء لالتقاط نقطة بداية الشريحة الأولى ، ثم تطور جديد للشريحة الأولى من النقطة التي تركت عندها ، ثم تقهقرات حين تظهر شخصيات معينة . والنتيجة هي شبكة من الخطوط التي لاتطمس حدثاً مشحوناً بالمعنى من وجهة نظر تاريخية ، بل تطرح بالدرجة الأولى تجربة للزمن مأخوذاً باعتباره موضوعاً للوعي ، مغروساً في ذاكرة ، ثابتاً كنقش أو كآفة يجري التحقق من جذورها . والتقهقر ، والراوي ، والتفتت هي أشكـال لاستعادة تلك الذاكرة ، وهي معالجة مماثلة للتي نجدها في التحليل النفسي ، ومثلما في

التحليل النفسي ، فإن هذه الأشكال بقدر ما تشكل موضوعاً ، تخلق مكاناً ، هو الموضع الروائي الذي تجرى فيه كل محاولة الاستعادة . هذا المكان غير متصل بدوره وليس مجال نظرة تعد له كما في الرواية الريفية القديمة ، إنه مفتوح وقابل للاتساع ويسمح بأن يزيح من طياته ، كما يجري في فعل انفتاح متماد ، الصورة التي تروى ، لكنه في الوقت نفسه يتيح لهذه الصورة أن تنتقل إلى أذهان أخرى ، هي أذهان القراء ، بهذه الطريقة تكتسب الصورة موضوعيةً وتتبدى في دلالاتها الجوهرية : إذ يتحول الواقع الفعلي والقابل للتحقق إلى « طبيعة صامتة » ، أو بالأحرى إلى تتابع لأحياء وأموات لا يوجدون فقط في الموضوعة الروائية بل كذلك في العالم الذي منح المؤلف نماذجه .

أعتقد أنه ما من حكاية أمريكية لاتينية راهنة لاتعمل في كلا البعدين على هذا النحو . حتى في أكثر الحكايات احتراماً للمعايير الكلاسيكية ، مثل حكاية جابرييل جارثيا ماركث (**مائة عام من العزلة**) حيث تبدأ الحكاية في لحظة محددة وتنتهي بعدها بسنوات ، فالأحداث تتشابك ، وتختلط أفعال الشخصيات ، ويندرج نشاط بعضها في استمرار آخرين سرعان ما يستيقظون من ضروب نسيان وهجران غريبة ،وتنشأ منطقة مبتورة غائمة وحتى دورية ، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى الأسماء التي تتكرر فكأن تدفق الزمن يعوقه الافتقار إلى التمايز . وحتى لانخرج عن تحليلنا ، أود أن أذكر بأن ماهو دوري هو في المقام الأول نتيجة لحركة تراكمية ، فكأنه ما من عقلانية هنالك بل ضرورات ، على هذا النحو ، تأخذ عائلتا بوينديا وماكوندو نفسيهما في النمو بوضوح . لكن الشخصية التي تتبعانها تذوب ، ولانعود نعرف شكل أي منهما . ولعلهما تذوبان في البحيرة التي خرجتا منها بفضل إرادة ما ، وبفضل الطاقة المؤسسة لأسطورة الزنا بالمحارم . هكذا يكون المكان في مائة عام من العزلة نتاجاً للزمان ويتراكب ، مثل أفعال الشخصيات ، فوق المكان الواقعي : والحكاية هي بالضبط التعبير عن هذا الجهد البطولي الأسطوري ، وغير ذي الجدوى في آن واحد .

هذه الطرق الجديدة لتناول الراوي ، والزمان ، والمكان تمثل قبل كل شيء

الاهتمام بالتغيير الذي أنتجته في الملامح الكلية للفن القصصي الأمريكي اللاتيني . وبالاضافة إلى ذلك تنشأ ، عبر أكثر التعبيرات توفيقاً صورة قدرة قيد ممارسة ،هي القدرة على التحوير . وأعتقد أن (الحجلة) لخوليو كورتاثار ، توضح جيداً هذا الجانب الثاني . ففي هذا النص تظهر اللحظات الثلاث للمعالجة تحت العلامة المشتركة للتفتت التي تغطى تقديم المادة نفسه : فالتوصية بقراءتين ، الأولى مرتبة وفق خط معين للحبكة لكنها متقطعة وفق ترتيب الصفحات ، والأخرى متصلة وفق ترتيب الصفحات لكنها متقطعة وفق خيط الحبكة ، هذه التوصية تقدم على الفور صورة انقطاع منشود يقدم نفسه على أنه نقد لكل معايير التكوين ، أو على الأقل للمعايير المعتادة ، أولتلك التي تحاول أن تتكيف حسب المتطلبات (المفترضة) لسهولة القراءة . واضح أن الحجلة هي إعلان عن التعب من طريقة بلاغية لتنظيم الحكاية ، فكل واحدة من شرائحها تحطم قانون البداية والوسط والنهاية ، ناهيك عما يتجاوز هذا المبدأ شديد العمومية . ولايعني هذا غياب تطور الموضوعات بل يعني تطوراً يجب على القارىء أن يكمله لا من خلال ذاكرته القصصية فقط لكن كذلك من خلال قدرته الخاصة على الإبداع ، هذه القدرة المطلوبة منه حتى درجة إندماج ذكائه بالنص المسلم إليه . إن المضامين الأساسية للنص ، والصراعات التي يتم إضفاء الطابع الدرامي عليها هي مضامين وصراعات عادية على نحو معين . لكن الطريقة الممزقة في ترتيبها تعبر عن الطريقة الممزقة التي نعيشها في الواقع : إن الفوضى والتمزق هما الإجابة على مظهر للمعرفة ، هما تمرد ضد النظام القمعي للمفهومية الذي لايوضع موضع التساؤل ، وللمنطق الذي لايتمرد على نفسه ، وللحقيقة التي تكتفي بالصورة التي كونتها عن نفسها ذات حين .

وبالمقابل ، فإن كل ماتحاول الحجلة مناقشته هو تتويج لسياق يعبر عن ضرورات انقطاع لاتتمكن من الاندماج في قنوات النظام الاجتماعي الذي تعمل فيه الثقافة بصورة قمعية ، تفرض وتمنع ما قد انتهى تماماً ، وما أصبح معروفاً ، الحجلة ؛ إذن ، هي تجارب سابقة يستفيدمنها كورتاثار وهي كذلك

دروس يستخلصها كتاب آخرون ، وتطورات لاحقة لكورتاثار نفسه . وإذا كانت الحجلة برهاناً على القدرة على التحوير ، التي أشرت إليها آنفاً ، فإن الأعمال اللاحقة لكورتاثار تعبر عما سوف يأتي في أعقاب الفورة التكنيكية التي تتضمنها . مما يفتح باباً هاماً ، وجانباً لايمكن إغفاله .

٧ ـ تدمير التكنيك : المونتاج (التركيب)

حددت الحجلة بالتأكيد اتجاهات عديدة للفن القصصي التالي والذي يقتفي آثارها . ويرجع هذا ، بالدرجة الأولى ، إلى الحرية التي يجري التصرف بها بالنسبة لمعالجات القصص . فإبتداءً من الحجلة فإن كل ما يتعلق بالحكاية بوصفها تنظيماً يأخذ في التدرج التسلسلي وكل ماهو من المجال النظري والعملي يأخذ في اكتساب المبرر . لكن فلنحدد : فلا الموضوعات ولا الواقف ولا الشخصيات ، في هذه الحالة ، جديدة تماماً ، بل إنها تنتمي إلى قائمة الريبودي لابلاتا ، الجديد هو حرية المعالجات مما يتيح تطوير دلالات جديدة فوق مضامين قديمة على نحو من الانحاء . وأكرر أن هذه الحرية تتبدى في شكل خارجي ممزق ، مما يتضّمن مضموناً نقدياً بالتأكيد : فالتفتت يكسر طريقة في القصص تزعم أنها متجانسة ويكتسب تناولها ، بل أسرارتناولها ، سلطة لاتنازع تستقر في الكاتب الذي هومن يملك القدرة على القصص بتكنيك لاغبار عليه . وانطلاقاً من هذه السلطة يعتبر الكاتب ممثلاً خاصاً للبشر ، فهو ليس عاملاً ولا منتجاً ، بل إنه « مبدع » وما زالت هذه الصورة شائعة وتكّلف مناقشتها جهداً ، رغم أن تعميمها يتولاه تنظيم اجتماعي ، أو نسق بل مجموعة أنساق هي التي تحددها : فالكاتب الذي أحيط بهالة القداسة على هذا النحو سيصبح وسيطاً متميزاً لثقافة يعطيها معنى من خلال ممارسة سلطته ، كذلك يمارس الكاتب سلطة تحققه باعتبارها نموذجاً موجهاً لإبهار الكتاب الآخرين وكذلك لإبهار القراء وإبهار تلك المخلوقات الهجينة التي هي النقاد ، والتكنيك الرائع ، الذي يثير الروعة بقدر ما يكون كاملاً ، يوحد هذه الأقطاب الثلاثة . ويبدو أنه يشكل رمز المفهومية : فإنني أعجب وأقر بتكنيك عظيم كلما توحدت معه ، وبذلك أصبح قادراً على

تقويمه ، وتزداد قدرتي في أوليمب الطاقات البشرية الممتازة . الانبهار ، إذن ، يكاد يكون ضرورة ، فهو الملاط الذي يملأ شقوق نسق ما ، إنه شكل تبدّى الأب الذي يرتب وجود الأبناء ، ويود بذلك أن يمتد فيهم من خلال جلاله الذي يوقع الشلل .

لكن التكنيك تاريخي وليس خارج الزمن : فبعد قرون من البحث وجد نقطة بدايته في الفترة البورجوازية وشهد بعدها تفككه الكاسح مع بدايات القرن العشرين . وما حدث حينئذ ليس نوعاً من استبدال تكنيك « معين » بتكنيك « آخر »، بل إن فكرة « التكنيك » نفسها تفقد بهجتها وتبدأ في أن تزاح عن موضعها ، ويبدأ نزع الأوهام عنها وهي البطل الحقيقي للرواية البورجوازية والمؤلف يُحرم من هالته ويقدم له ، بدلاً منها ، مجال تجربة القصص : تجربة الأشكال لكن كذلك تجربة الكيان الكلي نفسه الذي يوضع اتساقه ـ ناهيك عن فعاليته ـ في خطر بصورة درامية . على هذا النحو يزيح جويس ـ حتى لا يضرب سوى مثل واحد ـ النواة المنظمة عن عمله ، يخرجها عن وظيفتها الكبرى ويضعها في العناصر القصصية نفسها : ستصبح صحوة فينيجان Finnegan's Wake مونتاجاً يقوم على بارادجما الكلمات العالمية ، يطرح جويس اهتمامه بالكتلةالصوتية التي نجحت كل الثقافة في مراكمتها ليبحث هناك عن تنظيم لا يستطيع التكنيك العظيم ولا حتى فهمه .(١٤)

كان ماثيدونيو قد فهم منذ عام ١٩٢٠ ماجرى بصورة متأخرة في أمريكا اللاتينية من اندراج نزعة التفتت في رواية الحجلة ضمن ما يبدو أنه محاولة لتدمير « التكنيك » بوصفه سلطة مطلقة : المرآة المكسورة هي أول ما يرى كنتيجة للتجارب المتعددة وخلفها ، أو بعد توحيد الشذرات وفهم التفتيت ، تقوم مستويات جديدة : أهمها هو مستوى التنظيم في شكل « نموذج » يتم بلوغه ، نموذج لا يفرض ولا يختتم حيث إن قابليته للفهم لا تُقدّم « في ذاته » بل في قدرة

(١٤) cf. Jean - Pierre Faye, Montage, production, eh Change, num 1, Paris, 1968

فك الرموز لدى المتلقي الذي يكمله ، ويعدّله ، يكسبه مضمونه ، يتمثله ، يـرفضه ، ويحيـاه . كما يقـول كورتـاثار ، يكف القـارىء عن كـونـه « أنثى » ويفعل . *

في هذه اللحظة ـ التدميرية في الأساس ـ تكون فكرة « المونتاج » أو التركيب لنموذج هي المخرج الملموس،هي الإمكانية المتاحة لتجنب الضغط المبهر للتكنيك الذي ينتصب في الوعي كأنه « أنا » أعلى يقوم بالرقابة والتصحيح . لكن فكرة المونتاج تفيد كذلك في امر آخر ، تفيد في شجب العلاقة التي يمكن أن توجد بين الثقافة والشكل والفرد : فالمونتاج هو نسق أو مجموعة أنساق لبنيات متحركة ، قابلة للتعديل ، وقابلة للإستبدال مادياً (صوتياً) ، وهي دلالياً تميل إلى الابقاء على نفسها على أساس مفاهيم الإنسيابية والحركية ، وهذه المنظومة تناظر المنظومة الثقافية ، وتنظيمها يجد صداه في تنظيم الأفعال الاجتماعية ، فالفرد يرى سمو سلطته الابداعية وبؤسه الاجتماعي المتزامن مع طريقة المُنظِّم نفسهـا وقارىء الكلمة الأدبية حسناً ، إن الهجوم على التكنيك بوصفه سلطة ، والتفتت بوصفه نتيجة ، والمونتاج بوصفه مخرجاً تشكل حلقة تقوم على دافع نقدي مسبق : تفجير العقل تمحيص الفكر والمعرفة ، محاولة بلوغ جذر الكلية في محـاولة لتحـطيم المظاهر والمواضعات . فهل يتحقق هذا الهدف ؟ على أي حال ، فإن الهجوم على التكنيك يمثل ذروة النسق والقدرة على تصفية فعالية التكنيك بفعالية جديدة : إن ما يبدأ في اكتساب الأهمية هو ثراء ضروب المونتاج (وضروب النماذج) وليس « فن » استخلاص نتائج عظيمة من قواعد ثابتة . ولايدهشنا ، إذن ، أن تدخل « الأنـواع الأدبيـة » في مجـال تصفيـة تسبب الـدوار ، ولا ألاّ تكـون الحجلة رواية ،[١٥] ولايدهشنا كذلك أن اللغات والتنظيمات المختلفة يتجاوز بعضها بعضاً وتتحول وتتكامل في وحدات جديـدة . بهذه الـطريقة ، في (الحجلة)

* القارىء « الأنثى » والقارىء الذكر . تفرقةوضعها كورتاثار بين القارىء السلبي في الحالة الأولى ، والقارىء الايجابي « الذكر » الذي يطالب به والذي يشارك في عملية الابداع ـ م .

(١٥) Cf. David Lagmanovich, Rayuela , una novela que no es novela pero no importa, eu la Gaceta, Tucumam, 29 de marzo de 1964.

يصطبغ الفكر والتأمل بصبعة درامية روائياً ، ويتخلل الشعر ، ويكون ، ويحدد ماهو روائي في رواية (الفردوس) وترشد الموسيقا تكوين وايقاع رواية سيبيريا بلوز Siberia Blues لنستور سانشيث Nestor Sánchez ، أو ثلاثة غـور حزينة ، وتصوغ النظريات اللغوية رواية من أين هم المغنّـون ؟ De dónde son los cantantes لساردوي ، وأخيراً فإن لغة السينما هي نموذج لكل أنواع النصوص مما ليس غريباً بأي حال. فالمونتاج في السينما مقولة ضرورية بنيوية ، ولاتفهم السينما دون مونتاج .

ربما كان التحرر من قهر الأنواع الأدبية حتمية لم يقرّرها أحد . لكن هـذا التحرز ، مهما كان الأمر ، يعني إمكانية استعادة حرية بدونها تكون الكتابة ، من ناحية أخرى ، تكراراً . استعادتها أم الإحساس بها للمـرة الأولى ؟ لنضع في اعتبارنا أن ذلك التكرار ، بالنسبة لنا ، كان بفعل إضافة لاحقة أي ذات إيماءات غـريبة علينـا ، وكان يمثـل مشكلة تبعيّتنا القـديمة ، وإذا شئت تخلفنـا العقلي والاقتصادي . لكن ثمة ماهو أكثر من ذلك : فإن تصفية قهر الأنواع الأدبية هو أيضـاً طريق للتحـرك في الفراغ الـذي تعد بـه ممارسـة الحريـة (فراغ يـوقـع الاضطراب ، ويعذّب أويُربك القراء الذين إذا رفضـوا فهم يرفضـون فقدان المعايير ، وإذا صفقوا فهم يصفقون لافتقاد الحدود ، أي انه ارتباك) لكنها لاتعدُ به مؤلفين كثيرين يسمحون لأنفسهم بهذه الطريقة بإرجاع تنظيم رسائلهم إلى درجة الصفر الأصلية .[١٦] كذلك يجب أن نرى ماذا تعني « حريـة » الكاتب داخل سياق بدون حرية ، وما إذا كانت إدعاءً مزعجاً ، أو قدرة على التسامي تنبىء عن نوع من الصحة الأساسية في مجتمعات مكبوتة ، ومنتزعة الفضيلة ، ومهدومة ، ومستلبة لأسباب عديدة .

أما النقطة التي تلتقي عندها الأشكال المتحققة بدءاً من تلك الحرية ومن فهم الدلالات فتكمن في القراءة التي يتيحها وقت للتأمـل يقتطع منـه المسرح بـل

(١٦) يمكننا أن نطلق على هذه اللحظة إسم « الحرفية » أو الميل لانتاج شكل بدءاً من مادة لفظية معينة .

ويمنعه . لكن المسرح هو الموضع الذي نجد فيه نتائج تحطيم حدود النوع الأدبي أوضح ماتكون ، وفيه قد تكون فكـرة العرض هي الشيء الـوحيد المتبقي من المنظور القديم ، وتبقى كذلك شخصيات ، أو ممثلون وبعض الدوافع ، لكن هذه العناصر هي أشد مقاومة في ما لانزال نسميه بالرواية : والطريقة نفسها التي نجد بها جويس في أساس ماهو شائع الآن في الفن القصصي ،يجب الإشارة في المسرح إلى أرتو Artaud وإلى المسرح الحي Living Theatre باعتبارهما مؤسسي ذلـك الذوبـان للعلاقـات المسرحيـة التي بفضلها يبـدأ النص ، والموضـوعـة والممثلون ، والإضاءة ، والملابس ، والمتفرجون من العدم في كل لحظة ، فكل شيء مباغت ، وما يهم هو النقطة المحورية (للمسرحية) . انطلاقاً من الحركة التدميرية الجارية فعلاً يبدأ المرء بوطء أرض تزداد صلابة ، وتعمل القدرة على التشكيل ، كأن أدوات جديدة ، تمثل طريقة جديدة في فهم الواقع ، أخذت تتكون لتضفي قسمات جديدة على الأدب . فبالنهاية ثمة موقف بنـاء في نهاية الدائرة وبفضله عدنا ـ مرة أخرى ـ إلى تأكيد لـ « تكنيك » ، وما ولد باعتباره تحللاً للمعالجات يطرح نفسه مرة أخرى على أنه نسق جديد من المعـالجات . ونستطيع أن نلاحظ المسار عند كورتـاثار نفسـه : (فالحجلة) ، كـانت المرآة المكسورة ، كانت التفتت ، و (الدوران حول اليوم في ثمانين عالماً) هي ، على النقيض ، تـراكم لنصوص منفصلة ، هي تلصيق (لـولاج) يصوغ نـظريته بوضوح في كتاب (٦٢ نموذجاً للتركيب) 62 modelo par a armar فالمونتاج يصوغ القوانين التي ستؤدي به إلى الشكل والتي لم يكن في استطاعته إلا أن يطيعها بالطريقة نفسها التي يلجأ بها مسرح الحدث happening ، وهو المجال الواسع الأولي للمعاني الصرفة ، إلى مبادىء معينة (مثل « انعدام الوسائط ، والتواصل المبـاشر مـع الأشيـاء والأشخـاص ، والمسـافـة القصيـرة بـين المتفـرج وبـين العرض »)(١٧) لايستطيع أن يتخلى عنهـا لأنه بـذلك يتحـو إلى شيء آخر ، وسيفقد وجهه الدال وذا الدلالة .

(١٧) Cf. Roberto Jacoby, Conha el happening, en Oscar Masotta y ohos Happenings , Buenos Aires, Jorge Alvarez 1967.

المدّ والجزر مع « التكنيك » الاستعادة لقوته ، هل هي أمور سلبية بالضرورة ؟ ألا يمكن أن تكون لحظة ثانية من استقصاء ؟ لحظة مبررة في اطار العملية رغم أنها أقل بريقاً وصخباً من الأولى لأنها لاتكشف عن تجربة عنيفة لفراغ أولّي بقدر ماتكشف عن البحث الدؤوب عن معايير راسخة ، عن تكريس أدوات تكون صلابتهاهي الدليل على مداها النموذجي ، وذلك عندما يُستنفد التجريب. إن آخر رواية لفوينتس ، تغيير الجلد Cambio de piel ، توضح هذا التغير ، إذ يبدوأن ثمة رغبة في تأسيس ـ أو تكريس ـ العودة إلى التكنيك التي تأتي بعد تصفية « التكنيك » حيث ينتظم القصص ، بوضوح ، انطلاقاً من التقاء مجموعة من المعالجات الجديدة ـ كما في لوحة من التكنيكات ـ باستطاعتها أن ترتبط بعضها ببعض وتصوغ تاريخها ، وتعرِّف نفسها ، وتتحقق من نفسها في فعاليتها ، ولذا تظهر مضبوطة ، جيدة الترابط ، متماسكة ، مدارة « بارتياح ضمن ما قد استقر ، وبالنسبة لكونها شكلاً ، فإنها تخضع للحكاية ، وتخدم أكبر قدر من الوضوح السيمانطيقي . لكنها لاتحاول أن تعبر في ذاتها عن موقف معين : مرة أخرى يبدو أن العالم يُحكى ويُحاكم لكن طريقة الحكي لاتقول كلمة واحدة أكثر مما يقوله مضمون الموضوعة وافعال الشخصيات .

بالتأكيد ، لابد من أن هذه هي المرحلة التي يمر بها الأدب الأمريكي اللاتيني في هذه اللحظة المحددة ، مرحلة مليئة بالمكتسبات ، وبالتأكّدات والتحققات لكنها مليئة كذلك بالتناقضات وبعدم الرضى مع التسليم بأنه ليس خافياً على أحد أن انتصار أدبٍ معينٍ هو مجرد تعبير مجازي عن انتصار ثقافة معينة وشعب معين،وأن الثقافة والشعوب في أمريكا اللاتينية ـ باستثناء مايتعلق بكوبا في اعتقادي ـ بعيدة في الوقت الحار عن هذا الانتصار الذي ينتظرها عند أحد منعطفات التاريخ . وإذا كنا عند تأسيس هذا المجاز ، الذي حفزنا وأخرجنا من العزلة ، قد شهدنا تدخل التساؤل الذاتي بوصفه نواةتوليد ، نظراً لأن الواقع الاجتماعي والثقافي لم يتغير ـ وحتى لو تغير ـ فإن على التساؤل الذاتي أن يظل يلعب دوراً في المراحل التي تنتظرنا : إن سيتيح إنتاج أشكال جديدة ، انقطاعات

ومصالحات جديدة إنه سيتيح إنتاج أشكال جديدة ، انقطاعات ومصالحات جديدة وبكل ذلك سيظل أدبنا يقترب من خطوط موجّهة لواقعنا الجديد . لن يكف الأدب الأمريكي اللاتيني عن طرح الأسئلة ، كما يشير نص أرجيداس الوارد أعلاه بصورة أو بأخرى ، هذه الأسئلة ـ التي يتضح عند أرجيداس بشكل جيد تماماً أنها موجهة قبل كل شيء إلى ذاته لكنها عند صياغتها تنتزع من الداخل لتوضع في الكيان الكلي ـ لتكّون شكلاً والشكل يجعل من نفسه تفسيراً .

٨ ـ الديالوج :

وبصرف النظر عن هذه الآلية المتنجة ، أود لفت الانتباه إلى ما أعتقد أنه صياغة صريحة للتساؤل الذاتي : ألا وهو الديالوج ، الذي تمثل خصائصه من الفن الروائي الراهن مؤشراً ذا تأثيرات أكثر عمومية .

إن الديالوج ،بالطبع ، هو بنية شائعة في الفن القصصي لكن ما يدفعني لهذه الملاحظة هو الحقيقة الشائعة جداً ، في أنه خارج عن مجال الحدث ويطرح توضيح مشكلات ذات طابع ثقافي.والتخطيط كما يلي : يبدأ اثنان أو أكثر من الشخصيات في الحديث بدءاً من أي ظروف تكون في العادة غير متعلقة بالحديث ، وعلى الفور تقريباً ، وبدلاً من فحص علاقاتهم ، أوتحقيق الثقة التقليدية فيما بينهم أو تخطيط موقف جديد ، فإنهم يحدّدون حدود ومدى ونتائج مشكلات فلسفية ملتهبة أحياناً . والتعميم الذي يمكن التحقق منه لهذاالنوع من الديالوج يمثل عادة البرهان على الانفتاح للنقد وللفكر من جانب الرواية المعاصرة ، وبالتالي ، فإن الأمثلة كثيرة رغم أنني أعتقد أن الأمثلة الأساسية ، والتي سأكتفي بذكرها معطاة في روايات (آدم بوينوسآيرس) ، لليوبولدو ماريشال ، والحجلة ، و الفردوس ، و ثلاثة نمور حزينة .

لكن إذا كان هذا « الشكل » دالاً فإنه دال قبل كل شيء لأنه يبدو للوهلة الأولى عيباً في الرواية حسب المعايير التي يقول بها « التكنيك » الجيد القائم على أساس التوازن ووضوح الوظائف . ومن زاوية الرؤية هذه فإن آليةً من قبيل

الآلية التالية تكون غير مفهومة بل غير ذات ميزة ، لكن ما يهمني هو تطويرها : ففور أن تبدأ المناقشة لايمكن وقفها . وتكون الموضوعة ـ كما قلت ـ ثقافية ، ورغم ذلك ، تذكر في لحظات صراعات أو مواقفُ مرتبطة بعالم الحكاية ، وتظهر على أنها مفاتيح للتفاهم (تنشأ رابطة سرية بين الصراعات المقدمة في الحكاية وبين الإشكالية الثقافية المتصاعدة) ، لكن سرعان ما تختنق هذه النقاط ، وتتم العودة بصورة رتيبة إلى العلاقة شبه السقراطية التي يكون التلميذ النهائي فيها ، بالطبع ،هو القارىء، يسود دافع للوضوح للإجابة عن أسئلة يصوغها وعي تاريخي يأخذ على عاتقه ما يشغل حقبة معينة . ومن جهة أخرى فإن التساؤل الذاتي ، كما أفضت في وصفه ، يخترق دون شك هذه المناقشة لكنه يتجسد في مشكلات ثقافية ، وليس مغلقاً في تجربة فردية . كذلك نلاحظ أن الارتباط القائم بين هذا النوع من الديالوج وبين البنية الكلية للروايات المذكورة هو ارتباط ضعيف ، بحيث إن من الصعب تأسيس علاقات سببية بينها ، وما يظهر هو بالأحرى مجموعة من الشخصيات تتمتع بالقدرة على الفحص التي تنظم بشكل تسلسلي المجال الروائي بمعنى المشكلات التي تحللها وتفهمها : فالشخصيات المتمتعة بهذه القدرة تظهر احتياج المؤلفين لإظهار كيف يمكنهم مواجهة المشكلات المعقدة للثقافة وطرحها بكل أبعادها رغم ذلك ، الشخصيات هي وسائطهم ومن خلال المضمون الذي تناقشه ، يحاولون توصيل قدرتهم الخاصة على معالجة هذه القضايا ومايشغلهم فيها ، أي الثقافة الأمريكية اللاتينية في مجموعها .

حسناً ، لماذا هذا الانشغال العام ؟ ماذا يجري في الثقافة الأمريكية اللاتينية حتى يجبرنا على تدارس مشكلاتها بشكل صريح ؟ أعتقد أن أمريكا اللاتينية ، من ناحية ، تعيش منذ بضع سنوات لحظة الوصول إلى العالمية ، مما يدفع إلى اعادة طرح (مشكلاتها) على كل المستويات والمجالات ، ومن ناحية أخرى لابد من أن نضع في الاعتبار أن العالمية بالنسبة للأمريكيين اللاتين تندرج على وجه الدقة في الثقافة الأوروبية ، وإذا كانت هذه الأرضية موجودة ، فإن الحاجة إلى المساواة ، إلى الانفصال ، الى التجاوز ، الى فهم أكثر مما تفهمه الثقافة

الأوروبية ، إلى التمتع بمكان داخل اطار الثقافة الغربية هي الخيوط التي اذا لم تكن تنتج وحدها فإنها تبرر على الأقل هذا الاستخدام للديالوج الذي إذا نظرنا إليه من هذا المنظور فإنه يرسم حدود هذا التحديث الشامل . إن المنبع الكبير للنماذج لم يبلغ بعد درجة أن يكون هو المتحدث ، وهو حتى الآن يعبر عن نفسه عن طريق الوسائط اللانهائية لما يجيزه أو يدينه دون أن يظهر نفسه : إن الديالوج هو إحدى صور مطالبة أوروبا ، هو رجاؤها أن تكف عن صمتها لكن الكلمة التي ترجو ذلك مازال يغطيها ذلك الزوج من المتحاورين الذين لايتوقفون . لكن الجمهور الذي يقرأ تلك الحوارات هو جمهور أمريكي لاتيني ، وهو الذي يُوجِّه اهتمامه ، وهو الذي تعرض عليه الأسئلة التي يمكن أن يكون قد تأملها أو لم يتأملها ، من هنا فإن المؤلف ، من خلال الديالوج الذي تقوم به شخصياته ، وهو الديالوج مع أوروبا في الواقع ، يجعل من نفسه مترجماً للأمريكيين اللاتين ، وينقلهم إلى ايقاع العصر .

هذا يعيدنا إلى وضع أمريكي لاتيني شائع : هو التوجه إلى أوروبا ، ثم التمثل البطيء المعذب للزاد الذي يُطلب منها ، والمرفوض في أحيان كثيرة برغم ذلك ، والمفروض ببساطة في أحيان كثيرة أخرى ، وليس لخدمة احتياجاتنا نحن . في هذا المخطط ، الذي مازال قائماً ، يصبح التساؤل الذاتي الذي لاحظناه هو الشكل الجديد للتساؤل الذي طرح على الدوام رغم أن نتائج هذا الموقف ، لأنها تمر عبر الارتباك ولاتخشى من أخذه على عاتقها ، أصبحت أكثر غنى بما لايقاس وأسهمت بشدة في تغيير أدبنا . مما لايمنع من أن تكون تعبيرات من قبيل الحنين إلى أوروبا ، والرفض المتعصض ، والرغبة في تجاوز الهامشية ، واستعراض المزايا أمام أوروبا ، موجودة في كل الروايات المذكورة تقريباً . وإذا كان الديالوج الثقافي يمثل مؤشراً لفهم استمرار هذا الصراع فإن لحناً مميزاً Leitmotiv في رواية كابريرا إنفانتي يفتح لنا هذا البعد بدرجة أكبر : هذا اللحن المميز هو موضوعة الترجمة التي تعاود الظهور بلا توقف والتي تختتم بها الرواية . تقول إحدى الشخصيات « المثقفة » عن نوفاس كالبو Novás Calvo إن الترجمة

الجيـدة شيء ، إنها قيمة ، لكن كـذلك فـإن المتـرجم خـائن Traduttore traditore . المأزق ينشأ بين لغة فولكلورية فقيرة وزاهية الألوان في النهاية إذا وضعت كما هي (ومن هنا تقدير الجهد الباروكي لكاربنتييه الذي يعيد إطلاقها ويضفي عليها الطابع الأسطوري) ، وبين لغة منقولة تكـون متكلفة وزائفـة (ومن هنا عدم فاعلية الأخوة موخيكا لانيث Mujica Lainezوفيكتوريا أوكامبو Victoria Ocampo) ، ولغة مُطوَّرة ـ أو مترجمة ـ تتضمن الإمكانية الوحيدة للعالمية (ومن هنا الاحترام العـام لبورخس ، السلف العـظيم للغة السـارية الآن) . يشف الديالوج عن هذه الإشكالية وتنحاز الرواية عموماً إلى جانب هذا الحل الثالث . من هنا يمكننا أن نتساءل : هل يطرح كل الكتاب الراهنين هذا المأزق على هذا النحو ؟ وعند تبني هذا الحل الثالث ، هل تحل بذلك مشكلات سِمَتنا النوعية الثقافية ؟ وهل ننجح ، بفضل الأشكـال العينية التي حققنـاها انطلاقاً من هذا الحل الثالث ، في جعل أوروبا تتكلم معنا ، في أن تصبح هي المتحدث الذي يُجنِّبنا بوجوده ما نبحث عنه مباشرة أو بصورة غير مباشرة ؟ إنها أسئلة تحتاج إلى تحليلات جديدة ، وبدايات تدفعنا إلى البحث وإلى محاولة فهم مشكلات أوسع من المشكلات الأدبية . ويكفي ، الآن ، القول بأن الاتجاهات التي بـدأت في الأدب الأمـريكي اللاتينـي تقـودنـا إل أعتـاب مثـل هـذه الاستقصاءات ، تصل إليها وتقدم نفسها فيها ، ومن ثم ، فإنها نتيجة أو محصلة لآلية أتاحت لها الوصول إلى حالة الشكل : هي التساؤل الذاتي .



الفصــل الثـاني

الأدب المضـــاد

فرناندو أليجريّا*
Fernando Alegria

١ ـ الفن القصصي المضاد .

أ) ضد الأكذوبة

الأدب المضاد الذي أشير إليه هو تمرد ضد أكذوبة مقبولة اجتماعياً وموّقرة بدلاً من توفير الواقع . هذا الأدب الجديد يبدأ بهدم الأشكال ، ومحـو الحدود بـين الأنواع الأدبية ، ومنح اللغة قيمتها الحقيقية ، والاستجابة بـإخلاص لشحنـة العبث التي تمثل تراثنا . وأمور الهرطقة مثلها مثل الأمور الوقحـة ، والمهنية ، وحتى الفاحشة هي وسائل توضح للإنسان المرآة التي تنعكس عليها صورته . وهي أفعال مواساة وتضامن في العذاب أكثر من كونها أشكال احتجـاج . إن الأدب المضاد في القرن العشرين ، إذن ، هو دفاع ضد تزييف الفن ومحاولة لجعل الفن سبباً للعيش ، والبقاء ، وحل عبث الوضع الإنساني بقبوله حتى الثمالة .

من هذا الطرح تُستنبط حقيقتان : أولاً ، أن الأدب المضاد يرسم صورة للعالم

(*) قصاص وناقـد من شيلي (ولـد في سانتيـاغو ١٩١٨)، أهم أعمـاله : الشعـر الشيلاني (مكسيكـو ١٩٥٤) ، فارس الأكـواب (سانتيـاغو ١٩٥٧)، حدود الـواقعيـة (سـانتيـاغـو ١٩٦٢) ، تاريخ الرواية الهسبانية الامريكية (مكسيكـو ١٩٦٣)، الأدب الشيلاني في القرن العشرين (سانتياغو ١٩٦٧) ، الأيام المعدودة (مكسيكو ١٩٧٠) ، أمريكا أمريكا أمريكـا (سانيتاغو ١٩٧١) ، الأدب والثورة (المكسيك ١٩٧١) . عمل أستاذاً في جامعة شيلي ، وفي جامعة كاليفورنيا (بركلي) وملحقاً ثقافياً في سفارة شيلي في واشنطن . (المراجع) .

المعاصر بإعتباره فوضى Caos وللإنسان باعتباره ضحية للعقل ، وثانياً ، أن ثمار هذ الصورة تشكل عملاً من أعمال العنف الخارجي والداخلي . وقد حدث بلاشك ،تطور تاريخي في هذا الفن الذي سينتهي به الأمر ، في نهاية المطاف ، إلى أن يصبح ثورياً .

« كيف يمكن للمرء أن يأمل في زرع النظام ضمن الفوضى التي تشكل ذلك التنوع اللانهائي والعديم الشكل الذي هو الإنسان ؟

هذا السؤال طرحه تريستان تسارا Tzara في البيان الدادي لعام ١٩١٨ كيما يفصح عن عقيدة : هي أن الفوضى Caos هي مبرر الوجود . على هذا النحو يكتسب الجزء الأول من الانقسام المضاد للأدب حركته المتسارعة داخل مدار مغلق . فالاحتجاج الدادي ليس ثورياً ، على الأقل ، ليس ثورياً بالمعنى السياسي مثلما سيكون عليه البيان السوريالي الثاني لأندريه بريتون* فتسارا يقبل الفوضى باعتبارها واقعاً يعمل العمل الفني داخله دون اعتبار لتأثيراته الاجتماعية . بينما يمنح السورياليون الأدب المضاد قاعدة نظرية ومنهجاً تحليلياً . لايُهدم فن كشرط لاستبداله بآخر . فبريتون يفتح بوابة في سد المفهوم العقلي للإبداع الفني ومن تلك البوابة يُخرج ، بقوة إعصار بحري بالغ العمق ، محتوى ذاكرة جماعية ووعي باطن خلاق . ومن المهم التأكيد على هذه الوظيفة للبيانات السوريالية ، فليست هذه البيانات قوة تحرير ، بل إنها تفك قيود الكرة البشرية وتخلصها من أكياس الرمل ، تضفي الاستقلال على المتحدثين ، وتمنح اللغة فعلاً وحيداً متصلاً تتحرر فيه قوى الليل وتهاجم المؤسسات ، وتزرع السحر المضاد ، أي الممارسة الوظيفية للواقع في الأحلام .

(*) آندريه بريتون André Breton (١٨٩٦ ـ ١٩٦٦) كاتب فرنسي . أسس المذهب السوريالي . كان متخصصاً بالطب النفسي . أنشأ مجلة (أدب) أصدر بيان السوريالية الأول سنة ١٩٢٨ والثاني سنة ١٩٣٢ . له مؤلفات شعرية وأدبية عديد منها : الخطى الشائعة . الحب المجنون . قصائد . مختارات من الفكاهة السوداء . مارتينيك فاتنة الأفاعي (المراجع) .

إذ اعتبرناها على هذا النحو فإن البيانات السوريالية تساعد على توضيح التطور التالي للأدب المضاد . ويمكن القول بأن بريتون إذا كان قد قام بقفزة إلى أعماق الإنسان فإن الأدب المضاد قد قام بقفزة أخرى إلى سطح الـواقع ، فقـد جرد السوريالية من جهازهـا الطقسي ومن جـوانب إصرارهـا المذهبيـة الجامـدة ، وحرّرها بدورها وضبط نغمتها باختلاط براق وعنيف في آن واحد .

مم يتكون ماهو مضاد من مسرح بريخت Brecht ومن الفن القصصي لجينيه Genet ومن شعر بريفير Prevret ؟ هل هو تمرد ضد طريقة في التعبير أم ضد موقف وطريقة في العمل ؟ إن هذا الشيء المضاد هو ثورة ضد نمط من المجتمع يتحدث بالأكاذيب ، ويتظاهر بالأخلاقية ، ويغتال حتى يبقى . على المستـوى الأدبي تعيد هذه الثورة خلق أشكال التعبير ، بالطبع ، لكن هذا ليس هو الأمر الذي يحمل المغزى حقاً (كما أن الأمر الهام في ثورة من الثورات ليس هو نسف قصر الحكومة ، والبرلمان ، ومحاكم العدالة) . والفنان الثوري يأخذ في تمزيق ثياب فن المؤسسات ليس لأن عليه أن يتّبع برنامجاً ، بل لضـرورة شخصية . وخلال هذه العملية يرى نفسه ويحاكم نفسه . فهي ثورته .

والنقد الذي يراعى الحقيقة الجمالية يثبِّت محاور معينة ويحكم بها : يفحص مفهوماً جديداً للزمن ويطبقه عقلياً على تطور الحكاية الروائية ، مثلما يطبقه على الحدث happening المسرحي ، يبحث عن تلميحات رمزية ، يعود لـلإيمان بالتهكم الرومـانسي ويضع أسسـاً لإعادة تفسـير الملحمة والقصيـدة الغنائيـة القصصية Romanzo ، والرواية الكوميدية كـذلك يخلق تصميمـات عابثـة للزمان والمكان ليوضح كيف تضم الحكاية الإنسان وتحرك العالم المحيط به . كل هذا يخلق بنية فوقية نقدية تبدو لنا ، في أفضل الأحوال ، لدى النقاد الموهوبين ، وكأنها مَرْكبة mobile تطفو فوق أدب يجد بهجته في تأمل ذاته .

هذا النقد يفتقر إلى الدلالة المباشرة في أداء الأدب المضاد في منتصف القرن الحالي . فالفن القصصي Burroughs مثلاً ، وكذلك مسرح آرابال Arrabal

أو شعر جينزبـرج Ginsberg تفرض فعـلاً عشوائيـاً * (وليس مجرد تعـداد عشوائي*) ذا مفهوم قائم بذاته sui generis لبنيته . ويمكن تأكيد الأمر نفسه بالنسبة لمسرح خورخي ديّاث أو بالنسبـة لسينما أليخـاندرو خـودوروفسكي . Jodorowski

ب) الرواية الأمريكية اللاتينية .

إن الأدب المضـــاد الأمريكي اللاتيني ينتج نوعاً من النقد الذاتي الذي يمكن اعتباره على هامش الظاهرة التي أشير اليها : وأنا هنا أشير إلى العمل الأدبي الذي يحمل في داخله نفيه الذاتي ، قنبلته الزمنية المحشـوة جيداً . هـذه هي حالـة الحجلة ، الرواية المضادة لخوليو كورتاثار . والمهم هنا هو أننا نجد ، بالإضافة إلى الظاهرة الأدبية المضادة ، التأمل النظري الذي يحدّدها ويبرّرها . ولنأخذ مثلاً حالة الحجلة . ضد ماذا يتمرد كورتاثار ؟ ماذا يطرح كمثل أعلى للرواية ؟ إنه يتمرد أساساً ضد أمرين : أولاً ، ضد شكل من القصص يمثل مفهوماً زائفـاً للواقع (شكل يسميه كورتاثار « اللغة الصينية ») وثـانياً ، ضـد لغة مُضغت واجترّت حتى الكلال ، وانتهت بأن نزعت منها حيثية التعبير الأدبي . إن كورتاثار يطرح رواية مفتوحة مكونة من شذرات تعطي ، في تزامنها ، صورة أصيلة عن الواقع .[1] إن تهكمية هذا الطرح ، وما يحوّل (الحجلة) إلى نفي لتأكيدها ، أي إلى رواية مضادة ، تكمن في حقيقة أن صاحب هذا الطرح ليس هو كورتاثار بل شخصية أخرى ، هي موريللي ، يجري اخضاعها لفحص نقدي لايرحم . إن النقد الذاتي ، في الحقيقة ، هو عكس الرواية التي طرح كورتاثار على نفسه أن يكتبها حقاً : (حكاية المجوسية La Maga) و (هوراثيو Horacio) يمضي كورتاثار ، مثل شرير غريب الأطوار ، تاركاً المفاتيح في كـل مكان : جيـد ،

---

* كلمة عشوائي هنا ترجمة لكلمة Caótica ، تجنباً لاستخدام كلمة فوضوي التي تحمل دلالات المذهب السياسي المعروف (المترجم) .

(١) Julio Cartázar, Rayuela, Buenos Aires, Sudamericana, 1963, P P. 452 y 500.

وجـومبروفتس Gombrowicz وبـورخس Borges ، فوق سـطح الأرض ، وجويس ، وكافكا ، وباوند ، في أماكن أقل توقعاً . وسابـاتو Sabato عـلى الرغم منه .

في (الحجلة) تجري السخرية من قصص العادات الاسباني ، وكذلك من الفن القصصي الاقليمي أو الكـريولي الأمـريكي اللاتيني . ويمكن كـذلك أن نضيف الرواية « الشعـرية » التي تمثـل ، على نحـو ما ، ذروة بـلاغة وصفيـة وإيهامية . ومن المناسب ، من ناحية أخرى ، تأمل الهوة التي تفصل الحجلة ، الرواية المضادة ، عما يسمى بالواقعية السحرية لدى كاربنتييه Carpentier ، وعن السوريالية ذات النزعة الأهلية عند أستورياس Asturias . وأقول ، من المناسب ، لأن ذلك سيساعد على التمييز بين جذور الأدب المضـاد الأمريكي اللاتيني. لأول وهلة يمكن الاعتقاد بأن ثمة في أعمال أستورياس وكاربنتييه نماذج معينة للرواية المضادة ، فليس أي منهما روائياً ، بالمعنى التقليدي للكلمة .

فأليخو كاربنتييه ، الـذي بدأ عمله القصصي كـإثنولـوجي وعالم فـولكلور (إيكويه ـ بامبا ـ أو ! ، ١٩٣٣) ، اكتشف في وقت لاحق عرقاً من عـروق الذهب يناسب رؤيته الهاذية للواقع : هو المغامرة التاريخية على هامش كل ترتيب زمني والملفوفة في لغة باروكية . وقد حقق « التسامي » و « العالمية » اللذان كانا يروقان لروائيي منتصف القرن ، على أساس كتـابات رمـزية ، وخصـوصاً في **الخطوات الضائعـة** (١٩٥٣) ، و **قرن الأنـوار** (١٩٦٢) . وبقدر مـا كان كاربنتييه يتحلل من الواقع المباشر ، ويجري تجارب على مفهوم الزمن ويتجاسر على المونولوج بشكل غنائي ، كـان يبدو متـطابقاً مـع بعض ابتكارات الأدب المضاد . ومع الاسباني رامون سندر Sender على سبيل المثال (الكرة ، الملك والملكة) . إلا أن كاربنتييه لاينسف صرح بنيته الباروكية ، بل على العكس يبدو أنه يضفي عليه طابع الأسلوب بشكل متزايد ، وفي قصص مثل المطاردة و رحلة إلى البذرة ينمو انشغاله بخلق تصميمات لترتيب غير مباشر لكنه وظيفي .

وبالمقابل يستخدم ميجيل آنخل أستورياس حركة عشوائية في رواياته ذات

النزعة الهندية في الوقت الذي يحتقر فيه الآليات « الجاهزة » للرواية الإقليمية ، لكن هذا لايمثل هجوماً متعمداً على تقاليد أدبية : فاندفاعة أستورياس شعرية تتبع نظاماً يفرضه قبوله الطقسي لميثولوجيا المايا . وليس في رواياته شيء يتفكك بعد أن يشيّد ، لاشيء يفقد معناه في اطار مفهوم ذي نـزعة بـدائية للعـالم ، ولاشيء يربك ، فجأة ، قصده الاجتماعي .

من الضروري ، إذن ، أن نبحث لكورتاثار عن رفاق آخرين : عن روائيين يكونون قد بحثوا عن فتحة في الحكاية ينساب منها الزمن بحـرية ، (أي من خلال مسام واقع عديم الشكل) وهو يراكم فوضاه(* *) . في ذهني روائي من تشيلي لايعرفه إلا القليلون ، والقليلون جداً : هو خوان إيمار (كان يدعى بيلو يـانيث Yanes لكنه فضـل تسمية نفسـه J' én ai marre (لقد مللت)(*) وكتبه ، (عام) (١٩٣٤) ، وأمس (١٩٣٥) ، وميلتين Miltin (١٩٣٥) ، هي سخرية فاضحة من الرواية الـواقعية وروايـة العادات : فـالمادة الـروائية سوريالية ، وبطولية ، وكوميـدية ، واللغـة تمثل الآليـة الروتينيـة للبرجـوازي الصغير التشيلي ونوباته الداعرة المفاجئة ، كما تقوم على الاستخدام الاستراتيجي للنغمة المميزة Leitmotiv إنه يرضع لغته لكي ينسفها على الفور كيفما اتفق . تُبنى الحكاية ، لكن ليس في اطار القصة مطلقاً ، على العكس ، فإن ايمار يقص كما لايمكن أن تقص رواية فالدعابة عنده مُهينة ، وغريبة ، وليست رمزية بـأي حـال . ورغم ذلك ، فـإن إيمـار ، بكـل حيـويته ، وتعقيـده ، وقسـوتـه ، وإندفاعه ، مازال بدائيـاً في الحقيقة . إنه روائي مضاد ذو لغة محدودة جداً . أود القول إنه مبارز ممتاز بدون سيف . كان يبارز بالمقبض وبـه قطعـة حديـد مثلومة ، بجعبة طيبة من الكلمات كان يمكن أن يكون وريثاً لستيرن . وإضافة إلى ذلك ، بلغ من توفيقه أن حلل الأساس الجمالي لفوضاه(**) وتوجيه طعنة

(*) الجملة فرنسية في الأصل وقد اتخذها اسماً له في نوع من التطابق اللفظي (الطباق) .

(* *) الفوضى هنا ليست ترجمة لكلمة Caos ولكن لكلمة desorden أو desordre الفرنسية أو disorder الأنكليزية .

نجلاء ضد أعظم ناقد تشيلي في زمنه : وهو ألوني Alone طاشت الطعنة ، لكنني أشير إلى النية وليس إلى الفعل الدامي الذي لم يتحقق . إن خوان إيمار ، بغريزة التدمير الذاتي لديه وبتعاطفه الآكل للحوم البشر تجاه شخصياته ، ناهيك عن معالجته التكعيبية للعادات الوطنية لمواطنيه ، وكذلك عن إدراكه للعالم باعتباره تفاحة ، أربعة أرباع من مربع كوني (وهي صورة فسرتها بوضوح الرسوم التي رسمتها زوجته) ، قد سبق على نحو جميل « الفصول التي يمكن الاستغناء عنها » في رواية الحجلة . لكنه لم يكن الوحيد في ذلك .

فربما كان ليوبولدو ماريشال L. Marechal (قد فهم حيلة خوان إيمار ، وحينما شعر بنقص فيها ، شرع يتأمل نفسه في المرآة الدوارة لفترته كي يحقق ذلك التزامن للمكان ، والزمان ، والفعل ، الذي يميز آدم بونيوسآيرس (١٩٤٨) . إن الرواية الكوميدية ، أي الرواية بوصفها قناعاً للإنسان الذي فقد نفسه في تناقضاته والذي يسقط باستمرار في الفخاخ التي يولع بها ، هي بالنسبة لماريشال شكل مدرك سلفاً ، بينما كانت بالنسبة لخوان إيمار طريقة للحياة يوماً بيوم لم تكف أبداً عن ادهاشه . لايمكن القول إن ماريشال يفتح الروايةولا إنه يجعلها تسير القهقرى (كما يحدث في أمس) لكنه ، بالمقابل ، يحولها إلى صور متحركة من مقطوعة تهكمية ومن ملحمة رومانسية .[٢]

ومن ناحية أخرى ، تمثل روايات خوان كارلوس أونيتي Onetti حالة مدهشة للرواية المضادة لأنها تنفتح باتجاه العمق ، وليس باتجاه الامتداد ، والحالة الأخيرة هي حالة الحجلة . والحدث عند أونيِّتي يجري في مكان وسط بين الواقع المباشر وبين واقع سوريالي شعوري وذهني. إنه يفضل الدهليز الخفي الذي تتعرف فيه الشخصيات بعضها على بعض تخميناً ، رغم أن الأماكن التي يتظاهر فيها الناس بأنهم متفاهمون تشكل جزءاً من العالم الذي يخلقه . إذا كان من الممكن أن نتخيل ضرباً من الرواية يتقابل فيه أبطالها دون أن ينظر بعضهم إلى بعض ويراقب

---

(٢) Cf. Leopoldo Marechal, El banquete de Severo Arcángel, Buenos Aires, Sudamericana, 1965.

بعضهم بعضاً خلسة ، ودون أن يتلامسوا ، وبالطبع دون أن يعترف بعضهم لبعض أو يقدموا أنفسهم ، ضرباً من الرواية لايفعلون فيه شيئاً لكنهم ، رغم ذلك ، يثيرون كارثة مفزعة ويغوصون في ضياع لانهائي لايمكن النكوص عنه ، فإن ذلك سيكون هو الرواية المضادة عند أونيتي . وهو يتميز عن ماريشال ، وإيمار ، وكورتاثار بأنه لا يلعب . يعرف قواعد اللعب ، لكنه يفضل أن يظل في أحبولتها ، يمضي متعثراً وباحثاً فيها عن الملاذ القاتل الذي تخفيه ، عن سبب زيفها وسطوتها الشيطانية .

والفردوس (١٩٦٦) لخوسيه ليثاما ليما. J. Lezama Lema (تعطى هي الأخرى الانطباع بأنها منفتحة باتجاه العمق . لكنني أعتقد أن ذلك ليس سوى انطباع . فالرواية تفقد قاعها في يدي ليثاماليما . إنها ببساطة تسقط بفعل ثقلها . لا أرى في الفردوس آلية أدبية ، ولانسقاً روائياً ، ولاتنسيقاً لغوياً ، بل أرى ، بالمقابل ، إنفجاراً بطيئاً بكثير من الغبار والأشياء والكائنات معلقة في الهواء ، شيئاً من قبيل خيمة سيرك هائلة تبدأ في التهاوي ، فتنقطع أسلاك ، وحبال ، وقضبان وسلالم ، وتسقط مقاعد ، وحواة ، وحيوانات ، ولاعبو السير على الحبال ، وأميرات يمتطين الخيول ، ومهرجون عريقو النسب ، وموسيقيون اليفون ، وطباخون وأصحاب عبيد ، تشكيلة تمثل قرناً كاملاً ، وبعد السقوط بالغ البطء ، يتحرك تحت الخيمة التي لاشكل لها حيوان جماعي ، لايحمل اسماً ، ومستعد للتمتع بشهية في القاع المظلم لموت نشارة الخشب تلك . إن الفردوس هي رواية مفتوحة بالمعنى الذي تكون به الكرة مفتوحة ، أعني ، مفتوحة إلى الخارج ، تطفو في الكون الذي تخلق الكلمات حين ترن ، وتمط نفسها وتبقى في الانسان متحولة إلى أشياء وعلامات من زمن جميل وبلا جدوى . زمن جنسي وبطن يفكر ، عين متمهلة تستعرض الماضي ، وتفحص أعباء الانسان لكي تتأبّد في أوراق وفي أحجار ، فم يقضم دون توقف جِلْد الرب ويمضغ ويعيد مضغ مفارش العائلة والخواتم التي تأخذ في الاختفاء ، وصداقات الرقص والشعر ، اذا حكى هذا كله ، فإنه يكون رواية مضادة ، أما إذا أُنشد فإنه يكون أوبرا .

من ثم يمكن أن نستنتج أن الرواية المضادة الأمريكية اللاتينية[٣] هي محاولة لتفكيك الرواية لجعلها تتلاءم مع فوضى الواقع . وهي كذلك رؤية ذاتية نقدية للمحاولة وتأكيد بطولي ، أي كوميدي لعبث هذه المحاولة ولعبث كل جهد ميتافيزيقي يشرع فيه الانسان .

٢ ـ المسرح المضاد

حين تتحول هذه الفوضى Caos واضطرابها المحيط إلى فعل خالص بلا تأملات ولا تبريرات ، بلا تحفظات ولا تنازلات من أي نوع ، فإننا لانعود نتحدث عن رواية مضادة بل ، كما يقول النقاد ، عن مسرح العبث ، عن المسرح المضاد ، عن مسرح الحدث happening ، عن الاخصاء وعن الحب الشامل . ومنذبعض الوقت قلت أثناء حديثي عن كاتب درامي تشيلي شاب ما يلي :

« في هذا العالم المعقد من التناقضات والتمردات ، والأشجان والانتصارات والإخفاقات ، والذي يتحرك فيه كتابنا الشبان ، تطرح أسئلة أكثر مما تعطي الأجوبة وتوجه الضربات كما يتم تلقيها ، وتجرى مهاجمة الزيف والمواضعات البرجوازية بالسلاح الذي تستحقه : بالعبث واللاعقلانية . تتم الاجابة عن اللوائح المدنية بصورة الخراب ، وسوء الاستخدام ، والتدمير القاسي للبراءة التي هي السمات المميزة لثقافتنا الزائفة المعاصرة . ثمة رقصة موت هائلة تدور في مشاهد العالم الحديث وهذه الرقصة لاتنتظر يوم الدنيونة لتخلط بين الأموات والأحياء : بل تخرج من خشبة المسرح ، وتتخطى الكواليس ، لتغزو المقاعد وتخرج إلى الميادين لتستعرض مايخجل الإنسان ، ولتسخر من كبريائه الزائفة ، ولتكشف عن الاجتماعات السرية التي تحاك فيها أردية الخطيئة ، والخيانة ، والكراهية . ويذهب الجمهور ليصفق لكوابيسه ، ليطلب الاعادة من الفنان

---

(٣) الروايات المضادة مثل ثلاثة نمور حزينة (١٩٦٧) لجييرمو كابريرا انفانتي ، و الأطفال يودعون البؤس (١٩٦٨) لبابلو أرماندو فرناندث ، و الخُطّاف (١٩٦٧) لفيثنتي لينيرو ، وغيرها .

الذي يشتمه : ليس الأمر تطهيراً أرسطياً ، بل مضاعفة العذاب بالاقرار بالعار ، بفعل الموت الذي يجري التظاهر به » .

ويبدو لي أن من الممكن تطبيق هذا الكلام على الهجوم المباشر الذي يشنه اليوم ضد الإنسان المشلول مؤلفون من أمثال فيرخيليو بينييرا Piñera في كوبا ، وأبلاردو كاستيو Castillo ، وأوسفالدو دراجون O. Dragun ، وداكيرو ساينث Saenz في الأرجنتين ، ومنين دسليال M. Desleal في السلفادور ، وأليخاندرو خودوروفسكي A. Jodorwski في المكسيك وخورخي دياث Diaz وخايمي سيلفا Silva في تشيلي .

هذا المسرح المضاد هو أطول زهور الدادية عمراً . ويتطابق مع الرواية المضادة في محاولته نفي الأشكال وجعل القارىء أو المشاهد ملتزماً بطريقة مباشرة . ويتطابق مع الشعر المضاد في براعته في إبراز العنف .

إننا أمام فن ظلت تحكمه دائماًقواعد وصيغ ، مقبولة مباشرة أو بصورة ضمنية . واليوم انمحت الحدود بين الممثل والمشاهد وأصبح المسرح دائرياً ، وفاض عن مجراه ، وعلق شاشات سينما ، وجعل أناسه يجرون عبر الصالة ، والبلكون ، والبهو ، وحتى الجدار المقابل ، صُفِّيت الوحدات المسرحية والفكرة الغريبة عن « وهم الواقع » أغفلت الحكاية ، وانحلت العقدة ، وامتدت النهاية حتى اللانهاية ، وأخذ المخرجون والملقنون يخاطبون أقاربهم الذين ظلوا خارج « الكمبوشة »(*) إن الرقص ، والموسيقا ، والموت الطبيعي ، والجريمة ، والذروة الجنسية ، والصواريخ ، هي عناصر دالة لفعل يمكن أن يؤدي إلى تدمير أو إعادة خلق الحكاية .

المسرح المضاد فعل فردي . ولايصبح جماعياً إلا اذا أصابت المتفرج العدوى ، وانتشى وحلّق على المستوى ذاته مع الحمقى الذين يشكلون الفرقة . المسرح المضاد ، إذن ، هو ألم الاحتضار ، أي ، خلفية لايحدها زمان إنه

(*) هي ترجمة عامية لكلمة La Concha أو كلمة ecaille الفرنسية .

يسهم ،سواء أكان ذلك قليلاً أم كثيراً ، في تصفية آخر آثار آخر فن كان يتظاهر بأنه نسخة من الحياة . والأوبرا هي المسرح المضاد المُنشَد . لقد أنهى المسرح المضاد التراجيديا ، والدراما ، والكوميديا ، واستبدلها بأبعاد كلاسيكية : العبث ، والبرجوازية ، والعنف والمسرح المضاد ، مثله كمثل الرواية المضادة والشعر المضاد ، كوميدي ، يتحكم في المشاعر عن طريق العقاقير والأعشاب المخدرة،ويستخدم الكواليس كي يقفز الأبطال إلى الموت من النافذة . وبعبارة أخرى فإنه لايتحكم في المشاعر ، بل يحوّلها إلى أفعال وهو يحث المرء على أن يقفز من النافذة أو ، إذا أراد ، أن يضحك . ليس له أسس ولايحتاج إلى قاعات خاصة . إن المسرح المضاد هو مسرح العالم الكبير . إنه يثير الثورات .

٣ ـ الشعر المضاد

أ) السابقون

بالنسبة للشعراء المضادين الأوائل ، في أمريكا اللاتينية : بابلو دي روخا Rokha وثيسار فاييخو Vallego على سبيل المثال ، لاتشكل الثورة اللغوية ظاهرةً شكلية ، فليس الأمر أمر إعادة تعديل اللغة لتناسب مفهوماً جديداً للشعر (هو الإبداعية) . بل يتعلق الأمر بالقضاء على الشعر الذي يحتضر مختنقاً بالكلمات وإعادة الحق إلى الشاعر في التعبير عن نفسه باعتباره إنساناً، وليس باعتباره عضواً ولا باعتباره قاموساً ولا باعتباره ناطوراً للهواء ، اعادة الحق إليه في الحوار ، الحق في اقتحام المجتمع واقتحام نفسه .

ورامون لويث فيلاردي R. L. Velarde هو الذي يبدأ في منح الشعر الأمريكي اللاتيني الحق في الحوار : ولايفعل هذا لوجونس Lugones ولا هيريرا إي رايسيج J Reissing ولا خوسيه أ . سيلفا Silva ، لأن هؤلاء كانوا يهبطون إلى فناء الدار ، أو يتفقدون الذرة أو يظهرون في الفراش بوجدان معين لاتيني ، كلاسيكي ، أرستقراطي بصورة شعبية . ويتجاهل لويث فيلاردي النزاع الذي طرحه جونثالث Gonzalez مارتينث Martinez في سوناتاه

الشهيرة . فليس مايريد الحديث عنه هو البجع والبوم . بل ابنة عمه أجيدا Agueda . والمساهمة الأولى للوبث فيلاردي في رصيد الشعراء المضادين هي أنه يحكي ولايغني ، وكذلك لايصف . إنه يشرح بأسباب غير عقلية ، يُنتج بها لحناً مضاداً . شعره يرن رنين النثر . والتأثير خادع . لوبث فيلاردي يشيّد حواره بفن والناتج يكاد يكون مشغولات فنية . ليس هذا صحيحاً على الاطلاق .

والمساهمة الثانية للوبث فيلاردي في رصيد الشعراء المضادين هي المرح . وليس مرحه سخرية ، بل تهكماً رقيقاً ، اذا كان يمكن للتهكم أن يكون رقيقاً . (انظر الوطن الناعم) ليس الوطن وحده هو الذي يضفي عليه لوبث فيلاردي نعومة : إذ يضفي كذلك على ربة الشعر نعومة ، يجردها من قبعات القش ، ويحل شعرها ، وينزع عنها زينتها وشرائطها (أما الأحجار الكريمة فكان قد جردها منها شعراء آخرون من مذهب مابعد الحداثة) ، ويفك جوربها وحذاءها . إنه المشعِّث الرقيق لمانيكان أواخر القرن . يتقدم لوبث فيلاردي وعلى شفتيه ابتسامة ، من بعيد ، دون أن يلتزم بشيء . ولهجته العامية ، وخفته ورشاقته الريفية أقدر من السوناتا المناهضة للبجع في القضاء على النزعات الأورفيوسية للشعر الأمريكي اللاتيني .

أما فيثنتي هويدوبروفيؤكد في ألتاثور (١٩١٩) : « هنا يرقد فيثنتي ، الشاعر المضاد والساحر» . من كان ألتاثور هذا حتى يعلن ذلك ؟ لقد تشكل هويدوبرو في اطار تقاليد الحداثة ، واستخدم في مرحلته الأولى لغة ممنمات واضحة جداً ، زخرفية في الأساس، ذات جذر بارناسي ونغمة رومانسية . لكنه غير لغته فجأة ، تدفعه إلى ذلك رؤية متكاملة لثورة الفن الأوروبي . اكتشف قيمة الألوان ، والايقاعات الداخلية ، وأسى واقعاً يشار إليه دوماً ، لكن لايُعبّر عنه مباشرةً أبداً ، اكتشف القيمة التكنيكية للصورة والإيجاز الزائف للاستعارة . أي أنه بحث عن عتمة الرمزية ليخمد ضوء داريّو الاستوائي ، مزق العالم إلى مزق وأعاد ترتيبه بكتابة تكعيبية وكانت النتيجة هي ابتكار بلاغة جديدة ، وحذلقة دينامية لم تعد مصنوعة من تلميحات إلى الوسط المحيط ، بل من تراكبات ، من كولاج

Collages للواقع المميز لزمنه . لم يأت هويدوبرو ليقضي على الشعر ، بل ليصلحه . لم يكن، في الحقيقة ، شاعراً مضاداً . لكنه كان مضاداً للوصف ، مضاداً للعاطفية المفرطة ، مضاداً للنزعة الريفية مضاداً للأوزان .

إن هويدوبرو الذي قرأ برجون ، وبودلير ، ومالارميه ، وفيرلين ، ورامبو ، وأبو للينير ، والذي شهد أيام الهدنة والدادية ، وصديق بيكاسو وآرب ، هو بالتأكيد أبرز - وبالطبع ألمع - طليعيي اللغة القشتالية ، ولهذا ، فإن تساؤلات التاثور تعد بمثابة فن شعر ars poetica ليس لمذهب الابداعية فحسب ، بل كذلك لمذهب الحدّية ، ومذهب الصرير estridentismo ومذهب المستقبلية وغيرها من مذاهب عام عشرين (١٩٢٠) لكن لنواصل ترتيب المشهد .

في الأرجنتين ، كان لوجونس قد انتهج تناولاً للواقع الذي كان يعتبره كريولياً . إلّا أن لغته لم تكن تمثل ذلك الواقع وخرجت صورة الواقع من بين يديه أدبية ، مركبة فوق مجموعة التضمينات الكلاسيكية التي يقف عليها . أما ماثيدونيو فرناندث وخورخي لويس بورخس فلا يكفان عن عناء التلميع اللغوي ولا عن استخدام آلية المفاجآت ، وهما من ميراث الطليعية التالية على الحداثة . وحالة بورخس أكثر جدية لأنه يشعر بواقع أرجنتيني ليس لديه تعبير عنه : يشير إليه ويحوطه أسلوبياً لكنه لايبلغ حد الحديث باسمه ، ذلك أن لغة هذا الواقع لاتتمشى مع تجربته . لا لوجونس ، ولا ماثيدونيو فرناندث ، ولا بورخس ، إذن ، يمكن أن يكونوا أسلافاً لشعر مضاد ، بل أنصاراً لنزعة كريولية ذات رنين حقيقي جميل في مقابل الحداثة . ولابد من قراءة سيزار فرناندث مورينو لكي نشعر بأن الموقف الشعري المضاد ليس مجرد تمرد أدبي ذي طابع طليعي وميل إلى القبح ، بل التقاء مع وضع إنساني لايمكن تجاوزه فردياً .

ب) سلفان

في عام ١٩١٦ ، قال بابلودي روكا في قصيدة بعنوان **العبقرية والهيئة** :

مازالت أيامي بقايا لأثاثات عتيقة ضخمة .

وأضاف ، مستنتجاً :

الرجل والمرأة يفوحان برائحة القبر ،[٤]

بحديثه على هذا النحو ، بصورة مقتضبة ومباشـرة ، بدأ دي روكـا يلطم الشعر بقصد كان ، بالطبع ، غـريباً عن قصـد لوبث فيـلاردي ، وعن قصد هويدوبرو وشعرائه الحدّيين . كانت التسمية ضررة فورية بالنسبة لـه . واسم المضمون المزاجي ، الذي هو في حالته مضمون عاطفي مفزع ، تحول بالنسبة إلى دي روكا إلى مكان الجريمة الشعرية . دخل دي روكا إلى الـواقع التشيـلي من أعلى ، ومن أسفل ، ومن الجوانب ، مثّل أول هجوم سوريالي بيننا . واستخدم لغة أضفت الواقعية ، بغتة ، على الموقف المضاد للشعر لدى الطليعيـين . وفي وقت لاحق قال دي روكا إنه كان يكتب « مثل محُطَّم ، مثل نصف شعره » . وفي الحقيقة ، أراد أن يقول إنه دمر البلاغة بين ظهرانينا بالسلاح الوحيد الصالح : بلغة إنسانيةٍ وكونٍ محطمين ، لغة لاتعلم جلبها معه كعلامة منذ مولده .

و أو (U) ، الذي نشر عام ١٩٢٧ ، هو كتابة المحوري لإثبات ما أقول . هنا يمضي دي روكا مخلفاً نقوشاً تمثل عنفاً مباشراً ضد المجتمع البرجوازي وضد الانسان المسترخي فيه . يعري الشعر من كل افتعال باستثناء افتعال واحد : هو الـطنطنـة . ومن أجـل بلوغ نقـوشـه من الضـروري أن يقتـطع الشـروح ، والتعجبات ، والتكرارات ، والخطابة . وما يتبقى مذهل : إذ بذبح أسطورة الشعر الجميل ، وبتحـرير اللغـة ، وبالاعتـراف بقوة اللغـة الشعبية والقـدرة التخمينية ، لا التحليلية ، للغة التخاطب ، وبقبول القيمة الهجينـة للمعجم الغيبي ، وبفكاهته الحشوية وكذلك بصداه الاجتماعي البـدائي ، بكل ذلـك تظهر إدانة عدوانية للجهاز الثقافي الذي انتهى الأمر بالإنسان فيه إلى إخصاء نفسه . وها هي بعض النقوش التي أشير إليها :

. . . إنفجرت منه العجلات .

---

(٤) Cito de Antologia 1916 - 53, Santiago de chile, Multitude, 1954, p. 9.

حقا ، يا إخوتي ، حقاً
ساعة الأشياء الكثيفة الشعر
حانت
حانت
ساعة الأشياء الكثيفة الشعر
هكذا يقول المصلوبون .

النساء مشكلات ذات زغب
حيوان الطوب يضع موانع حمل مضيئة .
الحمقى الاصطناعيون
يبللون الجدران الوحيدة لمستشفى المجانين
العنكبوت يطيل شعره ويصبح فيلسوفاً .

مغربي الفلسفة
يزرر ثلاثة أزرار .(٥)

هذه هي الأزرار ، على سبيل المثال . إن دي روكا ، مثل سابات إركاستي وأرماندو باسير ، كان يشعر بأنه فرد كوني ، محرك للجموع ، بأنه شاعر - جبل . وعلى هذا المستوى يظل يسهب حتى ينظم نسقه من الصور ويضمه بطريقة مكافحة إلى موقف ماركسي : حينئذ يكف عن أن يكون شاعراً مضاداً وتصبح مهمته هي إعادة البناء القومي والتحريض الثوري .

إن لغة فاييخو ، المُحْدَثة في الرُسل السود ، تمزق الروابط المنطقية التقليدية ، وتتبنى تداعياً حراً للصور وتتقدم بلهجة حديث مرّة لتواجه الوجه الزائف للعالم ، باصقة عليه ، ولاطمة ومشوهة إياه . هذا الوجه ، بالطبع ، هو انعكاس قناع يضعه فاييخو مع قبعة الشوك . بحيث إن العملية ، في أعماقها ، هي عملية تدمير ذاتي دون تمرد .

---

(٥) Pablo de Rokha, op. cit, pp. 63,64, 65, 67, 68, 71, 75.

يمضي فاييخو فوق كتف المسيح محصياً صنوف البؤس الإنساني بلغة مقتضبة ، واضحة ، دامية ، كاشفاً جروحه وجروح رفيقه ، نابحاً بصوت خافت ، معتمداً على الفوضى التي يحدثها ، وليس على التمرد . يلف لهجة المواساة في صيغ عامية تافهة : إنها إحدى وسائله لتفريغ كرة الشعر . والجنس ، والموت ، والأوامر ، والصداقات ، ومسقط الرأس ، والعائلة ، تفقد في شعره مظهر المؤسسات ومعناها، وتتحول إلى أشكال بالغة التجسد لعذابه ، ووحدته ، وغضبه ، إنها علامات في وجهه وفي جسده ، إنها جروح وندوب . بلا تزويق . يقول :

لابد أن هذا هو جسدي المتضامن
الذي تسهرعليه الروح الفردية ، لابد أن هذه
هي سرّتي التي قتلت فيها قملي الوليد
هذه هي أشيائي ، أشيائي المفزعة .

من بين أسناني ذاتها أخرج يتصاع مني الدخان ،
صارخاً ، مجاهداً ،
مسقطاً سراويلي . .
معدتي خاوية ، أحشائي خاوية
البؤس يشدني من بين أسناني ذاتها ،
تمسكني عصا من خناق قميصي .
ألن أجد الآن حجراً
أجلس عليه ؟(٦)

هذا هو الشعر المضاد لفاييخو: رقاص (بندول) حين يتحرك يمحونفسه ، نفى دائم للحقيقة من اللحظة التي تلطم فيها هذه الحقيقة الإنسان ، تضاد بين الوجود واللاوجود . إنه طريقة تدمير الذات الخاصة بفاييخو : نفي الشعر

---

(٦) المرجع السابق . ص ص ٩٤ ، ٩٨ .

بتأكيده ، تأكيد الحياة بنفيها بسخرية مقطّرة وقسوة مُرّة . إن التعبير الضروري لشخص قد اكتشف آليات الفخ وينتظر لحظة إعدامه نافراً من خيانتها وذلك بأن يستعجلها .

جـ) الشعر الأمريكي اللاتيني المضاد

في حديثه عن الفخاخ ، يدرك نيكانور بارا N. Parra العالم الحديث على أنه بالوعة هائلة تصطاد الجرذان والبشر . وقبل أن يصل إلى هذا النتيجة يقول :

من مرفقيه يستخلص الرجل الشمع الضروري
ليصوغ سحنة معبوديه .
ومن . . . المرأة القش والطين لمعابده . (٧)

هذا ألف . . . وهذه المعابد ترسم على الفور الخط الذي يربط الشعر المضاد لبارا بالشعر المضاد لفاييخو ولدى روكا . ومن أجل الوصول إلى نتيجة أن العالم بالوعة ، يجري بارا ترتيباً وتركيباً موجزاً للخطايا ، والجرائم ، والأكاذيب ، والنفاق والتزييفات . ويعرض كل شيء ساكناً وعاطفياً مثلها في كوميديا أخطاء عتيقة ، ليبلغ خط الشعر المضاد أقصى توتره . فبارا يحسّن حتى الكمال علامات الدمار . وتسمح له موهبته التركيبية بتحديد العذاب الإنساني بالقدر الذي يتناسب مع قصوره وعجزه .

يستخدم بارا لغة يومية مختلطة بصيغ تعليمية وعبارات من لغة الأوغاد الشعبية : إنها حصانة للمعركة ، وهي اللغة نفسها التي يستخدمها الإنسان المجهول حين يخفي يأسه عندما يتحدث . وتعبيره ساخر ، مليء بالحنق الذي لاينفجر في لطمات ، بل في إيماءات ، وفي صرخات ، وفي حركات ، ويبقى معلقاً في الهواء ، مهدداً لكنه غير مجدٍ . وأكثر قصائده إدانةً أصبحت ساكنة مع الزمن ، وصارت مثل ملصقات معلقة على بعض جدران دور البلدية ،

(٧) Nicanor Parra, Poemas Y antipoemas, Santiago de Chile, Nascimento, 1954, p. 141.

والمصابيح ، والمكتبات العامة . وأشير هنا إلى **الأفعى** ، **والفخ** ، **وخطايا العالم الحديث** ، **ومناجاة الفرد** .

بعدها ، كان على بارا أن يحمل الشعر المضاد إلى أقصى مداه ، محولاً أقواله إلى حكم ، إلى عبارات محورية تمثل التجسيد المباشر للعبث الفلسفي وللفوضى الاجتماعية . وصل ، إذن ، الى شعر جداري ، ليس هو الشعر المقطر الذي كان الشعراء الحديّون يلصقونه بالنشاء عل جدران المدينة الضخمة بل إنه شعر تحريض يُكتب بعنف على الجدار في جو صدام .

أصر على أن بارّا يعزل نفسه ويقطع الجسور ويردم الخنادق حوله . إن بارّا في شعره مثل حطاب محموم في يده البلطة ، يقطع ويدمر حتى آخر بقايا شجرة حياته . ولايبقى شيء لم يكن وحيداً أبداً مثلما هو الآن بينما يظهر شعراء مضادون في كل مكان ويمدون له أذرعهم . في تقاليد الشعر المضاد لعرض معروضاته تظهر الثقوب في السطح المائل الذي ينفتح ويلقى بالإنسانية على الأرض مثل صدار جلدي ، وتوضع تحته قطعة قماش حتى لاينفذ الدم . لقد رسم بارا اتجاهات حاسمة .

وإنني لأعتقد أن جونثالو روخاس G. Rojas وإرنستو كاردينال E. Cardenal ، وسيزار فرناندث مورينو ، وروكي دالتون Dalton قد صاحبوه ، بلا جدال ، بالاضافة الى آخرين .

فقد كان واضحاً عام ١٩٤٨ ، حين ظهر كتاب **بؤس الإنسان** ، أن جونثالو روخاس لايريد أن يحارب بمجرد الأسلحة البيضاء للسوريالية التشيلية : ألاوهي التعداد العشوائي ، وفعل التفكيك ، والعملية التراكمية لاحتضار تزويقي . إنه ، بالمقابل ، يهاجم جوانب أساسية معينة للوضع الإنساني بأسلحة مميزة للشعر المضاد : هي الاقتضاب ، والعبارة اليومية ، والسخرية ، وصيغ التحليل المذهبي الجامد . يحكم روخاس قبضته على الموضوع الشعري ، ويستغرق في البحث عن البذرة ثم يفتحها ، ويعرضها ، ويستخلص النتائج . وهو صديق للتعريفات يجد فيها أشد ما في شعره المضاد استفزازية . ولنر قوله :

بين ملاءة وأخرى ، أو حتى أسرع من ذلك ، في عضة واحدة ، جعلونا عرايا وقفزنا إلى الهواء وقد صرنا مُسنّين بقبح ، دون أجنحة ، نحمل تجعيدة الأرض .

يوجد المرء هنا ولايدري أنه لم يعد موجوداً ،
مما يبعث على الضحك
أن أكون قد دخلت هذه اللعبة التي تثير الهذيان .
لا أحد يفيدني بشيء .
إنني ، إذن ، الكلب الذي يحدس المستقبل :
أتنبأ . (٨)

إن قصيدة مثل لماذا نكذب على أنفسنا ؟ هي إعلان حاسم يلخص هدف روخاس النهائي . فمثلما يعدّد بارّا ويحصى إنجازات الإنسان في خطايا العالم الحديث ويبقى في النهاية وفي رباط عنقه قملة ، يرى روخاس البشرية وكأنها سقوط مدوٍ متصل ، وثقيل ، ودامٍ ، وحزين في تابوت الموت ، أو كأنها نوع من السينما الصامتة ، ذات حركة أسرع تتكرر إلى مالا نهاية . وطابع شعره المضاد هو قول ذلك برنين وعذاب لسيزار ، بسخرية متحدّية .

أما الشعر المضاد لسيزار فرناندث مورينـو فيتعارض مـع الخطابـة المقدسـة والزنديقة اتي تمتد من بابلو دي روكا إلى جونثالو روخاس . إن فرناندث مورينو ينـطلق ، ويتجنب كـل مـا يمكن أن يعـطله : يتجنب التـأمـل مثلما يتجنب الأحكام . يتحدث بسرعة بالغة في نوع من المونولوج المنفعل لمن يحكي فيلماً ، ويناقض نفسه وهو يحكيه ، ويختلط عليه الأمر ، ويعود إلى الوراء ، ويتقدم إلى الأمام ويصدر تعليقات عابرة . لكي يصبح شاعراً مضاداً ، كان على فرناندث مورينو أن يراجع تاريخ حيـاته وتـاريخ بلده . وحـين تعلم أن يفقد احتـرامه للأرجنتين استدار إلى نفسه :

(٨) Gonzalo Rojas, Contra la maerte, Santiago de Chile, Universitaria, 1964. p.p. 14 ss.

هكذا فإنني أنتمي إلى كل تلك السُبُل
إسباني فرنسي هندي من يدري
محارب فلاح تاجر شاعر ربما
غني فقير من كل الطبقات وليست من أيّها
حسناً فأنا أرجنتيني .[٩]

إن فرناندث مورينو يصف المكان قبل أن يلتقط السائح صورته الفوتوغرافية وقبل أن يرسم رجال المساحة العسكرية الخرائط ، في نصيبه المنزلي من الفوضى ، بعيداً عن الرخام والشوارع المتسعة ، عن الملاعب وشواطيء الاستحمام ، عن المنتديات والمعسكرات . وشريط سينماه أسرع من المعتاد دائماً ولاينتهي أبداً . شعره المضاد سوق لكل شيء وهو كذلك آلة بيانولا وأحد منشدي الحي . يشبه عن قرب روائيين مثل ساباتو وكورتاثار ومثل هذا الأخير ، يلعب ليغير رنين اللغة :

معذلة إذا حدثتكم ملتبكاً هكذا
فالثلج يثلج لساني
أظل صالحاً
جُزُل المالوين الجنتينية
هكذا علموني في المدرسة . . . . . .[١٠]

وكما يقتفي ساباتو الآثار دائماً ، وسمعه مرهف لالتقاط النبض في طول البلاد وعرضها التي لم تنهض بعدمن سباتها . فإن فرناندث مورينو يقاتل . والخط السياسي ينساب في شعره المضاد مثل قطار تحت الأرض ، في لحظات الأزمة يخرج ويطلق صفارته في المحطات المكشوفة . ولاصيغ ولا حكم . بل مجرد

---

(٩) C. Fernandez Moreno, Argentiuo hasta la murte, Buenos Aires , Sudu - mericana, 1963.

(١٠) لنفس الشاعر : Los aeropuertos, Buenos Aires, Suda ericana, 1967. لأن الثلج على لسانه لا يستطيع الطرقعة بحرف الراء . اقلب اللام راء تصبح مفهومة [المترجم] .

تعجبات ، وسؤال جداري أو آخر ، وذكريات من الحرب الأهلية الإسبانية ، والبيروانية ، وخطط ضبابية للخطة الحقيقة . لكن هناك دائماً صوت ونبرة على طول القصائد والقصائد المضادة ، نبرة ملائمة حاسمة تتذكر مناسبات معينة في الوقت المناسب ، كما تتذكر بعض الأسماء وأيدي الشعب أثناء نهوضه. هذا الصوت لايرن أبداً برنين نشرة ، بل على العكس ، فكلما كان أكثر جدية وأقل فصاحة ، كلما كان أكثر عاطفية ، أكثر اقتضاباً ، وصلابة وحمقاً. وفرناندث مورينو واعٍ بالفوضى التي يخلقها وللفعل الذي سيترتب عليها .

إن الشعر المضاد الأرجنتيني ، مثل الشعر المضاد في غيرها من بلدان أمريكا اللاتينية ، يسرع الخطى خلال الأعوام الأخيرة بحثاً عن الطليعة حيث سيشن هجومه الأخير . من شريط أنباء فرناندث مورينو ، تتبقى السرعة أحياناً ، دون التحكم في شريط الصوت . الشعر يسقط الآن مثل حجر في الماء . العذاب أكثر مباشرة : يأتي من سجن واقعي جداً ، وقريب جداً ، من عشش الصفيح أو من الجحور ، من منفى إجباري ، التمرد لايعلن ولايحلل بل يحدث . ولغة الوحشة هي نفس لغة الأسرة الواقعة في الديون ، لغة المعتقل ، لغة المشترك في الاضراب ، لغة الجريح في الاسعاف ، ليس له أدب يحوله إلى ذاكرة ، بل إنه تحقيق صحفي فوري بإشاراته وعلاماته . والغريب أن الصوت يرن مثل كورس من طرف الأرض الى طرفها المقابل . ضجة الانهيار عامة والغبار الذي يظل معلقاً يحجب الشمس . هذه كتابة لايمكن أن نخطئها .

ويمكن تتبع هذه الحركة من الخارج من خلال مطبوعات أساسية : الجعل (الجعران) الذهبي El escarabajo de aro في الأرجنتين ، و البوق المجنح El corno emplumado ، في المكسيك ، وج . ب G. B في ساوساليتو ، وكاياك Kayak في سان فرنسيسكو ، والطائر الملّون La pájara pinta في السلفادور ، وسقف الحوت El techo de la ballena في فنزويلا ، والنار Fire في لندن .

يعثر بيكتور جارثيا روبلس Robles على الضوء الذي يبحث عنه في شعره

المضاد (اسمعوا أيها الفانون ، ١٩٦٥) بينما يقطع بالبلطة الظلال الضخمة المقدسة حوله . يصوغ القالب اليومي الذي يجتمع فيه الجيران ليقتسموا عظام الطالب . لكنه يصوب ضربته بعزيمة حقيقية في قصيدته «لتعرفن ما يجري بدموع حية وبكلمات سيئة» . والعنوان هنا تلخيص دقيق للقصيدة : إنها معارضة للدموع والمومسة . تعطيني نغمة ما يشعر به الجيل الجديد حين يجري قاذفاً الطوب على السفارات والشركات الامبريالية ، منتزعاً الأشجار والمقاعد من الميادين ، ومفجراً الديناميت ، لينتهي في عربةالشرطة تحت مطر غزير . إن النقاش أمام كشك الصحف يثير الدموع . يقول الشاعر الأرجنتيني الشاب :

لكن المذياع لايقول : تم إقرار الإصلاح الزراعي ،
في المذياع لايقولون أسماء المعتقلين السياسيين ،
في المذياع لايقولون من قتل ساتانوفسكي وإنجالينيا ،
في المذياع لايقولون ولا نفاية ،
يذيعون رقصات بوليرو وأسئلة وأجوبة ،
والصحف تحكي الشيء نفسه لأي لعنة تفيد الصحف ،
تحشدنا إزاء الشرق ،
تحشدنا إزاء الغرب ،
الصحف تصرف إنتباهنا ببعض الألغام المكورة .(١١)

إن جارثيا روبلس يسمى مايجب أن يسميه : العشش الصفيح ، وشركات لوب ، وشل ، وستاندارد أويل ، وحاملات الطائرات ، والثورة التحررية ويستخلص نتائجه : وترسم قصيدة الربيع Atenti Primavera بدقة اتجاه هذا الشعر : فجارثيا روبلس لايقبل من يكون وحيداً ، ولايحبس نفسه ليقصقص حياكة هيكله العظمي ، ولا ليعد جاروفاً ، ولا ليبحث عن الجير . فعلى العكس ينمو شعره المضاد مثل نبتة ضخمة في أحد أصص الحي . وبالتالي يبدو في هذه

(١١) Victor Gara Robles, Oid mortales, La Habana, Casa de las Americas, 1965, p. 137.

الحالة أن الشعر المضاد قد عرى الشعر في سبيل اكتشاف طريقة جديدة للتحدث إلى الإنسان عن العدالة والحب ،وهي الطريقة التي كان المرتجلون virtuosi قد زوروها ، وقنعوها ، وانكروها ، ودفنوها ، إنها ليست طريقة جديدة ، إذن ، بل هي الطريقة الوحيدة الحقيقية ، وقد ولدت من جديد .

هذا يجعلني أفكر في شاعر نيكاراجوا إرنستو كاردينال الذي يعد عمله واحدا من أكثر التعبيرات مباشرة وعداءً عنيفاً للخطابية فيما أعلم . فكاردينال لم يكتف بتفكيك اللغة المتكلفة للحداثة ومابعد الحداثة في أمريكا الوسطى ، بل قضى كذلك على أسطورة الصورة الإبداعية ، ونفي الاستعارة ، وأدخل اللكنة الشعبية . ورموزه تمضي مثل قوس داكن بحثاً عن الماضي الهندي . وحتى في أعظم قصائده المضيق المشكوك فيه (١٩٦٦) ، حيث يلتف ماهو تاريخي وما هو جغرافي على الدوام في نوبات نشوة سوريالية ، وحيث توجد صنوف غياب صوفية متكررة ورؤى بارقة ، مثل إشارات ضوئية فوق سطح بحيرة لهنود المايا ، ولايغيب عن بصر كاردينال الوسط المباشر الممتد مثل فخ تحت قدميه ، هذه الخارجية (exteriorismo) ليست تزينية مطلقاً ، ولا طابعاً مميزاً (مثل صورة موضوعية للواقع) ، ولاتعمل بحيث تضع كل شيء في موضعه ، بل العكس تماما : فديناميتها مستمدة من الاضطراب الذي يقوم عليه العالم الواقعي ، من العبث والحنق اللذين يشكلان أرضيته ، وفي المقام الأول ، من الحب الجوهري للحياة وللإنسان اللذين يمثلان رباطه المتسامي .

إن كاردينال شاعر مضاد سيء المزاج وناشز يحاول أن يشعل فيما هو نثري لهبا داخلياً يثير أضواء أخرى حوله : إنه يسمى الأشياء والكائنات بأسمائها ، ويخلط التاريخ ، ويغيره . وهو يتصرف بقوة حماسية ثورية. وأفضل أبياته بمثابة خربشات موجهةلمن يطاردونه ويلوثون حياته في جزيرته المنعزلة : الامبريالية ، العنف الفاشي ، الدكتاتورية العسكرية ، الكوكاكولا فوق الوجه المسلح بالسكاكين والتمائم . يكتشف كاردينال،فيما هو مادي ، حقيقة ليست جميلة بالضرورة لكنها لابد من أن تسمو حين ينفخ فيها الانسان العادي . هذا هو جذر شعره المضاد .

لهذا فإن كاردينال ، مثله في ذلك مثل جارثيا روبلس ، وخيتريك ، وسبونبرج ، والكولومبي خ . ماريو ، والكوبيين ايبرتو بادياو وكارلوس رودريجث ريبيرا ، والبيروانيين أنطونيو ثيسنيروس وكارلوس Cisneros خرمان بيلي Belliw ، والإكوادوري كارلوس راميرث استرادا ، يحارب على مستوى الثورة الاجتماعية بأسلحة منتزعة من ثورة الأدب المضاد : إنه يستفيد من الشعر المضاد من أجل أن ينزع الأقنعة ، ويهاجم ، وينقي . الشعر المضاد في خدمة الثورة .

وبجانب كاردينال ، في هذه المهمة ، يقف روكي دالتون Raque Dalton ، السلفادوري الذي كتب الجزء الأكبر من أعماله في المكسيك وكوبا . في كتبه الأولى يتحرك دالتون وسط جذور سوريالية ، ويبحث عن توهجات وايقاعات في الاشارات العائلية ، والإقليمية ، والمعتادة . تكتسب نبرة الصوت رنيناً تراجيدياً نبيلاً . أما الصورة فتجعل المرء أعزل، وتأخذ في ارتياد البلدان ، والشخوص ، والمدارس ، والكنائس ، ثمة رقة فتية تبحث عن الضربة . وتثير نبرة دالتون أصداء من عوالم شعرية أخرى يبحث فيها المراهق عن شمسه الليلية . لكنه يجذب تلك الشبكة التخيلية ، ويخفيها تحت إدانة اجتماعية تعادل في قوتها وعدوانيتها إدانة كاردينال . وتثور في شعره المضاد تجربته الثورية وهو طالب ، وسجونه ومنافيه ، والصبايا اللاتي شاركنه في الحركة السرية في أمريكا وفي أوروبا ، والخلفية العائلية ، ووجوه كولونيلات ورجال شرطة ، ومافيا الموز الأخضر ، وحلقة البنادق الامبريالية في سانتو دومينجو ، وما كان في المكسيك موالاً شاباً داكناً (النافذة في الوجه ، ١٩٦١) يتحول بغتةً إلى لعنة ، إلى صرخة ، إلى توقع للمعركة الفاصلة التي تقترب . ومن كوبا ، يحذر دالتون الوطن بأصوات حانقة :

يابلادي المنقسمة : إنك تسقطين .
في ساعاتي مثل حبة سم .
من أنت أيتها المزدحمة بالأسياد

كالكلبة التي تهرش بجوار الأشجار نفسها
التي تبول عليها ؟ من ذا الذي احتمل رموزك ،
وإيماءاتك ، إيماءات عذراء تفوح برائحة الماهوجني ،
وأنت تعرفين أن رذاذ لعاب الفسق قد هدمك ؟(١٢)

ويكشف غطاء التاريخ مثل قدر طعام متعفن :

هرنان كورتيس كان غضوباً مصاباً بالزهري
يفوح بعطنِ جِلْد غُفل في فترات خموله
ينتقم من دماملهِ في كل فلكي من المايا يأمر بسمل عينيه .
كان رجلاً متمرساً على إرهاق القمل
وعلى دعابات القيء اللؤلؤي للنبيذ الحامض .

ويتوجه إلى الرب بصوت الشعراء المضادين الساخر ، المتعب ، المتفهم . إن دالتون يحدّق في الذباب ، ويقدس فاييخو ويصلب نفسه في صورة شخصية قاسية مثبتة بسهم بجانب الوجهين الداميين للأب والأم .

د) تحيــة وتحريض .

بقراءة دالتون وكاردينال ، وفرناندث مورينو ، وبارا ، روخاس ، وجارثيا روبلس ، وبالتفكير في دي روكا وفي فاييخو ، يبدأ المرء في استخلاص النتائج : إن الشعر المضاد ، الذي كان موقفاً فوضوياً ، لطمة معادية للبلاغة ، حقق لغة مباشرة وعنيفة ، وبدأ يعيد للإنسان الواقع الذي كان قد فقده ، ليس بأن يعطيه إياه على دفعات ، مثل باعة التوافه ، بل دفعة واحدة . تحول العنف الداخلي إلى هجوم وعقاب للمجتمع المعاصر ، والميتافيزيقا المعذبة إلى مواجهة جارٍ لجاره ، وجهاً لوجه Visa vis كما يقال ، محاصراً ، على وشك الموت تحت تأثير الهجوم المنسق لذوات وموضوعات متمردة ، الأب عاد يبحث عن ثروة الإبن التي

(١٢) Roque Dalton, **El tumo del of endido,** la Habana, Casa de las Americas, 1962.

يخفيها ، المرأة تأتي مفتوحة كقبر ، ومشغولة وسط بوليصات ، وإقرارات ، وحبوب منع حمل ، وعنة . الذبابة تطن فوق مكان الجريمة .

حسناً ، أما الشعر المضاد الأحدث ، ذلك الذي يتلو الثورة الكوبية ، فيدخل تعديلات على أداء نسق العنف هذا : الذبابة لاتختفي ، لكنهاعلامة على وباء برجوازي ذي مدى عالمي . وهذا الذي ينزل عن الصليب ويركب دراجته ويغني ، ويدخن أعشاب أكابولكو الذهبية ، ويدق أجراسه ، ويتصدى للبوليس . ينفجر العنف ضد المؤسسة الامبريالية ، ضد اللصوص المحليين وضد المعسكر الفاشي الجديد ، وضد الحظر على حرية التعبير ، ويصنع الإصلاح الزراعي . لقد ولد العالم الثالث . فيتنام واثنتين وثلاثا ، من الشفق السوريالي أخذ الشعر المضاد يستخلص أدوات وعناصر قنبلة زمنية . وفي هذه الأثناء مضى زمن قنابل المولوتوف . ينتهي الشعراء المضادون بأن ينفوا ذواتهم ، يتبادلون الإشارات من بلد إلى آخر ، ينزعون الدعامة من الباب ، ويشرعون في توجيه ضربتهم . إنهم يتبادلون التحية والتحريض .



الفصـــل الثالث
النقـــد الجـــديـــد

جييرمو سوكري*
gurllermo Sucre

١ ـ النقد باعتباره إبداعاً

النقد أساسي للإبداع الأدبي، وإذا كان هذا أمراً «بدهياً فذلك لا يعني أن نغفله» . فالنقد لا يشكل حزءاً من الإبداع وحسب ، بل إنـه كذلـك يجعله ممكناً . لكنه أكثر من مجرد منهج أو طريقة للمعرفة. فمثلما لا يمكن اختصار الفن القصصي الأدبي إلى مجرد تقنياته التعبيرية الخالصة ، ونجد له على الدوام بعداً يتجاوز هذه التقنيات، كذلك لا يمكن قصر النقد على مجـرد إجراء أبحـاث. بالطبع ، يفترض كل نقد عظيم منهجاً ، ولكن هذا المنهج هو علاقة شخصية مع العمل الأدبي. وهكذا يكمن خلف كـل منهج نسق من الأفكـار ، لكن هذه الأفكار لا تعمل باعتبارها مقولات ثابتة، فهي في علاقة خاصة مع العمل الأدبي ومع الخبرة التي يثيرها . فالنشاط النقدي في الأساس كامن في طبيعة الإنسان ذاتها . فكما أن الإنسان حافز أو فعل ، فإنه كذلك وقفة تأملية ، وجوده الحقيقي يتحدد بهذا التوازن المتوتر بين الاضداد . « كل عيش ـ كما يؤكد الفونسو رييس ـ هو وجود، وفي الوقت نفسه انطلاق للوجود . والجوهر البندولي للإنسان ينقله من الفعل إلى التأمل ويواجهه بنفسه في كل لحظة » . وأضاف الكاتب المكسيكي الكبـير كذلـك أن : « النقد وجـود مشروط . والشعـر وجود شـارط . وهمـا

(*) شاعر وكاتب فنزويلي (ولد في بوليفار ١٩٣٣). من أعماله: فيما تتوالى الأيام (كاراكاس ١٩٦١) . بورجيس الشاعر (مكسيكو ١٩٦٧)، النظرة (كاراكاس ١٩٧٦) ، خورخه لويس بورجيس (باريس ١٩٧١) ، تولى إدارة مجلة Imagen (صورة) في كاراكاس، عمل استاذاً في الجامعة المركزية في فنزويلا ، واستاذاً مشاركاً في القسم الإسباني بجامعة بيتسبورغ في الولايات المتحدة الأمريكية [المراجع].

متزامنان ، فالشعر سابق على النقد نظرياً فقط . وكل إبداع يتخلله فن شعري ، مثلما يحمل كل مبدع الإبداع داخله »[١] .

ورغم كونه متزامنا مع الإبداع ، فإن النقد لا يتبلور إلاّ في المرحلة التالية : في علاقة العمل الأدبي المبدع فعلاً مع القارىء . ونعرف على وجه التحديد أن هذه العلاقة ليست علاقة خارجية : فالعمل الأدبي لا يكشف عن معناه أو معانيه إلاّ عند التقائه بنظرة تستحدثه . إنها الانتقال من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل ـ وجود هو إمكانية باستمرار. والحدث الجمالي، بـالنسبة لبـروخس ، هو دنـوّ حدوث كشف لا يتحقق[٢] .

وهذه النظرة، في حاضرها وفي سيرها نظرة مركبّة ، تماماً كما أن طبيعة العمل الأدبي ذاته مركبة . إن القراءة الوحيدة لقصيدة أو رواية هي أمر مستحيل، بل إنها بمثابة موت كل إبداع جمالي . إذا كان الشعر، كما عرّفه انطونيو ماتشادو، هو كلمة في الزمن ، فإن النقد هو نظرة في الزمن : تتابع وتغير، مثل العمل ذاته . المُطَلقُ فيه هـو اللحظة، لكنهـا اللحظة التي تحمـل داخلها سيـاقا كـاملا من الارتباطات والعلاقات . هكذا ، فإن النقد ليس مجرد منهج للتحليل الإيجّابي ، كما أراد بو ، بل إنه « ملكة التحليل التذكري »، كما يعرّفه اليوم ليثاما ليما .[٣]

كان فاليري يقول : إن من الممكن التعرف على الشاعر من الفعل البسيط الذي يجعل من القارىء « مُلَهماً » . ولن يكون من التعسف أن نفترض أن النقد الناجح يُعرف كذلك من واقعة كونه الأكثر إلهاماً وايحاء. بمعنى أنه ذلك الذي لدى تلقيه الرسالة الشعرية (التي لا يجب الخلط بينها وبين الاطروحة أو انحرافات الدعاية) فإنه لا يوضحها ويضيئها بعمق فحسب ، بل يجعلها في الوقت نفسه أشد رنيناً . لهذا ربما كان أساس النقد هو الإبداع . « الشعر والنقد هما نظامان

---

(١) Alfonso Reyes, **La experieucia literaria,** en **Obras Completas** t. XIV, México Fondo de Cultura Economica 1962.

(٢) Jorge. L. Borges, **Otras Inquisiones,** Buenos Aires, Emecé, 1960.

(٣) Jose Lezama Lima, **Analecta del reloj,** La Habana, Origenes, 1953.

للإبداع ، وهذا كل شيء » ، هكذا استنتج الفونسو رييس في تحليل له بشأن الموضوع(٤) . وقبله اتخذ كاتب مقالات مثل رودو منظوراً مشابهاً ، فكتب: « القدرة النوعية للناقد هي قوة غير متميزة، في جوهرها، عن قدرة الإبداع » . هذا المفهوم الذي يشكل عند بدايات القرن يمكن اعتباره بداية النقد الأمريكي اللاتيني الحديث . وهو كذلك بمعانٍ عديدة. فرودو يميل إلى تحرير النقد من ذلك الفصل الذي يُفقره والذي يتمثل في تأكيد أو نفي قيمة عمل من الأعمال الأدبية ، ويجعله يشارك في الأعمال ذاتها . ويذكّرنا ـ رغم أن ذلك مازال يحمل مسحة طبيعية ـ أن العمل الأدبي إذا كان هو العالم مرئيا من خلال مزاج ، فالمهم هو إدراك أن العمل بدوره يجب أن يمر من خلال تأمل مزاج آخر حتى يكشف عن طبيعته الحميمة . لذلك فإن النقد، بالنسبة له ، يحمل في داخله « جرثومة فعالة وأصالة مبدعة لا تختلف إلاّ في الدرجة عن تلك التي تكوّن عبقرية الفنان »(٥) .

مازال يمكن التساؤل، أي نوع من الابداع هو النقد؟ . واضح أنه ليس من نوع الشعر نفسه . فالنقد لا يعيش بالفعل إلاّ بالأعمال الأدبية، رغم أنه أمر حقيقي. كذلك أنه يجعلها تعيش. إنه ليس نشاطاً مستقلاً بذاته (كان إليوت سيقول، منبثا بذاته : مثل الشعر . إنه إبداع، إذن، ليس من طراز الشعر نفسه، لكنه ربما كان من البنية نفسها . فليس أي عمل شعري خلقاً من عدم : فإذا كان الشاعر يُصنع أمام الصفحة البيضاء ، كما تصوّر مالارميه (ألم يوح داريوّ ذاته بالشيء نفسه في قصيدته الصفحة البيضاء ؟) ، فإننا نعرف أن تلك البراءة مشبّعة بتقاليد وبذاكرة . وأخيراً ، فإن إلهام الشاعر هو ذاكرته والمغامرة المتتابعة لتلك الذاكرة في مواجهة اللغة. وبالمثل، يُصنع الناقد أمام عمل أدبي على بياض ؛ أعني : في مواجهة عمل لن يقول شيئا أو لن يقول سوى القليل إذا أخذناه حرفياً ولم نحوّله ـ أو نستحدثه ـ في طبيعته الحقيقية الرمزية والمركّبة . أليست هذه هي الرؤية التي تحمل شاعراً مثل أوكتافيو باث على عنونة كتبه

(٤) A. Reyes , op. cit.

(٥) Jóse E. Rodó, Prorto . en **Obras Completas,** Madrid, Aguilar, 1967.

الأخيرة بعنوان بياض ؟ ربما كان من العبث أن نبحث في هذا الاسم عن مضمون آخر ليس هو ما يعتبره باث الطبيعة الحقيقية للشعر والنقد، بل وللعالم . فكتابه ، بالتأكيد، هو كتابٌ على بياض . وكل الوسائل التي يستخدمها فيه باث (من الاحرف الطباعية، وهيئة النص ، وفراغ الصفحة ، إلى الصور ذاتها) يقودنا إلى هذه البداهة : إنه كتاب مكتوب وغير مكتوب وفيه تقال الكلمة ولا تُقال . إنه ، إذن، نداء للقارىء أن يجعله يقول مكنونه بتحوله بدوره إلى شاعر . وما من فرق سوى أن ما يقوله القارىء متضمن بشكلٍ ما في قول الشاعر .

لكن ، ألا يكون ادعاءً مفرطاً من جانب النقد أن يودّ التحول إلى النظرة التي تسبغ الوجود على العمل الأدبي ؟ ومن جانب الشاعر الذي يقبل ذلك، ألا يفترض ذلك بالمثل تقليلاً من قدراته الابداعية السامية؟ لعله لا هذا ولا ذاك . ولنبدأ بالسؤال الأخير . لم يع المبدع من قبل أبداً مثلما يعي الآن أن لغته قد فقدت كل تفرّد وكل دلالة سيما نطيقية جامدة ؛ وهو واعٍ ، كذلك، بأن أي رؤية للعالم تعاني اليوم انقطاعاً وتشققا : فتماسكها حركة دائمة ، ليس وحدة صلبة بل مجموعة من العلاقات. من هنا فإن عمله الأدبي يقدم نفسه لا باعتباره شيئا منجزاً ومعطى سلفاً ، بل كشيء يتشكل تحت بصرنا، ولغته هي، بالتحديد، بحث عن المعنى قبل كل شيء . لهذا، يميل بورخس دائماً إلى إضعاف مفهوم المؤلف . ليس ثمة أبوة لأن العمل الأدبي تشكّلٌ وإعادة تشكّل مستمرة، فليس للمؤلف الكلمة الأخيرة، ولا للناقد . وفي الحقيقة فإن الناقد لا يحاول فرض منظومة من المعايير ساكنة وأبدية؛ بل إنه، على العكس، يعرف أن فهمه للعمل الأدبي لا يفتقر إلى التفرد فقط ، بل إنه شخصي كذلك ، وهو يتولاه بوصفه مغامرة. وما يفعله هو أن يعيد للعمل الأدبي صفته الأصلية باعتباره عملا مفتوحاً ، بمعنى استعداده لأن يكون ما هو عليه في الحقيقة: واقع ولا واقع عالم من خلال الكلمات . فهم العمل الأدبي دون قتله أو تمزيقه، ألا يعني هذا جعله يحيا من جديد؟ لكن ، علاوة على ذلك، فإن الناقد الحقيقي يجعله مرئياً داخل إطار مجموعةٍ من الأعمال الأدبية. وبهذا العمل، تكون مهمته مبدعة هي الأخرى. إنه ، بالطبع، لا

يخترع العمل الأدبي، لكنه، كما يزعم أوكتافيوباث «يخترع أدبا (منظورا ، منطومة) بدءاً من الأعمال » . ويحمل باث نفسه هذه الفكرة إلى آخر مداها حين يضيف : « في عصرنا يؤسس النقد الأدبي . وبقدر ما يتشكل هذا الأخير باعتباره نقد الكلمة والعالم، باعتباره سؤالاً بصدد ذاته، يدرك النقد والأدب باعتباره عالماً من الكلمات ، باعتباره كوناً لفظياً . الإبداع نقد والنقد إبداع »[٦] .

لكن من أجل اختراع ذلك المنظور وتلك المنظومة ، اللذين يحدثنا عنهما باث ، لا يمكن للناقد أن يكتفي بتبحره الخالص. حقيقة أن ما يمكننا تسميته بيننا وبين أنفسنا بالنقد الجامعي قد اعطى ابحاثاً عميقة . وربما تشكل هذه الأبحاث عناصر علم مستقبلي للأدب . لكنها ليست النقد بمعناه الصحيح . فربما تفتقر إلى درجة أعلى من الخيال ومن القدرة على فك الرموز . إن أكفأ نقد، بالنسبة لاليوت، هو الذي يتأسس على الحقائق . لكن ما هي حقائق عمل من الأعمال الأدبية ؟ لا يمكن التفكير في معايير الموضوعية والمصداقية*. فلا توجد حقائق أحادية المعنى في الأدب . لا توجد سوى أشكال هي رموز، وعلاقات هي رموز . ومع ذلك ، يجب تفسيرها. لا توجد معادلة حسابية أو علاقة ثابتة ـ كما حذّرالفونو رييس ـ بين اللغة الشعرية وبين ما توصله لنا، فهذه العلاقة تتغير مع كل قارىء . من هنا ـ كما يستنتج رييس ـ فإن « دراسة الظاهرة الأدبية هي فينومينوجرافيا fenomenografia للكيان المائع »[٧] . وفي أحد نصوصه الأخرى وصل إلى القول : « إذا كان كل إدراك هو ترجمة (فالضوء ليس ضوءا، والمنضدة ليست منضدة ، إلى آخره) ، فأخرى أن يكون ذلك حين تكون المصفاة هي الحساسية الفنية »[٨] وبالفعل، لا يمكن الاعتقاد، إلاّ من خلال تذوق كريه للوضعية Positivismo (للسببية المتطرفة) . أن كل تفسير لا يتعدى كونه تخيلاً

---

(٦) Octavio Paz, Coniente altema تيار متردد México Siglo xx, 1967.

* المصداقية ، هنا وفيما يلي ترجمة لكلمة Verosimilitud [المترجم] .

(٧) Ibid.

(٨) A. Reyes El. deslinde, en Obras Completas, t. XV, México, Fmdo de Cultura Economica, 1963.

تعسفياً أو طريقة لتجنب واقع العمل الأدبي .

يظل الناقد الحقيقي مترجماً ومفسرا ، كما فهمه بودلير ، والفرق أنه يفسر ويترجم مضيئا وجود العمل الأدبي نفسه. لهذا لا يبدو صحيحا أنه يستطيع الحديث عن العمل ما لم يتحدث بدءاً منه . ذلك ـ كما يقول رولان بارت ـ ليس اكتشاف العمل الأدبي بل تغطيته بلغته ذاتها، وبالفعل، ليس حدس الناقد استعراضا للابتكار، فحين يكون كفيا يكون في تناغم مع الحدس الذي جعل العمل الأدبي ممكنا . صحيح كذلك أنه قد طرأ على نوع معين من النقد المعاصر هوس بالتفسير فقد معه متعته الجمالية العفوية تجاه العمل الأدبي، وفقد كذلك رؤيته الطبيعية ذاتها . وهذا ما شجبه بورخس منذ زمن بعيد وسماه « أخلاقية القارىء الغيبية » . أي إخضاع العاطفة التي يوصلها العمل الأدبي النوع من التحليل ، كابح وحتى صنمي ، بشأن ترتيب الاجزاء التي تكونه . هكذا، يردف بورخس ، « لم يتبق ثمة قرّاء بالمعنى الحقيقي للكلمة، بل أصبح الجميع نقادا محتملين »[٩] . وهذا ما أشارت إليه كذلك ، مؤخرا، سوزان سونتاج في كتابها ضد التفسير Against Interpretaion . لكن، بالطبع، فإن ما يقف ضده بورخس والكاتبة الأمريكية الشمالية هو نوع معين من التفسير، نوع يمكن لبورخس أن يصفه بأنه غيبية أخلاقية وترفضه سوزان سونتاج، بدورها، بوصفه غيبية إنسانية، بمعنى اخضاع الفن لدلالات ذهنية خالصة في تعارض مع واقعه المحسوس، وطاقته الشكلية. إلّا أن كليهما، في أعماقهما، ينتهجان طريقة ـ طريقة جديدة ـ في تفسير العمل . ومن الواضح، على سبيل المثال، أن نقد بورخس إذا كان يبلغ حد إضاءة ما هو جوهري وكامن في الابداع ، فإنه لا يكف بسبب ذلك عن كونه نظرة شديدة الخصوصية ، تجعل كل ما تراه «بورخياً» ولا يرجع ذلك إلى كون بورخس ناقداً ممارساً ـ كما وصف إليوت الفنانين النقاد ـ وإذا فكرنا في ناقد خالص مثل إمير رودويجث مونيجال فإننا نجد في أعماق نقده،

---

(٩) Jorge L. Borges, Discusiom, Bueuos Aires, Emecé, 1957.

الملازم والملتصق بالنصوص بصورة أساسية، خطأً للتفسير متصلاً بدرجة أو بأخرى. هو السيكولوجية العميقة، والسيرة الرمزية. هذا التفسير يحيلنا، بدوره، إلى منظور شخصي، أو بالأحرى إلى بحث داخلي لرودريجث مونيجال ذاته. بحث داخلي: وبودي أن أقول أيضا إنه بحث جمالي وكذلك رمزي. وفي هذا يكمن أحد جوانب غموض النقد: فهو يحيا «بأنا» العمل و«بأنا» من يتأمله، يحيا بالعمل الأدبي كموضوع وبالقرار الذي تتخذه في وحدتها ذات تخبره.

ثمة تفسير داخل العمل الأدبي وليس خارجه - يمكن أن يقود إلى خطرين متماثلين في سلبيتهما: الوقوع في الانطباعية الخالصة، أو الخضوع للمعايير التي عاش عليها النقد التقليدي والتي رفضها رولان بارت بكفاءة كافية في كتابه النقد والحقيقة Critique ef verite. هذه المعايير، كما هو معروف، هي المصداقية، والموضوعية، ومن ثم، لا رمزية العمل الأدبي. والمنظور النقدي الذي يتأسس عليها يجب عليه، تحديداً أن يقر سلفاً بنوع من السلطة، من الواقع الخارجي بالنسبة للعمل الأدبي أو الحرفية الكاملة. لكن كل شيء إنما هو تفسير، كما يحذرنا بارت، إذا سلمنا بأن العمل الأدبي هو كون من الرموز وتعايش لمعانٍ متعددة. من هنا فإنه يشير كذلك إلى عبارة رامبوالشهيرة حول معنى «فصلٌ في الجحيم Un Saison en enfer»: «أردت قول ما قلته حرفياً وبكل معانيه»*.

بهذه الطريقة فقط يكتسب النقد في الوقت ذاته الحماسة والمغامرة المتضمنين في كل عمل أدبي يتأسس على اللغة، بمعنى، أنه يضع منهجاً وهذا المنهج لا يأخذ في اعتباره إلاّ ذات الواقع المتغير للعمل الأدبي. لهذا السبب، فإن النقد إذا كان تحليلا (ومقارنة، كما اراد اليوت)، فإنه عاطفة كذلك، توحد عميق مع العمل الأدبي، حتى حين يتضمن هذا التوحد معارضة في النهاية. ماذا يكون كتاب ضد سانت - بوف Contre Sainte - Beive لبروست سوى الدعوة الأكثر جذرية

* '' Jai voula dire ce que, ca dit, litteralement et dans tons les sens''.
بالفرنسية في الأصل - [المترجم].

والأشد بلاغة في نفس الوقت ضد النقد المؤسس على الذكاء الخالص فقط والذي بدا أن مؤلف Lundis* جعل من نفسه ممثله الوفي ؟ ألا يثير الاعجاب، في الوقت نفسه، أن يكون كتاب بروست هذا في أعماقه تأملا تمهيدياً حول معنى إبداعه الروائي العظيم؟ بمعنى أن بروست يتأمل واقع عمله في الوقت الذي يتأمل فيه واقع النقد والفن أيضا . على هذا النحو يكون كتابه اليوم صالحا تماماً في المجال الجمالي؛ إذ إنه يكشف بالاضافة إلى ذلك، ومرة أخرى ، أن سانت ـ بوف ـ الناقد المحترف، ناقد الحقائق والموضوعية ـ لم يكن هو حقاً من أسّس النقد الحديث في فرنسا. ألا يكون ذلك، بالأحرى، من نصيب شاعر مثل بودلير بغض النظر عن حدوده وتحاملاته؟ من الواضح أن نقد بودلير لم يكن فحسب النقد الأكثر كفاءة وتوضيحاً في حقبته، بل كان كذلك النقد الذي أضاف أكثر ما يمكن إلى معرفة الفن الحديث. هذا وبودلير لم يقدم سوى نقد « متحيز ، ومفعم بالعاطفة، وسياسي ، ومُنجز من وجهة نظر خاصة » ، رغم أنه كان يؤكد بصورة لامعة : « أنه يقدمه من وجهة نظر تفتح أوسع ما يمكن من الآفاق » .كيف إذن نشك في هذا اليوم ؟ إن العاطفة بالنسبة له هي بالقدر نفسه مملكة الوضوح والخيال، هي التحالف بين التأمل النقدي والدافع الإبداعي ، لهذا، فإنه حين يُعرِّف الشعر (وهو يتحدث عن ادغار بو) يستبعد كل عاطفة مفرطة ويقترح انفعالية جديدة: هي عاطفة الخيال . هذا التحالف يسم بطابعه كل الفن والفكر المعاصرين: فكلاهما ذاتي جوهري . بحيث إن النقد الذي مازال يفترض أنه علمي هو أقل كل أنواع النقد علمية » ويتغذى على مبادىء (الموضوعية، والمصداقية ، والحكم، الخ) قد أصبحت منافقة : لأنها تدفع إلى نقيض ما تطرح . أما النقد الجديد، فإنه بتعريفه لنفسه على أنه ذاتي يصبح بالتأكيد أكثر اخلاصا وكفاءة ؛ وبقبوله لأخطاره ذاتها، فإنه يلقى الضوء على مصير كل جهد

---

* شارل سانت بوف الناقد الفرنسي المعروف (١٨٠٤ ـ ١٨٦٩) له بين كتبه العديدة (أحاديث يوم الاثنين) (وأحاديث الاثنين الجديدة) (Noureaux lundis)و Causeries de lundi وهي المشار إليها هنا [المراجع] .

أدبي بالذات : في أن يكون مغامرة دائمة لفك رموز العالم من خلال الكلمة . على هذا النحو يجيب موقف رولان بارت اليوم ، كالصدى ، على موقف بودلير. إنه يكتب « ذاتية منظومة في نسق ، أي مثقفة خاضعة للضغوط الهائلة التي تنبعث من رموز العمل الأدبي نفسها ، وربما كان لديها فرصة للاقتراب من الموضوع الأدبي أكبر مما لدى موضوعية غير مثقفة ، عمياء تجاه نفسها وتختفي خلف الحرف وكأنه طبيعة قائمة بذاتها » .

وباعتبار النقد تفسيراً للعمل الأدبي واختراعاً للأدب ذاته ، فإنه كذلك ، وفي المقام الأول ، كتابة . ولست أريد القول إنه معرفة الكتابة بصورة «جيدة» وكذلك لا أشير إلى مقاطع الترقيم والإعراب ، التي يثيرها بورخس متهكماً ، وهو الذي ، فيما عدا ذلك ، لا يشجع على إهمال النقد . فالأمر يتعلق بشيء ربما كان أكثر دلالة : هو معرفة كيفية حدس اللعبة الحقيقية لكل كتابة ، لعبة اختراع نفسها بقدر ما تخترع العالم . وفي هذا يتوحد الكتاب والنقّاد . لقد أقام إليوت فرقاً بين النقاد الممارسين والنقاد الخالصين ؛ ويبدو أن هذا الفرق مازال يدور حول مفهوم عن الموضوعية الممكنة أو الاتساع لصالح الناقد الخالص . لكن ذلك ربما لم يعد دقيقاً اليوم . لأن هذا المفهوم يفقد قيمته تدريجياً . وليس لأن النقاد الممارسين (من بودلير وحتى إليوت نفسه ، ومن بورخس وحتى باث بين ظهرانينا) ربما كانوا هم الذين نفذوا بمزيد من العمق ضمن العمل الفني . فالسبب قبل كل شيء هو أن الكاتب والناقد يتكونان من مواجهة واقع واحد : هو اللغة . يعلن بارت : « ها لم يعد ثمة لاشعراء ولا روائيون : لم يعد ثمة سوى الكتابة » . وهذا لايعني فقط ، كما يوضحه بارت نفسه ، أن فعالية الناقد تتركز في اللغة ، بل إن موضوعه الحقيقي ، مثلما هو موضوع الشاعر او الروائي ، هو كشف الطبيعة الرمزية والغموض التركيبي لتلك اللغة .

وبالفعل ، فليس صحيحاً أن لدى الشاعر أو الروائي مادة أصلية هي العالم . فمادتهما الحقيقية هي اللغة ، ولا يريان العالم إلاّ من خلال الكلمات . « في بدء الأدب توجد الأسطورة ، وهكذا في النهاية » ، هكذا يكتب بورخس

الناضج[١٠] . ونحن نعرف أن كل إبـداع أسطوري لا يبـدأ إلاّ في الكلمة. ويقول اوكتافيو باث بدوره: « إن التجربـة الحقيقية للشـاعر لفـظية قبـل كل شيء ؛ أو إذا شئت: فـإن كـل تجـربـة، في الشعـر ، تكتسب فـوراً رنينـاً لفظياً » .[١١] ويشرح باث بنفسه كيف يحدد هذا الملمح الأدبي الحديث بوجه خاص، إبتداء من الرومانسية . وهو، بالتأكيـد، ملمح مميـز للوعي الشعري الحديث. فحتى شاعر مجدّد مثل جونجورا لم يبلغ مبلغ اقتراح نقد المدلول أو نقد معنى الكلمة. وعلى العكس، كما يشير باث، فإن كتابا مثل مالارميه أو جويس (ويمكننا إضافة كورتاثار في مجالنا) هم بمثابة نقد وأحيانا إلغاء للمدلول . هذا الجهد يفترض حركة مزدوجة : تدمير اللغة وفي الوقت نفسه إبداعها من جديد . أشار مالارميه إلى أن الشاعر يجب أن يسلم زمام المبادرة للكلمات . وبديهي أن هذا ليس استقالة للشاعر، بل قبوله إلى آخر مدى لطاقته الإبداعية الحقيقية: تلك التي تـوصلها لـه الكلمات. من هنـا فـإن كـل شيء ينعكس في الأدب الحديث: فليست الأفكار (المحتوى) هي التي تصنع الكلمات (الشكل) ، بل بـالعكس، لأن كل شيء عبـارة عن لغة. الشـاعر يقتـرح والكلمـة تتيـح . « والشكل السري هو فكرتها ، رؤيتها للعالم » ، مثلما في المقولة التي يصوغها باث بصدد الموضوع [١٢] .

حسناً ، سيظل النقد إذن على هامش الإبداع الجمالي الحقيقي ما لم يأخذ في اعتباره هذا المعنى للأدب الحديث . فلم يعد الأمر نقداً للكتّاب بل للأعمال الأدبية والنصوص . وما يكمن وراء كل مؤلف هو لغة، وليس ذاتاً . وفي أثر فاليري اقترح بورخس تاريخاً للأدب لا يكون فيه أسماء بـل أعمال . ويصـل أوكتافيو باث إلى حد اقتراح تقاليد لا تكون تتابعاً لأسماء وأعمال واتجاهات، بل نسقاً من العلاقات ذات الدلالة تتأسس على اللغة. لهذا السبب فإن هذا الوعي

---

(١٠) Jorge L. Borges, **El hacedor,** Bueuos Aires, Emecé, 1961.

(١١) O. Paz. op. cit.

(١٢) المرجع السابق .

باللغة ـ بوصفها استفهاماً ومشكلة ـ هو ما يصنع النقد الجديد في نهاية الأمر . فالعمل الأدبي ليس سوى كلمات، وليس ثمة موضوعية خارج الكلمات ، بل بينها في ذات النص الذي تشكّله. إلاّ أن هذه الموضوعية متغيرة : فالكلمات تتواصل فيما بينها حتى تستطيع كشف معناها ، لكنها كذلك تتواصل مع شخص يجددها بصورة ما حين يتلقاها . وإخلاص النقد يكمن في قبوله خطر اللغة هذا. الأمر، إذن، ليس أن يكتب الناقد «جيداً » المهم هو أن يحقق بكل وضوح شيئا أكده بارت كذلك: النقد لغة تتحدث بكاملها عن لغة أخرى. بكاملها، بكل قوى الكلمة، بغموضها ، بطاقتها المتعددة، بقولها وبسكونها، وكذلك بقوتها الشبقية. النقد هو شبق بقدر ما يتأسس على متعة اللغة، وهذه المتعة لا تقلل من الوضوح بأي حال ، بل على العكس تُقدِم علاقة أشد إثاره مع العمل الأدبي ومع العالم .

[٢] النقد في أمريكا اللاتينية

هل يوجد في أمريكا اللاتينية منظور نقدي وفق الشروط التي طرحناها لتوّنا ؟ هذا هو السؤال الذي سيهمنا توضيحه فيما يلي . فحتى الآن لم نفعل سوى تقديم وصف تقريبي ـ وربما نظري ـ للنقد المذكور . لكن لابد من أن القارىء قد لاحظ أن ذلك الوصف يرتكز باستمرار على الفكر والخبرة الإبداعية لكتّاب أمريكيين لاتين . أولا يُعدّ ذلك برهاناً على وجود ذلك النقد؟

في كتاب أصدر منذ أكثر من عقدين من الزمن ، حلّل انريكي أندرسون إمبرت وضع النقد الهسبانو ـ أمريكي في ذلك الحين . (١٣) ومن وجهة نظر سوسيولوجية وكذلك جمالية بدأ ذلك التحليل بالإشارة إلى الجوانب السلبية في نقدنا . مثلاً ، عدم التناسب بين « إنتاج نقدي ضخم » ، قليل القيمة فيما عدا ذلك ، وبين نفس الانتاج الأدبي . ويضيف أندرسون إمبرت : « في هذا النوع

(١٣) Enrique Andersom Imbert, **La Critica literaria Contemporánea**, Buenos Aires, Gure, 1957

من النقد نجد كل شيء . وطبيعي أن الغالب هو انعدام المسؤولية . حيث تُطلق عموماً آراء لا يدعمها لا مفهوم للعالم ولا قائمة قيم . وفي أفضل الأحوال يمكن أن نستخلص من تلك الآراء المتقلبة أسس موقف نقدي سطحي جدا : متزمت : والتذاذي ، وانطباعي » . إلّا أن تحليله يميل في ختامه إلى أن يصبح أكثر تفاؤلا . ويختتم قائلا : «رغم ما قلناه ، فإن في هسبانو ـ أمريكا نقدا جيدا . ونحن نعتمد على نقاد لامعين يشرفون أي ثقافة » .

وفي وقت لاحق ، يتخذ أوكتافيو باث موقفاً أكثر جذرية تجاه الموضوع نفسه أكثر جذرية ولعله أكثر توجها في إطار فهم جديد للنقد . ولذلك فإن أفكاره جوهرية في هذا التوضيح . أليس باث بالتحديد واحدا من مؤسسي النقد الحديث بين ظهرانينا ؟ يضيف باث أن ما كان ينقصنا هو فكر أو نسق من المذاهب ، وكذلك القدرة التي يضع بها النقد العمل الأدبي في مساحته الذهنية ، أي ذلك الموضع الذي تلتقي فيه الأعمال وتتحاور فيما بينها متيحة وجود أدب ! ويؤكد أن « النقد هو ما يكّون ذلك الذي نسميه أدباً ، والذي ليس هو مجموع الأعمال الأدبية بقدر ما هو نسق علاقاتها : هو مجال التماثلات والتعارضات » .[١٤] من هذا المنظور الذي لابد من أن نشارك فيه بشكل أساسي ، من الواضح أن النقد الهسبانو ـ أمريكي لم يتمتع بكفاية حقيقية : فالذي يبدو أنه بدلا من اضاءة الأعمال وسياقها الجمالي ـ الثقافي ، قد اتجه نحو مجرد المعلومات أو الوصف الخارجي .

لكن موقف باث يحمل دلالة مزدوجة : إذ إنه بإنكاره وجود ذلك النقد بين ظهرانينا ، يصوغه ويشكّله ـ أو بالأحرى، ينقذه كما سنرى ـ بدءاً من وقائع وإسهامات عينية ، لكنها حتى الآن كامنة في فكرنا النقدي . هكذا يتحول نفيه إلى مبدأ إثبات . وهذا ما حدث بالمثل لأدبنا ذاته : فقد وُلد حقاً من التساؤل الذاتي ، من الوعي بوحشته وبتخلفه عن الزمن .

صحيح أن النقد الأمريكي اللاتيني ، عموماً ، لم يتغذ على فكر خاص به ،

(١٤) O. Paz, op. cit.

ولا عـرف كيف يصوغ أدبنـاً كما يشـير باث . فقـد كان ، بـالأحرى ، نقـداً خارجياً ، انطباعياً أو اجتماعياً بصورة غائمة ، ونادراً ما كان يقوم عـلى رؤية حقيقية للعالم أو حول مفهوم للأدب باعتباره جماليات للّغة . ربما أمكن الجدال ، كظرف مخفّف ، بأن ذلك النقد كان يناظر أدبا خارجياً بالقدر نفسه ، آمن بأن العمل بمثابة انعكاس ، ووثيقة أو شهادة على الواقـع . لكن هذا مجـرد ظرف مُخفّف ، محفوف بالمخاطر . في المقام الأول ، لأنه ليس من سبب يدفع النقد لأن يكون صدى الأدب الذي يتناوله ، رغم أن من الإنصاف الإقرار بأن عـلاقة حميمة تنشأ بين الاثنين (فالنقد تاريخي هو الآخر). ومن ناحية أخرى فإن أدبنا لا ينشأ كله من مفهوم يمكننا تسميته بسذاجة بأنه واقعي . ومع حركـة الحداثـة الهسبانو ـ أمريكية ، منذ نهايات القـرن التاسـع عشر ، يبـدأ منظور إبـداعي جديد . وقد مثل هذا المنظور تحولاً أساسيا في الأدب . كان تجديده للغة الشعرية يتضمن بالتأكيد طريقة متميزة في إدراك الإبداع ذاته . ورغم أنه صحيح أن نسقاً نقدياً مناظراً لجماليات الحداثة لم يظهر ، فإن المهم هو الميل ، للمرة الأولى ، إلى تأمل العمل باعتباره إبداعا للّغة . وقد استهل هذا التحول في المنظور النقدي رودوRodo ، وبلانكو فومبونا Fombona ،وسانين كانو Sanin Cano ،وجارثيا كالديرون ، Calderon وآخرون كثيـرون . ولم تغب المساهمـات النظريـة عن مبدعي الحداثة أنفسهم . إذ إن روبين داريّو وخايمو فريري Freyre ، على سبيل المثال ، لم يجددا ويثريا الإيقاع الشعري وبنية القصيدة فحسب ، بل إنهما صاغا كذلك أفكارا حول الموضوعه ذاتها . والشيء نفسه يمكن أن نقوله بالنسبة للوجونس Lugones فيما يتعلق بالمجاز . ربما كانت تلك أول لحظة يميل فيها الإبداع والنقد إلى الارتباط بصورة أكثر حميمية .

ليس هذا ، بالتأكيد ، ما يضعه باث موضع التساؤل . فأفكاره تشير في المقام الأول إلى وجود أو عدم وجود مفهوم نقدي متماسك على كل المستويات . ولا ينكر المساهمات الفردية . لكن ربما كانت هذه المساهمات هي مايُعتدّ به الآن . أولا : لأنها لم تكن شديدة العـزلة ، وكـذلك لأنها هي التي أثـرت في الأدب

الجديد . لقد حدث تحول جذري في أدبنا الإبداعي ذاته . وليس الأمر مجرد انتقال أدب واقعي أو أدب شهادة إلى أدب للخيال الحق ولتحرير اللغة . فربما كان ثمة حقيقة أكثر أهمية . فقد اكتسب الكاتب الأمريكي اللاتيني وعياً بأن ما يراه أمامه هو عالم ينتظر الصياغة ، أكثر منه عالماً ينتظر التعبير عنه أو اختراعه . اكتسب وعياً بما سماه باث نفسه بـ أدب الصياغة الذي أدركه كذلك بتعبيرات مختلفة، لكنها ليست متعارضة، كتاب هسبانو ـ أمريكيون آخرون : كاربنتييه ، وليثاما ليما ، وكورتاثار .

لن ألخص هنا كل فكر باث بهذا الخصوص ، لكنني أعتقد أن مما لا غنى عنه التأكيد على بعض وجهات نظره ، فإن أدبنا يقوم مثل كل الآداب في مواجهة واقع . والفرق ـ كما يؤكد باث ـ هو أن الواقع الذي يقوم في مواجهة أدبنا ، هو يوتوبيا: هو ماخلقه الفكر الأوروبي حول أمريكا في لحظة الاكتشاف. وتتبلور اليوتوبيا في الاسم نفسه الذي حكم علينا بأن نكون عالماً جديداً، أي، عالماً وليدا ينتظر تشكيله . فهل كنا كذلك حقا ؟ المفارقة هي أن تلك اليوتوبيا كانت ما سوف يُصاغ فعلياً في هياكل تجاوزها الزمن : تلك التي جاءتنا من تقاليد معينة من شبه الجزيرة الأيبيرية . لهذا السبب فإن أدبنا لا يدخل في باب الحداثة إلا حين يبدأ في الانفصال عن ذاك التخلف عن الزمن ، حين يبدأ حقاً في تحقيق اليوتوبيا . وكان للقطيعة التي أحدثتها حركة الحداثة مع الأدب الهسباني لشبه الجزيرة دلالة أشمل : هي نفي ماضٍ ، والبحث عن الجديد وعن تقاليد عالمية . من هنا كانت الحداثة في بدايتها أدب هروب وانتزاع للجذور ، لكن كان لذلك في العمق هدف أرقى : استعادة واقع العالم الجديد بدءا ، هذه المرة ، من اختراعنا نحن . وهكذا يتحول أدب الهروب ، باستمرار ، إلى أدب للاستكشاف والعودة . يقول باث ، إن روبين داريّو هو الروح الكوني الذي يعيد اكتشاف هسبانو ـ أمريكا ، ومعه ، إضافة إلى ذلك ، ينشأ فرق ذو مغزى مع الكاتب الاسباني لحقبته : فهذا يكتشف العالم بدءا من إسبانيا (ألم يقل أونامونو أنه يجب « أسبنة » أوروبا ؟) كذلك كان الأدب الذي تلا الحداثة أدب انتزاع

للجذور ، أدب مغامرة في الكون ، ليكتشف بعد ذلك أمريكا . فلنفكر ، على سبيل المثال ، في شعر فاييخو ، أو نيرودا ، أو إنريكي مولينا . كذلك فإن ما يسمى بالحداثة البرازيلية حوالي عقد العشرينات مع ماريو دي أندرادي ، ومانويل بانديرا ، وجورج دي ليما ، ودروموند دي أندرادي ، توضح هذه الحركة المزدوجة نحو ما هو كوني وما هو أمريكي . وأعمال بورخس نفسها ، في منظور باث « لا تفترض فقط عدم وجود أمريكا بل كذلك حتمية اختراعها » . لهذا فإن أدبنا هو محاولة لصياغة الواقع ، جهد للخيال ، لكن صياغة عالم ، كما يستنتج باث ، هي في نفس الآن اختراع وانقاذ لما هو واقعي . «الواقع يتعرف على ذاته في خيالات الشعراء ، ويتعرف الشعراء على صورهم في الواقع . ولأن الأدب الهسبانو ـ أمريكي مقطوع الجذور وعالمي ، فإنه عودة وبحث عن تقاليد . وببحثه عنها ، يخترعها » . (١٥).

وهكذا فإن من كان ينكر وجود فكر نقدي بين ظهرانينا كان في الحقيقة يشكله خارجيا . هذه الأفكار لباث توضح طبيعة الأدب الأمريكي اللاتيني الجديد في مستوى يضم الجماليات ويتجاوزها . إنها بعبارة أخرى ، جماليات مُدركة في إطار صورة حقيقية للعالم ، وهذه الصورة أمريكية لاتينية بصورة جذرية ، لكنها لا تظهر بدءاً من « التعبيرات الأمريكية » التقليدية .

وليس من الصعب أن نصادف أصداء وتماثلات لأفكار باث هذه في الأدب الأمريكي اللاتيني الراهن ، سواء في الفن القصصي أو في النقد . لكن ، كذلك ، فإن تشابهه مع كتاب من الجيل نفسه أو سابقين عليه هو تشابه واضح . ألا يعد ذلك أفضل دليل ، فيما هو أساسي ، على وجود تماسك في موقفنا تجاه الأدب ؟ لقد أكّد بورخس ، على سبيل المثال ، مرارا على أن تقاليد الكاتب الأمريكي اللاتيني تقاليد مركبة لكنها ليست بسبب ذلك مجرد تخليق بسيط بل إبداعا حقيقيا . وإجابة عن سؤال ما هي التقاليد الأرجنتينية ، أجاب بورخس

(١٥) octavio Paz, Puertas al Cawpo, México, Unirersidad Nacional Autonoma de México, 1966.

في مقالة : « أعتقد أن تقاليدنا هي كل الثقافة الغربية ، واعتقد كذلك أن لنا الحق في تلك التقاليد ، حق أكبر مما يمكن أن يكون لسكان أمة أو أخرى من الأمم الغربية » . ورغم أن بورخس في هذا المقال (**الكاتب الأرجنتيني والتقاليد**) يشير إلى بلاده على وجه الخصوص ـ فمن البديهي أنه يوضح موضوعاً أمريكياً جنوبياً عاما ـ وهكذا يعبر عنه في مقاطع عديدة . وهو يستحضر مساهمة اليهود الأيرلنديين في الثقافة الغربية ، وهي مساهمة تحكمها حركة مزدوجة : فهم يعملون داخل وخارج تلك الثقافة في الوقت نفسه . هذه الحركة المزدوجة سمحت لهم بأن يكونوا شعوباً لها أصالتها الإبداعية الخاصة . ثم يؤكد بورخس : « أعتقد أننا نحن الأرجنتينيين ، والأمريكيين الجنوبيين عموماً في وضع مماثل ، فباستطاعتنا تناول كل الموضوعات الأوروبية ، تناولا دون غيبيات ، ودون تقديس يمكن أن يكون لها ، وقد نجم عن ذلك نتائج سعيدة » .[١٦] هنا ، في هذا المقال ، كما في مجمل عمله ، لا يطرح بورخس ، فقط موضوع التقاليد ، بل يطرح كذلك موضوع الأدب بوصفه اختراعا . إنه ينفصل عن الفكرة المعتادة في الحتمية التي طالما سادت في أدبنا . إذ بالنسبة له فإن الأدب الذي يفترض أنه شعبي ، الشعر الجاووشي ، هو شيء أكثر من مجرد انعكاس لواقع : ففيه إبداع لفظي قصدي . إنه « حُلم مُوجّه » مثله مثل كل الفنون .

الأدب بوصفه مشروعا للتأسيس (باث) أو بوصفه إبداعا لفظياً (بورخس) . أليس ثمة علاقة كذلك بين هذين المنظورين وبين تأملات ليثاما ليما حول الصورة أو حول العصور الخيالية ؟ بالنسبة للكاتب الكوبي فإن الأدب يتأسس ، فعلاً ، في « مفهوم للعالم بوصفه صورة » ، وكذلك « في الصورة باعتبارها مطلقا ، الصورة التي تعرف أنها صورة ، الصورة بوصفها آخر تاريخ ممكن » . ورؤية ليثاما ليما للصورة جمالية وميتافيزيقية في الوقت ذاته . جمالية : إذ فيها تتبلور القدرة المبهجة للقصيدة . إنها الرؤية النهائية التي تؤكد الجسد

١٦ Jorge L. Borges, op. cit. nota, p. 6.

المجازي ، والعلاقات اللانهائية التي تُبعث في القصيدة . وميتافيزيقيـة : لأن الهام فيها ليس هو الوهم الواقعي (رغم أنه لا ينفي التشابه) ، بل طاقتها على الإدهاش ، وفي الإدهاش إمكانية تجسيد العالم وارتباطاته السرية . لهذا يؤكد : « ما من مغامرة ، ما من رغبة حاول فيها الإنسان قهر مقاومة ، قد كفت عن الانطلاق من تشابه ومن صورة ، فقد أحس الإنسان دائما بأنه جسد يدرك نفسه بوصفه صورة ، ومن ثم فإن الجسد ، باعتباره نفسه كجسد ، يتحقق في امتلاك صورة »[١٧] . الصورة ، إذن ، هي طبيعة جرى إبدالها ، لكن في هذا الإبدال تشق كل العلاقات الممكنة مع الثقافة ومع الصور التي تخلقها طريقها . من هنا فإن جماليات ليثاما هي جماليات الحدس . فهي تغفل تماماً العلاقة السببية السهلة لترتبط بالتركيبة الإبداعية . وهي كـذلك جـماليات الشكـل التي تتحول فيهـا الطبيعة ، بفعل الذات المجازية ، إلى « منظر » . والشيء الجوهري فيها هو أبنية وارتباطات اللغة .

وكما أوضح سيبيرو ساردوي ، بصدد قصص ليثاما ، قال : « لكن الهام هو الضبط الثقافي لمجازاته : لأن ما تحركه العلافات وليس المضامين ، ما يهم ليس المصداقية ـ بمعنى التماثل مـع شيء غير لفـظي ـ في الكلمة ، بـل حضورهـا الحوازي ، مرآتها » .[١٨] وبمعنى مماثل ، بالنسبة لليثاما فإن الحوار بين الإنسان والطبيعة يجعل من هذه الأخيـرة مجالاً تمتـزج فيه كيـانات طبيعيـة وثقافيـة تمر بتحولات متبادلة لتخلق واقعا جديداً : هو الرؤية . ومن ناحيـة أخرى تقيم الصورة العلاقة بين الإنسان والطبيعة ، لكن تقيم كذلك العلاقة بين الإنسان والتاريخ . فلسنا نعرف التاريخ في النهاية إلا من خلال صور سـائدة في كـل حقبة . فالتاريخ هو الأساطير التي تتجسد فيه . وزمن الإنسان هو « العصور الخيالية » .[١٩]

---

(١٧) Levama Lima, op. cit.
(١٨) Severo Sarduy, **Escrito Sobre un cuerpo,** Bueuos Aires, Sudamericana, 1969.
(١٩) José Lezama Lima, La expresióm ameicana, La Habana, Instituto Wacional de Cultura, 1957.

٣ ـ اتجاهات مختلفة في النقد الجديد

إن النظر إلى الأدب باعتباره عالماً مستقلاً، له قوانينه وهياكله الخاصة، والنظر إلى العمل الأدبي باعتباره رمزاً وتجسيداً خيالياً لما هو واقعي، هما ما أسبغا نبرة جديدة على النقد الأمريكي اللاتيني. وليس هـذا الاتجاه بـالحديث، لكنه، أضحى أكثر عمومية في الفترات الأخيرة . وبين مؤسسيه لا بد من أن نذكر في المقام الأول ـ وكيف لا ؟ ـ الفونسو رييس. وبالفعل، ففي أعماق عمله المتبحر الذي يثير الإعجاب برزت دائماً الحساسية والنظرة النقدية القادرتان على التقاط حركة الإبداع الحقيقية . ولم يكن الأمر ليجري على نحو آخر : فقد كان كذلك واحداً من ألمع مبدعي أدبنا . صحيح أن جزءاً من عمله النقدي يقتصر على التبحر والتأويل ؛ وبالمقارنة مع عمل أستاذ آخر مثل بدرو إنريكيث أورينيا ربما نجد هذا التبحر أشد تألفاً رغم كونه مبعثراً أحياناً ، ويميل إلى تركيبة تسود فيها التجربة الجمالية : وفي هذه التجربة يمكن كذلك الإحساس بالمغامرة الفردية، وبعاطفة البحث . ومن ثم، فإن نظيره بيننا ، هو بالأحرى بورخس . فكلاهما يشتركان ـ بالإضافة إلى الكتابة المحسوبة المتهكمة ، القادرة على كل الظلال ـ في مفهومه للفن بوصفه شكلاً وبوصفه لعباً :شكل يتحول إلى جوهر الإبداع ذاته، ولعب يبلغ حداً يضمن أوضح واقع. ويمكننا الاستمـرار في توضيـح التوازي بينهما ، لكن هذا يكفي . فكثير من الأمور التي يمكن قـولها عن رييس تصلح كذلك بالنسبة لبورخس ، وبالعكس. إنهما روحان متشابهان ويقفان عند بداية حداثتنا إلاّ أنني مازلت أود إبراز بعض جوانب الفكر النقدي لرييس. فهذا الفكر واحد من أكثرها تماسكاً في الأدب الهسبانو ـ أمريكي ؛ ويجد التعبير عنه قبل كل شيء في كتابين أساسيين : **التجربة الأدبية** (١٩٤١) ورسم الحدود (١٩٤٤) . وفي هذا الكتاب الأخير إذا لم يكن رييس قد بلغ حـد صياغـة نظريـة للأدب ووضعها في نسق فإنه قد أرسى أسسها : إذ إنه، وبحماسة نفاذة ، عرف كيف يرسم حدود مدار الأدب ويفصله عن باقي نشـاطات الـروح دون أن ينسى

الاوعية التي تصل بينها . أما في الكتاب السابق فإن رييس يبدأ، كما ذكرت، من فكرة الأدب بوصفه شكلاً ، بوصفه لغةً ، لكن ليس ذلك فقط على طريقة النقد الأسلوبي أو اللغوي . فاللغة الشعرية ، بالنسبة له ، تتأسس على ثلاثة مستويات للغة (نحوية، وصوتية، وأسلوبية) وهي أفضل ما يستفيد من هذه المستويات ويعمقها . لكنها بالقدر نفسه إبداع لا يقتصر على تلك المستويات. وفي الحقيقة فإن الشاعر يُصنع في الصراع ضد اللغة ، كما طرح فاليري . « من هنا ـ يقول رييس ـ فإن وسيلته الأساسية هي الاستخدام المغلوط للكلمات Catacresis ، إنه كذب بالكلمات عما ليس له كلمات تكذب عنه » . مما يوضح في آن واحد يقظته، وعاطفته تجاه الشكل . « الشاعر ـ يضيف ـ لا يجب عليه أن يفرط في الثقة بالشعر بوصفه حالة وجدانية، وعليه بدلاً من ذلك أن يصرّ على الشعر بوصفه تأثيراً للكلمات»[20] . والأدب هو إبداع في النهاية ، « تتابع خيالي» لا تكمن صلاحيته في تناظر مفترض مع الواقعي ، بل في الكلمة ذاتها. هنا تقع الصلاحية في سياقها الصحيح.ويعتبر رييس مثله كمثل الأغريق الذين يذكرهم ، إن « القبول، بجدية الفن وبمخادعاته » مؤشر على الكرامة الإنسانية ، ويبدو أن المتضمن هنا ، بدوره، هو أن موقف القارىء ـ وموقف الناقد كذلك في المقام الأخير ـ هو ما يجعل من هذا القبول واقعاً : واقع ما هو لاواقعي . وهذا، في حد ذاته، أمر عظيم القيمة. وإذا فكرنا في النزعة إلى الاعتيادي كلها، وفي اللهفة ذات الرطانة الاجتماعية اللتين اجتاحتا نقدنا التقليدي، فإن فكر رييس يكشف لنا عن جذرية التحول الذي يطرحه لأنه يجدد، مثل فكر بورخس، الخط «الفاصل» بين منظورين نقديين فحسب، بل بين موقفين إبداعيين بالطبع .

ولنكرر أن رييس وبورخس يقفان عند بداية أدبنا الحديث. وفي هذا تكمن حقيقة أساسية: فكلاهما قد أبرز أسبقية العمل الأدبي، ومن ثم أسبقية النقد ذاته. اما الاتجاهات المختلفة التي تبدي فيها فيما بعد النقد الأمريكي اللاتيني

---

(٢٠) Alfonso Reyes op. cit cf. nota p. 10.

الجديد، فإنها تشترك، على الأقل، في هذا العامل المشترك. وهكذا، فهي تدور جميعها حول تقدير سائد : الأدب بوصفه إبداعاً لأشكال ولعوالم خيالية ، الأدب بوصفه مبدأ مكوناً لما هو واقعي وليس انعكاساً له . وبعبارة أخرى فقد انفصلت تلك الاتجاهات عن العلاقة السببية بين العمل الأدبي والواقع، بين العمل والمجتمع ، بين العمل والتاريخ. وهذه العلاقة ـ المتبادلة والجدلية ـ تفهم الآن على مستوى جمالي. الاّ أن النقد الجديد ذا الأساس التاريخي أو الاجتماعي (الذي يجد أفضل أسلافه بين ظهرانينا في جيليبرتو فريري Freyre، ومارتينث استرادا Estrada وبيكون سالاس Salas) مازال شديد البعد عن المفاهيم الوضعية أو الحتمية للماضي . أولاً ، لأنه لا يخفى الايديولوجية التي يقوم على أساسها ؛ ثم لأنه لا يميل إلى الحديث باسم «حقيقة » : بل يبحث، بالاحرى عن إرساء القيم غير البديهية لحقبة كاملة في العلاقة العميقة مع ما يقوله العمل الأدبي ويصمت عنه في الوقت نفسه . إنه ليس نقداً يود ببساطة أن يكون « ملتزماً »، بل إنه يسعى إلى كشف كيف يتطور داخل العمل الأدبي مفهوم للعالم ولوعي المجتمع . إنه نقد يقع، بهذا المعنى، داخل إطار سوسيولوجية الثقافة الجديدة على طريقة لوكاتش ، وأدورنو ، وجولدمان . (٢١) لكن ما يهم إبرازه ، داخل هذا النوع من النقد الاجتماعي، هو أنه لا تغيب عن بصره حقيقة أساسية : إن دلالة العمل الأدبي ليست معطاة من خلال الأفكار التي ينطوي عليها ، بل من خلال الرؤية الشمولية التي تكون لدى الكاتب عن العالم، وأخيراً ، من خلال السلوك في مواجهة لغته الخاصة. إن ما يمكننا تسميته بأنه

---

(٢١) يمكن الرجوع إلى محاولة جيدة لهذا النوع من التحليل الاجتماعي ، مطبقاً بوجه خاص على الأدب الأمريكي اللاتيني في مجلة Aportes (العدد ٢٨ ، باريس، أبريل ١٩٦٨) ، عدد أعده روبين بايرو ساجير Barrero Saguier بمعاونة فرناندو أليجريا Alegria ، وجوسيه جيليرم ميركيور gwlhermi Merguior وايبر بردوجوIber Verdugo وجييرموييبس - بوسكان ypes - Boscan. كذلك يعد من ممثلي الاتجاه المذكور الكاتبان البرازيليان أوتوماريّاكاربوه Carpeaux وأنطونيو كاندويدوCandido ، اللذان يتمتعان بمجموعة أعمال هامة في هذا المجال .

أخلاقي لدى الكاتب ولدى الناقد يكمن في هذه الإحالة إلى سلطات اللغة .

وتقع الدراسات اللغوية والنقد الأسلوبي الذي استُمد منها عند بدايات نقدنا الجديد . وإذا كان هذا المنظور يميل اليوم إلى أن يصبح أكاديميا أو جامعياً بعض الشيء فليس من الممكن عدم الاعتراف بفضيلته الأولية: وكونه قد استكشف بمعنى جمالي الطبيعة اللغوية للعمل الأدبي . ومن أوائل من مارسوا هذا النقد الأسلوبي ـ وربما كان أولهم ـ التشيلي بولاندو بينو سافيدرا Saavedra بكتابه شعر خوليو إيريرا إي رايسيج (١٩٣٢) . لكن مركز الاعداد والاشعاع لهذا المنظور كان في بونيوس آيريس، حول الأستاذ الاسباني أمادو ألونسو . وقد أسهم هذا الاتجاه لا في تجديد نقدنا فقط وفي طرح منهج مناسب ، بل أسهم لذلك في توضيح واقع الموضوع الأدبي ذاته • وهو واقعه الشكلي . بهذا المعنى ، على الأقل ، فإنه يمثل محاولةً أولى لما يشكل اليوم التحليل البنيوي . هذا ما تكشف عنه أعمال رايموندو ليداLida ، وآنخل روسنبلات Ronsenblat ، وماريّا روزا ليدا، وآنّا ماريّا باريتشيا ، وإنريكي أندرسون امبرت Imbert . ويمكن أن يلخص كتاب النقد الداخلي الذي نشره الكاتب الأخير (١٩٦١) ، الملامح الأساسية لهذا الاتجاه . لكن ربما كانت دراسة آمادو ألونسو ، حول (شعر وأسلوب بابلو نيرودا) (١٩٤٠) ، هي ما يظل أفضل تمثيل للمنهج ، وعلاوة على ذلك فإنها، بمعان كثيرة، تظل واحداً من أفضل كتب النقد في أمريكا اللاتينية . بعدها واصل نقاد آخرون هذا الخط نفسه ومن بينهم : ألبرتو اسكوفار Escovar ، واورلاندو أراوجو Araujo وخايمي الأزرقي Alazraki . كذلك فإن أحد أفضل ممثليه هو الكاتب البرازيلي أفرانيوكوتنهو Coutinho، مجدد النقد في بلده والقريب جداً من مفاهيم النقد الجديد new criticism .

لكن إذا كان النقد الأسلوبي قد كشف عن الطبيعة الشكلية وحتى البنيوية للعمل، الأدبي فقد بدا أنه قد صادف تحدّداً : إذ لم يكن يترجم بشكل كامل الطابع المفتوح للعمل، وتعددية لغته وطاقتها المتغيرة . وفي أعماق تحليله كان مازال يحترم لا مفهوماً معيناً للموضوعية فقط ، بل كذلك الثبات السيمانطيقي

للكلمة الشعرية. لهذا السبب، ودون رفض مساهمة النقد الأسلوبي، بل مع استيعابها، يظهر منظور أوسع يطمح إلى أن يُكامل في رؤيته عناصر من اللغويات، وكذلك من علوم الروح الأخرى (الأنثروبولوجيا ، والتحليل النفسي، وعلم الاجتماع، الخ) . على هذا النحو يزداد الميل إلى النظر إلى الظاهرة الجمالية باعتبارها كلاً ، لأن تلك الكلية معطاة في اللغة ذاتها ، في اللغة باعتبارها نسقاً من الترابطات . ويتخذ هذا التركيز النقدي الجديد صوراً متباينة، حتى في مستوياته الأرقى .

أما أوكتافيو باث وليثاما فيمارسان نوعاً من النقد يمكننا وصفه بأنه نقد التماثلات الكبرى . إذ تتم إضاءة العمل في نصه ذاته فقط ، بل كذلك في سياقٍ أوسع هو الحوار مع الأعمال الأخرى في وجود تقاليد حية . لهذا فإن العمل الأدبي هو حزمة حقيقية من العلاقات. وعمل الناقد هو كشف اسقاطات وارتباطات مساره . لم يعد الأمر يتعلق بإفراد لغة ، ومن وراء تلك اللغة «شخصية» المؤلف ، بل يبعث حضوراً أشمل لا يكف عن تجاوز نفسه وذلك من قلب العمل الأدبي . هذا المنظور هو ما سمح لاوكتافيو باث، على سبيل المثال ، في كتابه Cuadrivio الرباعية (١٩٦٥) ، بتجديد رؤية نقدنا التقليدي لروبين داريّو أو للوبث فيلاردي . ويفرض تحليله قراءةً جديدة لهذين الشاعرين وربما لكل الشعر الأمريكي اللاتيني. وبالفعل ، فإن داريّو ولوبث فيلاردي اللذين ينبعثان من كتاب باث هما شاعران متفردان تقريبا صانعان لتقاليد، لكنهما مغروسان في تقاليد أخرى أوسع تضيؤهما وتمنح أعمالهما رنيناً جديداً . داريّو في تقاليد رمزية كونية وسرية ، ولوبث فيلاردي في تقاليد شبقيةٍ بدأت مع الشعر البروفنسالي . لكن كل نقد باث ، وعلاوة على قيمته الجمالية الخالصة وكذلك نقد ليثاما ليما في كتابه Anacleta del reloj منتخبات الساعة (١٩٥٣) ، يتمتعان بميزة ضخمة هي معرفة كيفية وضع ما هو أمريكي لاتيني في إطار بعد عالمي. هذا دون اللجوء إلى الوسائل الحزينة للتأثيرات (هذا الجهد البوليسي المبتذل، الذي يتحدث عنه بورخس) . أو لما يسمى بنقد المصادر ، وهما الوسيلتان المعتادتان في نقدنا

التقليدي . هذا نقد لا يتأسس على مفاهيم خارجية، بل على الأساليب وأنساق التفكير. وبهذا المعنى يجب أن نضيف هنا الأعمال النقدية لثينتيو فيتييه Cinto Vitier وسيزار فرناندث مورينو . فالأول كتب كتاباً بعنوان :العنصر الكوبي في الشعر (١٩٥٨) ؛ وطابع فهمه واضح من العنوان: ليس جهد طرح شعر «كوبي» ، بل توضيح اسهام بلد في الإبداع العالمي. وهذه هي محاولة فرناندث مورينو نفسها في كتابه **الـواقع والأدوار** (١٩٦٧) ، حتى حين تميل رؤيـة الشعر الأرجنتيني في الكتاب إلى التشكل حول تصنيفات قومية معينة، لكن هذه بدورها ، تؤخـذ بالقدر نفسه في إطار منظور عالمي وجمالي . ويتخذ فرناندو اليجريا في مواجهة الأدب التشيـلي، وإنريكي بيـزوني Pizzoni في مواجهـة الأدب الأرجنتيني ، وويلسون ما رتينز في مواجهة الأدب البرازيلي منظوراً مماثلاً للعالمية. هكذا، فإن المهم في النقد الأمريكي اللاتيني الجديد هو عزمه على تجاوز النزعات المحليـة والتقييمات الضيـقة . ويتزايد الوعي تدريجياً بأن ما هو أمـريكي لاتيني يندرج ضمن نظام روحي أشد إتساعاً .

إنه كذلك نقد محايث للعمل الأدبي ، لكنـه يميل إلى أن يـوضح في النص دلالات أخـرى (تحليلية ـ نفسية ، وفلسفيـة ، الخ) . وهـذا ما حققـه امير رودريجث مونجالMonegal ، ورامون تشيراو xirau ، ورافـاييل جـوتييرث جيراردوت ، girardot ، ومارثيال تامايو Tamayo ، وأدولفو رويث - Ruiz dais، ونستور جارثيا كانكليني Canclini . وربما كان أولهم واحداً من أكـثر النقاد اكتمالا ونفاذاً في الأدب الأمريكي اللاتيني الراهن . وفي مقالاته حـول رواياتنا المعاصرة (والتي لم تجمع بعد في كتاب) ، عرف كيف يبرز مايميز هذا الفن الروائي ، وما يفصـله عن التقاليد الواقعية. لكن كتابه عن نيرودا (المسافر في مكانه ١٩٦٦) يكشـف في المقام الأول، عن جوانب امتياز منهجه النقدي. فهذا المنهج يطبّق مفاهيم السيكولوجية العميقة : تحليل النص باعتباره نتاجاً ذا رمزية وخيالية ، يخلقه العمل ذاته. وهذا يعني ليس البحث عن سيرة المؤلف خلف العمل، بل البحث (طبقاً لافكار ازرا باوند) عن الشخص الشعري . لكن ،

خلال هذه المحاولة ، لا يقرأ رودريجث مونيجال في النص فقط بل يقرأ كذلك في حياة المؤلف . من هنا فإن تفسيره لشعر نيرودا ـ وخصوصا تفسير إقامة على الأرض ـ شديد الاختلاف عن تفسير آمادو ألونسو. فبينما كان الأمر بالنسبة لهذا الأخير شعراً متقشفا ، فإنه بالنسبة لمونيجال شعر مفتوح، مغامرة وجودية . أما كسيراو ، وجوتييريث خيراردوت ، ومارثيال تامايو، ورويث ـ ديّاث هذان الأخيران على الأقل في الكتاب الذي اشتركا في كتابته ، وهو (بورخس : اللغز والحل، ١٩٥٥)،فيميلون إلى توضيح المضامين الفلسفية للعمل . لكن ما هو فلسفي عندهم يبدو وكأنه أفق : فالفراغ الحقيقي يشكل له الواقع الشكلي للعمل الأدبي . إنه ، نقد جمالي بصورة أساسية . وفي البرازيل، رغم عدم ممارسة النقد بوجه خاص ورغم أنهم يشكلون بالاحرى تأملا فلسفياً ونظرياً في الظاهرة الجمالية ، يبرز هناك كتاب من أمثال فيكسون تشاجاسChagas وفيلم فلوسر Vilem Flusser يبرزون بالضبط في البرازيل الذي هو واحد من أكثر بلدان أمريكا اللاتينية ثراءً في الفكر الجمالي خلال السنوات الأخيرة . وليس من قبيل المصادفة أن تكون إحدى أكثر حركاتنا الشعرية تجديداً ، وهي حركة الشعر المحسوس التي يتزعمها أوجستو دي كامبوس ، وديسيو بيجناتاري ، وهارولدودي كامبوس، أنتكون في الوقت نفسه نظرية « بالغة الدقة عن اللغة [٢٢] » .

وهناك اسهامات نقدية أخرى قد يكون من الصعب الآن تجديد اتجاهات محددة لها . وهذه الاسهامات هامة بقدر ما تظل تنتهج رؤية ملازمة للعمل الأدبي ويميل بعض النقاد بشكل واضح إلى السياق الاجتماعي مستفيدين كذلك من منظورات أخرى، مثل آنخل راما ، وإيمانويل كاراباليّو، Caraballo ولويس هارس Harss ، ونوح خيتريك Jitrikبينما يفضل آخرون ، قبل كل شيء ،

---

(٢٢) Cf. Augusto de Cawpos, D'écio Pignatari y Haroldo Campos, **Teorla da poesla cmcreta,** São Paulo, 1965. ادوكامبوس. د. بيغناتاري : نظرية الشعر المحسوس .

التحليل الجمالي: مثل ألفريدو ليفيفر Lefebver ، وثيدوميل جويك goic ، وخايكي كونتشا Concha ، وخوسيه ميجيل أوفييدو Oviedo ، وصائول يوركيفيتش Yurkievich ، ومانويل دورانDuran ، ولويس ليال Leal

أما بين الأكثر شباباً، فإذا كان ثمة اتجاه يتميز أبرز ما يكون فإنه اتجاه البنيوية . وسيفيزو ساردوي هو أول وأفضل ممثل لها . وكتابه الأخير كتابة على جسد (١٩٦٩) هو مثال يثير الإعجاب للوضوح وللقدرة على القراءة . لكن يجب كذلك الاشارة إلى خوليو أورتيجا (التأمل والعيد ١٩٦٨) والى خوسيه بالزا Palza . ونديِن لثلاثتهم ببعض من أكثر التحليلات نفاذاً حول فننا القصصي الجديد . وفضلاً عن ذلك، فإن بعض مقالات ساردوي، تميل الى طرح شكل جديد للكتابة النقدية: مركب من التحليل النصي والتأمل الهامشي الذي لا تتضمنه خطة الناقد : في ذاتها، بل كذلك استنتاجاته، ووقفاته، وانطلاقاته الذهنية في لحظة الكتابة نفسها . ومقابل الموقف السائد، في أفضل أدبنا، للكاتب الذي يبدع والذي ينظر إلى نفسه وهو يبدع (بورخس، باث، كورتاثار، وساردوي ذاته)، يأتي الآن موقف يناظره هو موقف الناقد الذي يحلل وينظر إلى نفسه وهو يحلل . وإذا كانت نظرة الأول تشدُّه آنياً إلى تيار الابداع وتجعله نقدياً فإن نظرة الثاني ـ التي هي مزدوجة وربما لهذا السبب نفسه ـ تشده إلى التحليل الخالص وتضعه في الإبداع ذاته : تجعل من علاقته مع العمل الأدبي تجربة حية وفريدة. ربما يكمن هنا مصير النقد والمقال في المستقبل: وليس تمييز قيم عمل من الأعمال الأدبية بإصدار أحكام، بل تجسيد هذه القيم في المستوى المزدوج للتحليل وللمشاركة. ففضلاً عن كتابة كورتاثار مقالات نقدية ممتازة في مرحلته الأولى ، يبدو هذا الكاتب الناضج وكأنه يعلن كذلك عن ذلك الشكل الجديد للكتابة النقدية . وأشير بذلك إلى الدوران حول اليوم في ثمانين عالما (١٩٦٧) . إن هذا الكتاب لا يحتوي فقط على ملاحظات حادة حول الأدب الأمريكي اللاتيني، وكذلك على نصوص نقدية حقه، مثل النص المكرس للثياما ليما، ولا يضم كذلك فقط ، كما في مقالات بورخس، مقدرة خاصة على

نزع قداسة الثقافة غارسا الدعابة والتهكم في كل ما يتناوله ولا يحقق فقط مزج وخلط أشد المستويات اختلافاً : الاعتراف والتحليل الخالص، لكنه، في المقام الأول، كتاب تتحول فيه اللغة ذاتها إلى نوع من النسق النقدي : اللغة بوصفها أكثر مغامرات الفكر جذرية . وفضلا عن ذلك، ربما كان أفضل ما فيه، باعتباره كتابا للسيرة الذاتية، هو رؤيته غير الشخصية وبسبب كونه على نحوٍ ما كتاباً للمقالات وللنقد، فإنه يسعى إلى طرح اشكالية كل علاقة مع الأدب ومع العلم - إلى تعلم دروس الهاوية - كما في نص جول فيرن الذي يورده. أليس ذلك، أيضا، في العمق، هو مسعى كل نقد جديد؟





الباب الرابع :

لغة الأدب



الفصل الأول

تجاوز اللغات الخاصة المحددة

هارولدو دي كامبوس*

Haroldo de Camos

١ ـ أزمة المعيارية

إن الميل نحو التحديد الأدبي الصارم للأنواع الأدبية، نحو التطوير الدقيق لمحكٍ للأنواع الأدبية، هو نتيجة طبيعية للمفهوم التقعيدي والمعياري للغة، المميز للكلاسيكية. ونحن مدينون للبنيوي التشيكوسلوفاكي جان موكاروفسكي Jan Mukařovsky بدراسة بالغة الدقة بشأن هذه المشكلة، تحمل عنوان جمالية اللغة La estéfica del leguaje. «إن فترةً يبلغ فيها الميل للتقعيد الجمالي للغة ذروته تسمى، عموماً، فترة كلاسيكية، وهذا الميل في ذاته يطلق عليه اسم الكلاسيكية... فالكلاسيكية، ذروة الكمال الجمالي للغة، تحاول الوصول إلى الالزامية الأشد صرامة وإلى أشمل عمومية للقاعدة». وعلى نهج «أطروحات عام ١٩٢٩» لحلقة براغ اللغوية، الذي كان موكاروفسكي، كما هو معروف أحد مؤسسيها، يفرق هو لغوياً بين أشكال وظيفية مختلفة، مثل اللغة الذهنية واللغة الوجدانية، واللغة القياسية (Standard) واللغة العامية، واللغة المكتوبة واللغة المتكلمة، إلى آخره. وكل واحدٍ من هذه الأشكال له قواعده. وتختلف القواعد الجمالية في كل «لهجة وظيفية». هكذا فإن القاعدة، بعبارات

(*) شاعر وكاتب برازيلي (ولد في سان بابلو ١٩٢٩). أهم أعماله: نظرية الشعر المحسوس: نصوص نقدية وبيانات (بالاشتراك مع أوغستودي كامبوس وديسيو بيفنتاري (سان باولو ١٩٦٥)، ما وراء اللغة: محاولة نظرية أدبية ونقد (بيتروبوليس ١٩٦٧)، الفن في أفق التجربة (سان باولو ١٩٦٩). أسس جماعة فويغاندر للشعر المحسوس، داتية الامتلاك (سان باولو ١٩٥٠) عبودية المقطع (سان باولو ١٩٦٢) [المراجع].

المنظر التشيكي ، (وننبه إلى أنه يقوم بمجرد وصف وليس بتقدير تقيمي للظاهرة) ، تتولى دور راعية حقيقية «لنقاء» شكل محدّد من اللغة أو للغة عموماً . فالكلاسيكية ، تبعاً لتعريفها ، تميل إلى التحديد المضبوط لمختلف اللهجات الوظيفية . ويشير موكاروفسكي إلى رأي بوفون Buffon في (مقال في الأسلوب Discours sur le style) ، والذي تبعاً له يكون «الذين يكتبون مثلما يتكلمون يكتبون على نحو فقير، حتى لو كانوا يتكلمون جيدا » . إذن، فالنظرية المعيارية للأنواع الأدبية ليست سوى إسقاط هذا الموقف على الأدب ، حيث إن « كل نوع أدبي يمثل كذلك فرعاً وظيفيا معنياً للغة » .

لكن حقيقتنا تشهد الوجه الآخر للعملة ، على وجه الدقة ، مع التحلل الذي يسبب الدوار لقانون الأنواع الأدبية ولتقسيمها إلى أقسام لغوية . بهذا المعنى ، مثلت الرومانسية ثورة ضد الطابع التحريمي السائد للقواعد الجمالية الكلاسيكية وتبدت بالدرجة الاولى ـ وفق ما يقول موكاروفسكي ، الذي يركز خصوصاً على المثال الفرنسي ـ في مجال الالفاظ ، حيث كان يسري التمييز بين كلمات نبيلة («nobles ») وأخرى وضيعة («bas »)، حيث كانت تلك الأخيرة تستبعد من اللغة القياسية .

وبتجاوز النماذج اللا ـ زمنية الجامدة ، بنزعاتها المطلقة والمحدّدة ـ سلفاً ، تنتقل نظرية الأنواع الأدبية في نظرية الشعر الحديثة ، على هذا النحو ، لتشكل أداةً عملية وصفية تتمتع بنسبة تاريخية ، وليس هدفها فرض حدود على المظاهر الحرة للانتاج النصّي في تجديداته وتنويعاته المكوِّنة ، وحيثما تتحلل فكرة النوع الأدبي كمقولة قسرية فإن مفهوم اللغة التي تكون قاصرة عليه ، والتي تمثل خاصية مميزة له ، يكتسب بدوره طابعاً نسبياً .

لكن التأملات النظرية التي يمكننا اليوم إجراؤها بصدد نظرية الأنواع الأدبية ، مزودين بمنظورات جديدة ، لا تمثل سوى الجانب الميتا ـ لغوي* لثورة أصبحت

(*) ميتا ـ لغة : meta - lenguaje أو iMeta - langagel : اللغة الشارحة ـ [المترجم] أو ما وراء اللغة [المراجع] .

معروفة في مجال اللغة الأدبية في « ممارستها » إذا شئت . وقد تحدثنا عن التساؤل الرومانسي إزاء المحظورات التحريمية للكلاسيكية . إلاّ أننا، وأبصارنا موجهة صوب الحداثة، يمكننا أن نميز، في إطار الرومانسية ذاتها، بين أولئك الرومانسيين الذين سنسميهم «خارجيين» (لامارتين Lamartine ، وفيني Vigny ، وموسيه Musset ، وهوجو Higo ، على سبيل المثال) وبين «الداخليين» (وهم الخط الذي يمضي من نوفاليس Novalis إلى بو Poe ، والذي ينتج في فرنسا نرفال Nerval ويصل، عبر بودلير Baudelaire ، إلى الرمزية وإلى الشعر الحديث) . وهؤلاء الاخرون ، وهم أكثر بكثير من الأولين، جعلوا من جماليات شعرهم جماليات انقطاع وأفلحوا في حمل خلافهم مع قانون إمكانات البلاغة الكلاسيكية إلى مادية لغتهم ذاتها .

وكما لاحظ الناقد الأمريكي الشمالي ادموند ويلسون Edmund Wilson في دراسته عن الرمزية، فإن الشعر الحديث ينتهي به الأمر إلى أن يصبح، إلى حدٍ كبير، محصلةً للاسهام الاستشراقي لـ «بعض الرومانسيين الذين، حملوا الرومانسية، على نحوٍ معين، إلى مدىً أبعد بكثير مما لم يفعله أبداً شاتوبريان Chateaubriand أو موسيه، ولاحتى وردزورث Wordsworth وبايرون Byron ، وتحولوا إلى الأسلاف الأوائل للرمزية، ووُضِعوا بين قديسيها بعد ذلك » . كذلك كان من الضروري أن يتم، تدخل نقدي يقوم بإعادة التقييم والتصحيح حتى يبلغ بعض من أهم هؤلاء الرومانسيين الذين نسميهم «الداخليين» (نوفاليس، وهولدرلين Hölderlin ، ونرفال ، وبونفسه) درجة احتلال المكان الذي يتمتعون به في التاريخ الأدبي في أيامنا .

٢ ـ «وسائل الاتصال» Mass - Media : تأثيرها

كانت إحدى النقاط الحاسمة في عملية تحلل نقاء الأنواع الأدبية وتحلل حصريتها اللغوية هي إدخال عناصر من اللغة النثرية والعامية في الشعر، لا في مجال الالفاظ فقط وهو المجال الذي شدّد عليه موكاروفسكي، بل كذلك فيما

يختص بطرق بناء الجملة . وبفضل ذلك، وبدءاً من الافتراضات التي يمكن تبينها ، على سبيل المثال، لدى أمثال هاينه Heine ، وجوتييه Gautier ، يتطور الخط «العامي - التهكمي » للرمزية (هكذا يطلق عليه إدموندويلسون) ، لدى أمثال كوربيير Corbiére ولافورج Laforgue ، ليحمل إلينا في الوقت الحاضر «الملحمة - العامية logopeya» لدى أمثال إليوت أوباوند .

من الناحية اللغوية، ربما أمكن النظر الى هذه المشكلة باعتبارها صراعاً في نطاق ما سماه لغويّو براغ ، في « أطروحات عام ١٩٢٩» ، باسم «طرائق الظواهر اللغوية»، بمعنى « الظاهرة الشفوية » و« الظاهرة المكتوبة » ، وفي المحل الثاني « اللغة التبادلية ذات الانقطاعات » و« اللغة المونولوجية المستقلة » . وتحدّد الارتباط وتوسطه بين تلك الطرائق وبين وظائف اللغة، بمعنى اللهجات الوظيفية المختلفة، هي المشكلة التي يطرحها ، في هذه الخطوة، الموقعون على «الاطروحات» . وبتركيز الاهتمام نوعياً على « اللغة الأدبية » ، يلاحظ لغويو حلقة براغ أن ملامحها المميزة تتمثل بالدرجة الأولى من اللغة المتصلة وخصوصا في صورها المكتوبة. واللغة الأدبية المتكلمة أقل بعداً عن اللغة الشعبية رغم حفاظها على حدود واضحة بالنسبة لهذه الأخيرة . أما اللغة المتصلة (في الخطب العامة والمؤتمرات الخ) فتظل أكثر بعداً . وأكثر ما يقترب من اللغة الشعبية هي اللغة التبادلية والمتقطعة (الحوار) التي تشكل، في طرح أعضاء حلقة براغ، سلسلة من أشكال التحول بين الأشكال المعيارية للغة الأدبية وبين اللغة الشعبية .

وعند تناول مشكلة العلاقة بين «الأنواع الأدبية البدائية » (أنواع الأدب الشعبي أو الشفاهي) وبين الأنواع الأدبية «للأدب المتطور »، يشير ويلليك ووارين Wellek & Warren (النظرية الأدبية) إلى رأي الشكلي الروسي ف. شكلوفسكي V. Schklovsky ، الذي يعتبر الأشكال الجديدة للفن مجرد تقنين لأنواع أدبية أدنى (أدبية - هابطة) وبين فيكتور إرليشVictor Erlich، في عمله الأساسي الشكلية الروسية Russian formalism ، كيف أولى ممثلو هذه المدرسة النقدية المجددة اهتماماً خاصاً للأنواع الأدبية الهجينة » من سير ذاتية،

ورسائل ، وتحقيقات صحفية ، وقصص مسلسلة، ولنتاجات الثقافة الشعبية التي تحيا حياة عارضة على هامش الأدب، للصحافة ، للمسرحيات الهزلية الخفيفة والفودفيل Voudeville ، وللأغنية الغجرية وللقصة البوليسية، كي يشرحوا من خلالها تجديدات مؤلفين من أمثال بوشكين Pushkin ، ونكراسوف Nekrasov ، ودوستويفسكي Dostoyevski ، وبلوك Blok .

إن «تهجينية الأنواع الأدبية» ، في سياق الثورة الصناعية التي بدأت في إنجلترا خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، والتي بلغت ذروتها ، مع ميلاد الصناعة الضخمة، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، أخذت تختلط بتهجينية وسائل الإعلام وتتغذى عليها . ويتولى ظهور الصحافة الضخمة دوراً أساسياً في اتجاهات الأدب. فاللغة المتقطعة والتبادلية ، المميزة للحوار، وجدت في آنية الصحافة وتجزيئيتها مسارها الطبيعي . ولم تغب أهمية الصحيفة اليومية عن هيجل، ولا عن ماركس. فقد أشار الأول إلى أن قراءة الصحيفة اليومية أصبحت ، بالنسبة لعصرنا، نوعاً من التلاوة الفلسفية الصباحية؛ أما الثاني، فعند تأمله عن حق حول استحالة النوع الملحمي في عصرنا ، كما فهمه الكلاسيكيون ، يستخدم جناسا جميلا للتعبير عن أنه، أمام الصحافة ، فإن الحديث والحكاية، القصة والقصيدة (das Singen und Sagen)، تكف ربة الالهام الاغريقية في النهاية، عن أن تصبح مسموعة . أما مالارميه، الذي كان يرى في الصحافة «القصيدة الشعبية الحديثة »، أو شكلاً أولياً من كتاب أحلامه الموسوعي والنهائي ، فقد استلهم تكنيكات المسافات البصرية والعناوين في الصحافة اليومية ، وكذلك المقطوعات الموسيقية ، من أجل بناء قصيدته المرصعة ضربة حظ Un coup de dés (١٨٩٧). فهذه القصيدة التي لا تتجاوز الصفحات العشر إلاّ قليلاً يمكن اعتبارها ، بحق ، نوعاً من الملحمة للعصور الجديدة، ملحمة مركبة وكثيفة للروح النقدي في صراعه ضد المصادفة، وفي تأمله حول إمكانية الشعر نفسها الذي كان هيجل قد تنبأ بموته أو بأزمته .

وقد حاول مارشال ماكلوهان Marshall McLuhan أن يفسّر بطريقة بالغة

الايحاء مشكلة وسائل الاتصال* . وبالنسبة للمنظر الكندي ـ الذي يعتبره الكثيرون وحده «النبي » المثير للجدل للعصر الالكتروني ، متجاهلين أنه بحاثة Scholar عميق التبحر في أعمال جويس وباوند، وفي أعمال بو ومالارميه ـ فإن الصحافة الضخمة، خصوصاً منذ اختراع البرق وتأثيره ، وتحت شكل كاليدوسكوب** الانباء ، وفي أسلوب وإخراج الصحف، تقترب من الثقافة الشفاهية، التي هي غير خطية ، ولكنها ذات حس متزامن ، وملموسة وآنية، وتنتمي إلى الجماعة. والتناقض الظاهري يفسر بظاهرة التهجين ، أوالامتزاج. هكذا فإن المبدأ الابجدي لجوتنبرج ، بوحدة زاوية الرؤية وبسلسلته الخطية ، يتجاوز نفسه على وجه الدقة ، حين يلتقي معه الوسيط **medium** التلغرافي، في الصحيفة اليومية، ومن الإثنين يولد شكل هجين . « إن ما هو هجين أو التقاء لوسيطين هو لحظة حقيقة وكشف ، يولد منها الشكل الجديد . . . إن لحظة التقاء وسيطين هي لحظة التحرير والانقاذ من البلادة التي اعتاد طرحها على حواسنا. ـ إن ماكلوهان ـ يؤكد على أن مبدأ «التهجين» هو تكنيك للاكتشاف والإبداع ، يبرز تأثير الصحافة الشعبية على مالارميه وجويس. ومن يقارن الصحيفة الحديثة بالقصيدة السوريالية يرى في ادجار آلان بو الرائد العظيم لهذا المجال . وقد كتب يقول: « إن الصورة الكاليدوسكوبية للتلفاز قد بشرت بها الصحافة الشعبية التي تطورت مع التلغراف . وقد بدأ الاستخدام التجاري للتلغراف عام ١٨٤٤ في أمريكا الشمالية، وقبل ذلك بقليل في انجلترا . . وكثيراً ما تستبق الوضعية الفنية العلم والتكنولوجيا لجيل أو أكثر . ولم تغب دلالة الكاليدوسكوب التلغرافي في مظاهره الصحفية عن إدجار آلان بو . وقد عرف كيف يستخدمه في إبداعين بارزين: هما القصيدة الرمزية والقصة البوليسية (detective story). وهذان

---

* medium وجمعها media تعني الوسيط وكذلك وسيلة الاعلام ويترجمونها بوسائل الاتصال .[المترجم] .

** الكاليدوسكوب Caleidoscopio أو Kaleidoscope بالانجليزية، هو جهاز يحتوي على جزيئات عاكسة للضوء ينظر فيه المرء فيرى أشكالاً متغيرة باستمرار نتيجة تحلل الضوء على الجزيئات المتحركة [المترجم] .

الشكلان يتطلبان من القارىء مشاركة على طريقة « إصنعه بنفسك » - de - it) yourself).وقد كان بو بتقديمه صورة أو عمليـة غير مكتملة، يـورط قراءه في العملية الإبداعية بطريقة أعجب بها وحاول اتباعها بودلير، وفاليري ، وت. س. إليوت ، وكثيرون غيرهم » .

٣ ـ عملية تحطيم الأنواع الأدبية

(أ) أحــد الــرواد

كانت هذه المقدمة مستفيضة بعض الشيء، لكنها ضرورية. فلم تبعدنا عن هدفنا المحدد، بل بالعكس فإنها ستتيح لنا أن نغوص في أعماقه مزودين بفيض من الأفكار تيسّر لنا قراءة دالة للمجال الأدبي البرازيلي وبالتالي للمجال الأدبي الأمريكي اللاتيني ، الذي علينا أن نحلله .

ماذا سيكون وضع الأدب الأمريكي اللاتيني في إطار مشكلة تجاوز معيار أو قانون Canon الأنواع الأدبية ولغتها الخاصة ؟

نعرف أن رومانتيكيتنا الشعرية ـ التي هي، كما عرضنا حتى الآن ، اللحظة المحورية لدراسة الجوانب الحديثة للمشكلة ـ رومانتيكية متأخرة ومُقلِّدة، تابعة تماماً للنماذج الأوروبية، لا للنماذج «الباطنة» ، حتى لو كانت منسية في مواطنها الأصلية*، بل للبارادجمات « الخارجية » بشكل أساسي (خطابية فيكتور هيجو ، والحميمية المتهدجة لموسيه، والدينية الدامعة للامارتين) . وإذا كان فاليري بالغ التشـدد تجاه الأسـاتذة الفـرنسيين لـرومانتيكيينـا (« إن العمل الـرومانتيكي ، عموما ، يتيح بصورة بالغة السوء قراءة بطيئة ومشبعة بالمقاومة من جانب قارىء صعب المـراس ومرهف الـذوق») ، فكيف يمكننا نحن ، دون تحـامـل عـلى الموضوعية النقدية، أن نكون أكثر أريحية وتعاطفاً مع كتابنا؟ إلّا إذا كنا نريد أن تكون لأحكامنا مجرد قيمة محلية ولا نتطلع إلى الحكم الأكثر صـرامة «لـلأدب

---

* (l'oeuvre romantique,en **général,** supprte assez mal une lecture ralentie et hérissée des résistances d'ub lecteur difficile et raffibé') .

العالمي» ، حيث لن تكون لها قيمة لأنها تشير إلى معايير مصطنعة ، إنها ستكون أحكاماً عارضة، ثمرة وعي متهاون، وسوف تنتهي بأن تحيل أدابنا إلى مجرد وضع «محميات »، إلى آداب «ثانوية »، خاضعة لنظام دائم من الوصاية الجمالية. فالناقد الأمريكي اللاتيني، خصوصا في اللحظة الراهنة لصعود آدابنا في الساحة العالمية، لايمكن أن يكيل بكيلين: أحدهما من أجل دراسة التراث الأوروبي، والآخر من أجل التصدي للشرط النوعي لأدبه . بل يجب عليه أن يتصدى لكليهما بالوعي نفسه وبالحماسة ذاتها، ومن هذا الموقف الجذري بصورة نموذجية فقط يمكن أن تنشأ إعادة تقييم تأريخنا الأدبي الذي لم يفلت رغم حداثته النسبية من كليشيهات الحساسية، ومن التكرار المتصل والرتيب لأحكام مسبقة لا تصمد أمام التحليل المتمكن. إننا في حقبة ضغط المعلومات والاتصال السريع، حين يحقق الواقع اليومي نبوءة ماركس وإنجلز : « إن الأعمال الفكرية لأمة ما تصبح ملكية مشتركة لكل الأمم الأخرى. والتضييق والحصرية القوميان يصبحان يوماً بعد يوم أشد تعذّراً، ومن تنوع الآداب القومية والمحلية يولد أدب عالمي » .

ومن جهة أخرى لا نعتقد بوجود علاقة ارتباط تماثلي بين التطور الفني والتقدم التكنولوجي. ويؤكد رومان جاكوبسون Roman Jakobson أنه : « لا شيء أشد خطأً من المقولة واسعة الانتشار القائلة بأن العلاقة بين الشعر الحديث وشعر العصور الوسطى هي نفس العلاقة القائمة بين المدفع الرشاش والقوس » . وفي رسالة إلى كونراد شميت عام ١٨٩٠ يؤكد إنجلز أن الفلسفة تنتمي إلى مجال محدد من تقسيم العمل يفترض توثيقاً فكرياً ينتقل من الأسلاف ويقوم بدور نقطة انطلاق ، مما يوضح أن باستطاعة البلدان المتخلفة اقتصادياً أن تقدم اسهاماً أصيلاً في هذا المجال. ويبدو لنا أن من الممكن، بالمثل، أن نقول الشيء نفسه عن الأدب .

هكذا لن يكون من قبيل التناقض مع ما سبق قوله بصدد رومانتيكيتنا أن نكتشف بالتحديد في أحد شعراء جيلنا الرومانتيكي الثاني (ولد عام ١٨٣٢) سلفاً للاتجاهات الطليعية في الشعر العالمي. وفي إطار الدقة البرنامجية نفسها التي

تجعلنا نرفض التقسيم الذي يطرحه التأريخ البرازيلي المعاصر للرومانتيكيين إلى رومانتيكيين «عظام » ورومانتيكيين «ثانويين »، فإن المنظور الجديد الذي يتيحه لنا الشعر والنقد الحديث يسمح لنا، في المقابل، بالاعتراف بعبقرية شاعر وضعه معاصروه على الهامش لأن لغته على وجه الدقة كانت تتجاوز فهم زمنه . نعني جـواكـين دي سـوسـا أنـدرادي Joaquin de Sousa Andrade ، أو سوساندرادي Sousándrade كما كان يحلو للشاعر أن ينادي بتوحيد اسمي العائلة وتشديدهما في المقطع الذي يربط بينهما حتى يكتسب الاسم على هذا النحو رنينـاً إغـريقيـاً ولـه عـدد الحـروف نفسهـا التي تكـون اسم شيكسبـير Shakespeare .

أما في الأدب المكتوب بالاسبانية، في أعقاب غضبة « القرن الـذهبي » ، فسيكون علينا أن ننتظر حتى حركة الحداثة في أواخر القرن الماضي (١٨٨٠ - ١٩١٠) لنصادف لحظة جديدة من التدفق الإبداعي، إذ لا يـوجد شيء في الوقت المنصرم بينهما باستثناء «بقع خجولة من الألق » (بيكـير Bécquer ، وروساليا دي كـاسترو Rosalia de Castro)، يمكن أن تقـارن بكولـريدج Coleridge ، وليوباردي Leopardi ، أو هـولدرلـين Holderlin ، لكنها لا تشبه بودلير في شيء . هذا هو رأي الشاعر المكسيكي أوكتافيو باث، وهو واحد من أكثر النقاد الأمريكيين اللاتين نفاذاً ومعاصرة ، في دراسته عن روبين داريّو. والمعنى نفسه عبر عنه هيدوبرو، بطريقة خلافية: « منذ القـرن الذهبي نجـد الآداب الاسبانية صحراء حتى روبين داريّو » .

إن سوساندرادي معاصر لبودلير . وكتابه الأول قيثارات وحشية Harpas salvajes ، حيث نجد بالفعل اكتشافات شعرية جديرة بفرناندو بيسان Fer-nando Pessoa ، صدر عام ١٨٥٧ ، عام صدر أزهار الشر Les fleurs du mal . وفي هذا الكتاب ثمة طراز من الشعر التأملي - الوجودي يقارن بتعبير نوفاليس وهوالدرلين، وله كذلك وشائج بقصائد ليوباردي: (إيديلي Idilli) لكن العمل الفاصل لسوسـاندرادي هـو قصيدة الجيسـا Guesaالتي نشرت أناشيدها الأولى عام ١٨٦٧ ، والتي تضم طبعتها الأخيرة، الناقصة بـدورها،

ثلاثة عشر نشيداً (لنـدن عام ١٨٨٨) . إنها قصيـدة ذات موضـوع أمريكي شامل ، مستلهمة من إحدى ملاحم هنود المويسكا muyscas بكولومبيا، التي جمعها همبولت Humboldt (في كتـاب : منظر جبـال الكورديـرا Vue des Cordilléres عام ١٨١٠) .

كان الجيسا طفلا سُرِق من أبويه وكُرِسَّ ليحقق المصير الصوفي لبوتشيتشا ، إله الشمس . وبعد أن رُبّيَ في معبد الإله حتى سن العاشرة ، كان عليه حينئذ أن يكرر رحلات الحجيج الطقسية ليقدم ، في النهـاية ، كـأضحية لـلإله في سن الخامسة عشرة . في ميدان دائري يربط الجيسا إلى عمود ،ويموت بسهام الكهنة (التشيك Xeques)* ينتزع قلبه كتقدمة للشمس ويجمع الدم في آنية مقدسة . يوحّد سوساندرادي بين مصيره الشخصي كشاعر وبين قدر الجيسا الجديد ، لكن فيما وراء هذه الدراما الفردية لـ شاعر ملعون Poéte Maudit ، والتي يفسرها داء القرن mal du siécle، ثمة حافز تاريخي ـ اجتماعي قوي : فالشاعر يجسّد مصيره في مصير الهندي الأمريكي المستغل من قبل الغازي الابيض . انه ، من جهة ، يدين أشكال القمع والفساد لدى ذوى السلطة محاربا الاستعمار وساخراً من الطبقات الحاكمة (النبلاء والكهنة) ، ومن جهة اخرى يدافع عن النموذج الجمهـوري الاغريقي ـ الانكـاوي ** المستمد من الجمهـوريـة الاجتمـاعيـة الطوباوية لافلاطون ومن النظام المشاعي لدى هنود الإنكا ، وربما من تفسيرٍ حرّ لجذور المسيحية . يجوب الشاعر الامريكيتين وتأخذ القصيدة في التشكل دون خيط منطقي بالمعنى الدقيق ، بسلاسة السيرة الذاتية لشخص يعيد تشييد ذكرياته عن أزمان وأماكن مختلفة ويزاوج بينها وبين طعم الذكرى . ولحـظة الذروة في القصيدة هي مقطع « جحيم وول ستريت » الذي يجرى في بورصة نيويورك ، في عقد السبعينات من القرن التاسع عشر (كان سوساندرادي يعيش ، في تلك الفترة ، في الولايات المتحدة الأمريكية . يتأثر الشاعر بتناقضات الجمهورية التي

(*) هي كلمة الشيوخ ذاتها . وكانت مستعملة لدى هنود ما قبل كولومبوس، والحرف الأول منها يلفظ بين الشين والزاي .[المترجم]

** نسبة الى هنود الانكا، الذين كانت لهم مملكتهم وحضارتهم في البيرو . ـ (المترجم)

سيكتشفها في نموذجية (بارادجما) الحقبة نفسها ، الجمهورية الأمريكية الشمالية (شعب الطليعة الفتى) ، التي أصبحت ثورتها ضد المتروبول نبعا للإلهام أمام شعوب القارة المستعمرة . وكانت تتسلط على سوساندرادي مثل عزرا باوند من بعده ، فكرة « جحيم مالي »، فكشف لمحة من شرور الرأسمالية الوليدة في مركز عملياتها نفسه أي وول ستريت ، وانتقدها بشراسة . ونظرا لذلك ، وتحت ضغط المضامين الجديدة ، لجأ إلى حلول شكلية جديدة . فقبل مالارميه ، الذي ترجع قصيدته ضربة حظ Un coup de dés إلى عام ١٨٩٧ ، وبجذرية أكثر من إدغار بو ، الذي لا يزال شعره تقليداً ، من نواح كثيرة ، استلهم هو التكوين التلغرافي للصحف . ومقطع « الجحيم » هو في حد ذاته نوع من المسرح التركيبي ، المصنوع من خلال عملية مونتاج للأحداث ، بأخبار مستمدة من صحف الفترة ، وشذرات تاريخية وأسطورية ، وأقوال ، وتعليقات لاذعة ، كل ذلك في حواريات مكثفة ، في أسلوب متقطع ، محمّل بالكلمات والجمل متعددة اللغات . والشاعر صريح تماماً بشأن تكنيك التكوين لديه . ففي عام ١٨٧٧ ، وتعليقا على نشيد الجيسا حيث نجد هذا المقطع ، يلاحظ : «في النشيد الثامن الآن ، احتفظ المؤلف بأسماء الأعلام المستقاة في أغلبها من صحف نيويورك وتحت تأثير الانطباع الذي تركته لديه » . لكن لنر أول المقاطع المائة وستة وسبعين التي تكون « جحيم وول ستريت » :

(الجيسا يعتقد ، بعد أن عبر جزر الأنتيل ، أنه أفلت
من التشيك ويلج بورصة نيويورك للأوراق المالية ؛
صوت الصحراوات :)
ـ أورفيوس ، دانتي ، إينياس ، هبطوا
إلى الجحيم ، وعلى الإنكا أن يصعد . . .
Ogni - Sp' aranza lasciate Che entrate...
ـ سويدنبورج ، هل هناك عالم قادم ؟

---

* الكلمات المكتوبة على مدخل جحيم دانتي : أيها الداخلون الى هذا المكان ، إطرحوا عنكم كل أمل . . . (المترجم)

إن الشـاعـر ، في « شخص » الجيسـا (الإنكـا) الهـارب من التشيـك (الكهنة) ، يلج جحيم وول ستريت ، لكن لأنه قادم من أمـريكا الجنـوبية جغرافياً فإنه يصعد إلى مواضع الجحيم بدلاً من أن يهبط إلى العالم السفلى ، كما فعل أورفيوس ، ودانتي ، وإينياس . ويكرر صـوت ثانٍ ، (يتحـدد بشرطـة مزدوجة) ، يكرر التحذير الدانتي ، المكتوب على مدخل الجحيم ، لكنه يفعل بصورة غير كاملة ، مجتزأة ، معدلة لتناسب المقطع . فيجيب الصـوت الأول (صوت صارخ في البرّية) مناديا سويدنبورج (وهو فيلسوف لاهوتي وصـوفي سويدي ، ١٦٨٨ - ١٧٧٢) ، سائلا عن إمكانية عالم أكثر عدلا .

في أعمال سوساندرادي ، ذلك البطريرك الأمريكي اللاتيني المنعزل لشعر الطليعة ، يتبلور بصورة واضحة تحلل الأنواع الأدبية . فالجيسا لديه يستعصى على التصنيفات المألوفة . وقد وجد الشاعر نفسه أن قصيدته لم تكن درامية ، ولا غنـائية ، ولا ملحميـة ، بل إنها تقتـرب بالأحـرى من الفن القصصي . إنها « قصيدة - رواية » ، كما سماها واحد من معاصريه ، هو جواكين سرّا Joa-quin Serra . وإذا كـانت القصيدة ملحميـة ، فلن تكون كـذلـك بـالمعنى التقليدي لهذا النوع الأدبي ، بل بمعنى أنها « تتضمن التاريخ » ، كما أراد باوند . الأمر هنا ، مثلما في حالة (أناشيد Cantos) الشاعر الأمريكي الشمالي ، هو أمر ملحمة غير ذات حبكة Plotless epic ، ملحمة للذاكرة ، تضم عناصر قصصية (على طريقة بايرون) ، وغنائية ، ودرامية في تصميم واحد . بسبب موضوعها ذي المدى القارى لاحظ الناقد سيلفيو روميرو Silvio Romero إنه « من بين شعرائنا. فإنه، على ما أعتقد ، الوحيد الذي يشغل نفسـه بموضـوع مستمد من الجمهوريات الاسبانية » ، وبسبب باروكية لغتها ، وبسبب طابعها كخلاصة غنائية - ايديولوجية - من السيرة الذاتية ، وبسبب مقاطعها في وصف المشاهد واهتماماتها الاسطورية والتاريخية ، فإن قصيـدة سوسـاندرادي تستبق محاولة أخرى حديثة لتجديد الملحمة (أو القصيدة الطويلة) ، ألا وهي النشيد الشامل Canto genevral (١٩٥٠) ، لبابلو نيرودا .

ب)الحداثة والطليعة في أمريكا اللاتينية

في هسبانو ـ أمريكا نجد أن لحظة ذلك الانقطاع في فكرة الأنواع الأدبية وفي حصريتها اللغوية ـ بالدرجة الأولى فيما يتعلق بالتقسيمتين النوعيتين الكبيرتين الشعر والنثر ـ تتحدد بـ «حداثة» روبين داريّو ورفاقه . وقد لخص أوكتافيو باث جيدا الخصائص المجدِّدة لهذه « الحداثة » باللغة الإسبانية (والتي تقابل ، زمنيا ، البارناسية والرمزية البرازيليتين ، رغم أن ذلك ليس على الدوام بطريقة متماثلة جماليا) : « بوصفها إصلاحا لفظيا . كانت الحداثة تركيبا للجملة ، عروضا ، قاموسا . وقد أثرى شعراؤها اللغة باستعارات من الفرنسية والانجليزية ، وأفرطوا في استخدام التعبيرات المهجورة والتعبيرات المستحدثة ، وكانوا أول من استخدم لغة الحديث . ومن ناحية أخرى غالبا ما يجرى نسيان أنه يظهر في قصائد الحداثة عدد كبير من التعبيرات الأمريكية ومن التعبيرات الهندية . لم تستبعد نزعتهم العالمية لا انجازات الرواية الطبيعية الفرنسية ولا الأشكال اللغوية الأمريكية . وقد شاخ جزء من قاموس الحداثة مثلما شاخت أثاثات وأشياء الفن الجديد art nouveau : أما الباقي فقد دخل في تيار الكلام . لم يهاجموا الجملة القشتالي ، بل بالأحرى أعادوا إليه طبيعيته وتجنبوا التقديم والتأخير تشبها باللاتينية والتوكيد . كانوا مبالغين ، لا متباهين ، وكانوا خشنين في أحيان كثيرة ، لكنهم لم يكونوا متصلبين أبدا . ورغم بجعهم وجندولاتهم أضفوا على النُّظم الاسباني مرونة وألفة لم تكونا سوقيتين أبدا ، بل إنهما ستظهران فيما بعد بصورة تثير الاعجاب في اتجاهي الشعر المعاصر : ألا وهما حب الصورة الفريدة والنثرية الشعرية » .

المرحلة الثانية والأكثر تحدداً من هذه العملية تتمثل في « الطليعة » ، في « الإبداعية ـ الحدِّية » التي حفزها في اسبانيا وفي أمريكا الهسبانية بالدرجة الأولى نشاط الشاعر التشيلي فيثنتي هويدوبرو ، الذي نشر بالفرنسية عام ١٩١٧ كتاب الأفق المرّبع Horizom carré ونشر في العام التالي في مدريد كتابا استوائيا وقصائد قطبية Ecutorialy Poemas árticos ، بالاسبانية ، بالاضافة إلى

كتابين آخرين بالفرنسية ، هما هالالي Hallali وبرج إيفل Tour Eiffel(والاخير وضع رسومه ديلوني Delounoy) . ويبدو الدور الذي لعبه هويدوبرو في الشعر باللغة الاسبانية في هذا القرن مماثلا للدور الذي لعبه روبين داريو خلال نهاية القرن التاسع عشر : «لأن روبين داريّو إذا كان قد جاء لينهي الرومانتيكية ، فإن هويدوبرو قد جاء ليكتشف كهولة القرن العشرين ونماذجه النمطية التي يبرع في تقليدها اليوم ، للأسف ، الشباب الذين يشبهون تلامذة الرسم الذين يتدربون بنسخ أيدي وأقدام التماثيل الكلاسيكية (كاسينوس ـ أسينس ، ١٩١٩) . ان هويدوبرو يضم الى قصائدة الفراغ الأبيض للصفحة المالارمية ، والحيل الطباعية للمستقبلية الايطالية ، ويتلاعب بحرية بعناصر الواقع في تركيب مفتت ،مليىء بصور « متعددة البتلات » ، والخلطات لا تنقصها الإيحاءات لما هو يومي وللعالم الميكانيكي ، وكذلك لا تنقصها الرطانة التكنيكية ـ العلمية التي يستخدمها الشاعر في محاولته «أنسنة الأشياء » (إن شيئا هائلا، شاسعا مثل الأفق ، يتأنسن ، يصبح حميا ، وبنويا ، بفضل الصفة مُربِّع) .

إن أهمية هويدوبرو باعتباره شاعراً ومنظّراً للشعر أساسية لمن يريد أن يدرس مشكلة تجديد الوسائل الشعرية في أمريكا الهسبانية . وتأمل مثاله سوف ينقذ جزءا كبيرا من الانتاج الراهن لهذا الشعر من الالزام البلاغي ، والتدفق الجياش غير المنظم ، ومن الاستعارات التوليدية التي ينتهي بها الأمر لأن تصبح هي الميراث المتأخر للسوريالية Surréalisme الفرنسية (ولكل « سوريالية » مماثلة) . وفي المقابل سنكتسب وعيا أكثر بمشكلات بناء القصيدة باعتبارها موضوعا للعلامات ، بوصفها كيانا سيميولوجيا : « سأقول لكم كيف أفهم القصيدة المُبْدَعة . إنها قصيدة يعرض فيها كل جزء مكون ، والمجموع كله ، حقيقة جديدة مستقلة عن العالم الخارجي ، منفصلة عن أي واقع آخر غير واقعها ، ومن ثم فإنها تأخذ مكانها في العالم باعتبارها ظاهرة فريدة منفصلة ومتميزة عن غيرها من الظواهر (هويدوبرو) .

جـ) الحداثة في البرازيل

يبدو أن حركـة « الحداثـة » البرازيلية ـ وهي المرحلة الأدبيـة التي تناظر « الإبداعية ـ الحدّية » ـ كـانت تفتقر إلى الجمـاليات الـراديكاليـة « للطليعة » الهسبانو ـ أمريكية وليس فيها أي شخصية تقـارن بهويـدوبرو . هكـذا يقول أوكتافيو باث في مقال منشور في الملحق الأدبي لصحيفة التايمز Times اللندنية (في ١٤ نوفمبر ١٩٦٨) . وسنبيح لأنفسنا هنا أن نختلف مع هذا الرأي ، رغم أن مقال باث يعد تقييما بارزا للمشكلة الأدبية لقارتنا ويتضمن ملاحظات مضيئة حقاً حول هذا الموضوع . لكن حركة « الحداثـة » البرازيلية كانت ، فقط ، متخلفة في الزمن بـالنسبة للحـركات الأوروبيـة من نوعهـا («فالبيـان » الأول للمستقبلية الإيطالية يرجع إلى عام ١٩٠٩) . لكن تبرز في إطارها شخصيتان من الطراز الأول هما : أوزوالد دي اندرادي وماريو دي اندرادي (ليسا قريبين رغم الاسم المتماثل) . وقد قدّما إسهامات ذات قوة ابتكارية كبيرة للشعر ، كما للنثر ، حدّدت مستقبل الأدب البرازيلي . اوزوالد ، بشعر « بالـور برازيـل » Palo -brasil (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧) وبرواياته أو « مبتكراته » كما كان يفضل أن يسميها (الذكريات العاطفية لجوان ميرامار ، عام ١٩٢٤ Memorias Sen- timeutales de Juan Mirauar ، وسـاروفيم* الجسـر الكبـير Serafin Puente Graude ١٩٣٣) ، وبياناته المتفجرة (بيان شعر البالو ـ بـرازيل Marifiesto de la poesia palo -brasil, ١٩٢٤ ، وبيان أكل لحوم البشر Manipiesto antropófago ١٩٢٨) ، وبمسـرحـه الثـوري (١٩٣٣ ـ ١٩٣٧) . وماريو ، بشعـره (منذ بـاوليثيا الهـاذية Paulicea Desvariada ١٩٢٢ ، وبروايته أو « رابسوديته » ، ماكونـايما Macunalma (١٩٢٨) ، وبكتاباته النظرية والجدلية (المقدمة البالغـة الأهمية) البـاوليثيا ، ومقـال شعر

* الساروفيم : أحد الملائكة الحارسين لعرش الله في العقيدة اليهودية القديمة . (المترجم)

الحداثة الذي قدم به كتاب (الجارية التي ليست إيساورا La esclava que no es Isaura ، ١٩٢٥) .[1]

يتميز شعر « البالو - برازيل » لأوزوالد - والاسم مأخوذ من الخشب الأحمر الذي شكل استغلاله من جانب البرتغاليين أول « إنتاج للتصدير » لدينا (في البرازيل) باللغة المكثفة ، بالاقتصاد البالغ في الوسائل ، بالتدخل المدهش للصورة المباشرة ، بما هو عامي ، بالدعابة . إلا أنه ، وعلى خلاف المكسيكي خوسيه خوان تابلادا José Juan Tableda ، وهو الشخصية الباهرة للانتقال من « الحداثة » الى « الطليعة » ، والذي كتب حوالي عام ١٩١٧ ، اول قصائد هايكو تكتب بالاسبانية ، فإن أوزوالد ، في القصائد - الأقراص التي تميل نحو ايجاز الشعر الياباني ، لا يقدم أي مؤشر على الطرافة الشرقية : إنها كبسولات من اللغة الحية ، ملتقطة مما هو يومي ، تتميز بجهد كهربائي غنائي وهي عادة ما تكون مزودة ببصيرة نقدية صائبة ، مثلما سيفعل بريخت فيما بعد - في نهاية عقد الثلاثينات - بقصائده المبتسرة ، والتي يكون على القارىء أن يعيد تشكيل روابطها . أمّا ماريو ، فيمارس شعراً متعدد الأصوات ، (بوليفونيا) ، تزامنيا ، أقل عُريا من شعر أوزوالد ، لكنه يتميز مثله بالايقاعات المتقطعة للحضارة الحديثة وبعفوية اللغة المتكلمة (برتغالية البرازيل ، ذات « الاسهام الجمعي لكل الأخطاء » وليس اللغة المتحذلقة لأنصار «النقاء » في التعاليم البرتغالية). وفي كلتا الحالتين تنمحي الحدود بين الشعر والنثر بطريقة محيّرة ، حتى إن المعاصرين ذوى العقلية « التي تجاوزها الزمن » لم يعد بمقدورهم الاعتراف بتلك النتاجات ، التي كانت تبدو لهم ثمرة « للبارانويا » أو « للغموض » . وإذا كان صحيحا أن هذا الشعر قد تأثر بحافز الطلائع الأوروبية (المستقبلية ، والدادية ، والسوريالية ، وقد عايش أوزوالد في باريس ، مثله مثل هويدوبرو ، رسامين وشعراء مرتبطين بالتكعيبية ، كما كان ماريو قارئا لا

---

(١) العناوين البرازيلية للأعمال المذكورة هي :
Menórias Sentimentais de Joáo MIramar, SerfimPonte Grande, Pauliceia Desvairada, A escrava que uáo e Isaura.

يكل للتجريبيين الأوروبيين وكذلك لهويدوبرو نفسه) ، فليس أقل من ذلك صحةً أن هذه الاستعارات كانت تنطوي على نوع من التمثل مختلف تماما عن ذلك الذي كان يميز الفترات الأدبية السابقة . كان بين ظهرانينا ما يمكن تسميته « توافقا » Congerialidad مع التجارب الجديدة ، لا تفسره إلا جزئيا عملية انطلاق التصنيع في المراكز الحضرية مثل سان باولو .

ويوضح انطونيو كانديدو هذه الظاهرة بقوله : « في البرازيل تمتزج الثقافات البدائية بالحياة اليومية أو تمثل ذكريات مازالت حية لماضٍ قريب . لقد كانت الجسارة المفزعة لأمثال بيكاسو ، وبرانكوزي Brancusi ، وماكس جيكوب Max Jacob ، في أعماقها أشد تجانسا مع تراثنا الثقافي مما هي مع تراثهم . إن عادة الوثنية الزنجية ، وعادة الكالونجا Calungas (العرائس) ، والنذور ، والشعر الفولكلوري ، كانت تُعدُّنا سلفاً لقبول وتمثُّل عمليات فنية كانت تمثل في أوروبا انقطاعا عميقا مع الوسط الاجتماعي ومع التقاليد الروحية . ومن ثم عرف محدثونا فن الطليعة الأوروبي بسرعته ، وتعلموا التحليل النفسي ، ودعموا ضربا من التعبير محليا وعالميا في آن واحد ، بينما يصادفون التأثير الأوروبي من جديد من خلال الغوص في التفصيلة البرازيلية . وهذا ما نظر له أوزوالد تحت اسم آكل لحوم البشر antropofagia ، أي القبول غير السلبي ، بل تحت شكل التهام نقدي ، للإسهام الأوروبي ، وتحويله الى ناتج جديد ، متميز بسمات خاصة ، يتحول ، بدوره ، فينال عالميةً جديدة ، وقدرةً جديدة على أن يُصَدَّر إلى العالم كله (ومن هنا اسم شعر « البالو - برازيل » . كما أشرنا سلفا) .

وفي النثر ، يتبدّى التجديد مع إبداع أعمال لم تعد تندرج ضمن المفهوم التقليدي للرواية (الرواية « المكتملة » ، جيدة الصنع ، لواقعية القرن التاسع عشر) . فميرامار أوزوالد هي كاليدوسكوب مكونة من ١٦٣ شذرة يجب أن تركب سينما توغرافيا في روح القارىء ويمكن فيها لأي فصل أن يكون قصيدة « بالو - برازيل » أو قصاصة من بطاقة بريد أو مجرد بند فكاهي (حماتي أصبحت جدّة) . وكتاب أوزوالد ، الذي انتهى بعد عام من ظهور رواية يوليسس

Ulysses لجويس التي صدرت عـام ١٩١١ ، يندرج ضمن الاتجـاه المناقض للمعيارية في الرواية المعاصرة . وقد كثف أوزوالد بدرجة أكبر عمليات الفصل بين المشاهد ودعابة المفارقة في (ساروفيم الجسر الكبير) ، وهي مهزلة من نوع ماكتبه رابليه عرّفها انطونيو كانديدو بأنها « تلخيص ساخر للمجتمع الرأسمالي المنحل » واعتبرها ناقد آخر ، هو ماريو داسيلفا بريتو Mario de Silva Porito أكثر الكتب جموحا في اللغة البرتغالية . وبين هذين الكتابين، نشر مـاريو دي أندرادي متأثرا بالأول ومؤثرا في الثاني ، كتابه ماكونايما Macunaima ، الذي كـان رغم انطلاقـه من النمـوذج الـروائي التقليـدي (الـذي سمـاه مـاريـو « رابسودية » ، ورغم كونه يقوم على المفارقة العميقة في الموضوع وفي اللغة ، مثله كمثل كتب أوزوالد ، فإنه يحافظ على خصائص نوعية تجعله عملا فريدا ضمن الثلاثية الأساسية لنثر الحداثة البرازيلي في عام ١٩٢٨ ، فيلينينجـراد ، ينشرفلاديمير بروب Vladimir Propp كتابه Morfológuia Skazki (مورفولوجيا الحكاية الحدوتة) الذي ستكون له أهمية كبيرة بالنسبة للتحليل البنيوي المعاصر للفن القصصي . ويحاول الدارس السلافي تحديد العناصر الثابتة في مجال الحكاية الخرافية الروسية كي يبرز بذلك الوظائف الأساسية التي يمكن أن تتولاها مختلف الشخصيات ، لكن تسلسلها الذي لا يتغيريشكل نسقا تكوينيا واحدا ، متكررا دوما ، مع بعض التنويعات هنا أو هناك . وفي ذلك العام نفسـه ينشر مـاريو حكايته الخرافية الفائقة التي خلقها بواسطة توفيق عناصر تبادلية من كيان كلي من الأساطير التي قام هو ، تمهيديا ، بتحليلها واختيارها لتناسب غاياته الروائية ، وبذلك قدم البراهين على تشابه فريد في خياله البنيوي ، وقطع المسافة المتماثلة عكسيا . وكما في حالة الجيسا Guesa لسوساندرادي (الذي كان ، علاوة على ذلك ، مجهولا من جـانب المحدثـين البرازيليـين) ، فإن المـوضوع الـرئيسي لماكونايما هو موضوع أمريكي شامل ، مستمد من أساطير أمريكا الأمازونية التي جمعهاكوخ-جرونبرج Koch-Grünberg (Von Roroima Zum Orinoco Orinoco، ١٦٩١ . ان ماريو ـ كما يقول الناقد كافالكانتي بروينسا -Cacalcan

ti Proensa بهذا الصدد « اختار اسم ماكونايما لأن هذا الاسم لا يخص البرازيل فقط ، بل يوجد كذلك في فنزويلا ، والبطل الذي لا يصادف وعيه الخاص، يستخدم وعيا أمريكيا هسبانيا ويستمتع بالطريقة نفسها . ومن الناحية الاشتقاقية يعني ماكونايما « الشرير الكبير » . وماريو يجعل منه بطلا دون طابع محدد ، نوعا من النموذج النمطي للبرازيلي (وبالتالي ، للأمريكي اللاتيني) الذي يبحث عن طابعه القومي وملامحه الإثنية . ويتطور الكتاب بنغمة ساخرة ليس طبقا لمبدأ منطقي أو سيكولوجي ، بل وفقا لذلك النظام من الضرورة والسببية السانتاجماتية التي يرسيها النسق الأصلي من الحكايات الخرافية من النوع نفسه . إن المؤلف يمضي مسبغا رونقا على مجمل نسيج الرواية من خلال ضم تنويعات مستقاة من أساطير أخرى ، ومن حكايات شعبية من مختلف اقاليم البرازيل ، علاوة على اللجوء إلى عناصر معاصرة وعناصر نقد اجتماعي (ولنكتف بمثال واحد . فالعملاق بيايمان Piaimán ، في ميثولوجيا هنود التاوليبانجي Taulpanguel ، والذي يتصارع معه ماكونايما . يكون في البداية محتالا بيروانيا سرق منه الطلسم ، ثم مهاجرا إيطاليا غنيا في سان باولو) . ولغة ماكونايما تصبح مركبة ، ونوعا من المزيج للغات البرازيلية المتنافرة ، بتعبيرات عتيقة ، وتعبيرات اقليمية ، وتعبيرات هندية ، وافريقية ، وطرق بناء جملة شعبية .

د) لا حدود بعد بين الشعر والنثر

إن خلخلة الحدود الفاصلة بين الشعر والنثر ، وذلك بإدخال تكنيكات بناء القصيدة في الرواية ، قد أكدّها الكتاب المعاصرون (التالون لبروست وجويس) ، باعتبارها ميراثا منقولا ، وباعتبارها إلحاقا سلميا . « ربما يكمن أهم ميراث يتركه لنا هذا الخط من الشعر في الرواية في الوعي الواضح بإلغاء الحدود الزائفة ، بإلغاء التقسيمات البلاغية . لم تعد ثمة رواية ولا قصيدة : بل ثمة مواقف تُرى وتُحلل في نظامها اللفظي الخاص » ، هكذا يعلن خوليو كورتاثار في كتابه (وضع الرواية ، ١٩٥٠ . Situóciande la novela)

وفي عمل سابق (ملاحظات حول الرواية المعاصرة ١٩٤٨ Notas Sobre la novela Contemporánea) فإن المؤلف نفسه ، بعد أن يقيم تفرقة بين « اللغة التقريرية » و« اللغة الشعرية » (مما يذكرنا بتمييز جاكوبسون بين « الوظيفة المعرفية أو المرجعية » و« الوظيفة الشعرية » للغة) ، يقرر أنه كان ثمة تداخل بين هذين الشكلين في الروايات التقليدية العظيمة ، لكن ذلك كان يجري دون هدم «النظام الجمالي » العقلاني الخاص بالرواية. أما عن الرواية المعاصرة فإن «وهن الروائي فقط هو الذي سيظهر انتكاسة اللغة التقريرية - التي تكشف في الوقت نفسه عن إدخال موقف غير شعري، وبالتالي يمكن اختزاله إلى صياغة وسيطة » . ويختتم كلامه محدداً بدقة: «إن الاستمرار في الحديث عن « الرواية» أصبح يفتقر إلى المعنى في هذه النقطة. ولم يتبق شيء - التزامات شكلية في نهاية المطاف - من الآلية التصحيحية للرواية التقليدية . والانتقال من النظام الجمالي إلى النظام الشعري يتضمن ويعني تصفية التفرقة التصنيفية بين الرواية والقصيدة » .

ونود أن نصف هذا الموقف - مستخدمين من جديد مصطلحات من لغويات جاكوبسون - باعتباره عوداً متصلاً للكاتب نحو مادية اللغة ذاتها (« فالوظيفة الشعرية » هي تلك التي تعود صوب الجانب المادي من العلامات)، حتى حين يصنع، ظاهرياً، ذلك الذي يسمى، اصطلاحياً ، باسم «النثر » . وفي الأدب البرازيلي المعاصر، وبعد الأسلاف البارزين «لحداثة » عام ١٩٢٢ ، أنتج هذا الموقف الغنائية الاستبطانية لكلاريس ليسبكتور Clarice Lispector (قريبا من القلب الوحشي عام ١٩٤٣ ، هو العمل الأول، والأكثر توفيقاً حتى الآن، للكاتبة)، ووصل إلى غايته في السرتون الكبير: دروب (١٩٥٦) لجيمارايش روزا[٢]. أما في الأدب الأمريكي المكتوب بالاسبانية فإننا نجد ذروة هذا الموقف، حسب تقديرنا، في الفردوس Paradiso (١٩٦٦) للكوبي ليثاما ليما. وكلا

---

(٢) العنوانان ابرازيليان للعملين المذكورين هما :

Perto de corasáo salvagem, & Grande sertáo : veredas.

الكتابين ـ السرتون الكبير والفردوس ـ كتابان باروكيان: أو بالأحرى باروكيان جديدان ،كتاب روزا ، بسبب اختراعه المستمر للالفاظ ؛ بسبب سماته التجديدية في تركيب الجمل ؛ بسبب التهجين النصّي (الذي يمضي من التعبيرات العتيقة إلى التعبيرات المستحدثة وإلى مونتاج الكلمات) ؛ بسبب مواجهة الإرداف التخالفي Oximoronesca بين الهمجية والتنقيح (السرتون الميتافيزيقي ، مشهد المغامرات الانطولوجية لياجونزو ـ فاوستو Yagunzo - Fausto الذي يضطرب بين الرب وبين الشيطان) ، بسبب صدامات töpos «الحب المحرم» ، «الشاذ» (ديادورين Diadorin ، الرأة المتخفية في زي رجل ، والتي توقظ في البطل ،ريوبالدو Riobaldo ،عاطفة لا يمكنه الاعتراف بها) . أما كتاب ليثاما ، الباروكي الجديد بدوره بسبب المجازية الجونجورية لما هو يومي ، بسبب عبقرية لغةٍ هي فضيحة روائية بقدر ما تستبدل مواضعات « نمط» الرواية الواقعية بمتطلباتها من المصداقية وبالضرورات متعددة الأوجه للخطاب الشعري للمؤلف (فالطباخ أو سيدة المنزل، عند ليثاما ، يعبر عن نفسه بطريقة الطالب الجامعي أو الطبي نفسها، فكأن المؤلف، بالافراط في إضفاء الصبغة الشعرية على نثره، يرد بذلك على إدخال العنصر الحواري في الشعر الحديث) ؛ وكتاب ليثاما هو باروكي جديد أيضا بسبب الصوفية التوفيقية ؛ وكذلك بسبب الاندماج بين التعقيد والسذاجة näivete (لدرجة الاقتراب من الأدب الهابط Kitsch في بعض اللحظات) ، وأخيراً بسبب موضوعة عشق تندرج بدورها في إطار الإيروس المحرم (عاطفة فوثيون Fociốn التعسة تجاه فرونسيت Frốnesis التي تنتهي بجنون الأول) .

« . . . الباروك ، [الذي] هو ما يهم الناس في اسبانيا ومن اسبانيا في أمريكا . . » ، هكذا يعلن خوسيه ليثاما ليما على لسان خوسيه تيمي (الفردوس) . وهي شخصية تحمل الكثير من ملامح السيرة الذاتية (ربما علاوة على تلغيز قصدي في الاسم Lezama Lima /EZ - IM / CE - MI) . ومن يدري ، فربما في الباروك على وجه الدقة ، في شتلته الأمريكية اللاتينية وفي الحين

الذي يتم فيه، في الوقت نفسه، الانصهار المميز لهذا الأسلوب، وينتج التهجين الخاص بالمواجهة بين ثقافات واجناس مختلفة ـ يمكن أن نجد في صورة جنينية ذلك الموقف من عدم التوافق مع الميراث الكلاسيكي للأنواع الأدبية ومع المواضعات الأدبية المناظرة لها من جانب الكاتب الأمريكي اللاتيني. وفي هذا الصدد يمكننا الاشارة إلى سيفيرو ساردوي Severo Sarduy أحد مؤلفي الجيل الجديد، الذي يُعد كتابه من أين هم المغنون (١٩٦٧) De dönde son los cantantes واحداً من أكثر المظاهر دلالة على هذه الباروكية الجديدة التي ترى في «تشكيلية العلامة» وفي طابعها بوصفها «نقشاً» مصيرُ الكتابة.

ان الكاتب ساردوي في محاولته تحديد خصائص باروكية «التراكب» لدى مواطنه ليثاما يذكر هذا التعليق لثينتيو فيتييه Cintio Vitier بصدد أول قصيدة كوبيه هي مرآة الصبر Epejo de Paciencia(١٦٠٨) من تأليف سيفلستري دي بالبون Silvestre de Balboa: «إن ما جرت العادة على اعتباره فشلاً، في قصيدة بالبون ـ أي مزيج العناصر الميثولوجية الاغريقية ـ اللاتينية، مع النباتات، والحيوانات، والأدوات، وحتى الثياب الهندية الأصلية (ولنتذكر حوريات الغابة*ذوات التنورات) ـ هو في تقديرنا ما يبين أكثر ميزاته دلالة ودينامية، هو ما يربطه حقاً بتاريخ شعرنا...». ومن الأعراض المميزة بدرجة كافية أن باستطاعتنا أن نصادف شيئا مماثلاً في عمل مواطن باهيًا جريجوريو دي ماتوس Gregerio de Matos (١٦٣٣ ـ ١٦٩٦)، الذي هو أعظم شخصيات الشعر الباروكي البرازيلي وأحد شعرائنا الأكثر معاصرة (من وجهة النظر التزامنية [السانكرونية]). إن جريجوريو، الملقب باسم «فم الجحيم» بسبب إلهامه السام، يصل بتهجين العناصر، المميز لتلك الفترة، إلى بنية لغته نفسها، مازجاً فيها، من أجل تأثيرات التضاد ومن أجل الغرابة، بين الكلمات التوبى tupi (الهندية) والكلمات الافريقية، في عملية مرحة من التوفيق اللغوي ـ الساحر.

(*) الكلمة المستخدمة هي Hamadriadas: وتشير في الميثولوجيا اليونانية إلى حورية الغابة التي عاشت وماتت مع شجرة البلوط التي كانت تسكنها ـ [المترجم].

بهذا المعنى فإن لغته، كما قال أوكتافيو باث عن لغة ليثاما، تصبح «حساءً كريولياً» ، مُتبلاً عند خط الإستواء .

(هـ) البُعد الميتا ـ لغوي.

لكن عاملا آخر ، لا يقل أهمية، يتدخل في الأدب الحديث، ويسهم بقوة في الانقطاع، في وضع الأنواع الأدبية ، وفي التمييز اللغوي الدقيق المناظر لها . وهنا يكون من الضروري أن نعود إلى مالارميه وإلى قصيدته ضربة حظ Un coup de dés . ففي هذه القصيدة، وكأنه يجيب على تأكيد هيجل بأن التأمل بصدد الفن، بالنسبة للروح الحديثة، ينتهي بأن يصبح أكثر إثارة للاهتمام من الفن ذاته ، قدم مالارميه البعد الميتا ـ لغوي لممارسة اللغة، وهو بعد يقتصر على عالم الجمال وعلى علم الأدب أكثر مما ينتمي إلى الأدب بوصفه أدباً . إن مالارميه «يخترع القصيدة النقدية »، كما يقول أوكتافيوباث . إن الأمر هنا يتعلق بقصيدة تسائل نفسها عن جوهر النظم ، بمعنى شديد الاختلاف رغم ذلك، عما تقصده ضروب «فن الشعر» المنظومة للمفهوم التقليدي : فما يجري ليس وصفة عن كيفية عمل الشعر، بل تمحيصاً أعمق للحقيقة الخاصة بالقصيدة، تجربة حدّية .

على هذا النحو فإن لغة المقالة ولغة التأمل النظري ـ الفلسفي (لغة الصياغة langage de formulation ، إذا استخدمنا أحد اصطلاحات «اطروحات» حلقة براغ) تتكامل في القصيدة التي تجعل من نفسها ميتا ـ لغة للغتها ـ الموضوع ذاتها .

كذلك يناظر هذا الادخال لبعد ميتا ـ لغوي في أدب الخيال ما سماه الشكليون الروس باسم «تعرية العملية »، والذي ليس هو سوى إظهار بناء العمل الأدبي نفسه بقدر ما يأخذ العمل في التشكل في حلقة نقد ذاتي متصلة. ويمكن لهذا أن يحدث بطريقة «جادة ـ جمالية » (والتعبير هنا لادموندويلسون) ، كما في حالة مالارميه، أو بطريقة المفارقة الساخرة التي يتنزع الوهم ، كما في حالة ذلك الرائد الاستكشافي لاتجاهات الرواية الحديثة، الذي هو لورنس شتيرن Laurence Sterne، بر واتيه تر يسترام شاندي (١٧٥٩-١٧٦٧)، ونحن نعرف أن

فيكتور شكلوفسكي Victor Schklovsky ، في عملية نظرية النثر، يعتبر ، في منظور خلافي متعمد، أن تريسترام شاندي هي أكثر الأعمال الروائية نمطية في الأدب العالمي (على عكس ما جرت العادة من اعتباره حالة استثنائية ومسرفة) ، وذلك لأنه، على وجه الدقة، يُعري بنية الرواية، وبذلك يخربها ، و« ينزع عنها أوتوماتيكيتها » امام إدراك القارىء، الذي يدفع على هذا النحو إلى التأمل بشأن طبيعة الموضوع اللفظي الذي يقدم إليه، وإلى أن يتخذ تجاهه موقف المشاركة النقدية .

وفي الأدب الأمريكي اللاتيني يبدو لنا أن هذا الطرح للإشكالية الميتا ـ لغوية حدث للمرة الأولى في العمل الاستثنائي للبرازيلي ما تشادو دي أسيس Macha-do de Assis، وبالأخص في مذكرات براس كوباس بعد وفاته Memorias póstumas de Bras Cubas (١٨٨١) ، وكينكـــاس بـوربـــا Quincas Borba (١٨٩١) ، والـدون كازمـورّو Don Casnwrro (١٨٩٩) ، وهي كلقب يمكن فيها أن نلمح تأثير شتيرن، لكنه تأثير جرى استيعابه، رغم ذلك ، وتم تنظيمه بمفهوم شخصي جداً . إنها روايات في أزمة ، لم تعد قادرة على البقاء داخل حدود النوع الأدبي، وتقلل من قيمة التطور الروائي المعتاد لصالح جدل ساخر ـ ظهور الارجنتيني ماثيودونيو فـرنانـدث Macedonio Fernández ـ « كاتب اللاشيء» ، كما يسميه سيزار فرنانذث مـورينو César Femández Moreno ـ حتى نجـد معالجـة جديـدة، وأكـثر تـطرفـا، بمعنى من المعـاني ، للمشكلة. فماثيدونيو يتجنب الكتابة بصورة منهجية (لا يتجنب مجرد التمييز بين الأنواع الأدبية، بل يتجنب كذلك أن يصنع الأدب باعتباره شيئا مكتملاً) ، ونصوصه ـ «أوراقه» ـ هي المسار المتعقل لهذا النفي . « بسبب إفلاته العفوي من الأنواع والاجناس الأدبية، أو بسبب خلقه لشخوص خاصة به، لا تحمل اسماً بعد، فإنه كاتب صعب، رغم أن قليلين هم من يودون أن يكونوا أقل منه صعوبة (. . .) إنه صعب، ومن بين الأمور التي تشكل صعوبته أنه ليس من السهل إدراج كتاباته داخل إطار الأشكال التي يحددها الادراك أو الروتين الأدبي (. . .)

إن تعبيره الموجز والتحليلي في آن واحد ، ونصه الذي ليس له نسيج رابط ، بحيث إنه أحيانا إذا لم يُقرأ تحت المجهر يمكن أن يضيع منا ما يربطه أو ينـزع وريقات تاج الأفكار التي تحيط بالتطور الخطي للموضوعية، هذا أو ذاك يتطلبان مشاركة قراء ليسوا سلبيين بل قراء مغامرين مثل المؤلف، قراءً مؤلفين مشاركين » . هكذا يعرّف ادولفو دي اوبيتيا Adolfo de Obieta محاولة تدمير المعايير الأدبية التي نفذها بدعابة ميتافيزيقية وبفانتازية ساخرة مؤلف رواية تبدأ Una novela que comienza .

ومن ماثيدونيو نأتي إلى خورخي لويس بورخس Jarge Luis Borges ، أخلص حلفائه ، والسيد المتوج للأدب بوصفه ميتا ـ لغة، وأبرز شخصيات الآداب الأمريكية اللاتينية الراهنة ، بفضل انتشاره وتأثيره العالمي (بما في ذلك تأثيره على تجديد تكنيكات الرواية الأوروبية، مما له دلالة خاصة) . وبالنسبة لبورخس، « أمين مكتبة بابل » ، لا يوجد عملياً فرق بين المقالة وبين أدب الخيال ، بين « استقصاءاته » وبين « أقاصيصه» . والموضوعات من قبيل الكتاب الأوحد والمجهول ، اللا ـ زمني ، الذي لخص كل الكتب ويكون من عمل مؤلف واحد، والذي يعاد تخيله عبر الأحقاب ـ وهي موضوعية مالارميه بلا جدال ـ هي موضوعات محورية في أعماله النثرية ككاتب مقالات وكمؤلف أعمال قصصية . إن أعماله تمتلىء عن عمد بتكرار المعنى، يحفزها لحن مميز Leitmotiv : هو التيه ، الحديقة ذات الدروب المتشعبة، الاطلال الدائرية ، اعادة اكتشاف الرواد عن طريق تخلف عن الزمن من منظور استرجاعي، فك رموز الأحرف المقدسة المنقوشة على بقع جلد فهد ، القبس الخاطف للوجه الآلي في شاعر ـ مترجم (فيتزجيرالد Fitzgerald) لا تفسَّر براعته الفائقة إلا بكونه اقنوماً للشاعر ـ المترجم عنه (عمر الخيام)، الخ . مثل هذه الدوافع يمكن تفسيرها باعتبارها مجازاً واحداً واسع النطاق (وهو ما يقوله إليوت عن الكوميديا الإلهية : مجاز عن الكتابة وعن الكاتب الذي يكُتب، في لحظة معينة ، في حين يعتقد أنه يكتب. بهذا المعنى فإن النموذج على ذلك هو حكاية مثل (فحص

أعمال هربرت كوين Examen de la obra de Herbert Quain) (من مجموعة أقاصيص Ficciones) . فهذا النص المكتوب تهكمياً بلهجة دراسة نقدية (تخليداً لذكرى الكاتب) ، يتكون من تحليل،مليىء بالنفاذ واللوذعية - بأنساق بنائية وملاحظات في ذيل الصفحة أيضا - ، لعمل كاتب تجريبي لم يوجد قط (لكن كان يمكن أن يكون هو بورخس نفسه . .) وهي كذلك مثال على حب بورخس للنص الموجز ولبحثه عن أسلوب محايد ، شفـاف، زي دقة ورشـاقة تقربان من اللاشخصية، (إن بورخس «قداجتهد في السمو بآلياته حتى صارت غير مرئية » ، هذا ما يلاحظه لويس هارس Luis Harss في أعلامنـا) . إنه بالضبط أسلوب يلغي الحدود بين الأدب بوصفه عمل فن لفـظي وبين النقـد باعتباره ميتا - لغة وسيطة لهذه اللغة - الموضوع . هنا نجد كيف أن هذا العدو للباروك - الذي يعتبر التلاعبات اللفظية بذخاً من أجل الشباب والذي يصرّ على أن الإسبانية لا تحتمل الابتكارات اللغوية بالغة التعقيـد، من نوع ابتكـارات جويس (راجع حواره مع ج . توباني G. Topani في Il Verri ، العدد ١٨ / ٦٥) - كيف أنه يصل، رغم ذلك، عن طريق تناقض آخر من تناقضاته الدائرية إلى أن يصبح سكندريـاً يقيم في بونيـوس آيرس، ويفضّـل على تـوليدات الأسلوب الباروكي، الهندسة والحذف المنتمين إلى مدرسة «المانـريزم manierismo » (مـع فهم المصطلح بـالمعنى التكنيكي البحت الذي يضفيـه عليه كـورتيوس Curtius وهوك Hocke) .

وهكذا نصل إلى خوليو كورتاثار Julio Cartázar ، الذي يتطور من رواية من روايات العادات ، هي الجوائز Los premiós (١٩٦٠) ، مع فترات راحـة من الواقعيـة - السحريـة ، نحـو الحجلة Raynela (١٩٦٣) المثيـرة للإعجاب . وعن هذا العمل يقول لويس هـارس : « الحجلة هي أول رواية أمريكية لاتينية تعتبر نفسها أنها ، هي موضوعها المحوري ، بمعنى أنها تنظر إلى نفسها في قلب التحول ، مبتكرة نفسها في كل خطوة ، بتواطؤ القارىء ، الذي يجعل نفسه جزءاً من العملية الابداعية » . وعلاوة على القراءة العادية (الفصول

من ١ حتى ٥٦) ، تتيح الحجلة توفيقة ثانية لقراءة في المحـور السانتـاجماتي ، وبذلك تشابه تجسيد ذلك الكتاب الخيالي ، أبريل مارس April March ، تلك الـرواية « التـراجعية والمتشعبـة » ، التي تولـد روايات أخـرى ، والتي ينسبها بورخس إلى شخصيته ـ القناع Persona هربرت كوين Herbert Quain . أما أوكتافيو باث ، فإنه مع إقراره تحذيرات ماثيدونيو فرنانـدث ، يدرج عن حق كتاب كورتاثار ضمن العائلة الحديثة لـ « الأعمال ـ المفتوحة » ويقول : « الحجلة هي دعوة للعب اللعبة الخطرة لكتابة رواية » . وفي الكتاب بطل يبدو ثانوياً ، هو الكاتب العجوز مـوريللي Morelli ، الذي يحمـل بعض ملامـح ادغار بـو ، ومالارميه ، وجويس ، والذي هو نوع من « صورة الفنان في شيخوخته » . إنه صورة شخص بعيد النظر ، يرفض المؤلف « الذي ، باعتباره رجلاً تبهره ممارسة الحياة ، وباعتباره ملتزماً engagé كذلك ، يرفض فكرة أن العالم يوجد لكي ينتهي في كتاب) ، لكنه ، في الوقت نفسه ، يغويه بصورة لافكاك منها . هذه الشخصية تنسج ، استشفافياً ، نظريتها الثورية عن الرواية في طيات الفصول الأخرى ، وبالدرجة الأولى ، في تقابل مع المسار الغنائي ـ العشقي ـ المستحوذ ، المحوري في الحجلة (الثالوث الذي يشكله أوليفييرا Oliveira وقرينه Traveler ترافلر ، وربة الشعر ماجا/تاليتا Maga/Talita) . وهي نظريـة (لاكاتب » يتمرد على منطق خطاب الرواية وعلى اللغة « الأدبيـة » ، ويعتبر أن « النـزعة الوصفية » للرواية الواقعية قد تم تجاوزها (فالموسيقا تفقد النغم ، والتصوير يفقد الطرافة ، والروايـة تفقد الـوصف) ويلخص مشروع عمله كـالتالي :

« يمكن قراءة كتابي كما يشاء المرء . إنه كتاب مومض Liber Fulguralis ، أوراق مبعثرة . وهكذا يمضي » . . . وفي كتب تالية ـ (في ٦٢ ، نموذج للتركيب 62, Modelo para armar (١٩٦٨) ، وفي الـدرجـة الأولى ، في مجمـوعـات الكتابات الدوران حول اليوم في ثمانين عالماً La vualta aldia eu ochenta mundos (١٩٦٧) و الجولةالأخيـرة Último round (١٩٦٩) ـ يبدو أن كورتاثار يواصل ما وصفه بسخرية ذاتية بأنه « خطوات هاملتية صغيرة داخل بنية

مايجري سرده نفسها » . الآن ، مثلما عند بورخس ، لم تبق ثمة تفرقة بين المقالة والعمل القصصي ، فكلاهما يقوم بدور أرصفة المسار المعاش والاستقصائي نفسه . (« كثير مما كتبته ينتظم تحت علامة التمحور حول الذات ، إذا سلمنا بأنني لم أعترف أبداً بفرق واضح بين الكتابة والعيش ») . وفي الدوران حول اليوم يتم التجديد في الشكل المادي للكتاب ـ الموضوع نفسه ، بإدخال حوار على ثلاثة مستويات بين النص والطباعة والرسوم التوضيحية (تصميم الكتاب Lay-out) وفي الجولة الأخيرة يدفعنا تأثير توضيب صفحات الصحف وآنية القراءة إلى تقسيم مادة الكتاب إلى جزءين قابلين للتمييز (« الطابق الأول » و « الطابق الأرضي ») .

لكن من المهم أيضاً عند كورتاثار تناول البعد الميتا ـ لغوي من خلال المفارقة (سواء في أقوال الشخصيات ، أو في معالجة أكثر المواد النصية تنوعاً ، من المعلومات العلمية وحتى الذكريات الغريبة لمتنبّئي الأقاليم) . إن موريللي يريد أن يجرب الرواية الكوميدية roman comique مثل أوزوالد وماريو دي أندرادي ، حسبما فعل كل منهما على طريقته . وعند هذا الحد ، حين يجب اعتبار ظهور المفارقة في الرواية بمثابة حوار بين النصوص أو « تناص » (وهو مصطلح صاغته السيميولوجية جوليا كريستيفا Julia Kristeva على أساس دراسات ميخائيل باختين حول دستويفسكي ورابليه) ، لايمكننا أن نغفل ذكر عمل أمريكي لاتيني حديث يدخل بمجمله في هذا المجال للمفارقة « الحوارية » أو « البوليفونية » حيث تتهاوى الأنواع الأدبية « الراقية » وحصريتها اللغوية ، وحيث يخضع الأدب نفسه لعملية « كرنفالية » عميقة تسبغ عليه الطابع الشعبي (باختين) . ونشير هنا إلى ثلاثة نمور حزينة Tres tristes tigres (١٩٦٤) ، لجييرمو كابريرا إنفانتي Guillermo Cabrera Infante الذي يبدو أن بهرجته اللفظية Féerie* (بالإضافة إلى مونتاج الكلمات في التاثور لهويدوبرو ، وإلى

* Féerie : بالفرنسية، تعني العرض الذي يتميز بجمال رائع أو الذي يدخل فيه عنصر الروعة [المترجم] .

« قرقعة » مقاطع معينة عند كورتاثار) تكذّب عدم تصديق بورخس لميول اللعب الكامنة في اللغة القشتالية . رأينا ، إذن ، كيف أنتج التفجر الميتا ـ لغوي في الأدب الأمريكي اللاتيني العدوي التي أصابت النثر القصصي من المقالة النقدية ، ونتيجة لذلك ، تآكلت من ناحية أخرى ، عقيدة « نقاء » الأنواع الأدبية » . ويمكن تتبع مسار مماثل أيضاً في الشعر .

فمن أوزوالد دي أندرادي إلى كارلوس دروموند أندرادي و جوان كابرال دي ميلونيتو Jóan Cabral de Melo Neto في البرازيل ، ومن هويدوبرو إلى أوكتافيو باث وحتى نيكانور بارا Nicanor Parra في هسبانو ـ أمريكا ، يرتسم ذلك الخط من القصيدة فوق القصيدة أو ضدها : من القصيدة بوصفها رسالة مرفوعة إلى الأس التربيعي ، بوصفها علامة فائقة ، يضع دالها موضع التساؤل مدلول رسالتها الأولى (مدلول عملية إنتاج الدلالة نفسها) .

يكتب أوزوالد نصوصاً من قبيل المكتبة القومية Boiblioteca Nacional وهي قصيدة تتكون من مجرد تعداد عناوين الكتب التي يمكن أن نصادفها فوق أحد رفوف مكتبة ريفية : إنها الدعابة الميتا ـ لغوية ، المفارقة من جديد . وهذه الدعابة ذاتها ، وكذلك الموقف « الجاد ـ الجمالي » الذي يرجع إلى مالارميه (والذي هو الوجه الآخر لإشكالية الميتا ـ لغة) نجدهما لدى دروموند : ففي ديوان شخصي يسمى الشاعر الموقف الثاني باسم « الشعر المُتأمَّل » وعند كابرال Cabral ، الذي ينحدر من دروموند ، فإن آلة القصيدة نفسها هي التي تتراكب وتنفك دون توقف بدقة صارمة الهندسة : (المهندس ، ١٩٤٥ ، وسيكولوجية التركيب ، مع حكاية أنفيون و أنتيود Antiode ، ١٩٤٧ ، وسكين بحد واحد ، ١٩٥٥ ، الخ)[٣]

وفي أمريكا الناطقة بالإسبانية اقتفى التشيلي هويدوبرو ، بصورة تنبؤية ، عام ١٩١٦ هذا البرنامج الحق للبحث السيميولوجي للقصيدة ـ الموضوع :

(٣) العناوين البرازيلية هي : O Engenhiro, A Psicologia de Compasicáo, Fabula de Anfion, Una Faca só Lamina.,

لماذا تتغنون بالوردة ، أيها الشعراء !

اجعلوها تزهر في القصيدة .

(وكان البرازيلي جوان كابرال ،عند نهاية عقد الأربعينات ، قد قال بصورة أكثر تركيبية : « الزهرة هي كلمة زهرة ») . . ويسود قطب الدعابة في « قصائد مضادة » (١٩٤٥) لتشيلي آخر هو نيكانور بارا بنزعته المضادة للغنائية ، ونزعته المضادةللمحسنات البديعية ، وبنقده للحيل البلاغية ، وبتقشفه الذي يزداد حدة باستمرار . لكن الموقف الميتا ـ لغوي سيبلغ ذروته عند أوكتافيو باث : أولاً في قصيدة موجزة مثل الكلمات Las palabras (من ديوان البوابة الملعونة Puerta condenada ، ١٩٣٨ ـ ١٩٤٨) ، مصنوعة بكاملها من غموض تهكمي وقسوة معاشة ، في « ساعة الحقيقة » تلك التي يبدو فيها أن الشاعر والقصيدة يسبر كل منهما قوة الآخر . وبعد ذلك في قصيدة بياض Blanco (١٩٦٧) ، وهي قصيدة قابلة للبسط ، بصرية ، ذات قراءات متعددة ، حيث يبلغ الشاعر المكسيكي ، في تقديرنا ، ذروة مساره ، محاولاً أن يجيب بممارسته الشعرية نفسها عن التأمل النظري الحاد الذي ظل يطوره حول قصيدة ضربة حظ Un coup de dés لمالارميه وحول مستقبل الشعر (ويشهد على ذلك مقاله الجميل العلامات في حالة الدوران Los signos en rotación ١٩٦٥) .

و) الشعر المحسوس (Concreta)

يمكن القول إنه ، في الزمن الراهن ، جاءت سلسلة من ظواهر ما اصطلح على تسميته بالأدب لتتجاوز الأطر التقليدية لهذا ا المفهوم ، مثلها في ذلك مثل أفكار تصنيفي « الشعر » أو « النثر » (ناهيك عن « الأنواع الأدبية » وحصريتها اللغوية) ، وجاءت لتشير نحو مفهوم جديد وأكثر دقة للنص . يكتب الفيلسوف الألماني ماكس بنز Max Bense قائلاً : « إن لمفهوم النص مدى جمالياً أوسع من مفهوم الأدب . وبالطبع فإن الأدب دائماً نص لكن النص ليس دائماً أدباً . علاوة على ذلك ، يتجذر النص بعمق في أفق العمل الأدبي أكثر بكثير من الأدب ولايسمح بأن تمحى آثار الانتاج بسهولة ، متيحاً رؤية الأشكال التي لاتزال غير

مكتملة والأشكال البينية وكاشفاً عن الدرجات العديدة لحالات الانتقال . وفي هذا الشرط على وجه الدقة تكمن وظيفته الموسعة لمفهوم الأدب » ويضيف : « إن مفهوم الأسلوب يناسب الأدب ، ومفهوم البنية يناسب النص ، بمعنى أنه في الحالة الثانية تندرج اللغة أساساً ، في مجال الجماليات المصغرة . . . فالنثر والشعر مفهومان يميزان شيئاً يمكن أن يكون مكتملاً في اللغة حين تقدم هذه نفسها في صورة نهائية ، أي حين تكون أشكالها معروفة ومعطاة ويمكن أن تكون مكتملة ومبتذلة . والنص شيء يصنع باللغة ، ومن ثم فهو من اللغة ، لكنه ، في الوقت نفسه ، شيء يعدّل ، ويوسع ، ويبلغ الكمال باللغة ، ويحطمها أو يقلصها . النص دائماً هو معلومة باللغة عن اللغة لا أكثر » .

والآن يمكننا دراسة حالة الشعر المحسوس التي كانت بالضبط أحد أشكال الإنتاج النصي وكانت ، على الأخص ، موضوعاً للتأملات النظرية لبنز .

وقد ولدت الحركة العالمية للشعر المحسوس خلال السنوات الأولى من عقد الخمسينات نتيجة العمل المتزامن ، والمستقل ، للمجموعة البرازيلية « نويجاندرس Noigandres » (« إبتكار Invención » فيما بعد) ، في سان باولو ، وللشاعر السويسري أويجن جورمينجر Eugen Gorminger (الذي ولد في كاتشويلا إسبيرانثا ، ببوليفيا ، من أم بوليفية) . وكانت أول عينة للحركة ، على مستوى العالم ، هي العينة البرازيلية التي تمت عام ١٩٥٦ في متحف الفن الحديث بسان باولو .

ويقول أوكتافيو باث عن الشعر المحسوس البرازيلي في المقال سابق الذكر في صحيفة التايمز Times اللندنية : « . . . من المستحيل أن نصادف بين شعراء هسبانو - أمريكا الشبان شيئاً يمكن مقارنته بالمجموعة البرازيلية « إبتكار » . . . . عام ١٩٢٠ كانت الطليعة في هسبانو - أمريكا ، وعام ١٩٦٠ ، في البرازيل » .

نشأ الشعر المحسوس البرازيلي من تأمل نقدي للأشكال . وحاول أن يركب ويدفع إلى آخر مدى تجارب الشعر العالمي والقومي . فمن ناحية ، كان هناك

مثال مالارميه ، بتركيب جمله البصري وبالاستفادة من بياض الصفحة ، وكان هناك التكنيك الايديوجرامي* لباوند ، ونظرية الكاليجرام* لأبوللينير (« يجب أن يتعود ذكاؤنا على الفهم بطريقة تركيبية ـ إيديوجرامية بدلاً من الطريقة التحليلية ـ المقالية ») ، وكانت هناك الكلمة ـ المونتاج لجويس ، وكان هناك الإيماء الطباعي عند أ . أ . كمنجز e. e. Cummings ، وكذلك الإسهامات المستقبلية والدادية . وكان هناك ، من ناحية أخرى ، شعر « البالو ـ برازيل » لأوزوالد دي أندرادي ، باختصاراته اللغوية وتكنيكات المونتاج ، وكذلك قصائد جوان كابرال ، بحماسه البنائي ، ومذهبه في الهندسة . لكن كان هناك كذلك السينما (آيزنشتين ونظرية المونتاج الايديوجرامية) ، وموسيقا فيبرن وأتباعه ، والفنون التشكيلية (من مونتدريان Mandrian إلى ألبرس Albers وماكس بيل Max Bill والمصورين المحسوسين لجماعة « انقطاع Ruptura » ، في سان باولو) بالإضافة إلى الصحيفة ، والملصق ، والدعاية ، وعالم وسائل الاتصال السمعية البصرية وغير المكتوبة .

على هذا الالتقاء للوسائط يتغذى الشعر المحسوس وهو يعلن أنه « مكاني ـ زماني » و« لفظي ـ صوتي ـ بصري » (باللجوء إلى تعبير لجويس) . ومن ثم ، فليس مايوضع موضع التساؤل هو مشكلة الأنواع الأدبية فقط ، بل مشكلة الأدب نفسه ومشكلة اللغة اللفظية . إنها في هذا الموقف الراديكالي ، حيث تخضع كل محددات القصيدة نفسها لرغبة عامة في الهيكلة (ماهو سيمانطيقي ، وما هو طباعي ـ بصري ، وما هو صوتي) ، توجد بوصفها « اتجاه بالوحدة الأساسية للفنون » ، إذا إستخدمنا ما تقوله سوزان لانجر Susanne Langer ، حين تتناول مشكلات المكان والزمان في التصوير ، وفي الموسيقا ، وفي الأدب . وتؤكد مؤلفة الإحساس والشكل Feeling and Form أن :

* الايديوجرام ideograma : صورة أو رمز يستعمل في نظام كتابي (كالهيروغليفية والصينية ليمثل فكرةً أو شيئاً وليس كلمة خاصة بالفكرة أو الشيء . أما الكاليجرام فهي الصورة التي يمكن أن تأخذها طريقة الكتابة أو الخطوط [المترجم] .

« حقيقة أن الايهام الأولي لفن من الفنـون يمكن أن يتبدى بـوصفه صـدى ، وبوصفه إيهاماً ثانوياً في فن آخر يعطينا إيحاءً بالوحدة الأسـاسية للفنـون . . . الإيهام الأولي يحدد دائماً الجوهر ، الطابع الحقيقي لعمل فني معين ، لكن إمكانية الايهامات الثانوية تمنحه الثراء ، والمرونة ، والحرية الواسعة للخلق التي تجعل جميعها العمل الفني الحقيقي مستعصياً على الوقوع في شباك النظرية » . وبالمعنى نفسه يلاحظ أ . أ : منديلو A. A. Mendilow (في الزمان والرواية Time and the novel) أنـه : « في الحقيقـة يكـاد يمكن التـأكيـد بـأن أكـثر التجـارب والتجـديدات دلالـة لدى المصـورين ، والنحاتـين ، والمؤلفين المـوسيقيـين ، والـروائيين لاتنبـع فقط من الاستغلال الكـامل للخصـائص الكامنـة في أداة عملهم ، بل تنبع بالدرجة الأولى ، وعلى وجه الدقة، من محاولاتهم لتجـاوزها ولادخال مؤثرات وإيهامات أبعد من الإمكانات الضيقة للأداة التي تحدهم . . . والدرجة التي يتحقق بها ذلك ربما أمكن أن تفيد بوصفه مؤشراً على تقدم أحد الفنون من مرحلة أبسط إلى أخرى أعقد وأرقى تنظيماً » .

بالتجاوز الطوعي لمجال الأدب ، وبتقديم البيانات الأولى في مجلة للعمارة ، وبتنـظيم الكتاب كمـوضـوع بصـري مـطروح بكـامله كـأنـه معـرض متنقـل لإيديوجرامات تقوم مقام لوحات الكاكيمونو* اليابانية ، وبالانتقال إلى القصيدة ـ الملصق وبإعادة تبني مثال ماياكوفسكي ، في فترة الأجيت ـ بروب agit - prop (الدعاية ـ التحريضية) « ونوافذ روستا Las ventanas Rosta v** » ، وفي النهاية ، بطرحه فناً عاماً للغة ، أخذ الشعر المحسوس يمارس تأثيره ليس فقط على التطور الأدبي ، بل كذلـك ، وبصورة مـوازية ، عـلى تكنيكات إخـراج

* لوحات الكاكيمونو Kakemonos هي صور أو كتابة على الحرير أو الورق تعلق عـلى الجدران ـ المترجم

** نوافذ روستا : ملصات هجائية بالرسم والكتابة بدأت تظهر في نوافذ (واجهات) المحلات في موسكو بصفة منتظمة ابتداء من سبتمبر ١٩١٩ ، تصدرها روستا (وكالة الانباء الروسية) وتتناول المشكلات الجارية ابتداء من اكتوبر ١٩١٩ ساهم ماياكوفسكي بكتابة تسعة أعشارها كما رسم نحو ثلثها ـ المترجم

الكتاب Lay ont وتحرير الصحيفة ، والمجلة ، والكتاب ، وكذلك نصوص الدعاية . ولأنه لم يتخل أبداً عن البعد السيمانطيقي (فلم يقتصر أبداً على الصوتية الخالصة أو على مجرد النزعة اللفظية lettrisme) ، فقد استطاع كذلك أن يطرح مشكلات الالتزام engagement ، أو بالأحرى ، مشكلات شعر سيمانطيقي ثوري بنيوي ، مبتعداً بذلك عن « نزعة الغياب » و « نزعة النقاء » في النهج السويسري وفي المظاهر الأوروبية الأخرى للحركة . وبمزاوجة أنشطتهم في الانتاج النصي بتطوير نظري كثيف وبعمل متصل ومنهجي في الترجمة الابداعية(يشمل،على سبيل المثال، قصائد لباوند، وكمنجز Cammins ومقاطع من صحوة فينيجان Fennigans Wake لجويس ، وقصائد لمايـاكوفسكي ، وخلبنيكوف Jlebnikov ، ولطليعيين ألمان وإيطاليين) ، شرع أنصار الحركة كذلك في مراجعة الأدب البرازيلي ، فأعادوا اكتشاف سوساندرادي وأعادوا تقييم حداثة عام ١٩٢٢ التي هزمتها « البارناسية الجديدة » لما يسمى « جيل عام ١٩٤٥ » .

لكن ما يتصل من قريب بموضوعنا هو النتائج التي ستكون للشعر المحسوس ، في ذاته وفي جهد مراجعة أعمال أوزوالد دي أندرادي ، في مجال بعيد عنه ظاهرياً ، هو مجال الموسيقا الشعبية . إذ يمكن القول إن إعادة الاعتبار لأوزوالد بوصفها حدثاً عاماً ، قد انتهت عام ١٩٦٧ ، بتقديم العمل المسرحي ملك القنديل (الذي كتب عام ١٩٣٣ ، ونشر عام ١٩٣٧ ، ورغم ذلك لم يقدم على المسرح قبل ذلك مطلقاً)[٤] من إخراج أكثر المخرجين المسرحيين البرازيليين إبداعاً ، ألا وهو جوزيه سيلسو مارتينز كوريا José Celso Martinez Correa ، وفرقته المكتب Oficina » . وكان لهذا العرض تأثير ضخم على المؤلفين الموسيقيين والمغنين الشبان ممن يسمون « جماعة باهيا* Grupo Baiano » التي يديرها كايتانو فيلوسو Caetano Veloso وجيلبرتو جيل -Gil

(٤) العنوان البرازيلي هو : O Reida. Vela

* نسبة الى مقاطعة باهيا شرقي البرازيل وعاصمتها مدينة سلفادور ـ المترجم

berto Gil وتحت تأثير « أكل لحوم البشر » عند أوزوالد ، إبتكروا « الاستوائية tropicalia » في التفسير المسرحي العنيف الذي قام به جوزيه سيلسو . أما الشاعر أوجستو دي كامبوس Augusto de Campos ، أحد خالقي حركة الشعر المحسوس ، وفي الوقت نفسه ، أكثر من ناضلوا من أجل « جماعة باهيا » ، بوصفه ناقداً موسيقياً (حيث كرس لأعضائها جزءاً كبيراً من كتابه ميزان « الموجة » عام ١٩٦٨)(٥) ، فيكتب : « إن كاتيانو ، وجيل ، ورفاقهما يستخدمون ميتا ـ لغة موسيقية ، أي لغة نقدية ، من خلالها يستعرضون كل ما أنتج موسيقياً في البرازيل وفي العالم ، من أجل أن يخلقوا بوعي ماهو جديد ، لأول مرة . لهذا فإن اسطواناتهم هي كولاج Collage موسيقي/أدبي ، يمكن أن يحدث فيه كل شيء . ويمضي فيه المستمع ، من صدمة إلى صدمة ،مكتشفاً كل شيء ومتعلماً من جديد كيف ينصت بآذان حرة ، كما طالب أوزوالد دي أندرادي في بياناته : الرؤية بعيون حرة . وتظهر عديد من كتابات « الاستوائيين » وشائج مع تكنيكات وطرائق الشعر المتعين ، وتتطور بمفهوم سمعي أساساً ، لعلاقة الصوت بالموسيقا . كذلك يشير أوجستو إلى أن : « جيل وكاتيانو يعيدان إحياء نوع أدبي يكاد يكون ميتاً : هو الشعر المغنى . ويتمتع أعضاء الجماعة بحساسية مرهفة تجاه « المقام الصوتي العالي » (وهو بارومتر موسيقي يكون فيه الشعراء ، وفق ما يعتقد عزرا باوند ، أقل دقة بوجه عام) . فقد حققوا تهذيباً عظيماً لهذا الفن النادر الذي يسميه باوند ، متذكراً التروبادور البروفنساليين ، motz el) son (أي فن توفيق الكلمات والصوت » . لهذا السبب نفسه فإن الشعراء المحسوسين دون خوف من التناقض الظاهري الكامن في هذا التغيير للمجال (الأدب/الموسيقا)

وفي الانتقال كذلك من الدائرة (من دائرة الانتاج أو الاستهلاك المحدود ـ كما في حالة الشعر ـ ، نحو دائرة الاستهلاك الجماهيري ، كما في حالة الموسيقا

---

(٥) Balanço da Bossa (وكلمة balanço، في البرتغالية، تعني «ميزان» و«كشف حساب»).

الشعبيـة المقدمـة من خلال الاسـطوانة والعـرض ، والراديـو ، والتلفاز) ، يعتبرون كايتانو أهم شعراء الأجيال الشابة التي تلت الحركة (وليس الشعـراء الآخـرين « بالمعنى المحـدد » والمنحدرين ، عن طـوع أو بدونـه ، من الشعـر المحسوس ، لكنهم لايضيفون الاسهام الأصيل للشاعر ـ المغنى بطريقه باهيا) .
إن مارشال ماكلوهان يوضح وظيفة الآلة الكاتبة في استعادة الطابـع الشفاهي للشعر ، بوصفها تقسيمة موسيقية للشاعر الذي يستطيع على هذا النحو تسجيل كل الدرجـات الصوتيـة nuances لإلقائـه ، بحريـة أحد مـوسيقيي الجاز Jazz(ويورد في هذا الصدد قصائد كمنجز و الشعر الشفاهي Oral poetry لتشـارلـز أولســون Charles Olson (وكـان ديسيــو بيجنـاتـاري Decio Pignatari ، وهو بدوره عضو في جماعة « نويجاندريس » ، قد أوضح ذلك ، عام ١٩٥٠) قائلا : « إنني أميل إلى الاعتقاد بأن الشاعر قد جعل من الورق جمهوره ، وجعله متمشياً مع صورة إنشاده ، واستخدم كل الوسـائل الكتـابية والطباعية ، بدءاً من وضع النقاط وحتى الكاليجرام ، كي يحاول نقل القصيدة الشفهية إلى القصيدة المكتوبة ، بكل ظلالها » . ويبدو أن تجربة كاتيانو وجيل في الموسيقا الشعبية البرازيلية تعطى بعداً عملياً جديداً لهذه المشكلة نفسها ، محولة « تكنيكات شعر تقسيمي وطباعي نحو الشفاهية .

بموضوع الشعر المحسوس نختتم دراستنا . هنا ، حقاً ، ننتقل من مشكلات سيميـولوجيـا ضيقة (هي اللغـة اللفظيـة والأدب الذي يقـوم عليها) بـاتجاه مشكلات سيميولوجيا أو سيميوطيقا عامة ، حيث نجد أن العلامات التي يسميها جاكوبسون « سيميوطيقية عامة » والتي تشارك فيها اللغة اللفظية أنساق علامات أخرى ، تستخدم بطريقة منهجية وواعية .



الفصل الثاني
الأدب واللغات الجديدة

خوان خوسيه ساير*
Juan José Saer

الخيال ضخم ، ومتعدد ، ومتنوع . والأدب الذي ليس مجاله الواقع بل ماهو خيالي ـ واقع ماهو خيالي ـ يبحث في عالم الخيال عن الأرجاء التي تقع بين التخيل الفانتازيا الغُفْل الآلية (« ماهو فانتازي ») ، وبين الفانتازيا التي تختفي وراء آخر الشرفات المنظورة . يبحث عن خيال يمكنه ، برغم كونه عفوياً نتيجة الآلية التي تنتجه ذاتها ، أن يكون له معنى ليست مفاتيحه ذاتية تماماً ، يبحث عن خيال يحيل إلى العالم باستمرار . بين الليالي المدلهمة لآلية الهروب الذاتية ، يحاول الأدب أن يصادف شريحة مما هو خيالي مستعادة بدقة وتلمع بضوءٍ كامن ، بحيث تحثّ ماهو واقعي على أن يشبهها ، وبحيث تضع الطبيعة في موقف محاكاة الفن .

١ ـ تأثير « وسائل الإعلام » في الأدب .

أ) عدم قابلية الوضع للانعكاس

في أمريكا اللاتينية تتمتع وسائل الاتصال mass - media ، حين لاتعتبر

(*) كاتب وسينمائي ارجنتيني (ولد في سيرودينو ١٩٣٧)، من أعماله الاساسية: في النمطقة (سانتافي ١٩٦٠)، جواب (بوينس ايرس ١٩٦٤)، عصا وعظم (بوينس ايرس ١٩٦٥)، الدورة الكاملة (بوينس ايرس ١٩٦٦)، وحدة المكان (بوينس ايرس ١٩٦٧)، ندبات الجراح (بوينس ايرس ١٩٦٩)، في السينما: اللقاء (١٩٦٤)، عصا وعظم (١٩٦٩)، عدا عدد من الافلام القصيرة.

استاذ النقد والاستاتيقا السينمائية (جمالياتها) وتاريخ السينما في جامعة الساحل (سانتافي).

درس بعد ذلك في جامعة رين Rennes [المراجع] .

مجرد ناتج استهلاكي ـ ومن النادر جداً في الواقع ألاّ يحدث ذلك ـ ، تتمتع ببركة أيديولوجيات التنمية ، ومن هنا يجري التأكيد مراراً على إمكانياتها في مجال التربية . ولاتناقش امكاناتها التعبيرية ، أو بالأحرى إمكاناتها في الإعلام يفترض أن وسائل الإعلام يمكنها أن تنجز مهمة تعليمية هامة في البلدان المستعمرة المسماة بالمتخلفة . وقد يحدث ذلك جزئياً ، خصوصاً في بلدان معينة تكون فيها الطبقة المتوسطة أكثر عدداً وتتركز عليها كمية أكبر من الإعلام فارضةً رسالتها عبر قنوات مختلفة : السينما ، والمذياع ، والتلفاز ، والصحافة من كل نوع ، والاسطوانات ، الخ . لكن يمكن أيضاً إرجاع هذه الاستفادة من الإعلام إلى أن تلك الطبقات المتوسطة ، ولنقلها على هذا النحو ، متعلمة بالفعل : « إن محو أمية الجماهير هو الشرط البديهي لوجود وسائل الاتصال الجماهيرية . وأشير هنا إلى القدرة على القراءة بأوسع معانيها ، القدرة على الانشغال بالأفكار والأحداث وعلى فهمها ولو بطريقة سطحية . وبالتالي ، ورغم ما قد يبدو في ذلك من تناقض ، يستلزم الأمر تثقيفاً سمعياً أوبصرياً لمشاهدة التلفاز أو الاستماع بذكاء إلى المذياع ، وبالعكس فإن هاتين الوسيلتين تؤديان وظيفة تثقيفية لأنهما تعدان المشاهد لتلقي أفكار وتجارب جديدة من خلال وسائل أخرى »[1] وتتوجه غالبية وسائل الاتصال الجماهيري إلى المجموعات التي تستطيع القراءة ، و « المثقفة » بدرجة معينة . أما في المناطق الأشد تخلفاً من وجهة نظر التعليم فلا تنتشر سوى أكثر الصحف بدائية مع المذياع . إن مشكلة الاتصال الجماهيري ، بوصفها مشكلة ثقافية ، هي مشكلة الطبقات الوسطى . ووسائل الاعلام media ، في أمريكا اللاتينية ، والتي تستهلكها هذه الطبقات بكميات متزايدة ، لاتؤدي ، إلاّ في حالات منعزلة ، وظائف التعبير أو الاتصال ، أي الوظائف المثرية ، بل إنها بالأحرى تقتصر على إعادة صورة هذه الطبقات الوسطى ، كما تعكسها المرآة ، بعد تهذيبها كما يجب . إن الاخفاق السياسي

(١) Robert KINGLEY,La Comunicacion masa y el inperialisno cultural, en Journal of Inter - American Studies, vol. vIII. Julio de1966.

لايديولوجيات التنمية يثبت زيفها ، كما يثبت أن الصورة التي يحاول نظامها عرضها للطبقات الوسطى ليست حقيقية بدورها . ففي « مرآة » وسائل الإعلام توجد كل القيم المعادية لأمريكا اللاتينية : صور الحياة الغربية عنها ، وأشد الأوهام بذخاً ، وأكثر النماذج لاعقلانية . ومشاهد التلفاز ، وجمهور السينما ومستمع المذياع وقارىء لاناسيون La nacion و لايف Life وأوكروزيرو Ocruceivo ، أو بريميرا بلانا Primera Plana* يتلقى بصورة مستمرة واقعاً مُتَمثَّلاً بالفعل ، مصوغا على صورته ، تُعرض عليه من خلاله مشروعات ونماذج ليختار في اطارها وكأنه حر ، في مرحلة من تطور الرسالة الاعلامية تكون فيها القرارات قد اتخذت بالفعل . إن « هوية » جمهور وسائل الإعلام تمثل ، بصورة مناقضة ، نوعاً من « الغيرية » : فلا يمكنه التعرف على ذاته إلا في صورة قدمها إليه الآخرون . والتهذيب المدرك بدءاً من ايديولوجية للتنمية ، التهذيب الذي يطرح اثراء مجال تعبير محترفي وسائل الاعلام الجماهيرية ، أو يطرح ترشيداً منظماً لها ، لايفترض على الاطلاق تحولاً إيجابياً لها بل هو على العكس : « فكلما أصبحت الصحف أكثر فعالية وكفاءة زاد خطرها على عقل الجمهور » .[٢]

إلا أن وسائل الاتصال الجماهيري تشبه درجة الوعي التي اعتقد د . هـ . لورنس D. H. Lawrence أنه اكتشفها عند ملفيل Melville : إنها نقطة لم يعد من الممكن التراجع عنها . وقد حاول إدجار موران Edgard Morin[٣] أن يثبت ، بنجاح متفاوت ، أن السينما ووسائل الاعلام إذا كانت قد تحولت إلى غذاء للتخيل (للفانتازيا) وليس للعقل ، فإن ذلك يرجع إلى أن البشر كانوا بحاجة لاستخدامها لهذا الغرض : و « لايمكن طرح البديل التبسيطي : هل الصحافة (أو السينما ، أو المذياع ، الخ) تصنع الجمهور أم أن الجمهور هو الذي يصنع

---

* جميعها صحف أمريكية لاتينية عدا لايف فهي أمريكية شمالية [المترجم] .

(٢) William Barret, citado for R. Kingley, op. cit.

(٣) Edgard Morin, Lespit du temps,Essai sur la culture de masse Paris, Grasset, 1962

الصحافة ؟ وهل تفرض الثقافة الجماهيرية على الجمهور من الخارج (وتصنع له احتياجات زائفة ، ومصالح زائفة) أم أنها تعكس احتياجات لدى الجمهور ؟!! وموران محق في أن الطرح تبسيطي وهو كذلك لسببين : الأول لأنه يكشف عن مفهوم جلف بل واحتقاري لما هو خيالي ، والثاني لأنه يقر بأن الوضع الراهن لوسائل الإعلام هو نتاج للامعقولية البشر ، تطور ليلتهم ذاته ، وهذا يبدو أيضاً أنه نظرية تبسيطية ، بل وفاشية إلى حد ما . وإذا بحثنا الثقافة الجماهيرية في علاقتها بما يسمى بالثقافة الراقية ، (ومع الأدب في حالتنا المحددة) أمكننا أن نرى بوضوح أكبر تعقيدا للمشكلة ، أن نرى العلاقة الحقيقية القائمة بين وسائل الاعلام وبين ماهو خيالي ، أي ذلك الذي يمكننا أن نعتبر الأدب تعبيراً متميزاً عنه . لكن هذا سيأتي فيما بعد . فبعد إثبات عدم قابلية وسائل الاعلام للانعكاس من الضروري الآن أن نلقي نظرة على الموقف في أمريكا اللاتينية ، في علاقته بالأدب ، لنرى إن كان كل شيء قد كان كارثة وتضليلاً .

يبدأ جون دوس باسوس John Dos Passos ثلاثية الولايات المتحدة الأمريكية U. S. A محدداً تاريخاً دقيقاً ـ هو عام ١٩٠٠ ـ ومستخدماً طريقة ذات مغزى : هي إدخال سلسلة من عناوين الصحف ظهر من بينها إعلان موت أوسكار وايلد Oscar Wilde وتظهر كل شريحة روائية من العمل وعلى رأسها منتخبات من عناوين تناظر بدرجة أو بأخرى تلك الفترة التي يتطور فيها الحدث . وتكشف هذه الطريقة أنه بالنسبة لدوس باسوس فإن وضع الحكاية في اطار التاريخ الحاضر ، في إطار « روح » العصر ، هو أمر جوهري ، وأن « روح العصر » تتبدى له من خلال الصحف . وفي أمريكا اللاتينية كتب كل أدب هذا القرن في عملية موازية لتطور المجتمع الجماهيري ، ولثقافته ولوسائل إعلامه ، والكتاب الذين يبدأون الكتابة خلال الأعوام العشرين الأخيرة يفعلون ذلك من داخل ثقافة جماهيرية قد تدعمت بدرجة كبيرة . وكتاب أمريكا اللاتينية مرتبطون بهذه الثقافة ، بسبب أصلهم أو تكوينهم ، حتى حين تكون علاقتهم بها علاقة تضارب للمشاعر ، تفترض أحياناً الرفض العنيف أو الجهل الذي يكاد يكون

مطبقاً . وليس للرفض دائماً أساس إيديولوجي دقيق ، ويتضح تضارب المشاعر بالدرجة الأولى حين نضع في اعتبارنا أن كثيرين من المثقفين الذين يعملون في تنظيم وسائل الإعلام وانتاجها ويكسبون قوتهم منها لايشيرون إلى وسائل الاتصال الجماهيرية إلا للإعراب عن احتقارهم .

ب) تأثيرات متعددة

إن تأثير (وسائل الاعلام) أو « تغلغلها » ـ تغريني الإيحاءات الشبقية للكلمة على التلاعب بالألفاظ حول الخصوبة المحتملة للعملية* ـ متعدد ، وليس الكاتب واعياً دائماً لتنوعه وثرائه . ولابد بدايةً من التساؤل إلى أي مدى لا تكون « الحداثة » و« الاستقلال الجمالي » للأدب الأمريكي اللاتيني الجديد جزأين من العالم الغربي ، في اللحظة نفسها التي تجري فيها الأحداث تقريباً ، بل إن هذا الأدب يكتسب كذلك وعي وسائل الاعلام الجماهيرية على وجه الخصوص ، من خلال ذلك الإعلام . عبر هذه الوسائل فإن الكاتب الراهن لأمريكا اللاتينية لايتلقى فقط ـ ولو بطريقة مجتزأة غير مناسبة على الدوام أو مبسطة ـ معلومات حول تطور الثقافة الراقية ، وهذا بالأخص نتيجة مباشرة لتطور وسائل الاتصال عموماً ولصغر العالم . انه يعيد التفكير في وضعه فيه بدءاً من هذه المعلومة الجديدة ، وينغمس في العالم شاعراً بأن ماهو غريب عنه يصبح أكثر ألفة له باستمرار (« وبأن ماهو مألوف غريب عنه » ، كما يكمل موران) ، ولأنه ،بسبب حساسيته ، هدف متميز « التغلغل » وسائل الاعلام ، فإنه يدخل في تواصل مع سلسلة من مختلف أشكال التعبير ليست كلها بريئة بالضرورة ، مثل السينما ، والموسيقا الشعبية ، والميوزيك هول ، ومسرح التلفاز ، والصحافة ، الخ) . بل إن المناقشة نفسها حول الإسهام التعبيري المحتمل للغة وسائل الاعلام ، حتى حين ينتهي الأمر باعتبارها غير موجودة ، تجبر الكاتب الأمريكي اللاتيني ، بقدر ما يؤمن بأن تغيير الأشكال هو الشرط الأساسي الذي

(*) هنا ترجمة لكلمة penetración ، وتعني الكلمة ايضا الاختراق او الايلاج ـ المترجم.

يتيح لقاء الأدب ، تجبره على أن يأخذ في الاعتبار العناصر المشتركة لكلتا اللغتين ، أو بالأحرى جوانبهما الاستبعادية . والنقاش بشأن اللغة السينمائية ، التي ترجع إلى عدة عقود ، نقاش نموذجي بهذا المعنى ، وقد ترك في أدبنا آثاراً أكثر مما يمكن تصوره .

إن رائعة أدولفو بيوي كاساريس Adolfo Bioy Casares[٤] ، اختراع موريل La invención de Morel ، تلك الفانتازيا الرائعة حول العودة الأبدية ، هي كذلك تأمل ، أو نتيجة تأمل ، حول السينما الشاملة . ومن ثم ، ليس غريباً أن يكتب بيوي كاساريس بعدها بسنوات ، سيناريوهين سينمائيين ، بالاشتراك مع خورخي لويس بورخس ، هما سكان الضفاف Los orilleros و جنة المؤمنين El paraiso de los creyentes ، رفضهما المنتجون بحماسة ، كما يرد في المقدمة التي تتصدر طبعتهما الأولى . وهذه المقدمة هامة ، لا بسبب نكاتها الجيدة ، فحسب بل كذلك لأن بورخس وبيوي ، حينما يحددان السينما

---

(٤) اعتقد ان من الضروري ايضاح ان الكتاب المذكورين في هذا العمل ليسوا جميعهم ، على ما اعتقد ، كتابا جيدين . ويمكنني القول ان كثيرين منهم ليسوا كذلك . لكن تفاعلات ثقافية معينة تتضح اكثر في الاعمال القليلة القيمة ، او في الاعمال التي لا تبلغ مبلغ الادب غيرانها تكشف عن اتجاهات معينة للفترة او للجماعات أكثر مما تتضح من الاعمال الرائعة . وكثير من اكتاب امريكا اللاتينية الهامين (الشاعر الارجنتيني العظيم خوان اورتيث juan , L Ortiz ،والقصاص المكسيكي خوان رولفو Juan Rulfo ، على سبيل المثال) لا يظهرون هنا لان اعمالهم لا تضيف معلومات تهم هذا العمل . فالعروض الادبية تميل الى عرض الادب من قوائم طويلة رتيبة يكون فيها كانسينوس اسينس Cansinos Assens هوزعيم الحركة الحدّية وبورخس تلميذه ، ويكون ابسن Ibsen ولابيش Labiche ممثلين للمسرح البرجوازي ويكون بافيزي Pavese وفراي موتشو Fay Mocho من الممارسين للصوت الواحد الى جانب الاقليمية الادبية . وكلما كان المجال الذي يطرحه النقد ضيقاً ، شبهه بالعرض البانورامي . وقد وجد بعض النقاد ومؤرخي الادب الامريكي اللاتيني الصيغة المخلصة : فلديهم هاجس العروض البانورامية .

باعتبارها القصص الملحمي بلا منازع [٥] ، يعبران عن فكر دقيق بشأن السينما ، أي ، عن نظرية سينماتوغرافية . ومن الضروري أن نتذكر ، من جانب آخر ، أن بورخس كان الناقد السينمائي[٦] في مجلة جنوب Sur ، وأن أعماله ، البعيدة عن الاقتصار على السباب أو الاطراء ، وهي « العمليات الغريبة على النقد » ، تفضل الانشغال بمناقشة المشكلات المحددة للتعبير السينماتوغرافي : الدوبلاج ، واعداد الأعمال الأدبية للسينما ، أي السيادة البصرية ، وتقطع الزمان والمكان :

هذان العنصران ، الميزان للسينما ، هما المفتاح الشكلي (فالملحمة شكل ، وليست موضوعة) لواحد من أهم الأعمال القصصية لبورخس : هو التاريخ الكوني لسوء السمعة Historia universal de la infamia . والمعلومة الأخرى التي نضيفها على هذه الأقاصيص هي أنها كانت تكتب أسبوعياً لتنشر كل سبت في احدى صحف بوينوس آيرس . و التاريخ الكوني لسوء السمعة هو كتاب بورخس الذي يتضمن ، (ولنقلها على هذا النحو) ، عناصر نمطية أكثر للثقافة الجماهيرية : أي يتضمن مغامرات ، وعنفاً ، وطرافة ، ونماذج نمطية ملحمية .

وهذا ينقلنا إلى مشكلة أخرى : هي تأثير جوانب معينة من الاتصال الجماهيري ليست « فنية » بالضرورة ـ سواء أكان ذلك باعتبارها ، موضوعة (تيمة) أم موضوعاً للنقاش ، أم حافزاً على إجراء تغييرات في الشكل .

---

(٥) ظل بورخس مخلصا لهذا الرأي . . وهو يكرر الحجج نفسها عليه في مقال البراءة المقدسة للحلم ، الذي يفتتح به مهرجان الماردي بلاتا السينمائي ومجلته الرسمية ، عام ١٩٦٠ .

(٦) يقوم مقال للسينمائي الارجنتيني راؤول بثيرو Raul Beceyro ، يحلل اعمال النقد السينمائي توغرافي لخورخي لويس بورخس ، بصياغة الفرضية الهامة في ان بورخس هو اول «كتاب كراسات السينما» في تاريخ النقد السينمائي . وبالنسبة لبورخس كما بالنسبة لكراسات السينما Cahiers du Cinema ، فإن شكل العمل النقدي اهم دائما من الفيلم الذي يعلق عليه .

جـ) الصحافة

من الصعب فصل ذلك المزيج المختلط نوعاًمـا من التعبير والإعـلام والذي يشكل جوهر وسائل الاعلام ويتضح ذلك إذا تناولنا مسألة الصحافة . قلائل هم الكتاب الأمريكيون اللاتين الذين لم تكن لهم علاقة بشكل أو بآخر مـع الصحافة في لحظة معينة من لحظات عملهم . ولم تقتصر تلك العلاقات دائماً على اعتبار الصحافة عملاً اضافياً قادراً على امدادهم بالأمان الاقتصادي الضروري للتفرغ للأدب . واحد من أهم كتب روبرتو آرلت Roberto Arlt ، (ألوان مائية من بوينوس آيرس A gua fuertes portenas) ، هو مجموعة من سلسلة مقالات نشرها آرلت في إحدى صحف بوينوس آيـرس وحققت تواصـلاً غير مسبوق مع الجمهور ـ وربما لم يتحقق ذلك بعدها ـ في الصحافة الأرجنتينية . كانت نصوص آرلت تندرج في الوقت نفسه في الصحافة وفي الأدب . وآثر ذلك على نفس أسلوب آرلت : فحقيقة أنها موجهة لصحيفة لم يكن جمهورها هو جمهور القلة الكـلاسيكي للأدب الـراقي ، هـذه الحقيقـة دفعت آرلت إلى معـالجـة موضوعاته بوضوح ، دون رونق البلاغة الذي لم يكن في متناوله دوماً ، حتى في بعض أفضل لحظاته .

وفي الكتاب الأول لكارلوس دروموند دي أندرادي ، (بعض الشعر Algu-ma poesia) (١٩٢٥ ـ ١٩٣٠) ، لاتعرفنا قصيدة الصحيفة Poema do Jornal بتأثير الصحافة على الأدب فقط ، بل تتيح كذلك إثبات أن القصيدة يمكن أن تكون في آن واحد تركيبا لتأمل حول الصحافة وحول الشعر :

حادث ما ينفك حتى الآن يحدث	O fato ainda náo acabou de acontecer
وتأتي الآن يد عصبيةتنقله	e já amao nervosb do repórter
تحوله إلى خبر	o transforma em noticia.
الزوج يقتل المرأة	O marido está matando a mulher
المرأة الدامية تصيح	A mulher ensanguentada grita.
لصوص يهاجمون صندوقاً	Ladróes arromban o cofre.

الشرطة تفرق اجتماعاً	A policia dissolve o meeting
ريشة تكتب	A pena escreve.
وتأت من صالة اللينوتيب موسيقى ميكانيكية حلوة	Vem da sala de linoti-pos a doce música mecanica.

الأبيات الثلاثة الأولى من القصيدة هي وصف كامل للصحافة والبيت الأول O fato ainda náo acabou de acontecer ـ يمكن تفسيره على أنه وصف تهكمي لنشاطية مفزعة ، نوع من اللامبالاة تجاه الواقع الوجودي لصالح سرده ، سيادة سلبية للإعلام على الحقيقة . لكن « اليد العصبية » للمحرر ، لاتعني مجرد التعجل والسرعة . فالتتابع الدرامي للأحداث ينتهي بالتأكيد المقتضب : A pena escreve . وإذا وضعنافي اعتبارنا أن جزءاً كبيراً من الأعمال الشعرية لدروموند تتأمل في الشعر وفي وضعه في العالم ، لايبدو تجاوزاً منا ان نستنتج أن قصيدة الصحيفة Poema do Jornal هي ، في آن واحد ، وصف للصحافة وللنشاط الشعري ، أي تأمل في فعل الكتابة وفي علاقته بما هو واقعي .

وهناك قصيدة لدروموند ، متضمنة في الكتاب نفسه ، تتصور رحلة في لحظات متقطعة ، مستخدمةً طريقة لها علاقة بطريقة « **حكايات سوء السمعة** » لبورخس . والقصيدة تسمى « **الفانوس السحري** » . Linterna mágica .
ولايجب أن ننسى أن الفانوس السحري هو النموذج النمطي الأسطوري للسينما ، لقد سبقها ، وبعد أن مر بفترة وجيزة لم يكن فيها أكثر من موضوع للدهشة ولمناقشة العلماء والتكنيكيين ، عادت السينا الى مرحلية الفانوس السحري وتدعم بوصفه جهازاً للتسلية . بهذه الكناية ، يوضح دروموند أن الأدب يمكنه أن يتخيل السينما ليس فقط بطريقة تجريبية ، أي ، من خلال التجربة الشخصية للكتاب الذين يتحدثون عنها كمشاهدين أو ككتاب سيناريو ـ ، بل يمكنه تخيلها كذلك باعتبارها حدثاً أكثر عمقاً ، كنموذج نمطي تعبيري قادر على مواجهة الواقع وعلى تصليب عوده على طريقته ، أي ، باعتبارها لغة .

د) « الحداثة » .

إن شبحاً اجتاح أوروبا وأمريكا اللاتينية كذلك ، هو المستقبلية ، مازال يطفو في الهواء ، بقوة أقل ، في مصطلح « الحداثة » . ومنذ زمن قصير استمعت إلى محاضرة يمتدح فيها أليخو كاربنتييه Alejo Carpentier إدخال الطيران في الرواية الحديثة ، مقتفياً آثار زولا Zola ، الذي أدخل القاطرة البخارية . وبصرف النظر عن الدهشة التي يمكن أن يثيرها رأي كاربنتييه ذاك ، الذي تقوم كل كتبه عملياً على أساس تسلط الماضي ، فإن من المثير للاهتمام أن نثبت أن هذا الرأي يرتبط بمشكلة وسائل الإعلام بقدر ما تفرض هذه الوسائل نفسها ، بحداثتها ، كموضوعة في الأدب الأمريكي اللاتيني . فالتبني الاختياري لما هو حديث يتضمن وجود مسافة مع الحداثة . لأننا حين نقترح على أنفسنا تبني شيء يكون ذلك لأننا نحس بأنه غريب عنا . فالرواية المثقلة بأجهزة التلفاز والسيارات ، والسينمائيين والطائرات النفاثة ليست بالضرورة أكثر حداثة من ثاما Zama لأنطونيو دي بنيديتو Antonio Di Benedetto ، التي تجرى أحداثها خلال العقد الأخير من القرن الثامن عشر لكنها كتبت نحو عام ١٩٥٠ . وبالأحرى فإن عملية تمثل الحداثة هي ماينتج تفاعل اللغات بين وسائل الاعلام والأدب . إن رواية خيانة ريتا هايوارث La Traición de Rita Hayworth ، للأرجنتيني مانويل بويج Manuel Puig ، هي رواية تبدو متخلفة عن الزمن ، رغم أنها تطرح موضوع الانبهار بالسينما في الطبقات المتوسطة ، وذلك لأنها تتناول موضوع الحداثة من الخارج بحساسية أدب العادات . وتأكيد بورخس أن المرء لايمكنه ألا يكون حديثاً هو سفسطة ذكية ، لكنها تغفل تفصيلاً أساسياً هو أن للكاتب طريقة محددة في أن يصبح حديثاً تتلخص في معرفة ماذا فعل الأدب حتى اللحظة التي يبدأ هو فيها في الكتابة وفي محاولة إثراء تلك النتائج شكلياً . والكثير من الكتاب الحديثين لأمريكا اللاتينية ـ وللعالم بأسره ـ يتغنون بالأجهزة الكهربائية بالبراعة الشعرية نفسها للصناعي الذي يصنعها وبلغة الاعلان الدعائي الذي يحاول ترويجها ذاتها . إنها أشكال ولغات غير منسجمة ،

وتقليدية ، لاتتمشى مع الواقع الذي تواجهه ، ولاتستطيع التقاط تعقيد العالم الحديث والتعبير عنه بمجرد التناول من الخارج لموضوعات تنتمي ، اذا شئت ، الى فولكلور « الحداثة » . وأحيانا يحدث العكس . فثمة كتاب يأتون من الثقافة الراقية ـ أو يعتقدون أنهم ينتمون اليها ـ يطبقون على ابداعات الثقافة الشعبية إنجازات معينة للثقافة الراقية . وتكون النتيجة أحياناً محزنة . وهذه هي حالة الشعراء المرتبطين بالطليعة والذين أرادوا تطبيق الترسانة الشكلية نفسها لشعر الطليعة على كلمات التانجو . لكن الاستعارات المحكمة ، والتباكي المتصل ، والتخلف عن الزمن والتقشف المتعمد لاتتضمن تقدماً بالنسبة للكثافة الكاملة لكونتورسي Contursi أو ديسكيبولو Discépolo* .

أما التشيلي نيكانور بارا Nicanor Parra والأرجنتيني خوان خيلمان Juan Gelman فيتخذان الموقف المضاد : ففي أعمالهما تظهر الرغبة في إدخال عناصر من الفولكلور ومن الموسيقا الشعبية بتواتر كبير . وعناوين قصائدهما أو دواوينهما ذات دلالة كبيرة : مثل الكويكا** الطويلة La cueca larga ، لبارا ، و (جوتان *** وتانجوهات صغيرة Gotán y Tanguitos) لخيلمان . ولابد من التمييز بين موقف هذين الشاعرين وبين موقف دارسي الموسيقا الشعبية أو الفولكلور الذي يستهدف تحقيق أو الحفاظ على أشكال تعبيرية على وشك الاختفاء ، وكذلك بين موقفهما وموقف بعض الشعراء الذين يمارسون نوعاً من المحاكاة زاهية الألوان ، بالأسلوب الجاووشي ، كما هو الحال مع الأروجواي فرنان سيلفا فالديس Fenán Silva Valdés ، أو الأرجنتيني ياماندو رودريجث Yamandú Rodriguez فبعيداًعن التعامل مع أشكال مسموح بها من أجل الابقاء عليها أو محاكاتها يبدو أن محاولة بارا وخيلمان تود بالأحرى أن تتلقف إيماءة الشعر الشعبي الحالي من أجل تحويل لغة شعرهما ذاته وجعلها ، إذا شئت ، أكثر

---

* من نجوم التانجو ـ المترجم

** الكويكا Cueca : رقصة شعبية تشيلية ـ المترجم

***جوتان هي أغنية تانجو.

واقعية . إن وسائل إعلام معينة (الاسطوانات ، والمذياع ، والتلفاز الخ) هي التي تحفظ هذا الشعر حياً ، تغرسه في الحياة اليومية وتمنحه هذا الطابع من اليومية الذي يحاول شعر خيلمان وبارا انقاذه لصالحه . ومثلما تقرب وسائل الاعلام ماهو غريب وتحيله مألوفاً فإنها كذلك تدخل في الحياة اليومية أشكالاً لغوية معينة، مثل عامية بوينوس آيرس ، تدخلها على الفور في اللغة الشائعة وتتحول إلى مادة للشعر . وما يتيح لما يكتبه خيلمان أن يكون شعراً أحياناً (ولا تعبر كلمة « أحياناً » عن الازدراء بأي حال) وألا يكون ما يكتبه رودريجث شعراً أبداً ، هو ألفة لغته تلك التي فرضتها وسائل الاتصال الجماهيري على المجموعات الاجتماعية . ليس غرض خيلمان أو بارا هو انقاذ الشعر الشعبي في حرفيته ، بل في يوميته .

هـ) طريقة شائعة

إن ادخال الأدب لعناصر مستمدة من الميوزيك ـ هول music - Hall ، والبانتوميم (مسرح الايماء) والدعابة الشعبية، تنشرها الحكايات الفكاهية المصورة، والمذياع، والسينما ، والتلفاز، إلى آخره ، هي طريقة شائعة تماماً في قرننا . فجيمس جويس James Joyce « مؤلف مهزلة المصير » ، يدخلها في صحوة فينيجان Fennigans Wake ونلاحظ عرضاً أن العنوان مأخوذ بدوره من موال أيرلندي قديم . ويعمل الكوبي جييرمو كابريرا إنفانتي Guillermo Cabrera Infante على هذه المواد في روايته ثلاثة نمور حزينة . ومنذ عدة سنوات تبنى الشاعر الأرجنتيني راؤول جونثالث تونيون Raúl González Túnon في شعره لغة الموالد ومسرح المنوعات . وتتمتع إحدى قصائده الشهيرة ، بتوقيع نداءات الموالد :

ولا تحفل ياصديقي ، فالحياة قاسية .
ليس في الفلسفة كبير متعة .
إن أردت أن ترى الحياة وردية .
فألق في الصندوق عشرين درهماً .

إن ميثولوجيا كاملة ـ مع اللغة المناسبة لها ـ تنشرها وسائل الاتصال الجماهيري ، تتخلل شعر كونثالث تونيون . والتتبع المنهجي للشعر الأمريكي اللاتيني خلال الثلاثين عاماً الأخيرة يظهر وجود هذه الميثولوجيا وهذه اللغة بصور متعددة ونقص إحدى قصائد الكوب روبرتو فرناندث ريتامار Roperto Fernández Retamar تجربة تقوم فيها اسطوانة لموسيقا الجاز بدور الشرارة المولدة لها : فالقصيدة وصف مسهب لهذا الحافز وللتداعيات التي يبعثها . ويصوغ الأرجنتيني صاؤول يوركيفيتش Saúl Yurkievich ، في كتابه (دراقة المجنونة) Ciruela la loculira جمالياته على النحو التالي : « انها متنوع من الأشكال والنغمات ، يربط بحرية بين الإعلان المبوب ، ووصفة الطهي ، وتحضير الأرواح بالسحر ، والأماكن العامة ، الصيغ الاعلانية ، والألغاز ، والتخمينات والرطانة البيروقراطية » . . هذه القائمة ، حتى حين تثير شكوكاً جمالية مبررة ، تبين إلى أي مدى يمكن لوسائل الاعلام الجماهيرية ، حتى في مظاهرها الأولية ، أن تزود كتاب أمريكا اللاتينية بالمادة . وهذه الأسطورة التي اندرجت بصورة حاسمة في الأدب الأرجنتيني ، والتي مازالت حية حتى الآن أكثر من أي وقت مضى أعني أسطورة كارلوس جارديل Carlos Gardel والفترة الذهبية للتانجو ، هل كانت توجد دون تدخل وسائل الاعلام ؟ في هذه النقطة ، نجد الكاتب الأرجنتيني مثل شخصية (**عن الأبطال والقبور** Sobre héroesy tumbas) لإرنستو ساباتو Ernesto Sabáto ، التي تجدد كل ليلة طقس الجارديلية أمام فونوغراف يعد لذلك ، ومثل الفانوس السحري عند دروموند ، وهو النموذج النمطي لكل الأجهزة القادرة على تسجيل وإذاعة الصوت . في هذا الطقس يقدم الاحتفال الرسالة والوسيط في آن واحد ، حيث إن استبدال الوسيط بالرسالة يحيل لحظة الاستماع إلى نشوة تماثل النشوة التي تبعثها معجزة .

و) السينما

والمعجزة الأخرى ، معجزة كسب كتابنا لقوتهم ، حققها أولئك الكتاب

بالمشاركة من حين لآخر في صناعة السينما ، وبإقامة روابط معها ليست عفيفة على الدوام . فقد شارك أوجستو روا باسطوس Augusto Roa Bastos ، ودافيد فينياس David Viñas ، وكارلوس فوينتس Carlos Fuentes ، وجابرييل جارثيا ماركيث Gabriel Garcia Márquez ، وخوليو كورتاثار Julio Cortazar ، وفيثنتي لينييرو Vicente Leñero ، عدا آخرين ، في عمية إعداد الأعمال السينمائية ، سواء كمؤلفين للسيناريو ، أو كمعدين لرواياتهم أو روايات غيرهم ، أو كمؤلفين لقصص أنتجت على أساسها أفلام . هذه العلاقة بين الكتاب والسينما لاتطرح فقط مشكلات اجتماعية أوثقافية . بل تطرح كذلك كأسئلة محددة تتعلق باللغة وبالأشكال القصصية .

وتحاول إحدى أقاصيص كورتاثار ، وهي (حماقات الشيطان Las babas deldiablo) ، أن تصنع على أساسها فيلما شهيرا لأنطونيوني ، تحاول هذه القصة استعادة الواقع الذي تسجله كاميرا فوتوغرافية ، ويكتسب شكلها شكل سلسلة من الصور الساكنة المتقابلة ، ويكتمل معناها ، عن طريق التعميم ، بالاكتشاف التدريجي ، وإيقاعها Tempo ليس ايقاع الإلهام ، مثلما في قصائد ويليام بليك William Blake بل إيقاع موضوع الإلهام . وقد كتب فينياس ، الذي تدين له إحدى مراحل السينما الأرجنتينية بالكثير ، السيناريو الأصلي لفيلم إدارة الخد Dar la cara أولاً (أو في نفس الوقت) ثم كتب بعدها الرواية التي تحمل الاسم نفسه . وقد يقال إن خطية بنائها ولغتها هي نتيجة ذل الالهام المتأخر . وفي رواية (استوديو . ك Estudio Q) ، يركب المكسيكي فيثنتي لينييرو ويخلط مستويات متعددة من الواقع من خلال برنامج تلفازي ، وتأخذ الرواية للحظات شكل السيناريو .

ودون الدخول في دراسة النتائج المتحققة ، فإن من الواضح أن اتصال الروائيين بالسينما والتلفاز وبالأجهزة التي يستخدمها هذان الوسيطان لإدراك الواقع ، قد ولد فيهم التأمل على مستوى اللغة ودفعهم إلى تطبيق نتائج تأملاتهم . أما إدراك أن قوانين السرد وقوانين البلاغة أمران متعارضان فلم يتعلمه روائيونا فقط من مثال النثر الجيد الأمريكي الشمالي ، الذي كان له نفوذ

رئيس في أمريكا اللاتينية ، بل تعلموه كذلك من الاتصال المستمر مع السينما والتلفاز ومع هذا الأخير بدرجة أقل وتتم العلاقة معه على الدوام تقريباً وفي الاعتبار أن اتجاهه ، في أحسن الأحوال ، هو تبسيط طرائق السينما . وتتميز غالبية الفن القصصي الأمريكي اللاتيني الجديد بسيادة الحدث وسيادة ماهو بصري قبل سيادة التأمل والتحليل . ويرجع ذلك ، أساساً ، إلى أن الكثير من المؤلفين قد تشكلوا ، إذا شئت ، وهم مغمورون في جماليات السينما ، التي تأملوها بوصفهم جمهوراً وبوصفهم مبدعين في الوقت نفسه . ويجب أن نضيف الى ذلك أن التأثير الرئيس الذي تأثرت به الرواية الأمريكية اللاتينية ، أعني التأثير الأدبي الخالص ، أي تأثير الفن القصصي الأمريكي الشمالي ، هو تأثير للسينما ، بشكل غير مباشر ، وذلك لأن المبدعين الرئيسين للأدب القصصي الأمريكي الشمالي ، فوكنر Faulkner ، ودوس باسوس Dos Passos ،وهيمنجواي Hemingway ، وكالدويل Caldwell ، وشتاينبك Steinbeck ، وتشاندلر Chandler ، وهاميت Hammet ، قد أنجزوا أعمالهم خلال السنوات التي ترسخت فيها نظرية اللغة السينمائية وطبقوا في كتبهم ، عن عمد ، طرائق للسرد الموضوعي مستقاة من السرد السينمائي .

وإذا توقفنا برهة لنفكر في السبب في أن الأدب الأمريكي الشمالي قد أثر بهذا العمق في أدب أمريكا اللاتينية (واترك مشكلة الامبريالية الثقافية للمتخصصين) فلن يكون من الصعب أن نجد الاجابة . فالأدب الأمريكي الشمالي ، بكونه أدب مجتمع جماهيري بلا منازع بسبب موضوعاته وبسبب موقعه والفترة التي كتب فيها ، جعل الكتاب الامريكيين اللاتين يرون فيه نقطة انطلاق مناسبة لوصف المجتمع الأمريكي اللاتيني على أنه مجتمع جماهيري في حالة ميلاد ، سواء عن حق أم عن وهم .

٢ ـ تأثير الأدب في « وسائل الإعلام » .

وحين نتساءل عن العملية العكسية ، عملية تأثير الأدب على وسائل الإعلام الجماهيرية ، فإن الاجابة الفورية هي أن الأدب يكمن في جذر وسائل

الإعلام ، ويلعب بالنسبة لها دور نوع من النموذج أو حتى دور الأنا ـ الأعلى ، وذلك بقدر ما يضم الأدب بشكل كاسح مايعرف باسم الثقافة الراقية . فحين تتجاوز السينما ، أو المذياع ، أو التلفاز ، مرحلة التدعيم التكنيكي ، هذه الحالة التي كان العرض الذي يجري فيها هو الأجهزة وليس ما تذيعه ، فإنها تبدأ في التطلع صوب الثقافة الراقية من أجل نشرها ، ومحاكاتها ، أو إعدادها . وفي تاريخ السينما الأرجنتينية ، على سبيل المثال ، ما من عمل جدير بالذكر تقريباً إلا ونجده يقوم على أساس رواية أو قصة ذات شهرة راسخة بالفعل . سجناء الأرض Prisioneros de la tierra ، والحرب الجاووشية La guerra gaucha ، وأيام الكراهية Dias de adio ، واسم الشهرة جارديليتو Alias Gardelito (وهو عمل بارز ونموذجي من اعداد أوجستو روا باسطوس ،الخ) . ومنذ وقت قصير حاول بعض النقاد الايطاليين توضيح كيف أن الواقعية الجديدة ، ومرحلتها التالية ، الواقعية النقدية ، قد أدخلتا في السينما الطرائق السردية للرواية البرجوازية الأوروبية للقرن التاسع عشر .

إن وسائل الاعلام ، حين تعتبر نفسها « ثقافية » ، تعتبر نفسها في خدمة الثقافة الراقية عموماً ، وتشغل نفسها بنشرها ، وبإعدادها ، وبالدعاية لها الخ . والآن تحاول الاسطوانة ، من خلال آلاف النسخ ، اضفاء الطابع الديمقراطي على الصوت المتهدج لبورخس أو الصوت غير الحقيقي والحزين لنيرودا ، أو على أصوات بعض الروائيين وهم يقرأون مقاطع من رواياتهم أو يشرحون للجمهور كيف ولماذا كتبوها . في عالم وسائل الاعلام الضخم ، يقوم الأدب بدور نوعية ثانوية ، إذ إنه لايبدو فقط وكأنه في بداية هذا العالم وفي نهايته ، بل إنه كذلك يرشح من كل شرخ من شروخه ، ويظهر في كل محاولة تبذلها وسائل الإعلام لكي تهتم بالثقافة . ومن ثم ، يبدو الأدب وكأنه يشع على وسائل الإعلام الجماهيرية وضوحاً هو في الوقت نفسه تنوير وعائق ، ويتضح ذلك إذا وضعنا في حسباننا أن أحد التساؤلات التي أثارها ظهور وسائل الاعلام كان عن مصير الأدب ، الذي صاغ ، في زحمة النشوة بوسائل الاعلام ، والمرة بعد المرة الفرضية

ـ العبثية ـ القائلة بأن وسائل الإعلام ستقضي على الأدب في نهاية المطاف . هذه الفرضية الزائفة غير المنسجمة ، والتي توضح ، من جانب آخر ، الضيق الذي تثيره ممارسة الأدب في المجتمع الحديث ، تفيد كذلك في توضيح تبعية وسائل الإعلام للأدب خصوصاً وللثقافة الراقية عموماً .

ويتأمل السينمائي البرازيلي المثير للإعجاب ، جلوبير روشا Glauber Rocha ، وهو يجري مراجعة نقدية للسينما في بلاده ، فيقول : « إذا كانت السينما التجارية هي التقاليد فسينما المؤلف هي الثورة . فسياسة أي مؤلف حديث هي سياسة ثورية : وفي العصور الراهنة ليس ضرورياً حتى أن نصف مؤلفاً بأنه ثوري لأن وضعية المؤلف تفترض هذا كله . والقول بأن مؤلفاً في السينما هو رجعي يساوي وصفه بأنه مخرج سينما تجارية ، ويساوي تصنيفه كحرفي وليس كمؤلف »(٧) وإنني لأجد هذا التأمل مناسب فعلى الأقل فيما يتعلق بالسينما ، ليس ثمة أي امكانية لاعتبارها لغة قائمة بذاتها ، لاعتبارها وسيطاً لاستكشاف الواقع وتسميته إذا لم ينطلق من يستخدمونها من الفرضية الجوهرية لتولي المسؤولية الكاملة للإبداع . وهذا الاستقلال الذي أعطى روشا أمثلة مدهشة عليه في بعض أفلامه هو استقلال مفهوم ، غريزياً ، على أنه استقلال بالنسبة للأدب . ولا أعتقد أن المسرح أو التصوير يمكن أن يضعا الاستقلال الفني للسينما في خطر ، خصوصاً في اللحظة الراهنة من الأحداث . الاستقلال يعني : الاستقلال بالنسبة للأدب ، لا على المستوى الأعم لاستقلال اللغات بل كذلك على المستوى الأكثر يومية للتعاون العملي الذي يطلبه من الأدب السينمائيون بالاجماع تقريبا . ثمة ، لدى غالبية رجال السينما ، مفهوم عن الكاتب على أنه نبع دائم للإيديولوجية وللخيال ، وفق الميثولوجيا الساذجة نفسها ـ التي كشفها رولان بارت Roland Barthes بطريقة مثيرة للإعجاب ـ والتي فهمت بمقتضاها البرجوازية الصغيرة مخ آينشتين بوصفه جهازاً للإنتاج المستمر للفكر . وحتى روشا نفسه لايفلت من هذه التبعية : فحين يريد أن يُمجِّد

(٧) Glauder Rocha, Reuisióncritrca del cine brasileño, La Hababa, ICAIC, 1965

الأعمال القيّمة في تاريخ السينما البرازيلية ، يفعل ذلك مقارناً إياها بأعمال أدبية : « إن تفجّر هومبرتو ماورو Humberto Mauro ، عام ١٩٣٣ ، مذكراً بأن هذه السنوات هي سنوات رواية الشمال الشرقي نفسها ، هو من الأهمية بحيث إننا ، إذا بحثنا عن ملمح للهوية الثقافية في تكوين شخصية مشبعة بصورة مرتبكة بالواقعية وبالرومانسية فسوف نجد أن هومبرتو ماورو قريب جداً من جوزيه لينس دو ريجو José Lins do Rego ، وجورج أمادو Jorge Amado ، وبورتيناري Portinari ، وكافالكانتي Cavalcanti ، ومن المرحلة الأولى لخورخ دي ليما Jorge de Lima . . . . »[8] ويحدد روشا السينمائيين البرازيليين باستمرار تقريباً على أساس تكوينهم الأدبي أو علاقتهم بالأدب . فنيلسون بيريرا دوس سانتوس Nelson Pereyra dos Santos وهو في أدبنا لايمكن مقارنته إلا بجراسيليانو راموس Graciliano Ramos ـ وهو الكاتب الذي أثر فيه بقدر ما أثر فرجا Verga في الواقعيين الجدد الايطاليين يقول : أحس للمرة الأولى في السينما البرازيلية بالاحتقار للنظرية[9]. ووالتر خوري Walter khury: « المولود في سان باولو والحاصل على إجازة الفلسفة ، وهو من السينمائيين البرازيليين القلائل الذين وصلوا الى السينما بعد تخطي اتجاه أدبي . ويقر بتكّونه بين كتاب إنجليز وشعراء ألمان ـ لورنس وريلكه ، على وجه الخصوص . . . ـ »[10] يقول عن فيلم Os cafaj estes ، (الأجلاف) الذي أخرجه روي جيرا Ruy Guerra : « . . . . إنه نتاج ثقافي غطي لريو دي جانيرو ، شيء يماثل شعر فينيسيوس دي موريس Vinicius de Maraes أو صناعة مجلة Senhor . إنه سينما من الموجة الجديدة Bossa Nova[11] . هذا التحديد للسينما وللسينمائيين في علاقتهم بالأدب وبالثقافة الراقية هو ، بالطبع ،

---

٨) مرجع سابق .

٩) مرجع سابق .

١٠) مرجع سابق .

١١) مرجع سابق .

بحث عن مرجع الثقافة الراقية من أجل توكيد استقلال السينما ، عن طريق المقارنة المتكافئة ، لكنه يفترض كذلك تبعية غير واعية لنماذج فنية غريبة عن الفن السينمائي (السينما توغرافيا) .

« إنه سينما من الموجة الجديدة » . هذا الإعلان يشير إلى تجانس حركة عرفتها بداية عقد الستينات في البرازيل وفي العالم باسم الموجة الجديدة Bossa Nova ، وبدا الفترة أنها تتضرر فيها أهداف الثقافة الجماهيرية والثقافة الراقية . وكان فينيسيوس دي موارايس De Moraes ، أحد أشهر شعراء البرازيل ، مرتبطاً بالحركة التي عمل فيها مغنّون ، وشعراء ، وموسيقيون ، وسينمائيون ، في وقت واحد ، كانوا أحياناً متعاونين ، محققين نتائج في مجالات مختلفة - في الموسيقا ، والشعر ، والسينما ، والتلفاز ، - بدا أنها تشكل جو أسرة واحدة . وإذا كانت الحركة قد اشتهرت أكثر في تعبيراتها من الموسيقا الشعبية فإن « الموجة الجديدة » امتدت رغم ذلك إلى غيرها من المظاهر الفنية ، وذلك من خلال إصرار الموضوعات على العاطفية المفرطة ، وعلى « الحداثة » (التي من بين جوانبها جانب الاحتجاج الاجتماعي - Berimbau - أو الأخلاقي الخالص - Bençāo - ، اللذين يظهران من آن لآخر) ومن خلال إثراء التعبير الوطني عن طريق غرس طرائق أجنبية (تحويل فولكلور البرازيل بطرائق مماثلة لتلك الطرائق المستخدمة للانتقال من فولكلور جنوب الولايات المتحدة الأمريكية إلى الجاز في الفترة الحديثة) . ومن المفترض أن تأثير الشعر والشعراء كان حاسماً ، لأن كلمات الأغنيات الشعبية قد تحسنت بطريقة ملحوظة خلال هذه الفترة .

إن تأثير الشعر المسمى بالراقي على الشعر المسمى بالشعبي - وهما مصطلحان يحملان تناقضاً غامضاً وتعسفياً بدرجة كبيرة استخدمها استسهالاً لكن دون اقتناع - في أمريكا اللاتينية هو تأثير شهير ومتصل . ولم يتم بعد البحث في الدرجة التي كان بها تأثير بابلو نيرودا حاسماً بالنسبة لعمل الشعراء الفولكلوريين - أو بالأحرى ذوي النزعة الفولكلورية - في الشمال الأرجنتيني ، والذين أسهموا بدورهم في إحياء الأغنية الفولكلورية . لكننا نشاهد باستمرار في التلفاز رجالاً

يرتدون زي الجاووشو تصاحبهم جيتارات، ويتشدقون بصور شعرية كان يمكن لأندريه بريتون André Breton أن يشهرها باستمتاع في سبيل مضايقة الأكاديمية الفرنسية . أعتقد أننا ندين بذلك لتأثير نيرودا أكثر مما نـدين به إلى الـلاوعي الجمعي . إن فاييخو Vallejo ونيرودا ، بالاضافة إلى آخرين ، بلغت أعمالهم انتشاراً واسعاً ، قد حققوا تغييراً في لغة الشعر نفسها في أمريكا ، حتى الشعر الشعبي المغنّى والظواهر الأخرى للكلمة المكتوبة المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالثقافة الجماهيرية .

وكثير من التجارب الأدبية المنعزلة ، التي كانت في لحظتها تجارب طليعية ، تنتمي في الوقت الراهن إلى الكتابة الشائعة . ففي الوقت الراهن ، على سبيل المثال ، توجد في الأرجنتين صحافتان مختلفتان : الصحافة التقليديـة التي تتم بالبلاغة الموضوعية الليبرالية ، وصحافة المجلات الحديثة ، من قبيل Primera Plana (الصفحة الأولى)و Confirmado (مؤكد) و (تحليل Análisis) ، والتي تمثلت إلى حد كبير أسلوب بورخس النثري الذي يرن رنيناً طبيعياً تماماً في أذن القارىء : فإن تركي الجملة ، ووضع الصفات ، ولهجة بورخس تستخدم في هذه المجلات لـوصف التغييرات الـوزارية ، ولاكتشـاف متعة آخـر نجوم الموضة Starlette وللتنكيت حول الحياة الخاصة لبورخس نفسه . وفي العدد ٢٩٠ للأسبوع الثـالث من يوليـو عام ١٩٦٨ تتضمن مجلة Primera Plana ملاحظة مستفيضة بقلم الكوبي جييرمو كابريرا انفانتي بعنوان (غرق لنـدن : راقصة السوينج El hundimiento del swinging London) هذه الملاحظة التي طـرحت لتكون مـلاحظة حنـين ودعابـة والتي تخفق في كلتـا المحـاولتـين (فالنكات الجيدة الوحيدة التي تتضمنها ليست نكات كابريرا انفانتي) تقدم ، رغم ذلك ، جانباً ذا أهمية قصوى بالنسبة لهذا المقال : هو الرغبة في تطبيق بعض الطرائق الخاصة بأدب الطليعة على الصحافة ، مثل التـرقيم غير التقليـدي ، والتـلاعب بالألفـاظ وتركيبهـا ، والتحويـل الطبـاعي والسيمانـطيقي ، وكل التكنيكات التي يستخدمها كابريرا انفانتي في روايته . وسرعان ما يستولي السأم

على القارىء لأن الرغبة في الطليعية لايمكنها أن تفرض أشكالاً جديدة على مواد لاتتطلبها ، وكما سنرى فيما يلي ، فإن هذا ليس تبسيطاً ذا نزعة ميكانيكية لمشكلات الشكل والمضمون .

إذ يكفي أن نلاحظ عن قرب عمل أي كاتب طليعي عظيم لكي ندرك أنه يتطور بطريقة مختلفة . فجيمس جويس لم يصنع أدباً طليعياً كي يثبت كم كان يعتبر نفسه حديثاً : بل يتم انتهاك القوانين التقليدية للكتابة لكي تلائم القوانين الجديدة الكامنة للعمل وليد الشكل الذي استشفه الكاتب في العالم . وحين لم يكن الأمر ضرورياً ، لم يكن جويس طليعياً ، كما تثبت ذلك رواية موسيقا الحجرة Chamber Music .

٣ ـ عمق عدم القابلية للاختزال .

أ) قوة إعاقة .

إن اجتهاد كابريرا انفانتي في أن يبدو طليعياً دائماً ، حتى حين يقص للطبقة المتوسطة الأرجنتينية دعابات شارع كارنابي ستريت ، تحيلنا مرة أخرى إلى ميثولوجيا مخ آينشتين وإلى نقطة محورية في هذ المقال : فبرغم التفاعل المتصل للأب مع وسائل الإعلام ، والذي ينتج عنه اثراء مبتادل على مستوى سطحي ، تنجز وسائل الإعلام كذلك وظيفة إديولوجية بالنسبة للأدب ، هي الوظيفة المحددة لامتلاكه ، ولاضفاء الطابع المؤسسي عليه ولتأخير تطوره . إنها تمثل قوة إعاقة .

قد تبدو هذه الفرضية متناقضة إذا وضعنا في اعتبارنا سلسلة الأمثلة المذكورة التي تبين علاقة قائمة وجدلية بين وسائل الاعلام وبين الأدب . لكنها فرضية متناقضة ظاهرياً فقط . فهناك مستوى أعمق يتعلق بوظيفة الأدب ووضعه في مجتمع البشر ، وشكل عمله وخلقه ، وفي هذا المستوى ينفصل الأدب جذرياً عن وسائل الإعلام وتصبح علاقاتها مثل علاقات أخيل والسلحفاة* فبقدر ما تكون

* المعروف ان أخيل كان اسرع العدّائين في الأوساط اليونانية ـ المترجم

وسائل الاعلام نشاطاً هدفه نقل التجربة التي جرت فعلاً ، يمثل الأدب ، على النقيض ، تقييماً دائماً للحاضر ، بحثاً متصلاً عن حاضر جديد تولد فيه التجربة من جديد ، ليكون للأدب مكان في داخله (حتى في الدلالات الخاصة للكلمة) . من هنا فإن المثال المتميز للأدب هو الشعر ، وبالأخص الشعر الغنائي ، ومن هنا نجد أن العلاقات بين الشعر الغنائي ووسائل الإعلام غير موجودة تقريباً ، إلا على المستوى الخارجي للتعميم . من هذا يمكن استنتاج فكرة عدم قابلية الشعر للاختزال ، وبالتالي عدم قابلية الأدب بمجمله للاختزال . وذلك الجزء من الأدب الذي تضفى عليه وسائل الاعلام الطابع المؤسسي هو دائماً جزؤه العارض والخارجي ، انه ثمن التخارج الذي يدفعه الشعر لكي يكمن في قلب التجربة وينتزع فيه مكاناً يوجه نفسه فيه بواسطة الكلمة . وما يجعل محاولة كابريرا انفانتي غير ذات قيمة هو أن سدود اللغة لاتحطم اختيارياً من أجل سرد ماحدث فعلاً ، بل إن القوة الطاردة المركزية لما يجري ـ التجربة الشعرية ـ هي مايمزق أغلال اللغة التقليدية ويعيد من جديد تجميع المزق على طريقته . وليس الأدب على الإطلاق هو ما يذهب نحو وسائل الإعلام ـ وأتحدث هنا على مستوى اللغة ـ بل على العكس ، وإذا ذهب باتجاهها فإنه يعتبرها جزءاً من العالم المعطى ، وليست أبداً لغة أشد قواماً ، أو منزلةً ، وبالتالي لغة مثرية . ومن الضروري أن نبرز حقيقة لاتنكر في علاقات الأدب بالسينما : فهناك سينما منقسمة ، كما أن هناك أدباً منقسماً ، هناك سينما هي نتاج نمطي للثقافة الجماهيرية وأخرى تحاول أن تنفصل . ـ ونادراً ما تفلح ـ عن شروطها المستلبة . هذه السينما الأخيرة هي بالفعل لغة متماسكة ويمكن للأدب أحياناً أن يثري نفسه معها . لكن النتاجات الأخرى للثقافة الجماهيرية تتملك الأدب وتعوقه وتؤخره . فحين تجعل وسائل الاتصال الجماهيري من أدب معين موضة فإنها بدلاً من تحبيذ تطور أشكال جديدة تؤخرها . فالموضة ، خلف مظهر الانسيابية والتغير المستمر ، هي ، على النقيض ، شكل من أشكال الإعاقة . إذ إنه بعد ترسيخ تفرد الموضوع ، ينتج قوسان من السكونية ويبدأ الموضوع في تكرار

نفسه بينهما ، وفي الخضوع لتحول زائف ، إذ يظل مطابقاً لنفسه في الأساس ، في نوع من الداخلية الراكدة ، مثل حشرة تفرد جناحيها الزاهيين وهي مثبتة بدبوس فوق ورقة بيضاء ، حشرة تتحرك وتنشر جناحيها دون أن تتقدم بالحركات نفسها وبنشر الأجنحة التي تقوم بها أثناء الطيران . إن الموضة ، التي تقدم نفسها تحت قناع التفرد وهو المجال النمطي للشعر ، هي برغم ذلك عدوة التفرد ، أوبالأحرى فإنها تنتحله بطريقة غريبة ، مؤكدة لنفسها إجماعاً في البداية ثم تخضع له من خلال عملية تتظاهر بالاستقلال على المستوى الإيمائي الخالص لكنها في جوهرها تقيد نفسها بأغلال تبعية عميقة . لقد فتح بورخس لغةً كانت خاصة بالأرجنتينيين ، توقيعاً ونصاً وعرف كيف يجدسها بطريقة فريدة . وحين تتبناها الصحافة ، فإنها رغم إسهامها في تعميمها ، تفرض الطابع المؤسسي على أكثر جوانبها خارجية ، وعلى البريق الذي لم يكن له من مغزى إلا في سياق التجربة الشعرية التي استخدمته ووضعته في موضعه . وآلية التملك من طبيعة البلاغة نفسها التي هي بدورها طريقة للتملك . وإذا أخذنا في اعتبارنا أن لغةً ما لاتحدد فقط كاتباً ما بل تحدد كذلك السياق التاريخي الذي نشأ فيه العمل الأدبي فسوف نرى بوضوح أكبر أن تملك وسائل الاعلام للغة الأدب هي كذلك ، وربما بالدرجة الأولى ، محاولة لمحو ذلك السياق التاريخي ومفهوم التناقض الذي يتضمنه . من جهة أخرى ، إذا كانت إيديولوجية المتعة هي أساس الثقافة الجماهيرية ، كما أوضح إدجار موران ، فإن الأدب لايمكن أن يتصالح معها ، بقدر ما أن إحدى السمات الجوهرية للأدب هي كونه نشاطاً تراجيدياً . وهذا الطابع التراجيدي للأدب ، الذي ينفيه آلان روب ـ جريبه Robbe - Grillet ، لايكمن ، في موضوعاهه ، بل يكمن في طبيعة نشاطه التي تجبر الكاتب على تناول ما هو فريد بلغة شائعة ، لغة تحمل معها شيئاً قد قيل فعلاً وليس هو التجربة الشعرية ، ويحاول الكاتب الفكاك منه عبثاً . والأدب تراجيدي أيضاً لأنه يبدأ برمته من جديد وباستمرار ، معلقاً الحكم على كل معطيات العالم ، دون أن يعلم هل سيستعيدها من خلال الممارسة الشعرية ، وهو في هذا يتعارض

بصورة أساسية مع روح وسائل الاتصال الجماهيري التي تبدأ انطلاقاً من السياق الزائف لعالم مقام سلفاً وغير قابل للتساؤل .

ب) ماهو فريد وماهو شائع

وهناك شيء آخر . فالنسق الخيالي لوسائل الإعلام هو نسق ماهو تخيلي فانتازي el fantaseo ، وليس نسق الخيال الإبداعي . ولسنا مع وسائل الإعلام ، لا في مملكة العالم « كما هو » ولا في مملكته « كما يجب أن يكون » . ويتميز ماهو فانتازي بمجانيته ، بميثولوجياه الساذجة ، وبالحد الدقيق الذي يفرضه : حد ماهو شائع . وأكاد أجرؤ على تأكيد أن ماهو فانتازي هو عرض نمطي من أعراض ماهو شائع ، نتيجة من نتائج التجريد ، ويتكون من تجنب منهجي للتجربة . إن العالم الذي يطرحه علينا التلفاز على سبيل المثال ، هو عالم دون شروخ يتناول عيوبنا بطريقة تجعلنا لانحياها باعتبارها عيوباً . إنه نسق استلاب . وعالم وسائل الإعلام هو عالم يبتر خيالنا ويفصله بذلك عن الجذور التي تغذيه وتنظمه ، ويغمسنا في بعد يحاول الغاء الشروخ ، والتفاصيل ، إلغاء العيني القادر على إرجاعنا إلى ذواتنا وعلى معاونتنا على اعادة اكتشاف الجذور الضاربة فيما هو واقعي ، وذلك من خلال الدوافع التي تبقينا في حالة تنويم منهمكين بكليتنا في المتعة الهدامة للبقاء خارج أنفسنا . وما هو فريد هو الذي يطلق هذه العملية ، أما ما هو شائع فيبقينا على الحافة الناعمة للأماكن المألوفة : ففي اسكتلندا سوف يتناول جيمس بودن الويسكي ، وفي فرنسا سيتناول النبيذ ، وفي الاتحاد السوفيتي سيتناول الفودكا .

حين أنظر إلى برنامج التلفاز أفاجيء نفسي بغتةً وأنا أتساءل ماذا يكون التفكير المحدد للممثل في اللحظة التي يرفع فيها كأساً ؟ وماذا يكون قد فعل طوال ذلك اليوم قبل أن يصل إلى الاستوديو ؟ وكيف تكون حياته الجنسية ، أي « ذكريات مدوية » تجتاحه أثناء الأيام الرتيبة التي تحمله وكأنه يلاعب الموت ؟ هذا الإدخال المباغت لما هو عيني في عالم مغلق على سعادة ماهو شائع . هذا

التفجر للخيال في داخل ماهو تخيلي (فانتازي) هو جوهر وهدف الأدب . لهذا السبب فإن الثقافة الجماهيرية ، وهي صناعة وحافز الفانتازي ، هي العدو اللدود للأدب . وإذا وضعنا في اعتبارنا قوة وسائل الاعلام ومداها ، واستخدام مجموعات السلطة لها أدركنا بصورة أفضل إلى أي درجة ليست فكرة الأدب سوى ايديولوجية مقنعة . وأعني الأدب الذي تستطيع وسائل الاعلام دفعه إلى الاختفاء بأن تحل محله باعتبارها لغةً ، فليس الهدف محو الأدب ، بل محو ماهو عيني .والعالم المتجانس للثقافة الجماهيرية ، حسب تعريف موران ، هذا العالم الذي يلقى بفروعه بصورة مطردة فوق الواقع إلى حد تشكيل نوع من الواقع الفوقي ، يحاول محو التناقضات التي تسود المجتمع البشري . وليس مفهوم صراع الطبقات أقل ما يحاول محوه من تناقضات . وهذا المفهوم يشبه منجزات الشعر لأنه تم استخلاصه من معالجة ماهو عيني في التاريخ ، إنه ادخال العيني في قلب تاريخ ندركه باسم عالمية غامضة . أما وسائل الإعلام فتقدم لنا عالماً مجمداً في هذه العالمية الزائفة . وليس عبثاً أن مكانة وسائل الإعلام في أمريكا اللاتينية تستجيب لايديولوجية للتنمية داخل قنوات البنى التقليدية .

إن وسائل الاعلام ، بتناولها العالم المعطى باعتباره حتميةً ، وباعتباره شيئاً مفروغاً منه ، لاتستطيع حتى ولو كانت في أيدي أناس حسنى النية ، إلا أن تجعل هذا العالم يتقدم ، أي أنها تضيف إليه الرفاهية كمياً من خلال جرعات تم الحصول عليها بجهد جهيد ، جرعات متشبثة بمجموعات السلطة ، مثلما يتشبث البرجوازيون الصغار بالمكعب الذهبي الهائل الذي كان يحرسه إردوسان Erdosain ، مالكه الفانتازي ، جالساً فوقه بحقد ، مؤكداً ملكيته له بمدفع رشاش . أما الأدب فإنه بتعليق الحكم على مجمل العالم ، ولو بصورة خيالية ، لايطرح على نفسه أن يجعله يتقدم ، بل أن يغيره .



الفصل الثالث

التواصل المتبادل والأدب الجديد

روبرتو فرناندث ريتامار(*)

Reberto Fernandez Retamar

في سنة ١٩٤٣ ، وفي مستهل كتاب بالاسبانية عن وقائع الحرب العالمية الثانية ، كتب بابلو نيرودا : « إنني أموت غيظاً وأنا أرى الفتى الأزتيكي ، وأنا أرى الفتى الكوبي ، أو الأرجنتيني يلقى إلينا بقصيدة عصماء عن كافكا ، وعن ريلكة ، وعن لورنس . . . . »(١) واليوم ، بعد ربع قرن أصبحت أسباب ذلك الموت غيظاً أقل : فاليوم سيجد الفتى المكسيكي ، أو الكوبي ، أو الأرجنتيني الواقع في أسر نشوة التحدث عن الأدب ، أن من أسوأ الأمور أن يغفل ذكر قبيلة كاملة من الكتاب الأمريكيين اللاتين . مما لا يعني ، بالطبع ، أنه يجهل كافكا أو ريلكة . هذا يكشف عن بضعة أشياء ، أحد هذه الأشياء هو أنه يوجد بيننا اليوم ، على المستوى الأدبي ، تواصل متبادل أكبر (٢) .

(*) شاعر وكاتب كوبي (ولد في هافانا ١٩٣٠). من أعماله الأساسية : الشعر المعاصر في كوبا ١٩٢٧ - ١٩٥٣ (هافانا ١٩٥٤)، فكرة الاسبلوبية (هافانا ١٩٥٨)، بحث من العالم الآخر (هافانا ١٩٦٧)، قصائد مجموعة (١٨٤٨ - ١٩٦٥) له سبعة دواوين شعر (هافانا ١٩٦٦) الى من يهمه الامر شعر، ١٩٥٨ - ١٩٧٠ (مكسيكو ١٩٧٠) كاليباك، ملاحظات حول الثقافة في امريكتنا اللاتينية (مكسيكو ١٩٧١) عمل استاذا في جامعة ييل Yale ثم في جامعة هافانا وهويدير هناك مجلة بيت الامريكيتين .Cosa de Americas - المراجع .

١) بابلونيرودا : من «تصدير» كتاب إيليا اهلانبورج : الموت للغازي وقائع الحرب ١٩٤١ - ١٩٤٣ .

Paplo Neruda, 'Prologo'' al Libro de Ilya Ehreuburg : Muerte al invasor. Cronicas de guerra 1941 - 43, Mexico, La Lucha de La Juventud, 1943, p. 3.

٢) على نطاق القارة يمكننا أن نفسهم مصطلح «التواصل المتبادل» بمعنيين منسوبا إلى المؤلفين الواعين بطموحهم إلى أهداف مشتركة؛ أو منسوبا إلى القراء الذين يبدأون في التواصل من خلال الأدب . وسنتناوله عموماً بهذا المعنى الثاني الذي يضم الأول عادة : لكن لما كان العكس فير صحيح فسوف نحدد الاختلافات .

١ ـ كتاب أدب واحد .

من الواضح أن الأدب الأمريكي اللاتيني الجديد قد اكتسب مكانة في عين القارىء الأمريكي اللاتيني الجديد : فنزعة إقليم الريو دي لابلاتا اللغويـة في الحجلة أو كولومبيا الخرافية في مائة عام من العزلة لم تمنع أناساً مكسيكيين ، وتشيليين ، وكوبيين من الإحساس بالامتنان والفخر إزاء تلك الكتب العظيمة في تقاليدنا المشتركة . ولم يجد كورتاثار وجارثيا ماركث لزاماً عليهما أن يكتبا لغة مجردة محايدة ، تكون مفهومة من جانب كل الهسبانو ـ أمريكيين لكن لايتمثلها أحد ، ولا أن يغرقا صفحاتها بالمفردات المعروفة للنصوص الفولكلورية : لاأكاديمية ، ولا متحف . فقد انتهجا الطبيعية الحكيمة التي يكتب بها دائماً أفضل الأدب ، وتحدثا عن شؤونهما بلغتهما ، والنتيجة الفريدة لذلك هي أن الأرجنتيني كورتاثار والكولومبي جارثيا ماركث يقرآن في مختلف بلدان أمريكا اللاتينية . لا باعتبارهما أجانب قريبين بدرجة أو بأخرى ، بل باعتبارهما كاتبين لأدب واحد ، باعتبارهما ممثلين لما أصبح من المألوف تسميته « الرواية الأمريكية اللاتينية الجديدة » بجانب الكوبيين كاربنتييه وليثاما ، والأرجنتينيين ماريشـال ، وسابـاتو ، وفينيـاس ، والبرازيلي جيمارايش روزا ، والمكسيكيين يـانييث ، وريفويلتـاس ، وورولفو وفوينتس ، والبيروانيين أرجيداس ، وفارجاس يـوسا ، والأورجـوايين أونيتي وبنيـديتي ، والباراجـوايي روا باسـطوس ، والهاييتي الكسيس ، والفنـزويـلي جارمنديا وكثيرين غيرهم . وحتى نقدر بشكل أفضل الجدة النسبية لهذه الحقيقة ـ حقيقة أنهم يقرأون في أمريكا اللاتينية باعتبارهم مؤلفين أمريكيين لاتين ـ ، يجدر بنا أن نذكّر ببعض اللحظات التي اعتبر فيها أدبنا بوصفه وحدة .

٢ ـ ثلاث مراحل للتواصل المتبادل .

أ) الرومانسية .

بالطبع ترجـع أولى هذه اللحـظات الى تلك الرغبـة في الانفصال ، أو في الاستقلال على الأقل ، التي عبر عنها اندريس بيو بسبب الاستقلال السياسي

للقارة في قصيدته نداء إلى الشعر (١٨٢٣) ، والتي ستصبح في المقام الأول أحد أهداف الجيل الرومانسي الأمريكي اللاتيني الأول . وليس غريباً أن يفتتح نص بيو ذاك أمريكا الشعرية (١٨٤٦) ، ديوان المختارات الذي أراد أن يعرض به خوان ماريا جوتييريث كياناً للشعر الهسبانو - أمريكي منفصلاً عن الشعر الأوروبي (وعن الشعر الاسباني في المحل الأول) . كانت الرغبة تفوق التحقق ، لكن المهم هو إبراز ذلك الوعي الأول بتكامل أدب آخر . والآن حسناً : من الذي قرأ هذا الديوان الطموح ؟ إننا نفتقر إلى دراسة للجمهور أي لمستهلكي الأدب في أمريكا اللاتينية ، لكن كل الأمور تجعلنا نعتقد أنه ، خلال معظم القرن التاسع عشر ، لم يكد هؤلاء المستهلكون يتجاوزون مجموع منتجي الأدب ذاتهم . كان المؤلفون ، في وسط جماهير أمية كانت تنتج وتتناقل بدورها آدابها الشفوية ، يقرأون بعضهم ، وعلاوة على ذلك (أو في المقام الأول) يقرأون أولئك الكتاب الأكبر الذين كانوا هم الكتاب الأوروبيين .

ب) الحداثة .

إذا كان هذا هو الحال ، عملياً ، في تلك اللحظة الأولى ، فلايمكن أن نقول الشيء نفسه بالنسبة لمرحلة مارتي - رودو ، وهي المرحلة التي تضم أول حركة أدبية نابعة حقاً من أمريكا اللاتينية ، وقادرة على التأثير في ذات أوروبا - أو على الأقل في ذلك الجزء الذي يخصها والذي هو أوروبي بدرجة كافية ، ألا وهو اسبانيا - : أي الحداثة . وفي موضع آخر[٣] أردت الاسهام في تصحيح التقييم غير الكافي لما كانته الحداثة ، وهو التقييم الذي لايقوم إلا على أساس جانب من عمل داريو وبعض الشعراء القريبين منه ، ولاينصف بالتحديد رجالاً مثل رودو ، وخصوصاً مارتي . لكن يكفي الآن أن أبرز أن مؤلفي تلك اللحظة أصبحوا بدرجات متفاوتة بالطبع يعتمدون على جمهور حقيقي لم يعد يختلط

---

(٣) Modernismo, noveuliocho, subdesarrollo,

بحث ألقي في المؤتمر الثالث للجمعية الدولية لباحثي الشؤون الهسبانية ، في المكسيك ، أغسطس ١٩٦٨ .

بمجموع الكتاب أنفسهم ، بل إنه يتكون قبل كل شيء من طبقة وسطى متنامية يندرج فيها في الوقت نفسه منتجوومستهلكوالأدب ، وهي الظاهرة التي ستزداد وضوحاً مع مطلع القرن . ربما تمتع قليل من كتب الحداثة (أقاصيص كيروجا ، آرييل . . . .) بالانتشار الواسع (اذ يسودفيها الشعر محدود الاستهلاك) ، لكن الصحافة الراقية ، المتطورة حينئذ ، تجعل هؤلاءالمؤلفين معروفين من أقصى القارة إلى أقصاها . فقد كانت نحو عشرين صحيفة تنشر حكايات خوسيه مارتي التي حركت مشاعر سارمينتو العجوز وحددت نثر داريّو الشاب . ومن بين تلك الصحف ، بالطبع ، صحيفة لاناثيون (الأمة) التي تصدر في بونيوس آيرس ، المدينة التي ساهمت الهجرة في تحويلها ، بتعبير داريّو ، إلى « كوزموبول » . وقد عمل في لاناثيون بعد ذلك داريو ورودو .

وإذا كانت الكلمات التمهيدية لـ (نصوص نثرية مجدفة) تبدو للوهلة الأولى وكأنها ترد على (نداء إلى الشعر) ، بعد ستين عاماً ، بأن الشعر لم ينتقل إلى أمريكا وأنه مازال في أوروبا ، وخصوصاً في باريس ، واذا كان بإمكان رودو أن يقول لمؤلف ذاك الكتاب إنه « ليس شاعر أمريكا » ، فإن من العبث أن نظل حبيسي هذه المناوشات ، ونحصر الحداثة في ذلك الكتاب لشاعر في العشرين من عمره . فداريّو هو أيضاً (ولم لايكون في المقام الأول ؟) مؤلف أناشيد الحياة والأمل ، وقصيدة الخريف ، وكذلك نشيد إلى الارجنتين (الذي لم يكن ليكتبه أي بارناسيولا أي رمزي (كما لم يكن أيها ليكتب) أغنيات دنيوية ولا مواويل لوجونس) التي يخترقها شعر المنوعات الأمريكية ، في سيرة نحو الوطن الناعم ، نحـو أناشيـد معينة من تـالا خصوصـاً من النشيد الشـامل . وحتى بـالنسبة « لموضوعه » ولطريقه تناوله فإن داريو هو حقاً شاعر أمريكا : الشاعر الذي حين تمكن في النهاية من تحويل باريس الحلم إلى باريس الحقيقية . وجد أن المدينة ، على شفتي فرلين الحبيبتين ، تقول له « كل هوا » ! merde . إن داريو هو أول شاعر لأمـريكا ، كـما أن مارتي هـو أول شخصية عـالمية للروح الأمـريكي . والمحدثون عموماً ، هم من انطلقوا ، بصورة متناقضة في كثير من الأحيان ، من

انفصال عن بلدانهم الفقيرة ، والـذين سيشكلون أول مجموع للكتـاب يحقق مشروع بيو ـ جوتييريث . إن حكايات مارتي ، وأفضل قصائد داريو ، وبعض مقالات رودو ، وأقاصيص كيروجا ، وبعض صفحات لوجونس ، ونصوص كثيرة غيرها (بما في ذلك أوسعها انتشاراً ، والتي حققت أكبر جمهور حتى أيامنا هذه مخترقة الطبقات والمجموعات الاجتماعية ، والتي اعتدنـا اخراسهـا اليوم برغم ذلك : نصوص بارجاس بيلا ونيربو) قد استطاعت منـح القارة صـوتاً خاصاً بها ، وعرفت ذلك التواصل المتبادل الذي يحاول بعضهم قصره على الأدب الجديد الراهن) .

جـ) الطليعية Vanguardismo

وقبل الوصول إلى أيامنا هذه تجدر الإشارة إلى لحظة ثالثة : تلك التي اعتدنا تسميتها بالطليعية ، بسبب الافتقار إلى تسمية أفضل . بإمكاننا الحديث ، كما سأعود لأفعل الآن ، عن « جيل طليعي » ، لكن الـظاهرة الـطليعية المتميـزة لاتكاد تتخطى سنوات الثلاثينات من هذا القرن . وإذا تخلينا عن الولاء لجيل يظل ينتج بل ويبلغ النضج بعد تلك السنوات ، وحددنا أنفسنا بمرحلة ، فعند ذلك فقط تصبح البانورامـا أشد تعقيـداً . بوصفهـا ظاهـرة محدودة ، كـانت الطليعية الأدبية ـ مثلها مثل الحداثة ، لكن باتساع أكبر منهـا ـ حدثـاً شعريـاً أساساً : فهـويدوبـرو كان قـد اخترع قبـل عام ١٩٢٠ في أوروبـا مذهبـه في الإبداعية ، وحمل بورخس مذهب الحدية من إسبانيا إلى الأرجنتين عام ١٩٢١ ، وأطلق مابليس آرثه في المكسيك مذهب الصرير estridentismo ، وهيدالجو في البيرو مذهب البساطة simplismo عنـد منتصف العشرينـات . كانـوا جميعاً شعـراء ، وكانـوا يحسون أنهم طليعيـون بعنف ، رغم أنهم كانـوا لايكـادون يستطيعون شرح مايعني ذلك ، باستثناء الاشارة إلى عدة جوانب لتفكيك الشعر والى تعصب مفقر للمجاز . وكانت مجلاتهم مجـلات للقلة ، وبلغ من ضآلـة بعضها ، مثل المنشور بريسمـا Prisma ، أن كانت تكتفي بـوجه واحـد من الورقة . لكن تواصلها المتبادل كان كبيراً ، وإشعاعها ملحوظاً بدرجة أكبر مما

يبدو لأول وهلة . مثال واحد من بين أمثلة عديدة على التواصل المتبادل هو : المجموعة الشعرية فهرس الشعر الأمريكي الجديد التي صدر لها عام ١٩٢٦ البيرواني ألبرتو هيدالجو ـ الذي جمعها فيها يبدو ، والتشيلي فيثنتي هويدوبرو ، والأرجنتيني خورخي لويس بورخس . في هذا الكتاب المبكر ، يجتمع ، بالإضافة إلى هيدالجو ، وهويدوبرو ، وبورخس (الذين سيوليهم الزمن دور المخضرمين) ، ماريشال ، وبرناردث ، وبابلو دي روكا ، وروساملي دل فاي ، ودياث كاسونيفا ، ونيرودا ، وكاردوثا إي آراجون ، ومابليس آرثه (« الرفيق مابليس آرثه » كما كان بورخس يقول حينئذ) ، بيثر ، ونوفو ، وبيريدا فالديس . أما بالنسبة للأمر الثاني ، وهو اشعاعها ، فإن من الخطأ أن نأخذ في الاعتبار أن مطبوعاتها للقلة ، رغم أن تلك المطبوعات لاتخلو من الأهمية . (فكروا في مجلات مارتين فييرّو ، و أماوتا Amauta ، و ريفيستا دي أفانثي (مجلة التقدم) Revista de Avance ، وكونتميورانيوس (معاصرون) Contemporáneos والحقيقة أنهم كانوا كثيراً ما يهاجمون مطبوعات واسعة الانتشار ، ومنها يفرضون معاييرهم . هذا ماحدث في كوبا ، حيث استطاع فريقها الطليعي المتأخر أن يعبر عن نفسه في أفضل مجلات البلاد (سوبيال اجتماعي Social) وفي أكثرها محافظةً ورسوخاً (دياريو دي لامارينا صحيفة البحرية Diario de la Marina) التي استطاع الفريق السيطرة على ملحقها الأدبي .

وإذا لم نكتف بالنظر إلى الظاهرة الشعرية المحدودة التي كانتها الطليعية ، بل نظرنا إلى فترة ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ ، فإن الوضع يصبح أكثر غنى : ففي هذا العقد جعل فاسكونثيلوس من المكسيك مركز جذب لمثقفي القارة ، وأطلق من هناك حركة الرسم الجداري وكذلك كلماته التبشيرية ، وفي ذلك العقد تظهر في الوقت نفسه تقريباً روايات الدوّامة (١٩٢٤) ، ودون سيجوندو سومبرا ، (١٩٢٦) ،و دونيا باربارا (١٩٢٩) . وكتابها ريبيرا ، وجويرالديس ، وجاييخوس ينتمون بحكم سنهم إلى الجيل السابق ، جيل الشاعرين لويس

كارلوس لوبث ، وفالدوميرو فرناندث مورينـو . لكن بينما نجـد لدى هـذين الأخيرين عملاً محدداً ، لن يعدلا فيه شيئاً يذكر ، فإن عقد العشرينات هو الذي سينتج فيه الروائيون ، بدافع النضج ، أعمالهم ذات القيمة . وسينتهي ذلك بأن يرتبطوا أكثر ، على نحو من الانحـاء ، بالجيـل التالي الـذي سيرى فيهم كباره(٤) . وليست هذه الظاهرة جـديدة ولا شـاملة ، وسنجدهـا تتكرر مـع قصاصين من الجيل الطليعي نفسه مثل أستورياس وكاربنتييه في المحل الأول ، اللذين تظهر أعمالها الهامة بعد عام ١٩٤٠ ، كجزء من أعمال الدفعة الأصغر منها .

ولايمكن إلا بصعوبة إنكار أن فترة المجلات الطليعية قد شهـدت تواصـلاً أمريكيا لاتينيا متبادلاً . إنها فترة عشرون قصيدة حب لنيرودا ، ولانبعاث النزعة الزنجية ، فترة الجنس الكوني و الهندولوجية ، فترة الدوامة ، ودون سيجوندو سومبرا ، و دونيا باربارا ، فترة ستة مقالات في البحث عن تعبيـرنا الخـاص لإنريكث أورينيا و سبعة مقالات في تفسير واقع البيرو لمارياتيجي . إنها فترة عبرت عن الثقة في أشيائنا ، ولقيت تلك الثقة صدى ، من أقصى القارة إلى أقصاها .

٣ ـ تدعيم الرواية

إذا كان قد وجد فيما يتصل بالأدب في الفترات السابقة تواصل متبادل معين في أمريكا اللاتينية ، فمما لاشك فيه ، رغم ذلك ، أن ذلك التواصل المتبادل هو في الوقت الراهن أكبر بكثير.وثبات هذه الحقيقة يبعثه فينا التضاد الذي تقدمه فترتنا لا مع وضع الحداثة أو الطليعية ، بل مع الوضع خلال السنوات السابقة علينا مباشرة : مع ذلك « الماضي القريب » الذي يرى فيه رييس بصورة ثاقبة « العدو

---

(٤) تعاون جويرالديس مع الحديين الارجنتينين كواحد منهم. وسوف يمزج طليعي كوبي هو خوان مارينيو، تلك الاعمال بوضوح بأعمال جيله، معتبرا تلك «ثلاث روايات نموذجية» وذلك في

Literahuva hispanoamericana. Hambres, Meditaciones, México, Universidad Nacional de México, 1937, pp. 143 - 163.

بشكل ما » . فتلك السنوات تبدو لنـا سنوات عـزلة ، سنـوات بلقنة (وهـو مصطلح لم يكن يستخدم حينئذ) ، تفتت فيها ، إلى شظايا ، الوعي بوحـدة أمريكا اللاتينية والتواصل المتبادل المترتب عليه . فحتى الحدث ذي الاشعـاع القاري الذي تمثله الثورة المكسيكية ، والذي كانت له في حينه أصداء في كل بلدان أمريكا اللاتينية ، ظل حينئذ مقتصراً على كونه حدثاً محلياً ، مكسيكياً ، سنجد التعليق عليه (تعليقاً بليغاً ، من ناحية أخرى) في النسخة الأولى من تيه الوحشة لأوكتافيو باث . وتندرج في خط الاضطهاد المعذب للشظايا تأملات لم تعـد عن أمريكـا اللاتينيـة ، بل عن « مـاهو أرجنتيني » (إيثيكيـل مـارتينث استرادا : صورة بالأشعة لسهول البامبا ، موت وتحول مارتين فييرو) أو « ماهو كوبي » (ثينتيو فيتيير : العنصر الكوبي في الشعر) . إنها كتب تثير الإعجاب لكنها بدلاً من النظر إلى أمريكا اللاتينية (كما تفعل حتى السبعة مقالات لماريا تيجي وبعض الأعمال التالية الأخرى ، رغم تركيزها على بلد واحد) ، تحول بصرها إلى الأقسام المعزولة ، ورغم رفضها للفخ الفولكلوري فإنها تود بألم ، وبرغبة ، وأحياناً بحنق ، أن تمسك بالسمات التي تسمح لنا بالتعرف عل أنفسنا بوصفنا متحدين ، لكن تلك الملامح لاتقدم نفسها لمؤلفيها على أنها قارية ، بل على أنها محلية قومية (في بلدان لاتكاد أحياناً تكون أمماً) . في تلك اللحظة ، ونحن نتعثر بين غرس جذورنا بعذاب فيما هو مباشر ، وبين انتزاع الجذور الذي يوجهنا ، شاعرين بالدونية ، نحورياح أخرى تبدو أفضل ، أطلق نيرودا اللعنة التي أوردناها في البداية . عند قراءة المجلات المحلية . كان الشاب المكسيكي يقرأ الايخوبروديجو (الابن المعجزة) El Hijo Prodigo ، والكوبي أوريخنس (الأصول) Origenes ، ويظل الأرجنتيني يقرأسور (الجنوب) Sur . وفي مقابل تلك اللحظة تبدو لحظتنا وقد امتلأت مرة أخرى ، بقوة غير مسبوقة ، بالثقة في قيم أدبنا . [٥]

---

٥) لما كان من الممكن أن يخطر على البال أنني اخضع هنا للاغراء السهل في تجريم « ماضينا القريب » أود أن أذكر بعض الكلمات التي قلتها في ذلك الماضي في الحادي عشر من شهر نوفمبر

لكن هذا لايصدق بالدرجة نفسها على كل الأنواع الأدبية : فلا يكاد يصدق على المسرح عموماً ، ولايصدق إلا قليلاً على المقال - إذا نحينا جانبا المقال السياسي لنظل في اطار المقال الأدبي بشكل محدد - ، ويصدق بدرجة أكبر على الشعر ، ويصدق في المقام الأول على الفن القصصي الذي يشهد الآن تطوراً يقارن بما شهده الشعر منذ ستين عاماً على يد المحدثين ، أو منذ ثلاثين أو أربعين عاماً على يد الطليعيين . ويمكن مقارنة هؤلاء الروائيين الأمريكيين اللاتين الجدد بالشعراء المحدثين ، في المحل الأول . فالحقيقة أن هؤلاء الروائيين الجدد يبدون وكأنهم يصنعون للفن الروائي ماصنعه المحدثون للشعر الأمريكي اللاتيني . وقولنا هذا لايعني ، بالطبع ، نفي أنه قد وجد فن روائي وروائيون هامون في أمريكا اللاتينية قبل ذلك (ريفيرا ، وجويرالديس ، وجاييخوس ، وأمادو ، وأليجريا . . . .) .(٦)

وفي روابط واختلافات Tientos y diferencias يذكرنا كاربنتييه بأن « من الممكن أن تظهر رواية واحدة عظيمة في مرحلة معينة ، في بلد معين » ، دون أن

/تشرين ثاني . . عام ١٩٥٧ في مؤتمر بجامعة كولومبيا : «إذا فكرنا في زمن الطليعة القديم السعيد حين كانت القارة بأسرها تبدو وكأنها تشعر بان نفسا مشتركا يوحدها وكل المجلات تحمل اسما بسيطا يشير إلى المستقبل - بروا Proa ريفيستا دي انانثي ؛ كو نتمبورانيوس - . لا يسعنا الاحساس بنوع من الحنين حين نرى تشرذم ويأس أيامنا» .

situaciÓn achual de la poesiá hispanoawencaua, en Revista Hispanica Moderna, Nueva Yorl, octubre, de 1958,y despuès en el libro Papeleria, La Habena, Vniversldad Central de las Villas, 1962, pp. 26 - 27 .

(٦) ظهرت بالفعل مجموعات قيمة للرواية الامريكية اللاتينية السابقة : انظر ، على سبيل المثال كتاب

Ángel Flores, Historia y antoloqia del cuento y la novela en Hispanoamerica, Nueva Yorl, Las Américas Publishing company, 1959. o Novelas selectas de Hispano America siglo xix, dos tomos, prolóɡo, selecciÓn Y notas de Salvador Royes Nevares, México, Labor, 1959

كذلك ظهرت مجموعات قيمة من الشعر الامريكي اللاتيني السابق على الحداثة منذ شعر جوتييريث Gutierrez حتى شعر منديث اي بيلايو Menendez Y Pelayo ، وشعر كاليكستو أويويلا Calixto Oyuela، وهذا الاخير ظهر بعدها، لكن منظوره سابق على الحداثة .

يعني ذلك « أن الرواية توجد حقاًفي تلك المرحلة ، في ذلك البلد » حيث إنه « للحديث عن الرواية من الضروري أن يوجد فن روائي » ، ويردف كاربنتييه : « الرواية نوع أدبي متأخر . وثمة في الوقت الحاضر بلدان في آسيا ، وفي أفريقيا ، تملك شعراً يرجع إلى آلاف السنين ، لكنها لم تكد تبدأ في امتلاك فن قصصي »[٧] . وكل الأمو تشير بالنسبة لأمريكا اللاتينية إلى أن هذه هي ساعة تدعيم هذا « النوع الأدبي المتأخر »،الذي انبعث بصورة متأخرة في أمريكا (وقد قيل بتماثل مشؤوم أن « آخر رواية حرافيش في الأدب العالمي كانت ، للمفارقة ، هي أول رواية أمريكية لاتينية »)[٨] كما تشير إلى أنه ، بعد محاولات لاتخلو من قيمة ، تكتسب الرواية في هذه السنوات تلك الصورة الوطيدة التي بلغها الشعر بيننا منذ عقود عديدة . إن تأييد الجمهور ، والتجانس المعين الذي سنتحدث عنه فيما بعد يؤكدان هذا اليقين . كما تؤكده بالقدر نفسه العلاقة التي يقيمها فيما بينهم مبدعو هذا الفن الروائي . وقد ذكر كاربنتييه كذلك أن وجود فرتر أو الرجل الضاحك لايجعل رواية رومانتيكية « لدينا بديهياً » فالرواية الرومانتيكية تتحدد بعمل عدة أجيال من الروائيين الرومانتيكيين»[٩] . وهو عمل معقد ، ومتماسك . وهذا بالدقة مانجده لدى هؤلاء الروائيين الأمريكين اللاتين الذين أصبحوا يأتون أحدهم من الآخر : فكورتاثار يأتي من ماريشال ، ومن بورخس ، ومن آرلت ، وفوينتس المبكر ، من يانييث ، ومن كاربنتييه ، وفارجاس يوسا من أرجيداس ، جزئياً ، ومن بنيديتي ومن أونيتي ، وبابلو أرماندو فرناندث ، من ليثاما ليما ومن جارثيا ماركث . وجارثيا ماركث نفسه يكتب في مائة عام من العزلة رواية ـ محصلة تصادف فيها شخصياته شخصيات من كاربنتييه ، ومن كورتاثار ، ومن فوينتس ـ وكذلك أسلوبه . وما قاله مارتي عام ١٨٩٣ عن المحدثين يمكن قوله اليوم عن هؤلاء الروائيين : « وكأنها عائلة في

(٧) Alego Carpentier, Tieulos y diferencios, (Ensayos), México, Universidad Nacional Autonoma de México, 1964, pp. 5y9.

(٨) Angel Flores, op. cit. p.7.

(٩) Alejo Carpentier, op. cit. p.6.

أمريكا » . وبالطبع ، ليس الأمر في أي واحدة من تلك الحالات ، ولا في تلك التي يمكن اضافتها ، أمر افتراض أي روبنسونية(*) أدبية ، فهؤلاء الروائيون يعرفون ذلك ، ويستفيدون مما أنتجته الفنون الروائية في الثقافات الأخرى . ويمكن لأي انسان الاشارة الى ما يدينون به لجويس ، أو لبروست ، أو لفوكنر . لكن يوجد بينهم (وهذا علامة أنهم يشكلون فناً روائياً) استمرار معين ، تقاليد داخلية معينة تقارن بما بلغه الشعر منذ عقود (مارتي/داريو ، جونثالث مارتينث ، إيريرا إي رايسيج ، لوجونس/فرناندث مورينو ، لوبث فيلاردي ، لاميسترال هويدويرو ، فاييخو ، بورخس ، نيرودا ، دروموند ، فييثر ، جيين ، رومايين/ليثاما ، موليا ،سيزير ، باث ، ديجو ، ث فرناندث مورينو ، موتيس. ف. دي موريس، بارا،روخاس، كاردينا/ ميلو، ديبستر Depestre، ادوم Admum، يين Lihn، بيي Belli، خاميس Jomis، خيلمان Jelman، مونتس دي أوكا Montes de oca، دالتون، باتشيكو Pocheco..) ويجدر بالذكر كذلك أن أولئك الروائيين يأتون هم أيضا من الشعر (يجب دائماً تناول هذه الاستعارات المعجمية بحذر) . وهذا واضح بالنسبة لبعضهم ، لكونهم شعراء كذلك (أستورياس ، ماريشال ، رواباسطوس) ، أو شعراء في المقام الأول (ليثاما ، و ب . أ . فرناندث) ، وهو أقل وضوحاً بالنسبة لآخرين ، لكن ليس أقل صدقاً . وقد لاحظ خوسيه ماريا فالفردي Valverde عن حق أن المدينة والكلاب هي رواية شعرية تتبلور فيها الطريقة الراهنة لفهم النثر الروائي بين الهسبانو ـ أمريكيين ـ لحسن حظهم . فكل كلمة ،وكل جملة ، تقال وتسع كأنها في قصيدة : آن الأوان لأن تنمحي الحدود بين الغنائية ، والملحمية المكتوبة شعراً ، والملحمية المكتوبة نثراً » .(١٠) وما أبلغ الصدق الذي يمكن أن يقال به ذلك أيضاً عن كاربنتييه ، وكورتاثار ، وريفويلتاس ، وجارثيا ماركث ، وكثيرين غيرهم . ومثلما ضم مؤلفو المجموعة

(*) نحت المؤلف هذه الكلمة من روبنسون كروزو ويقصد التكوين الذاتي، او العصامية ـ المترجم.

(١٠) وردت على ظهر غلاف المدينة والكلاب.

الشعـرية المكسيكيـة (الشعر في الحـركة المكسيـك ، ١٩٦٦) الى المجموعـة نصوصاً نثرية لخوان خوسيه آريولا ، يمكن أن ننهج طريقة مماثلة مع غالبية هؤلاء المؤلفين . ويمكنني أن أقر أنه ليس سهلاً الاستقـرار على ضم صفحـات معينة لألفارو موتيس في مختارات شعرية ، واستبعاد صفحات أخرى لجارثيا ماركث تستمر فيها تلك الصفحات الأولى بوضوح . هي يعني ذلك أن هؤلاء المؤلفين قد انتهوا بأن محوا من أعمالهم ، وكـما طالب فـالفردي ، « الحـدود بين الغنـائية والملحمية المكتوبة شعراً ، والملحمية المكتوبة نثراً » ؟ إن إجابة هذا السؤال أمر متعجل ،وليس هوغرضنا الآن على كل حال . على أننا اذا وضعنا في الاعتبار كيف تجد التأملات الوجدانية . لكتاب مقالات سابقين دائماً صداها في كثير من هؤلاء الروائيين ـ كتاب من أمثال مارتينث استرادا ، ورييس ، ومارياتيجي ، وباث ـ لايسعنا إلا أن نحس أن هذا التدعيم للفن الروائي يبدو أكثر من ذلك : يبدو أنه ، إلى جوار شعر أصبح له سابقوه البارزون ، يمثل بلوغ سن الـرشد لأدب بأكمله . وهذا أساس من أجل توضيح اهتمام القارىء الأمريكي اللاتيني الجديد بهذا الأدب الراهن لأمريكا اللاتينية ، وكذلك توضيح التواصل المتبادل الذي يشهده هذا الحدث .

٤ ـ الوعي الذاتي ، شرط الانتشار .

إلا أنا يمكن أن نتساءل عما إذا كان ذلك الأمر كذلك بشكل كامل . عما إذا كان القراء الحاليون هم قـراء قد أداروا أبصـارهم بفخر إلى نتـاجاتنـا ، قراء متواصلين فيما بينهم قد تخلوا بالفعل عن النظر الى الخارج بدونية ليعرفوا مايجب قراءته ، أم أنهم عند النظر إلى بلدان أخرى يرون فيها الآن أسماء مؤلفينا ، وأن رؤية هذه الأسماء هناك تحملهم على قراءة مواطنيهم والاعجاب بهم وبتشجيع من العواصم الكبرى (المتروبولات)(*). وليس هذا الأمر بجديد فيمكن أن نتذكر أن الزنوجة،رغم أنها ظاهرة مختلفة ، بـدأت تظهـر في مناطق ليست قليلة من

(*) كلمة المتروبول تعني العاصمة الكبرى بالنسبة لكل دولة كما يعني بها البلد الاصلي بالنسبة للمستعمرات التابعة . لكن المقصود هنا عواصم اوروبا وامريكا بالنسبة لامريكا اللاتينية ـ المترجم

أمريكا ، مثل الكاريبي على سبيل المثال ، منذ أكثر من أربعين عاماً ، لا لأن هذه المناطق مناطق خلاسية ، كما هو الحال بالفعل ، بل لأن أوروبا كانت تنتج الزنوجة . (بعد ذلك أصبحت الأمور أقل بساطة .)[11] واليوم ، حتى القراء شديدو البعد عن بعض مواقف بورخس ، على سبيل المثال ، لايسعهم إلا الشعور بفخر محلي ساذج عندما يقرأون السطر الأول من كتاب فوكو Foucault الكلمات والأشياء (١٩٦٦) : « هذا الكتاب ولد من نص لبورخس » . لم يعد الأمر مجرد أن أعمالاً أدبية ، وأن مجموعة فرنسية كاملة مثل Tel Quel تعترف بولائها للكاتب الأرجنتيني : بل إن ما نتج بتأثيره هو عمل فكري هام (تورده الدوريات باعتباره نجماً) وعلى ما يبدو فقد كف الأدب الأمريكي اللاتيني عن كونه أدباً هامشياً ، إذ لايجري الحديث عنه في أوروبا فحسب ، بل تتم الكتابة بفضله جزئياً . ولابد من أن شيئاً قد حدث في ربع القرن هذا .

قبل عام من ظهور كتاب فوكو أي عام ١٩٦٥ ، أعلن روجيه كايوا Roger Caillois في صحيفة لوموند :

سيكون أدب أمريكا اللاتينية هو أدب الغد العظيم ، مثلما كان الأدب الروسي هو الأدب العظيم لأواخر القرن الماضي والأدب الأمريكي الشمالي هو الأدب العظيم لأعوام ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠ ، لقد دقت الآن ساعة أمريكا اللاتينية . ومنها ستظهر الروائع التي ننتظرها جميعاً .

---

(١١) ولدت الزوجة في اوروبا (بطريقة واعية بدرجة أو بأخرى) في نطاق رفض الطليعة الفنية لقيم المجتمع الرأسمالي على طريق التوسع الامبريالي. فطرح الجمال المتفوق للتماثيل الافريقية يتضمن انتزاع قيمة مهمة التحضر المفترضة للرجل الابيض بين مبدعي هذه التماثيل، ولم يتوقف العالم الثالث عند حد ان يرث الاهتمام بهذه الاشكال، التي هي اشكاله، بل طور التمرد الكامن في الاختيار الاوروبي. وبالتالي توجد رابطة بين اهتمام ابوللينير والتكعيبيين بالفن الافريقي، وبين النصوص الثورية لجيين وسيزير ـ وكذلك فانون. ورغم ذلك فان المجتمع الرأسمالي، بقدرته الهائلة على استيعاب الاشكال بتحويل وظائفها، قد انتهى بأن اكتسب لنفسه نوعا معينا من الزنوجة التي انحطت الى درجة الزينة (كما فعل بالنسبة لكل الطليعية بدرجة كبيرة بأن حولها الى زينة).

حتى الآن نجد النبوءة التي تبعث الامل مستقرة في الحاضر « الآن دقت ساعة أمريكا اللاتينية». لكننا بعد أسطر قليلة نجد هذا التوضيح :

إن الكتاب الأمريكيين اللاتين لايتعرف بعضهم على بعض إلا حين ينشرون في الخارج . فأعمالهم بالفعل ، لاتتخطى أبداً حواجز جبال الانديز ، والغابة الاستوائية ، والسهل . وللمرور من الأرجنتين إلى البرازيل يمر الطريق الثقافي بالضرورة بباريس ، أو نيويورك ، أو موسكو ، ومنذ وقت قصير يمر بهافانا .

(إن هافانا ، بالنسبة للكتاب الأمريكيين اللاتين ، هي عكس « الخارج » تماماً . لكننا سنعود إلى ذلك) . في وقت قريب كرس الملحق الأدبي لصحيفة التايمز عدد ١٤ نوفمبر ١٩٦٨ للأدب الأمريكي اللاتيني . وفي إحدى صفحاته يخفق بحروف كبيرة إعلان إحدى دور النشر : « ما من شك في أن أهم إضافة للأدب العالمي اليوم تأتي من أمريكا اللاتينية ؛ وبالتالي أسماء المؤلفين الذين تقدم كتبهم : بورخس وفيديل كاسترو ، نيرودا وتش جيفارا ، جارثيا ماركث ودوبريه . . وهذه الأمثلة (التي يمكن مضاعفتها لتشمل بالطبع أمثلة من الولايات المتحدة الأمريكية) تقدم كنوع من التكريس لأدب معين . وتولي سلطة التكريس تلك يشرح الرأي الذي يشارك فيه أوكتافيو باث حين يسخر ، بشأن الأمريكيين اللاتين ، من نوع معين من « النشاط النقدي الحديث والشديد الجلبة الذي لايكاد يتميز عن أكثر أشكال الدعاية خواءً » ، والذي اختار الآن « كحصان للمعركة » نجاح كتابنا ، وخصوصا الروائيين ، في الخارج ، ويضيف :

في المحل الأول ، تسبب لي كلمة النجاح الضيق : فهي لاتنتمي إلى المعجم الأدبي بل إلى معجم التجارةوالرياضة . وفي المحل الثاني : فإن موضة الترجمات ظاهرة عالمية لاتقتصر على أمريكا اللاتينية . إنها نتيجة لازدهار النشر ، ظاهرة مصاحبة لرفاهية المجتمعات الصناعية . فلايجهل أحد أن وسطاء الناشرين يجوبون القارات الخمس ، من اسطبلات كلكتا إلى أفنية مونتفيديو وبازارات دمشق، بحثاً عن مخطوطات روايات . الأدب شيء والنشر شيء آخر .

وبعد هذا التحليل الاجتماعي يضيف بترفع :

يظهر أنه ، لكي ينال عمل من الأعمال الاعتبار بيننا ، يجب أن يتمتع أولاً بمباركة لندن ، أو نيويورك ، أو باريس . ويكون الموقف هـزلياً اذا لم يتضمن تنحياً .(١٢)

يجب علينا أن نقبل ، على نحو ما ، أن كون الأدب الأمريكي اللاتيني مقروء في أمريكا اللاتينية لا يعد دليلاً على التواصل المتبادل للقارة فحسب ، بل إنه كذلك جزء من ظاهرة أوسع : فهذا الأدب مقروء في العالم اليوم ، ربما بدرجة أقل مما تزعم دعاية معينة . لماذا ؟ اقترح باث اجابة ، لكننا لايمكن أن نقنـع بإرجاع مثل هذه الحقيقة إلى نشاط النشر فقط . فطرح هذا المعيار ، (ونستخدم هنا رطانة « النقاد الجدد » الأمريكيـين الشماليـين) ، سوف يعني الـوقوع في إفلاس النشر . من الصعب إنكار أن أحد عوامل ازدهار الرواية الأمريكيـة اللاتينية هو أنها تلاقي تسويقاً لاتجده الأنواع الأدبية الأخرى بشكل عام . فالفن القصصي ، والرواية خصوصاً ، يتوليان قصص ما يجري ، ويجعلانه في متناول عدد أكبر من القراء ، إذا كان هؤلاء يهتمون بما يجري . وقد اعتادت الآداب الحديثة أن تنتشر عن طريق جانبها القصصي . فحين يتحدث كايوا عن رواج الأدب الروسي عند نهايات القرن التاسع عشر أو عن الأدب الأمريكي الشمالي لأعوام ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠ ، فإن في ذهنه فنيهما القصصيين على التـوالي . لكن المضي إلى أبعـد من ذلك يعني الثقـة أكثر ممـا يجب في سلطة النشر . وهؤلاء الوسطاء الـذين يجوبـون « اسطبـلات كلكتا . . . وبـازارات دمشق بحثا عن مخطوطات روايات » (وهو أمر مثير حقاً) ، هل عثروا على تلك المخطوطات بكميات ملحوظة ؟ أو بعبارة أخرى ، : هل يجري الحديث اليوم عن رواج للفن الروائي الهندي، أوالسوري كما يجري الحديث عن رواج للفن الروائي الأمريكي اللاتيني ؟ اذا كانت الاجابة بالنفي ، كما أخشى ، فلا يمكن أن ننسب إلى دور النشر فعالية مؤثرة ، رغم أنها تحمل مسؤولية ضخمة في نشر وتسويق أدبنا . فلنر

(١٢) Octavio Paz, Corriente altema, Siglo XXI, 1967, pp. 41 - 42.

الأشياء كما هي : فدور النشر لم تنشط الرواج المذكور ، لكنها ببساطة استفادت (وتستفيد) منه ، وشوهته هنا أو هناك لتحبيذ مواقف معينة ، مثلما يحدث مع الرواج الواضح الذي هو ليس الا حالة خاصة من الواقع موضع البحث ، وهي حالة ينطبق عليها جزء كبير من الشرح الذي قدمه باث ، وغيره من التفسيرات المشابهة ، وتفترض الاستغلال النشط لموقف معين يتضمن ، بالاضافة إلى وجود أعمال قيمة حقاً ، وجود النتاجات الهابطة المعتادة في مثل هذه الظروف .

السؤال إذن هو : لماذا عاد الناشرون (الأوروبيون والأمريكيون الشماليون وهم اكثر نفوذاً من ناشرينا) إلى ذلك الأدب بدلاً من غيره ؟ والاجابة المتعجلة عن هذا السؤال تؤدي بنا إلى الإفلاس النوعي الذي لايمكن قبوله أكثر من الإفلاس السابق : ويكون سبب الاهتمام الذي يناله الأدب الأمريكي اللاتيني هو مجرد ازدياد نوعية هذا الأدب . والآن فإن المستوى النوعي الراقي المطلوب بالنسبة لأدب ما ليس مسألة تقبل النقاش ، لكن كون ذلك المستوى كافياً لانتشار هذا الأدب ، هو مقولة لايمكن الدفاع عنها . وبدايةً فإنني لاأعتقد أن بمقدور أحد الدفاع بجدية عن أن المؤلفين الحاليين يفوقون نوعياً ، على سبيل المثال ، الكوكبة التي يشكلها مارتي ، وداريو ، ورودو ، ولوجونس ، وكيروجا ، وجونثالث مارتينث . .

إن انتشار أدب ما يتطلب ، بالطبع ، حقائق مثل الحقائق المذكورة من قبل لكنها بعيدة عن أن تكون كافية . ويتطلب الأمر حقائق أخرى . وبالأخص حقيقة واحدة أساسية : فانتشار أدب ما يتطلب وجود ذلك الأدب . وهذا الأخير ، بدوره ، يستلزم أن توجد ، ككيان تاريخي كاف ، المنطقة التي يعد أدباً لها . ورغم أنني أوردت أكثر من مرة فإنني لاأستطيع أن أمتنع عن أن أورد هنا من جديد كلمات مارتي التي لاغنى عنها : « لاتوجد آداب ، هي تعبير ، طالما لايوجد جوهر تعبر عنه . ولن تكون ثمة أدب هسبانو ـ أمريكي طالما لاتوجد هسبانو ـ أمريكا » . ومؤخراً ميز بنيوي ، هو الناقد البرازيلي أنطونيو كانديدو ، بين « الظواهر الأدبية » و « الأدب بالمعنى المحدد » . والأولى هي مجرد أعمال فردية ، أما الثاني فهو :

« نسق من الأعمال تربطها عوامل مشتركة واحدة تسمح بالتعرف على النغمات السائدة خلال مرحلة ما . وهذه العوامل المشتركة ، بصرف النظر عن الخصائص الداخلية (اللغة ، والموضوعات ، والصور) ، هي عوامل معينة ذات طبيعة اجتماعية ونفسية ، رغم أنها منظمة حرفياً ، تتبدى تاريخياً ، وتجعل من الأدب جانباً عضوياً من الحضارة .(١٣) »

وكلتا المسألتين تندرج في الأخرى : فبديهي أنه يمكن أن توجد أعمال أمريكية لاتينية بارزة منعزلة « مثل الشروح الملكية ، و فاكوندو ، أو مارتين فييرو) دون أن يوجد بسبب ذلك أدب أمريكي لاتيني حقيقي ، حسب ما اعتقد مارتي في بداية الحداثة ، وهي البداية التي أصبحت بداية عصرنا كذلك . وفي الوقت نفسه فإن مجرد الحديث عن أدب أمريكي لاتيني قد أدخل عنصراً جذرياً غير أدبي ، لأن كلمة « أمريكي لاتيني » ليست تصنيفاً أدبياً جمالياً ، وليست ، بالطبع ، تصنيفاً « جغرافياً ـ وجدانياً » كما يقول بورخس بظرف ، وبلا وجه حق على الاطلاق ، إنها تصنيف تاريخي (عناصره هي « عوام ذات طبيعة اجتماعية ونفسية . . . . تتبدى تاريخيا » هي التي يتحدث عنها كانديدو) . وقد أشار مارياتيجي بالفعل في (سبعة مقالات . . . .) إلى أن « ازدهار الآداب القومية يتطابق . . . مع التأكيد السياسي للفكرة القومية » ، وإلى أن « القومية » في التأريخ الأدبي هي ظاهرة لأنقى التقاليد السياسية غريبة على المفهوم الجمالي للفن » . الحديث إذن ، ولو عن مجرد عمل أدبي واحد أمريكي لاتيني ، يعني أننا قد مررنا ، عن علم أو عن غير علم ، بزوابع التاريخ . وهذا ما أدركه مارتي بكل وضوح ، وحمله إلى آخر مدى : فمن أجل أن يوجد أدب أمريكي لاتيني كان لابدمن وجود أمريكا اللاتينية ، وشرع في عمل ذلك ، في حركة مميزة للعالم الثالث ، مما فتح باب المغامرة الجمالية لجهد أنطولوجي ذي جذور سياسية .

---

(١٣) cit. por Ángel Rama en **Diez problemas para el novelista hispanoameticano, en casa de las Américas, La Habana, núm. 26, octubre - noviembre, 1964, p. 14.**

وهذا ما حدسه كذلك الجيل الرومانتيكي الأول : فروح بوليفار هي التي تحفزه مثلما كانت روح مارتي ـ أو بالأحرى ، الروح التي يجعل مارتي من نفسه المبشر والمنادى الأول بها ـ هي التي تحفز وتدعم أفضل ما في الحداثة ، أي اكتساب الوعي (الذي ليس واضحاً دائماً بدرجة كافية ، باستثناء مارتي نفسه) بما سيسمى فيما بعد بالطابع المتخلف لعالمنا ، وذلك كبداية للموقف المناهض للإمبريالية[١٤] والروح الراديكالية التي غذتها الثورة المكسيكية لعام ١٩١٠، وصدى الثورة الروسية لعام ١٩١٧ ،وهي الروح التي عبر عنها بصورة راقية خوسيه مارياتيجي ، هما اللتان تضفيان المعنى الأمريكي اللاتيني على عصيان الطليعة . وفي هذه الحالات كلها يوجد من خلال الأدب (وليس منه فقط) **تواصل متبادل** أمريكي لاتيني ، هو بالأحرى وعي ذاتي . ذلك **التواصل المتبادل** إذن ـ لدى الرومانتيكيين الأوائل ، ولدى المحدثين ، ولدى الطليعيين ، وفي أيامنا ـ ليس سوى اعادة العثور بشكل مثالي على وحدة تاريخية كانت قد تبددت مؤقتاً في الواقع .

٥ ـ عالم يشيد

إذا كان انتشار الأدب الأمريكي اللاتيني في حقبتنا أكثر من أي وقت مضى ، واذا كان التواصل المتبادل بين مختلف مناطق أمريكا اللاتينية يبلغ أقصى درجة حتى الآن فإن ذلك هو النتيجة الطبيعية لتحول أمريكا اللاتينية من الامكانية العاطفية التي رآها مارتي لتصبح واقعاً دراميا ، كما تبين منذ عشر سنوات[*] (هي

(١٤) « كان جيل داريّو هو أول جيل يعي هذا الموقف، وقد قام كثيرون من الكتاب والشعراء المحدثين بدفاعات حارة عن حضارتنا . ومعهم تظهر مناهضة الامبريالية » ، أوكتافيوباث Octa-vio Paz : Cuadrivio, México, Joa quin Mortiz, 1965, p. 47. والحقيقة أن مناهضة الامبريالية تظهر مع خوسيه مارتي؛ لكن المحدثين الأكثر شباباً هم الذين يتخذونها فيما بعد كموقف مشترك .

(*) كتب هذا البحث فيما يبدو بعد عشر سنوات من الثورة الكوبية التي تزعمها فيدل كاسترو في كوبا وتسلمت الحكم فيها اول سنة ١٩٥٩ . وأما جيفارا المشار إليه بعد قليل فقد قتل في بوليفيا سنة١٩٦٧ وقد صار رمزاً للشباب الثائر [المراجع] .

بالطبع السنوات التي تشهد الازدهار الأدبي للقارة) الثورة الأمريكية اللاتينية التي تتطور في كوبا . هذه الخطوة يجسدها اليوم بصورة نموذجية ارنستو جيفارا - مثلما فعل مارتي من قبل ، وبوليفار قبله . والأسباب التي أثارت الاهتمام بالأدب الأمريكي اللاتيني ، وانتشاره المتزايد هي الأسباب نفسها التي تدفع شباب العالم كله ، ولأول مرة في التاريخ ، إلى رفع صورة أمريكي لاتيني في شوارع مدنهم المذهولة . فليس غريباً أن يجد هذا الظرف الفريد قنواته في ترويج نصوص أدبية أمريكية لاتينية ـ مختلطة أحياناً بنصوص سياسية مكشوفة ، بينما يجري الشيء نفسه مع صور ذلك الرجل ذاته التي تتحول إلى لوحات صالون .

من أشد الأمور أهمية أن نتعمق في هذا الموضوع ، الذي سنكتفي بلمسه هنا : هذا الموضوع هو أن الأدب الأمريكي اللاتيني الراهن ، بمعنى أو بآخر ، هو أدب انبعاث الثورة الأمريكية اللاتينية التي لم تنتصر حتى الآن إلا في بلد واحد ، لكن جذورها ومنظوراتها تتجاوزه بدرجة كبيرة . وبالطبع فسوف يكون تبسيطاً مخلاً ، وبالتالي يسهل دحضه ، أن نفترض أن هذا يتضمن علاقة ميكانيكية بين الأمرين ، أي بين الفوران السياسي ـ الاجتماعي وبين الأدب . فالموقف أعقد من ذلك بكثير . [١٥] وقد كان الموقف على هذا النحو حين كان الأمر يتعلق بالثورة الفرنسية أو بالثورة الروسية أثناء تأثيرها في آداب البلدان الأخرى ، بما في

---

(١٥) يجب كذلك أن نضع في الاعتبار أن استيقاظ العالم الثالث سابق على عام ١٩٥٩ (إذ يظهر بفعل الحرب العالمية الثانية) والثورة الأمريكية اللاتينية ليست سوى أحد فصول هذا الاستيقاظ ، الذي جذب الانتباه إلى تلك المناطق الهامشية . وذلك يوضح أنه قبل عام ٥٩ ، وفي إطار موجة الاهتمام بالعالم الثالث، بدأ انتشار أعمال مثل أعمال استورياس، وكارنبتييه، وبورخس . إلاّ أن هؤلاء المؤلفين، الذين نشرتهم حتى دارجاييمار في فرنسا، كانوا ضمن مجموعة خاصة خلقت لهذا الغرض (هي صليب الجنوب La croix du sud ، التي يديرها كايواه) : فلم يكن الجيتو قد انفتح بعد . (انظر Clnde Couffon, La literatura lispanoamericana vista dese Francia, en Panorama de la actual literatura latinoamericana, La Habana, Casade las Americas, 1060). ومن ناحية أخرى، ففور بدء الازدهار المذكور، نجد محاولة لتفريغ الجوهر و لامتصاص الأشكال مما يظل يذكرنا، مع مراعاة كل الاختلافات، بما جرى مع الزنوجة ، على سبيل المثال .

ذلك بلداننا . ولابد من أنه كذلك الآن ، رغم أن الأمر أمر ثورة على شذرة من رقعتنا التاريخية ، في مقاطعة تشترك مع غيرها في عناصر ثقافية أساسية . ورغم هذا فلايجب توقع أن يتعلق الأمر بمجرد وجود أمور معينة ترتبط مباشرة بالعملية التاريخية . وهذا لايعني ، بالطبع ، افتقاد تلك الأمور : وبالأخص ، بالنسبة للكتاب الكوبيين أنفسهم بالطبع . فبالنسبة للشعراء ، أولاً حدث ما حدث في زمن الثورة الروسية ، ثم بالنسبة للقصاصين ظهر ادموندو دسنوس Desnoes ، **ذكريات التخلف** ، ، وخيسوس دياث Jesus Dioz ، **السنوات الصعبة** . كذلك ظهر ذلك لدى كتاب البلدان الأخرى التي تطورت فيها عمليات مماثلة (بعض قصائد ارنستو كاردينال ، وروكي دالتون ، وكذلك لشعراء ماتوا أثناء الأحداث ، مثل خافييه هيرود وأوتو رينيه كاستيو ، وادموندو دي لوس ريوس : **الألعاب المحظورة** ، وريناتو برادا : **مؤسسو الصباح**) ، أو ببساطة لدى مؤلفين مرتبطين بالثورة على نحو من الأنحاء . (خوليو كورتاثار : (**اجتماع**) وقصائد تياجو دي ميلو ، وخوان خيلمان ، ورينيه ديبيستر Depestre) . إلا أنها مسألة منظور أكثر منها مسألة مشكلات . فانطلاقاً من المنظور الذي تتيحه الثورة الراهنة يقدم كارلوس فوينتس المجتمع المكسيكي (**في موت آرتيميو كروث**) ، ويقدم بنيديتي المجتمع في أوروجواي في (**شكراً للنار**) ويقدم دافيد فيناياس المجتمع الأرجنتيني في (**الرجال على صهوة الجياد**) ، بينما خوليو كورتاثار ، الذي قدم رؤية فريدة كلاسيكية متعددة في **الجوائز** ؛ يحق في **الحجلة** صورة عبقرية بالأشعة لإنسان « اضطررت لتقديم بلد كامل » هو أحد بلداننا ، ويحلم جارثيا ماركث بتاريخ ماكوندو ـ كولومبيا ـ أمريكا اللاتينية في **مائة عام من العزلة** . وبدءاً من ذلك المنظور يعود الكوبيون أنفسهم إلى ماضيهم:ليساندرو أوتيرو Oetro،**الموقف**، وميجيل بارنت Barnet ، **سيرة عبد هارب** ، وبابلو أرماندو فرنانذث ، **الأطفال يودعون** .

يبقى أن نبحث ، بعيداً عن المشكلات المأخوذة فرادي ، وعن المنظورات نفسها ، البنى القصصية وعلاقتها بظروف تاريخية محددة ، وتستهل الدراسات

من هذا النوع في بعض أعمال جان فرانكو ونوح جنتريك Noe Jitrik ، على سبيل المثال .[١٦] ورغم تعقيد جوانب التناول هذه ، فلا يتعلق الأمر بلى الذراع حتى نجعل أشد النصوص تنافراً تبدو وكأنها مرتبطة قسراً بالعملية الثورية . إذ يظل هناك دائماً هامش ملحوظ تقع فيه مجموعات مختلفة من الأعمال ، ابتداءً من تلك التي تزدهر ، دون رابطة حقيقية تقع فيه مجموعات مختلفة من الأعمال ، ابتداءفي ظل نوع من صناعة اليسار (التي تكمن ممارستها ووضوحها في جـذر المجادلات التي لاغنى عنها والتي تصاحب هذا الأدب الجديد) ، ومرورا بأعمال السنـوات السابقـة (التي يلقى ضوء غـريب على بعض منهـا) ، وحتى تلك اللامبالية وحتى المعادية لتلك العملية ، والتي تستفيد رغم ذلك من تلك العملية في النشر ، وتحافظ على علاقات غير متوقعة معها .

إن تدعيم نوع أدبي يفترض ، بالطبع ، تملك لغة . (فكل عمل أدبي حقيقي يفترض ذلك .) ظهر ذلك في زمن الشعراء المحدثين ، ويظهر الآن مع الفن الروائي الامريكي الـلاتيني الجديـد . لكن لايجب الخلط بين الأدوار في هـذا الحدث ، ناسين ما أعاده ديلا فولبه Della Volpe إلى السطح ، بمعرفة كاملة باللغويات المعاصرة : ألا وهو « الصلة الوثيقة للشعر (أي ، للأدب) بالفكر عموماً .[١٧] إن نمو ، أدب ما وتدعيمه هو نمو وتدعيم لشكل محدد من الفكر يجد تعبيره المناسب . والبحث عن هذا التعبير ، في ذاته ، ليس هو هدف الأدب . بل هو هدف كل مؤلف بالمعنى الأولي من أن الكاتب هو إنسان يكتب ، إنسان يعمل في اللغة . لكنه بتلك اللغة يقول أشياء ، وفي بعض الحالات السعيدة يبلغ حد أن يحكي عالماً . لقد وصف هيدجر الكلام بأنه « دار الوجود » وقال إن دار

---

(١٦) cf. Noe Jitrik, Estructura y significado en "Ficciones", de Jorge Luis Birges, y Jean Franco, El viaje frustrado en la literatura hispanoamericana, en Casa áe las Americas, La Habana, num. 53, marzo - abril de 1969.

(١٧) Galvano della Volpe, Critica del gusto, trad. de. M. Sacristan, Barcelona, Seix y Barral, 1966, p. 127.

الوجود تلك مكونة من التفكير.[١٨] وكلام أمريكا اللاتينية يحكي وجودها. والاقتصار على الاشارة إلى أوجه امتياز هذه الدار تقليل من شأن هذه المهمة. هكذا أسيء خلال عقود تقدير الحداثة خلال عدة عقود تفاصيلها، وترك وظائفها في الظلام، وهي رؤاها العظيمة.

في عام ١٩٤١ كتب خورخي لويس بورخس يقول: «بخلاف الولايات المتحدة الأمريكية الهمجية.. لم تنتج هذه القارة كاتباً ذا تأثير عالمي ـ مثل إمرسون، أو ويتمان، أو بوـ، ولا حتى كاتباً عظيماً للخاصة: مثل هنري جيمس، أو ميلفيل»[١٩] ولم تكن هذه الملاحظة الحزينة صحيحة إلا بصورة جزئية، فرغم أنه لم يكن لدينا الكثير منهم فإن هذا لايعني بالضرورة أننا لم ننتجهم (امثال الإنكا جارثيلاسو، إرناندث، داريو، مارتي؟): بل إننا لم نصدرهم (حتى نمضي في هذه الرطانة). والآن بدأ كلا الأمرين يصبح واقعاً أكبر؛ بقدر ما تهجر أمريكا اللاتينية، جانبيتها، وتتوحد في التاريخ المحوري الذي كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد دخلته، بأهداف وأصول مختلفة، حين أنتجت وصدرت إمرسون، ووتيمان، وبو، وميلفيل، وجيمس (وهذا الأخير، مثل اليوت بعدها، صدر تماماً)

ليس التواصل المتبادل الأمريكي اللاتيني نتيجة للأدب الجديد، ولا العكس: فكلاهما تعبير عن عالم يشيد، عن قارة تتوحد، في لحظة تنوير عنيفة. والفتية (ومن هم أقل فتوة) يبدأون في قراءة أمريكا اللاتينية حقاً، لأن أمريكا اللاتينية تبدأ حقاً.

---

(١٨) Martin Heidegger, Carta Sobre el humanismo, trod. de. Alberto Wagner de Reyna, publicado junte con Doctrina de la verdod segun platón, Santiage de Chile, Universided de Chile (c. 1956), p. 223.

(١٩) Jonge Luis Borges, "Prologo" a la autologia poetica argentiua, realizda por, J. L. B., Silvina Ocampoy Adolfo Bioy Cesares, Buenos Aires Sudamericana, 1941, p. 11.



الباب الخامس :
الأدب والمجتمع



الفصل الأول
الأدب والتخلف

أنطونيو كانديدو(*)
Antonio Candido

١ ـ التأخّر والتخلف : أثرهما على وعي الكاتب

الكاتب البرازيلي ماريو فيْرا دي ميلو واحد من القلائل الذين تناولوا مشكلة العلاقات بين التخلف والثقافة. وهو يضع تمييزاً صالحاً ليس لبلده فقط ، بل لمجمل أمريكا اللاتينية. يقول إنه قد حدث تغيّر ملحوظ في المنظور . فحتى عقد الثلاثينات تقريباً سادت بيننا مقولة « البلد الجديد » ، أي الذي لم يتمكن بعد من تحقيق ذاته، لكنه ينسب إلى نفسه إمكانات ضخمة لتقدم منتظر في المستقبل . ودون أن يحدث تغير جوهري في المسافة التي كانت ومازالت تفصلنا عن البلدان الغنية، فإن ما يسود الآن هو مقولة « البلد المتخلف » . كان المنظور الأول يبرز الحيوية ، ومن ثم العظمة التي لم تتحقق بعد . أما الثاني فيؤكد الفقر الحالي، الضمور ؛ يؤكد ما ينقص لا ما يتوفر .

لا تبدو لي صحيحة تلك النتائج التي يستخلصها ماريو فيْرا دي ميلو من ذلك التمييز ؛ لكن التمييز في حد ذاته صحيح ويساعد على فهم جوانب أساسية معينة للإبداع الأدبي في أمريكا اللاتينية . وبالفعل ، تنتج فكرة « البلد الجديد » في الأدب بعض المواقف الأساسية ، المستمدة من المفاجأة، من الاهتمام بما هو غريب ، من احترام معين لما هو عظيم ومن الأمل بصدد الامكانات . فقد وجدت فكرة أن أمريكا مكان محظوظ التعبير عنها في الظلال الطوباوية التي

(*) ناقد برازيلي (ولد في ريودي جانيرو ١٩١٨) . من أعماله الأساسية: تكون الأدب البرازيلي ١٧٥٠ ـ ١٨٨٠،مجلدات (سان باولو ١٩٦٤، مدخل إلى أدب البرازيل (كاراكاس ١٩٦٨) ، وهو استاذ النظرية الأدبية والأدب المقارن في جامعة سان باولو . [المراجع] .

شكلت ملامح الغزو ، كما أوضح سيرجيو بواركي دي هولندا في أحد أعماله الأساسية التي يدرس فيها انتقال المفاهيم والأساطير ذات الطابع الفردوسي لتشكل صورة العالم الجديد. ويشير بدرو إنريكث أورينيا إلى أن أول وثيقة تتصل بقارتنا ، وهي رسالة كولومبس، تفتتح نغمة الدهشة والنشوة التي ستنتقل إلى الخلف . وفي القرن السابع عشر نصح الجزويتي البرتغالي ـ البرازيلي أنطونيو فيْيرا ، وهو يمزج البراجماتية بالتنبؤية، بنقل قصر الملكية البرتغالية إلى البرازيل، التي قدر لها أن تحقق أسمى غايات التاريخ ، بوصفها مقر الامبراطورية الخامسة . وبعدها، حين حملت تناقضات التشريع الاستعماري الطبقات الحاكمة على الانفصال السياسي عن المتروبول* ظهرت الفكرة المكملة القائلة بأن أمريكا قد قُدِّر لها أن تكون وطن الحرية، وبذلك تتوج أقدار الإنسان الغربي .

وقد ورث المثقفون الأمريكيون اللاتينيون حالة الحماسة تلك وحولوها إلى أداة للتأكيد القومي والتبرير الايديولوجي. فصنع الأدب من نفسه لغةً للاحتفاء والرقة ، تغمرها الرومانتيكية، وتستند على المبالغة وتحويل الغرابة إلى حالة روحية . فسماؤنا أشد زرقة ، وأزهارنا أكثر بهاءً ، ومناظرنا أكثر إلهاماً من الأماكن الأخرى ـ كما نقرأ في قصيدة نموذجية كتبها ، في العقد الرابع من القرن التاسع عشر ، برازيلي هو جونسالفش دياش ، ويمكن رغم ذلك، أن يوقّعها أي واحد من معاصريه من المكسيك ، إلى أرض النار (تيّرا دل فويجو)[1] .

كانت فكرة الوطن ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة الطبيعة وتستمد مبررها منها جزئياً . وقادت كلتا الفكرتين إلى أدب يعوّض التأخر المادي وضعف المؤسسات بالمبالغة في تقدير الجوانب « الاقليمية » ، متخذاً من الغرابة دافعاً للتفاؤل الاجتماعي . ففي قصيدة سانتوس فيجا ، لرافايل أوبليجادو، على مشارف

* ـ البلد المستعمر الذي يمثل المركز أو موقع اتخاذ القرار عالمياً مقابل الأطراف أو المحيط وهي البلدان المستعمرة أو التابعة ـ [المترجم] .

(١) أرض النار هي مجموعة الجزر في أقصى جنوب القارة اللاتينية [المراجع] .

القرن العشرين ، تُلقي النشوة ذات النزعة الأهلية** بظلها على نزعة التمدن** بمعناها المحدد، ويفرق الشاعر الأرجنتيني ضمنياً بين الوطن (المؤسسات) والأرض (الطبيعة) ، ويوحِّد كليهما ، رغم ذلك، في المسعى نفسه لتحديد الهوية .

. . . اليقين بأنه وطني
وطن إتشيفيرّيّا ،
أرض سانتوس فيجا .

كان أحد الدوافع الظاهرة أو الكافية في الأدب الأمريكي اللاتيني هو هذه العدوى ، المتشية عادةً ، بين الأرض والوطن ـ باعتبار أن عظمة الثاني تعد نوعاً من الامتداد الطبيعي للحيوية المنسوبة إلى الأولى . لقد تغذّت آدابنا على « وعود الأمل المقدسة » ـ كما جاء في بيت مشهور للرومانتيكية البرازيلية .

لكن، على الوجه الآخر للعملة، كانت الرؤى المثبّطة كذلك تعتمد على النوع نفسه من التداعيات ، وكأن ضعف او فوضى المؤسسات تشكل تناقضاً غير مفهوم ، في مقابل الظروف الطبيعية العظيمة . («في أمريكا كل شيء عظيم ، الإنسان وحده هو الضئيل ») .

حسناً ، مع هذا الارتباط السببي « أرض جميلة ـ وطن عظيم » ، ليس من الصعب رؤية التأثير الذي يحمله الوعي بالتخلف باعتباره تغيراً في المنظور ، فَرَضه واقع فقر الأسس ، وقدَم التقنيات، والبؤس المذهل للسكان، وجهلهم المؤدي بشأن الشلل . والنتيجة أن الرؤية متشائمة تجاه الحاضر واشكالية بشأن المستقبل، وربما كان الشيء الوحيد المتبقي من تبشيرية المرحلة السابقة هو الثقة التي يتم بها الاقرار بأن إزاحة الامبريالية ستجلب ، من تلقاء ذاتها ، انطلاقة التقدم . لكنها عموماً، لم تعد وجهة نظر سلبية . إذ إنها بحرمانها من النشوة أصبحت منظوراً معذياً يحمل على اتخاذ قرار بالنضال ، فالصدمة ، التي نتجت في الوعي عن تجربة ما هو كارثي في التأخر ، تحفز الاصلاحات السياسية . تنبعث

** الأهلية nativismo والتمدنية civismo [المترجم] .

العظمة السابقة ذات الأساس الطبيعي عندئذ في جوهرها الحقيقي باعتبارها بناءً إيديولوجيا ينقلب وهماً تعويضياً . من هنا الاستعداد للقتال الذي يمتد بامتداد القارة ، محولا فكرة التخلف الى قوة دافعة تضفي طابعاً جديدا على الجهد السياسي التقليدي لمثقفينا .

كان الوعي بالتخلف تالياً على الحرب العالمية الثانية وظهر بوضوح ابتداءً من عقد الخمسينات . لكن منذ عقد الثلاثينات كان قد حدث تغير في التوجه ، في الفن القصصي الاقليمي على الأخص ، ذلك الفن الذي يمكن اعتباره بمثابة ثرمومتر بالنظر إلى عموميته واستمراره ، فقد تخلىٰ هذا الفن عن بهجته وفضوله ، مستشعراً أو مدركاً عملية الإخفاء الكامنة في الابتهاج زاهي الألوان أو في الفروسية التزويقية التي كانت تجرى بها معالجة الإنسان الريفي . وليس من الخطأ القول بأن الرواية قد اكتسبت، من وجهة النظر هذه، قوة لنزع الأوهام تبشر باكتساب الوعي من جانب الاقتصاديين والسياسيين .

وفي هذا المقال سنتحدث بصورة تبادلية أو مقارنة عن السمات الأدبية في مرحلة الوعي السعيد بالتأخر ، المناظر الايديولوجية «البلد الجديد» وفي مرحلة الوعي الكارثي بالتأخر ، المناظر لمقولة «البلد المتخلف» . لأن كلتيهما ترتبطان ارتباطاً وثيقاً ، ولأننا في الماضي القريب والبعيد ندرك ملامح الحاضر. أما بالنسبة للمنهج فإن من الممكن اختيار سوسيولوجية للنشر ، أو سوسيولوجية للإبداع . ودون نسيان الأولى فضلت إبراز الثانية التي رغم أنها تبعدنا عن قوة الاحصاءات ، فإنها تقربنا ، بدلاً عن ذلك، من الاهتمامات النوعية للنقد الأدبي .

٢ ـ الأميّة ، والضعف الثقافي ، ووسائل الاتصال الجماهيرية ، والجمهور الأدبي المحدود .

إذا دققنا النظر في الشروط المادية لوجود الأدب فربما كانت الحقيقة الأساسية هي الأميّة، التي يزيد في تفاقمها ، في البلدان ذات الثقافة قبل ـ الكولومبية

المتقدمة، التعددية اللغوية التي مازالت قائمة (وهي موضوع فصل آخر من هذا الكتاب[1])، وبالفعل ترتبط بالأمية مظاهر الضعف الثقافي : فهناك نقص وسائل الاتصال والنشر (من دور نشر ومكتبات ، ومجلات ، وصحف) ؛ وهناك عدم وجود الجمهور المتاح للأدب وتبعثره وضعفه ، بسبب العدد الضئيل من القراء الفعليين (وهو أقل بكثير من العدد المحدود لمن يعرفون القراءة) ، وهناك استحالة تخصص الكتاب في مهامهم الأدبية التي تُنْجَزُ عموماً كنشاطات هامشية أو لمجرد الهواية؛ وهناك الافتقار إلى المقاومة أو التمييز تجاه المؤثرات والضغوط الخارجية . ويكتمل إطار ذلك الضعف بعوامل من نوع اقتصادي وسياسي، مثل مستويات الربح غير الكافي ، والفوضى المالية للحكومات ، التي تنتهج سياسات تعليمية عاجزة أو مهملة بصورة إجرامية. فباستثناء ما يتعلق بالبلدان الثلاثة الجنوبية، التي تشكل «أمريكا البيضاء » لدى الأوروبيين ، اقتضى الأمر وقوع ثورات من أجل تغيير شروط الأمية السائدة ، كما في حالة المكسيك البطيئة وحالة كوبا السريعة .

ولا تتراكب الملامح المذكورة آلياً وعلى النحو نفسه دائماً ، إذ إن بينها احتمالات عديدة للانفصال والارتباط . ففي بعض الأحيان لا تكون الأمية دافعاً كافياً لتفسير ضعف قطاعات أخرى، رغم كونها الملمح الأساسي للتخلف في المجال الثقافي . فالبيرو ، على سبيل المثال ، أقل سوءاً من بلدان أخرى في مستوى التعليم، لكنها تمثل التأخر نفسه بالنسبة لنشر الثقافة. وفي قطاع آخر أظهرت حقيقة مثل تطور دور النشر في الأربعينات في المكسيك والأرجنتين أن نقص الكتب ليس نتيجة للعدد المحدود من القراء ولضعف القوة الشرائية فقط ، بل لأن أمريكا بأسرها ، بما في ذلك أمريكا التي تتحدث البرتغالية ، قد امتصت الطبعات الكبيرة بشكل ملحوظ ، وبالأخص الطبقات ذات المستوى الأرقى . وربما كان من الممكن استنتاج أن عادات النشر السيئة والافتقار إلى وسائل الاتصال جعلت القصور الذاتي للجمهور ينطلق ليتجاوز كل الحدود؛ واستنتاج

(١) الباب الأول ، الفصل الثاني

أن هناك قدرة استيعاب غير مُشبعة . وهذا المثال الأخير يجعلنا نتذكر أن مشكلة الجمهور في أمريكا اللاتينية التي تتحدث بخصائص أصيلة لأنها مجموعة البلدان المتخلفة الوحيدة التي تتحدث بلغات أوروبية (باستثناء جماعات السكان الأصليين المشار إليها) ، وتنبثق عن متروبولات* مازالت متخلفة . ففي تلك المتروبولات القديمة* ، كان الأدب، ومازال عملاً محدود الاستهلاك ، بالمقارنة مع أدب البلدان المتقدمة، حيث يمكن تصنيف الجمهور حسب نوع القراءة التي يمارسها ، وحيث يسمح ذلك التصنيف باجراء مقارنات مع التقسيم الاجتماعي لمجمل المجتمع . إلّا أنه، في إسبانيا والبرتغال، مثلما في بلداننا ، يوجد وضع سلبي مسبق ، هو عدد من يعرفون القراءة ، أي من يمكن أن يشكلوا قراء الأعمال الأدبية . وهذا يجعل بلدان أمريكا اللاتينية أقرب إلى الأوضاع المفترضة في المتروبولات القديمة من البلدان المتخلفة في إفريقية أو في آسيا ، تلك البلدان التي تتحدث بلغات مختلفة عن لغاتها ، وحيث نجد أن المشكلة الخطيرة هي في اللغة التي يجب أن يظهر بها الإبداع الأدبي . فالكتاب الأفريقيون باللغة الفرنسية مثل: ليوبولد سيدار سنجور، أو باللغة الانجليزية مثل شينوا أتشيبي ، Chenua Achebe، يتباعدون بصورة مزدوجة عن جمهورهم المفترض ويرتبطون إما بالجمهور في المتروبول ، وإما بجمهور محلي محدود بشكل مفزع .

نقول هذا لنبيّن أن إمكانات الاتصال أمام الكاتب الأمريكي اللاتيني، في الإطار العام للعالم الثالث، أفضل بكثير رغم الوضع الحالي الذي يقلص تماماً من جمهوره المحتمل. إلّا أننا يمكن أن نتخيل كذلك أن الكاتب الأمريكي اللاتيني مقدّر عليه أن يكون ما كانه دائماً: أي أن يكون منتجاً من أجل أقليّة، رغم أن ذلك لا يعني، في حالتنا، مجموعاتٍ ذات نوعية جمالية جيدة، بل مجرد عدد محدود من المجموعات المستعدة للقراءة. كذلك لا يجب نسيان أن الوسائل السمعية ـ البصرية الحديثة، يمكن أن تحدث تغيراً في عمليات الإبداع وفي وسائل الاتصال، بحيث إنه حينما تصل الجماهير العريضة أخيراً إلى التعليم الأساسي

(*) المقصود بالمتروبولات هنا اسبانيا والبرتغال . [المراجع] .

تبحث خارج الكتاب عن إشباع احتياجاتها العامة من القصة والشعر .

وبعبارة أفضل، فإن جماهير عريضة في غالبية بلداننا لم تصل بعد إلى الأدب الراقي، ومازالت غارقة في مرحلة فولكلورية من الاتصال الشفوي. وحين تمحى أميّة هذه الجماهير وتُمتص في عملية توسع المدن تنتقل إلى مجال المذياع والتلفاز، ومسلسلات الرسوم الهزلية (Comic Strips)، ومجلات الأقاصيص المصورة، مشكِّلة بذلك قاعدة ثقافة جماهيرية. من هنا فإن محو الأمية لايزيد بدرجة متناسية عدد قرّاء الأدب، كما نفهمه هنا، بل ينقل من محيث أميتهم، بجانب الأميين، من المرحلة الفولكلورية مباشرة إلى ذلك النوع من الفولكلور المديني الذي تمثله الثقافة التعميمية(*). في فترة التلقين الديني كان المبشرون الاستعماريون يكتبون مسرحيات دينية وقصائد باللغة الهندية أو باللهجة المحلية حتى يقرِّبوا إلى المُتَنَصِّر مبادىء الدين والحضارة المتروبولية من خلال أشكال أدبية مكرّسة، مكافئة للأشكال التي كانت توجّه إلى الإنسان المثقف في ذلك الحين. وفي عصرنا ينقل تلقين معكوس الإنسان الريفي بسرعة إلى المجتمع المديني بواسطة وسائل اتصال تتضمن حتى غرس إنطباع في الذهن بطريقة معقدة. وتفرض قيماً مشكوكاً فيها ومختلفة بدرجة كبيرة عن تلك التي يبحث عنها الإنسان المثقف في الفن والأدب .

بالإضافة إلى ذلك فإن هذه المشكلة هي واحدة من أخطر المشكلات في البلدان المتخلفة بسبب التدخل القوي لما يمكن أن يسمى الخبرة التقنية الثقافية، وللمواد المتطورة ذاتها للثقافة التعميمية(*)، القادمة من البلدان المتقدمة، والتي تستطيع بهذه الطريقة نشر قيمها بصورة عادية فقط، بل كذلك العمل بصورة شاذة من خلالها لتوجيه رأي السكان المتخلفين وحساسيتهم باتجاه مصالحها السياسية. إنه لأمر عادي، على سبيل المثال، أن يتم نشر صورة بطل الغرب الأمريكي، لأنها، بصرف النظر عن أحكام القيمة، تمثل إحدى خصائص

(*) نترجم بهذه الكلمة Cultura Masificada وتعني ثقافة الكتل الجماهيرية الواسعة، ثقافة الـ Mass. [المراجع].

الثقافة الأمريكية الشمالية المتضمنة في الحساسية الوسطية للعالم . وفي البلدان ذات الهجرة اليابانية الواسعة ، مثل البرازيل، تنتشر بصورة عادية كذلك صورة الساموراي بواسطة السينما على الأخص. لكن الأمر الشاذ هو أن تخدم مثل تلك الصور كأداة تغرس في أذهان الجمهور في البلدان المتخلفة مواقف وأفكاراً توحدهم مع المصالح السياسية والاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية أو اليابان . وحين نفكر في أن غالبية مسلسلات الرسوم الهزلية ومجلات الأقاصيص المصورة تحمل حقوق نشر أمريكية شمالية ، وأن جزءاً كبيراً من الروايات المصورة والقصص البوليسية وقصص المغامرات يأتي من المصدر نفسه أو يقلده بخنوع ، يكون من السهل تقييم التأثير السلبي الذي يمكن أن تمارسه، باعتبارهانشرا شاذاً تجاه جمهور أعزل .

ويجدر بنا أن نشير في هذا الصدد إلى أن مشكلة التأثيرات في الأدب الراقي (والتي سنبحثها فيما بعد) يمكن أن يكون لها تأثير جيد ، أو مستهجن ؛ لكنها لا تجد صدى في السلوك الأخلاقي أو السياسي للجماهير إلاّ على سبيل الاستثناء ، حيث إنها تبلغ عدداً محدوداً من الجمهور. إلاّ أنه ، في حضارة تعميمية Masificada تسود فيها الوسائل غير الأدبية، وشبه الأدبية ، والأدنى من الأدبية، مثل الوسائل المذكورة آنفاً ، يميل ذلك الجمهور المحدود والمتميز إلى التجانس ، إلى درجة الذوبان في الجماهير التي تتلقى التأثير على نطاق هائل . والأكثر من ذلك هو أن التأثير يأتي عبر وسائط يتقلص فيها العامل الجمالي إلى الحد الأدنى مما يجعل من الممكن له أن يندمج في مخططات أخلاقية أو سياسية تتغلغل، في حدودها النهائية، في مجمل السكان .

إذا سلمنا بأننا «قارة خاضعة » فإن على الأدب الأمريكي اللاتيني أن يمارس يقظة قصوى ، حتى لا تجرفه أدوات وقيم ثقافة الجماهير التي تغري العديد من المنظرين والفنانين المعاصرين . وليس الأمر انضماماً إلى «المنذرين بالقيامة » ، بل تحذيرا «للمندمجين» إذا استخدمنا التمييز إلى اللاذع لأومبرتو إكو.Eco . وثمة تجارب حديثة معينة تعد خصبةً من منظور روح الطليعة ، وغرس الفن والأدب في

إيقاع العصر ، مثلما الأمر في حالة المذهب المحسوس. لكن ليس من الصعب علينا أن نتذكر ما يمكن أن يحدث إذا جرى التلاعب بها سياسياً من قبل الجانب الخاطىء في مجتمع الكتل الجماهيرية . وبالفعل، فرغم أنها تمثل في اللحظة الراهنة جانباً متقشفاً ومحدوداً، فإن المبادىء التي تستند عليها يمكن أن تجعلها نفاذة أكثر من الأشكال الأدبية التقليدية، تجاه جماهير منظور إليها بشكل تعميمي مستعينة في ذلك بالكتابة، وبالأصوات المعبّرة، وبالتراكيب اللغوية عالية التوصيل ، وليس ثمة مصلحة للتعبير الأدبي لأمريكا اللاتينية في الانتقال من التفرقة الارستقراطية لحقبة الأوليجاركيات(*) إلى التلاعب الموجّه بالجماهير في حقبة الدعاية والامبريالية الشاملة .

٣ ـ الضعف الثقافي وتأثيره على الإبداع

لا تؤثر الأميّة والضعف الثقافي فقط في الجوانب الخارجية التي ذكرناها للتو . لأن أكثر ما يثير الاهتمام، بالنسبة للناقد، هو تدخلها في وعي الكاتب وفي طبيعة الإبداع ذاتها .

(أ) إيديولوجية التنوير ؛ الأرستقراطية .

في الفترة التي نسميّها فترة الوعي السعيد بالتأخر كان الكاتب يشارك في الإيمان بإيديولوجية التنوير، التي يجلب التعليم طبقاً لها وبصورة آلية كل الفوائد التي تتيح أنسنة الإنسان وتقدم المجتمع . في البداية ، تعليم يُوصي بأن يكون للمواطنين، وهم أقلية تضم من يشاركون في المزايا الاقتصادية والسياسية، ثم من أجل الشعب، منظوراً إليه من بعيد وبصورة غامضة، باعتباره مفهوماً ليبرالياً أكثر منه واقعاً . وقد قال الامبراطور بدرو الثاني إمبراطور البرازيل إنه كان يفضل أن يكون معلماً ، مما يمثل موقفاً مكافئا لوجهة نظر سارمينيتو، التي يكون شرط سيادة الحضارة على الهمجية طبقاً لها هو عملية تموين كامنة ، مؤسسة على التعليم، وفي المهمة القارّية لأندريس بيّو Belle من المستحيل تمييز الرؤية

* الاوليجاركية هي حكم الأقلية الاجتماعية [المراجع] .

السياسية عن المشروع التعليمي، وفي ـ المجموعة الأحدث ـ مجموعة (المجتمع Ateneo) ، في كاراكاس ، توحدت مقاومة طغيان جومث مع نشر الأنوار وخلق أدب مشبع بأساطير التعليم المخلِّص ، وتمثل ذلك كله في شخصية رومولو جاييجوس ، أول رئيس لجمهورية بعثت إلى الحياة .

وهناك حالة مثيرة للاهتمام هي حالة المفكر البرازيلي مانويل بونفيم Bonfim الذي نشر عام ١٩٠٥ كتاباً عظيم الأهمية هو أمريكا اللاتينية . ورغم أنه منسي بصورة ظالمة (ولعل ذلك بسبب استناده إلى تدليلات بيولوجية تم تجاوزها، وربما بسبب الراديكالية المقلقة لمواقفه) ، فإنه يحلل تأخرنا في علاقته بامتداد التشريع الاستعماري الذي يجد ترجمته في استمرار الأوليجاركيات وفي الامبريالية الأجنبية . وفي الختام، حين يقود كل شيء إلى نظرية لتغيير الأبنية الاجتماعية باعتباره شرطاً ضروريا، يحدث خنق خادع للتحليل، ويختتم موصياً بالتعليم كعلاج شافٍ . هنالك نحس أننا في قلب الوهم المستنير ، إيديولوجية مرحلة الوعي المشبع بالأمل للتأخر ، والذي، لم يفعل سوى القليل من أجل تحقيق هذا التعليم . وهذا أمر له مغزاه .

ليس من المستغرب ، إذن، أن تكون الفكرة التي أشرنا إليها ، والتي بمقتضاها تكون القارة الجديدة وطناً للحرية، قد طرأ عليها تحوير غريب : فالمقدر لها كذلك أن تكون وطن الكتاب . وهذا ما نقرؤه في قصيدة خطابية يقول فيها كاسترو آلفيش : إنه بينما اخترع جوتنبرج الطباعة صادف كولومبوس المكان المثالي لذلك الاختراع الثوري :

Quando no tosco estaleiro	في ترسانة المراكب الخشنة
Da Alemanha o velho obreiro	حين أبدع عامل عجوز في ألمانيا
A aue da imprensa gerow,	طائر المطبعة
O Genoves salta os mares,	خرج (رجل) جنوبي إلى البحار
Busca um ninho entre os palmares	يبحث عن عش بين غابات النخيل
E a **Pótria da imprensa** achou	فوجد وطن المطبعة

هذه القصيدة ، التي كتبها في عقد الستينات من القرن التاسع عشر شاب يخفق قلبه بالحرية، تحمل، بصورة معبّرة، عنوان: الكتاب وأمريكا O Livro e a América ، مما يوضح الموقف الإيديولوجي الذي نشير إليه .

وبفضل ذلك الموقف صاغ المثقفون رؤية مماثلة التشوه بالنسبة لوضعهم تجاه الجهل السائد . إذ إنهم بنواحهم على جهل الشعب وتمنيهم ان يختفي ، حتى ينهض الوطن آلياً ليبلغ أقداره السامية، قد استبعدوا أنفسهم من السياق واعتبروا أنهم مجموعة معزولة، « متذبذبة » حقاً ، بمفهوم أشمل من مفهوم الفريد فيبر . وظلوا يتذبذبون، بإحساس بالذنب أو بدونه، متعالين على الجهل وعلى التأخر ، متأكدين من أنهم لا يمكن أن يعدوهم، ولا أن يؤثروا على نوعية ما يصنعونه ، ولما لم يكن الوسط الثقافي يستطيع أن يضمهم إلاّ بدرجات ضئيلة ، ولما كانت قيمهم تكمن في أوروبا فإنهم يتجهون نحوها معتبرينها دون وعي بمثابة معيار، ومعتبرين أنفسهم مناظرين لأفضل ما في العالم القديم .

وفي الحقيقة فإن الجهل العام قد أنتج ومازال ينتج ضعفاً أشد تغلغلا بكثير، يتخلل في مجمل الثقافة وفي نوعية الأعمال ذاتها وموقف الأمس يبدو، إذا نظرنا إليه من منظور اليوم، مختلفاً عن الوهم الذي ساد عندئذ، حيث أصبح بإمكاننا تحليله بموضوعية أكثر بفضل فعل الزمن المقوِّم وبفضل جهدنا لكشفه .

وتزداد المسألة وضوحاً إذا تناولنا المؤثرات الأجنبية . ومن أجل فهمها قد يكون من المناسب أن نعود إلى حقيقة التبعية الثقافية ، واضعين في الاعتبار التأمل بشأن التأخر والتخلف، وهي الحقيقة التي تعد طبيعية ـ باعتبار وضعنا كشعوب مستعمرة إما أنها انحدرت من المستعمر وإما عانت من فرض حضارته ـ لكنها تتعقد في جوانب إيجابية وسلبية .

أخضع الفقر الثقافي الكاتب بالضرورة للنماذج المتروبولية والأوروبية عموماً، مشكلاً مجموعة ارستقراطية على نحوٍ من الانحاء تجاه الإنسان الجاهل . ففعلياً، وبقدر الافتقار إلى جمهور كافٍ ، كان الكاتب يكتب وكأن جمهوره المثالي في أوروبا، وبذلك بنفصل أحياناً كثيرة عن أرضه . وأنتج ذلك أعمالاً اعتبرها

المؤلفون والقراء أعمالاً رفيعة ، لأنها تتمثل الأشكال والقيم الأوروبية . ذلك رغم أنها ، بسبب الافتقار إلى معايير محلية ، لم تتعد كونها مجرد تدريبات على الاغتراب الثقافي ، لا يبررها امتياز إنجازها ـ مثلما جرى في جانب الغرابة والتعاطف المتضمن في « الحداثة » المكتوبة باللغة الاسبانية ، وفي نظيريها البرازيليين ، «البارناسية » و«الرمزية» ـ .[٢] ثمة ما يظل صالحاً في روبين داريّو ، بالتأكيد ، وكذلك في إيريرا إي رايسيج ، وأولافو بيلاك ، وكروث إي سوسا . لكن ثمة كذلك الكثير من الجواهر الزائفة التي كشفها الزمن ، وقدر كبير من التهريب الذي يضفي عليهم طابع المشتركين في مسابقة دولية للكتابة بطريقة «جميلة » . لقد أصبح سمو المنحلين والصبابيين محليا ، موضحاً بذلك المنظور الخاطىء الذي يمكن أن يُرسي حين لا يكون لدى النخبة ، (التي لا تتمتع بقواعد في شعب جاهل) ، وسائل للمواجهة النقدية فتفترض أن المسافة النسبية التي تفصل بين الجانبين تمثل سمواً مطلقاً « أنا آخر الاغريق! » ـ هكذا صرخ بصورة مسرحية عام ١٩٢٢ في الأكاديمية البرازيلية الكاتب كويليو نيتو Coelho Neto ، وهو نوع محلي مجتهد من أضراب دانونزيو ، وكان يحتج ضد طبيعية «محدثينا » ، التي جاءت لتضعف «الوضع » الارستقراطي في الفن والأدب .

وعلينا أن نتذكر جانباً آخر من الارستقراطية الاغترابية ، بدا عبر الزمن باعتباره سمواً يستحق الثناء : ألا وهو استخدام لغات أجنبية في الإبداع . فقد اندرجت بعض الأمثلة في باب الكوميدية المفرطة في التناقض ، مثلما في حالة رومانتكي برازيكي متأخر من الدرجة الخامسة ، هو بيرش دي المبدأ الذي نشر في أوائل القرن الحالي ، بالفرنسية ، عملا مسرحيا أهليا ربما ألفه قبلها بكثير هو : عيد الجماجم ، درامة تقاليد هندية في ثلاثة فصول واثنتي عشرة لوحة . La fête des crânes drame de moeurs indiennes en trois actes et douze tableaux . إلاّ أن هذه الحقيقة تكون ذات دلالة حقاً حين

---

(٢) تشير كلمة «الحداثة» في البرازيل إلى حركة الطلائع الأدبية لعقد ١٩٢٠ . ومن أجل لفت الانتباه إلى ذلك ، أستخدم دائماً فاصلات حين استخدامها ، بالمعنيين اللذين تعنيهما في التاريخ الأدبي للبلدان الأمريكية اللاتينية التي تتحدث الاسبانية والبرتغالية .

تظهر مرتبطة بمؤلفين وأعمال جيدة، مثل شاعر حركة السبعمائةSetecientos كلاوديو مانويل دا كوستا Da Costa، الذي ترك إنتاجاً وافراً وجيداً باللغة الإيطالية. أو جواكيم نابوكو Nabuco ، الممثل النمطي للأوليجاركية ذات النزعة العالمية والمشاعر الليبرالية، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والذي كتب بالفرنسية عملاً مسرحياً عن المشكلات الأخلاقية لشخص ألزاسي عقب حرب عام ١٨٧٠ بالإضافة إلى شذرات من سيرة ذاتية وكتاب حكم . وبتلك اللغة ذاتها كتب عدة رمزيين برازيليين كل أعمالهم أو جزءاً منها ، بما في ذلك أحد الرمزيين الهامين ، وهو الفونسوس دي جيمارانيس guimaraens . وكتب فرنثيسكو جارثيا كالديرون بالفرنسية كتاباً مفيداً في حينه باعتباره محاولة لرؤية متكاملة لبلدان أمريكا اللاتينية . وبالفرنسية كتب فيثنتي هويدوبرو جزءاً من أعماله ونظريته. وأنا على يقين من وجود أمثلة مشابهة في كل بلداننا بدءاً من الأدب الرسمي والأكاديمي الهابط وحتى الانتاجات الجيدة .

كل ذلك لم يوجد دون مشاعر متناقضة، فمن ناحية كانت مجموعات النخبة تقلّد ما هو حسن وما هو سيىء في المؤثرات الأوروبية، لكنها من ناحية أخرى، وأحياناً في الوقت نفسه، كانت تؤكد الاستقلال الروحي الأشد تعنّتاً ، في حركة بندولية تتراوح بين الواقع واليوتوبيا ذات الطابع الأيديولوجي. وهكذا نرى أن الأميّة والسمو، وأن العالمية والمحلية يمكن أن يكون لها جذور هجينة في تربة الجهل وفي جهد تخطيه .

ب) التأخر، والتخلف عن الزمن، والتدهور الثقافي

التأثير الأخطر للضعف الثقافي على الانتاج الأدبي تمارسه حقائق التأخر ، والتخلف عن الزمن ، وتدهور واختلاط القيم. وفي العادة فإن كل أدب يقدم جوانب من التأخر ، ويمكن القول بأن متوسط الإنتاج من لحظة معينة يعد ضريبة للماضي ، بينما تمهد الطلائع للمستقبل . وبالإضافة إلى ذلك ثمة أدب فرعي رسمي ، هامشي أو محلي، تعبر عنه الأكاديميات بشكل عام. إلاّ أن ما يلفت الانتباه في أمريكا اللاتينية هو حقيقة اعتبار أعمال متخلفة عن زمنها جمالياً أعمالاً

حية ، أو حقيقة الحضارة بأعمال ثانوية من جانب أفضل الآراء النقدية وبقائها لأكثر من جيل ، بينما كان الواجب أن توضع هذه وتلك في مكانها الصحيح ، باعتبارها شيئا ضئيل القيمة أو مظاهر لبقاء دون فاعلية. ولنكتف بإيراد الحالة الغريبة لقصيدة تاباريه Tabaré ، لخوان زوريّيا Zorilla دي سان مارتين ، وهي محاولة صنع ملحمة قومية للأورجواي عند بداية القرن العشرين تقريباً ، وقد أخذت على محمل الجد رغم أنها فُهمت ونُفّذت وفق قوالب كان قد عفا عليها الدهر في فترة الرومانتيكية .

وفي أحيان أخرى لا يسبب التأخر صدمة ، بل يعني مجرد التأخير . وهذه هي الحال بالنسبة للطبيعية في الرواية التي وصلت متأخرة بعض الشيء وامتدت حتى أيامنا دون انقطاع جوهري لاتصالها رغم التعديل في استخداماتها. فبلداننا إذا كانت في غالبيتها مازالت تعاني من مشكلات التوافق والصراع مع الوسط، وكذلك من مشكلات مرتبطة بالتنوع العرقي ، فإن هذه الحقيقة قد وسعت من الانشغال ذى النزعة الطبيعية بالعوامل الفيزيائية والبيولوجية . وفي تلك الحالات ينتج ثقلُ الواقع المحلي نوعاً من مشروعية التأثير الذي يكتسب معنىً مبدعاً . ولذلك، فيما كان المذهب الطبيعي يمثل في أوروبا مجرد بقاء ، استطاع بين ظهرانينا أن يكون مكوناً لصيغ أدبية مشروعة بدرجة كبيرة، كما هو الحال في الرواية الاجتماعية لعقدي الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن، والتي يمكن تسميتها بالطبيعية الجديدة .

وتوجد حالات أخرى كارثيه صراحةً : حالات المحلية الثقافية التي تفقد الحس بالتناسب، وتطبق على أعمال غير ذات قيمة الاعتراف والتقدير ذاتيهما المستخدمين في أوروبا للكتب ذات النوعية الجيدة؛ مما يؤدي الى مرور ظواهر تدهور ثقافي حقيقي يجعل أعمالاً لقيطة تمر ، بمعنى مرور بضاعةٍ مهربة، وذلك بسبب ضعف الجمهور وانعدام الاحساس بالقيم، من جانب الجمهور ومن جانب الكتاب على حدٍ سواء . ولينظر القارىء الى القائمة الروتينية من المؤثرات المشكوك فيها، مثل تأثيرات أوسكار وايلد أو أناتول فرانس خلال الربع الأول

من القرن الحالي. أو ، عند قمة الغرابة ، إلى التدنيس الفعلي لنيتشه على يد فارجاس بيلا الذي وصلت شهرته في كل أمريكا اللاتينية إلى أوساط كان يجب من حيث المبدأ أن تظل محصنة ضده ، وبدرجة تثير الفزع والابتسام . إن عمق الجهلة وأنصاف المثقفين يخلق شروط هذا الخطأ وغيره من الأخطاء .

٤ ـ المؤثرات الأجنبية وتضارب المشاعر: العالمية والإقليمية

أ) من التبعية إلى التبعية المتبادلة .

إحدى المشكلات التي قد تكون مناقشتها مثيرة للاهتمام من وجهة نظر التبعية الناشئة عن التأخر الثقافي هي مشكلة المؤثرات متعددة الأنواع، الحسنة أو السيئة ، الحتمية وغير الضرورية .

إن آدابنا (مثل آداب أمريكا الشمالية) هي، أساساً، فروع للآداب المتروبولية. وإذا طرحنا جانباً تقلبات الكبرياء القومي رأينا أن آدابنا، رغم الاستقلال الذي أخذت تكتسبه تجاه الآداب المتروبولية، مازالت انعكاساً بدرجة كبيرة . وفي الحالة السائدة عددياً للبلدان التي تتحدث بالاسبانية والبرتغالية تلخصت عملية الاستقلال، لدرجة كبيرة، في تحويل التبعية، بحيث أصبحت آداب أوروبية أخرى غير متروبولية، وفي المقام الأول الأدب الفرنسي، تمثل النموذج ابتداءً من القرن التاسع عشر ، الشيء نفسه حدث كذلك في المتروبولات القديمة. وفي الوقت الراهن من الضروري أن تأخذ في الاعتبار الأدب الأمريكي الشمالي الذي يمثل بؤرة اهتمام جديدة .

هذا ما يمكن أن نطلق عليه اسم التأثير الحتمي المرتبط سوسيولوجياً بتبعيتنا منذ الغزو ذاته ونقل الثقافات المفروض أحياناً بشكل وحشي . هو ما ذكره بهذا الشأن خوان فاليرا عند نهاية القرن الماضي :

« على هذا الجانب من الأطلنطي وعلى الجانب الآخر أرى وأعترف، فيمن يتحدثون باللغة الأسبانية، بتبعيتنا لما هو فرنسي، وأعتقد أن ذلك أمر لا يمكن تجنبه إلى حد معين؛ لكنني لا أقلل من شأن العلم والشعر في فرنسا كي ابرز

التخلص من نيرهما ، ولا أود كذلك ، كي نبلغ حد الاستقلال، أن ننعزل ولا نقبل التأثير العادل الذي يجب أن تمارسه الشعوب المتحضرة أحدها على الآخريات .

«لكن ما أطالب به هو الآّ يكون إعجابنا أعمى ، ولا تقليدنا دون نقد، وأن من المناسب أن نأخذ ما تأخذه بتمييز وتعقل . [« حكم نقدي » ، حول تاباريه، لخوان ريّادي سان مارتين] .

لنواجه بهدوء ، إذن ، حبلنا السُري الذي يربطنا بالآداب الأوروبية، إنه ليس اختياراً؛ ولكنه حقيقة تكاد تكون طبيعية. إننا لا نخلق أبداً أطراً أصيلة للتعبير، ولا تقنيات تعبيرية أساسية، بالمعنى الذي تعنيه الرومانتيكية، على مستوى الاتجاهات، والرواية النفسية على مستوى النوع الأدبي، والأسلوب الحر غير المباشر على مستوى الكتابة. ورغم كوننا قد حققنا نتائج أصيلة أحياناً على مستوى الانجاز التعبيري فإننا نعترف ضمنياً بالتبعية. ويبلغ ذلك درجة أن مختلف المذاهب الأهلية لم ترفض أبداً استخدام الأشكال الأدبية المستوردة ، فذلك يعادل معارضة استخدام اللغات الأوروبية التي نتحدثها . كان ما يُطلب الكتاب به هو اختيار الموضوعات (الثيمات) الجديدة ، والمشاعر المختلفة ولو مُدّت النزعة الأهلية على استقامتها (والتي تبدو عند هذا الحد دائماً مضحكة ، رغم كونها مفهومة اجتماعياً) لتضمنت رفض السوناتا ، والحكاية الواقعية ، وشعر التداعي الحر . وحقيقة أن هذه المسألة لم تطرح مطلقاً تكشف عن أننا ، في الأغوار السحيقة للإبداع ـ تلك الأغوار التي تنطوي على اختيار وسائط التعبير ـ ، نعترف دائماً بتبعيتنا الحتمية باعتبارها أمراً طبيعياً . وعلاوة على ذلك فإن الأمر حين يُنظر إليه على هذا النحو يكف عن كونه تبعية ليصبح شكلاً من المساهمة والاضافة إلى عالم ثقافي ننتمي إليه، ويتجاوز الأمم والقارات ، ويسمح بذلك بانعكاسية الخبرات، وبدوران القيم. إلاّ أننا حتى في اللحظات التي نؤثر فيها على أوروبا، على مستوى الأعمال المتحققة، وليس على مستوى المؤثرات في الموضوعات، فإن ما أعدناه لم يكن مبتكرات، لكنه بالاحرى تهذيب لأدوات

تلقيناها. هذا ما حدث في حالة روبين داريّو بصدد «الحداثة» الإسبانية، وفي حالات جورج أمادو، وجوزيه لينزدو ريجو، وجراسيليا نوراموس، بصدد الواقعية الجديدة البرتغالية.

يعتقد الكثيرون أن «الحداثة» الهسبانو-أمريكية هي نوع من الطقوس الانتقالية، مشيرين إلى بلوغ سن الرشد الأدبي من خلال القدرة على الاسهام الأصيل. ورغم ذلك، فإننا لو عدلنا المنظورات وحددنا التخوم لرأينا أن هذا أصدق بوصفه حقيقة نفسية - سوسيولوجية منه كواقع جمالي. من المؤكد أن داريّو، وبالتالي كل الحركة، بعكسهم التيار لأول مرة وبنقلهم تأثير أمريكا إلى اسبانيا، كانوا يمثلون انقطاعا للسيادة الأدبية التي كانت تمارسها هذه الأخيرة. لكن الواقع أن ذلك لم يحدث ابتداءً من وسائل تعبيرية أصيلة، بل من تعديل العمليات والمواقف الفرنسية. كان ما تلقاه الأسبان هو تأثير فرنسا الذي صفاه وترجمه الأمريكيون اللاتين الذين أصبحوا بهذه الطريقة وسطاء ثقافيين.

ولا يقلل هذا أبداً من قيمة «المحدثين» ولا من مغزى جهدهم، المؤسس على وعي عالٍ بالأدب باعتباره فناً، وليس وثيقة، وعلى مقدرة استثنائية أحياناً على الإنجاز الشعري. إلّا أنه يسمح بتفسير «الحداثة» وفق الخط الذي طورناه هنا، أي، بوصفها مرحلة هامة اجتماعياً في عملية الاخصاب الخلاق للتبعية، وهو النمو الغريب لأصالة بلداننا. لهذا، وكذلك دون تجديد على مستوى الاشكال الجمالية، كشفت الحركة البرازيلية المناظرة بوضوح، رغم أنها أقل قيمة وأقل خداعاً، عن النبع المشترك الذي نهل منه الجميع، وذلك بتسمية نفسها في مرحلتيها «بالبارناسية» و« الرمزية».

إن إحدى المراحل الأساسية في تخطي التبعية هي القدرة على إنتاج أعمال من الطراز الأول متأثرة لا بنماذج أجنبية، بل بأمثلة قومية سابقة. وهذا يعني إقامة سببية داخلية تجعل حتى الاستعارات من ثقافات أخرى أشد خصوبة. وفي حالة البرازيل فإن مبدعي «الحداثة»، في عقد العشرينات من هذا القرن، يستمدون قدراً كبيراً من الطلائع الأوروبية. لكن شعراء الجيل التالي، في أعوام الثلاثينات

والأربعينات ، يستمدون منهم مباشرة كما هو الحال فيما هـو ثمرة للتـأثير عنـد كارلوس دروموند دي أندرادي أو موريلو مندش . وهؤلاء، بدورهم، ألهموا جوان كابرال دي ميلو نيتو ، رغم أن هذا الأخير يدين كذلك لفاليري أولاً ، ثم للإسبان المعاصرين . ورغم ذلك فإن هؤلاء الشعراء ذوى التحليق السامق لم يؤثروا خارج بلدهم، ناهيك عن البلدان التي يأتينا فيها الإلهام .

وهكذا يمكن القول إن بورخس هو أول حالة لتأثير أصيل لا يقبل الشك، مارسه بصورة واسعة ومعترف بها على البلدان الأصلية عن طريق نوع جديد من فهم الكتابة. أما تشادو دواسيس ، الذي كان يمكن أن يفتح آفاقاً جديدة عند نهايات القرن التاسع عشر ، فقد ضاع في رمال لغة مجهولة، في بلد كان حينئذ دون شأن او أهمية .

وهذا هو السبب في أن تأكيداتنا نفسها عن القومية والاستقلال الثقافي تستمد إلهامها من صيغ أوروبية، والمثال على ذلك هو حالة الرومانتيكية البرازيلية التي حددتها في باريس مجموعة من الشباب يعيشون هناك وأسسوا، عام ١٨٣٦ ، مجلة بدأت الحركة .

وتثير الاهتمام حالة طلائع عقد العشرينات من هذا القرن، التي مثلت تحرراً غير عادي من طرائق التعبير وأعدّتنا لنغير بشكل ملموس تناولنا للموضوعات المطروحة وعلى الكاتب وهذه بالنسبة لنا جميعاً ، عوامل استقلال وإثبات ذات . لكن مم تتكون إذا فحصناها من زاويتنا ؟ أنشا هويدوبرو مذهب «الإبداعية » في باريس، بالهام مستمد من الفرنسيين والإيـطاليين، وكتب بـالفرنسيـة أشعاره وطـرح بالفـرنسية مبادئـه ، في مجـلات من قبيـل الفكـر الجـديـد L'Esprit Nouveau . ويتفـرع عن الأصـول نفسهـا مـذهب «المغـالاة »* الأرجنتيني ومذهب «الحداثة» البرازيلي. ولم يمنع ذلك من أن تكون تلك التيارات مجددة،

* ultaismo : مذهب المغالاة أو التطرف أو الحدّية (١٩١٩ - ١٩٢٣) . كان حركة أدبية خلقها إسبان وأمريكيون لاتين يسعون إلى تحقيق الشعر الخالص. من أعلامها كذلك جييرمو دي تورّي ، De Torre، وأبوجينيو مونتس Montes، وخيراردو دييجو Diego - [المترجم] .

وأن يكون مؤسسوها هم خالقي الأدب الجديد بلا منازع . وهم، علاوة على هويدوبرو، بورخس، وماريو دي اندرادي، وأوزوالد دي اندرادي ، ومانويل بانديرا .

نعلم ، إذن، أننا جزء من ثقافة أوسع نشارك فيها كتنويعة ثقافية. إذ إن من الوهم (على عكس ما افترضه أجدادنا بإخلاص أحيانا ،) الحديث عن كبح الصلات والتأثيرات . ولأنه ، في لحظة يكون فيها قانون العالم هو التفاعل والعلاقات المتبادلة ، لا تتغذى مثاليات يوتوبيات أو طوباويات الأصالة على الشعور الوطني، لمفهوم في مرحلة تشكل قومي حديث، كان يحدد رؤية محلية وجنينية .

وفي المرحلة الحالية، مرحلة الوعي بالتخلف، تصبح المسألة، بالتالي، أكثر تعقيداً . فهل ثمة تناقض في هذا؟ بالفعل ، بقدر ما يزداد وعي المرء بالواقع المأساوي للتخلف بقدر ما يترك الإنسان الحر الذي يفكر نفسه لكي يتخللها الإلهام الثوري، بمعنى أنه يؤمن بضرورة رفض النير الاقتصادي للامبريالية، وبتعديل الهياكل الداخلية التي تغذي وضع التخلف. لكن ، فلتنظرن بموضوعية أكثر إلى مشكلة التأثيرات، باعتبارها رباطاً ثقافياً واجتماعياً . إن التناقض ظاهري ويشكل بالأحرى عرضاً من اعراض النضج ، يكون مستحيلاً . في العالم المغلق والاليجاركي للقوميات الايديولوجية . الأمر على هذا النحو إلى الحد الذي يرتبط فيه الاقرار بالرابطة ببداية القدرة على التجديد على مستوى التعبير، وبالعزم على النضال ، على مستوى التطور الاقتصادي والسياسي . في حين نجد أن التأكيد التقليدي على الأصالة، بمعنى الخصوصية الأولية، قد أدى ومازال يؤدي إلى ما هو زاهي الألوان من ناحية، وإلى الخنوع الثقافي من ناحية أخرى، وهما مرضان من أمراض النمو ، ربما كانا حتميين، لكنهما إغترابيّان رغم ذلك .

بدءاً من الحركات الجمالية لعقد العشرينات، ومن الوعي الجمالي - الاجتماعي الحاد لسنوات الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن، ومن أزمة التطور الاقتصادي والتجريبية التقنية للأعوام الأحدث، نبدأ في الأحساس بأن

التبعية تتجه نحو تبعية ثقافية متبادلة لو كان بالامكان استخدام هذا المصطلح دون خلط، إذ إنه اكتسب معانيا غير ملائمة تماماً في القاموس السياسي . ولن يمنح هذا كتاب أمريكا اللاتينية الوعي بوحدتهم في إطار التنوع فحسب، بل إنه سيجند كذلك أعمالاً ناضجة وأصيلة سيجري تمثلها ببطء من جانب شعوب أخرى بما في ذلك شعوب البلدان المتروبولية والامبريالية . ان طريق التأمل في التخلف يؤدي في المجال الثقافي، إلى التكامل العابر للقوميات، بافتراض أن ما كان محاكاةً سيتحول أكثر فاكثر إلى تمثيل متبادل .

وهاك مثالاً من أمثلة كثيرة : في أعمال فارجاس يوسا، Llossa وقبل كل شيء في المدينة والكلاب، تظهر، منقحة بصورة استثنائية، تقاليد المونولوج الداخلي الذي ينتمي إلى بروست وجويس، وكذلك إلى دوروثي ريتشاردسون وفرجينيا وولف، وإلى دوبلن وفوكنر . ربما تأتي من هذا الأخير طرائق معينة أثيرة لدى فارجاس يوسا ، الذي عمقها وأخصبها، على أي حال، حتى لتكاد تخصه كذلك. مثال آخر يثير الإعجاب : الشخصية غير المحددة التي تظل تحيّر القارىء، حيث تتقاطع مع صوت الرواى بضمير الغائب ومع مونولوج شخصيات أخرى محدّدة، بحيث يمكنها أن تمتزج مع تلك الشخصيات على التوالي، وحين تتضح، في النهاية، كالنمر المرقط، تضيىء بصورة إرتجاعية بنية الكتاب، وكأنها مفتاح لغز يدفعنا إلى مراجعة كل ما تصورناه عن الشخصيات. هذا التكنيك يبدو وكأنه شكل محسوس من الصورة التي يستخدمها بروست للايحاء بشخصيته (الرسم الياباني وصورته تتمزق في وعاء الماء) ، لكنه يعني شيئا مختلفاً في مستوى مختلف في الواقع. هنا، تلقى روائي الأصيلة . لكنه واءمها بعمق وفق غرضه ، ليقدم مشكلات بلده، وشكل بذلك صيغة غريبة. فليس ثمة تقليد ولا نسخ ميكانيكي، بل ثمة اشتراك في الوسائل التي تصبح ملكاً مشاعاً من خلال وضع التبعية، مساهمة بذلك في جعل هذه التبعية تبعية - متبادلة .

يبدو أن هذه الظروف متكاملة في الوعي النقدي لأمريكا، إذ إن واحداً من

أكثر الكتاب أصالة في الوقت الراهن ، وهو خوليو كورتاثار، يكتب أشياء مثيرة للاهتمام حول الجانب الجدي الذي يمثله الوفاء المحلي والحركية العالمية، وذلك في حوار حديث أجرته معه مجلة لايف (المجلد ٣٣، العدد ٧) . وحول التأثيرات الأجنبية لدى الكتاب المحدثين يتخذ رودريجث مونتيجال . موقفاً ، في مقال بمجلة تري ـ كوارترلي Tri - Quarterly (العددين ١٣و١٤) ، يمكن وصفه بأنه تبرير نقدي للتمثل. ورغم ذلك مازالت هناك وجهات نظر مناقضة، مرتبطة بنوع من المحلية التي تتسم بها مرحلة الوعي السعيد بالتأخر . وبالنسبة لوجهات النظر هذه تمثل هذه الحقائق مظاهر للافتقار إلى الشخصية وللاغتراب الثقافي، كما يمكن أن نرى في مقال للمجلة الفنزويلية منطقة حرة (زونا فرانكا) (العدد ٥١) حيث يصل مانويل بدرو جونثالث إلى القول بأن الكاتب الأمريكي اللاتيني الحق هو الذي لا يحيا في وطنه فحسب، بل يتناول كذلك موضوعاته المميزة ويعبر، دون تبعية جمالية خارجية، عن مشكلاته الخاصة.

إلّا أنه يبدو أن إحدى الخصائص الايجابية لفترة التخلف هي تجاوز موقف الغيرة الذي يدفع إلى القبول الأعمى أو إلى وهم الأصالة الشاملة على حساب الموضوعات المحلية . إن من يناضل ضد عقبات واقعية يكون أكثر هدوء ويقر بافلاس العقبات الخيالية. وفي كوبا، طليعة أمريكا في النضال ضد التخلف، هل ثمة اصطناع أو مراوغة في التشبّع السوريالي لأليخو كاربنتييه أو في رؤيته المركبة العابرة للقومية، بما في ذلك بالنسبة للموضوع، كما تظهر في قرن الأنوار؟

وفي البرازيل تتبنى الحركة الحديثة للشعر المحسوس إلهامات من إزرا باوند ومبادىء جمالية من ماكس بنس؛ لكنها ، رغم ذلك، تقود إلى اعادة تعريف الماضي القومي، مما يسمح بقراءة شعراء مجهولين بطريقة جديدة، مثل سوسا اندرادي ، ذلك السلف الضائع بين رومانتيكيي القرن التاسع عشر؛ أو تضيء بصورة ملائمة الثورة الجمالية للمحدثين العظام ، مثل ماريو دي أندرادي وأوزوالد دي أندرادي .

ب) من النَسْخ والإقليمية إلى ما فوق - الإقليمية .

تقدم التبعية ، باعتبارها اشتقاقاً من التأخر ومن الافتقار إلى النمو الاقتصادي جوانب أخرى، تبدي نتائجها في الأدب . فلنوجه اهتمامنا مرة أخرى إلى ظاهرة تضارب المشاعر التي تتبدى بسبب دافعيْ النسخ والتباعد، وهما متناقضان ظاهرياً إذا نظر إليهما في ذاتهما ، لكنهما يمكن أن يكملاّ بعضهما، إذا نظرنا إليهما من وجهة النظر هذه .

تأخرٌ يدفع من جهة إلى النسخ الخانع لكل ما تقدمه لموضة في البلاد المتقدمة، علاوة على إغراء الكتّاب بالهجرة، الداخلية والخارجية . وتأخرٌ يقترح من جهة أخرى اغرب ما في الواقع المحلي، موحياً بإقليمية تبدو وكأنها تأكيد للهوية القومية، لكنها في الحقيقة يمكن أن تكون طريقة غير مشكوك فيها لتقديم الطرافة للحساسية الأوروبية التي ترغب فيها،باعتبارها ترويحاً؛وبذلك تعود لتصبح شكلاً خاداً للتبعية في إطار الاستقلال . ومن المنظور الحالي، يبدو كلا الاتجاهين متضامنين ويولدان من وضع التأخر والتخلف نفسه .

إن المحاكاة الخانعة للأساليب، والموضوعات والمواقف والاستخدامات الأدبية ، لها في أكثر جوانبها فجاجة طابع من الريفية يثير السخرية أو الانقباض، بعد أن كانت مجرد ارستقراطية تعويضية لبلد مستعمر . وفي البرازيل يبلغ الأمر نهايته بالأكاديمية المنسوخة عن الاكاديمية الفرنسية، والمقامة في مبنى هو نسخة من البتي تريانون بفرساي (حتى أصبحت الهيئة نفسها تلقب ، دون دعابة، باسم البتي تريانون) بأربعين عضواً يوصفون بأنهم «خالدون»، ويرتدون، مثل الأصل الفرنسي، زياً رسمياً مطرزاً ، وقبعة ذات طرفين وسيفاً صغيرا . . . لكن في جميع أرجاء أمريكا، يمكن للبوهيمية المنسوخة من قرية جرينتش أو من سان جرمان دي بري أن تكون حقيقة متماثلة، تحت مظهر التمرد الخلاق .

وربما لا تقل عن ذلَك فظاظة، في الجانب المضاد، أشكال بدائية معينة للمحلية والاقليمية الأدبية، تقلص المشكلات الإنسانية إلى عنصر زاهي

الألوان، محوّلة مشاعر وعذاب الإنسان الريفي أو السكان الملونين إلى معـادل لثمار الاناناس والبابايا*. هذا الموقف يمكن ألا يعادل الموقف الأول فحسب، بل أن يتحذ معه كذلك ، فـور أن يهرع ليقدم لقارىء مديني أوروبي، أو متأورب بصورة مصطنعة، الواقع شبه السياحي الذي يروقه أن يراه في أمريكا. ودون الانتباه إلى ذلك تخاطر أشد مذاهب المحلية إخلاصاً بأن تجعل من نفسها مظهراً إيديولوجياً للاستعمار الثقافي، يرفضه صانعه على المستوى العقلي الـواضح، ويؤكد وضعاً للتخلف والتبعية المترتبة عليه .

ورغم ذلك يكون من الخطأ، من زاوية رؤيـة هذا الفصـل ، أن نستمطر اللعنات دون تمييز، وحسب الموضة، على الفن القصصي الاقليمي ، على الأقل إلى أن تتم إقامة بعض التمييزات التي تسمح بالنظر إليه، على مستوى أحكام الواقع، باعتباره نتيجة للفعل الذي تمارسه الظروف الاقتصادية والاجتماعية على اختيار الموضوعات[٣] . فالمساحات المتخلفة ومشكلات التخلف (أو التأخر) تغزو مجال وعي الكاتب وحساسيته مقدمةً اقتراحات، ومنتصبةً في موضوعات يستحيل تجنبها، ومتحولة بذلك إلى دوافع إيجابية أو سلبية للإبداع .

في الأدب الفرنسي، أو الانجليزي تجري أحيانا روايات عظيمة في الريف، مثل روايات توماس هاردي، لكن من الواضح أنه مجرد إطار تكون فيه العقدة هي عقدة الروايات المدينية نفسها . وبالإضافة إلى ذلك فـإن أنماط الاقليميـة تكون فيها شكلاً ثانوياً وفردياً بصورة عامة، وسط أشكال أكثر غنى ، تحتل مكان الصدارة. لكن في البلدان المتخلفة، مثل اليونان واسبانيا، أو تلك التي تضم مناطق متخلفة بشكل أساسي، مثل إيطاليا، يمكن للاقليمية أن تحدث بوصفها

* Papays : البابايا: شجر استوائي أمريكي كالنخلة الصغيرة له في اعلاه ثمرة كالبطيخ الأصفر ذو بذور سوداء صغيرة في الداخل . [المراجع] .

(٣) استخدم هنا مصطلح « الاقليمية » ليضم، وفق تقاليد النقد البرازيلي، كل الفن القصصي المرتبط بالوصف الاقليمي وبالعادت الريفية منذ الرومانتيكية، وليس على طريقة غالبية النقد الهسبانو ـ أمريكي التي تحدده عموماً المراحل الواقعة على التقريب بين ١٩٢٠ و١٩٥٠ .

مظاهر صالحة، قادرة على إنتاج أعمال جيدة، مثل أعمال جيوفاني فرجا Verga عند نهايات القرن الماضي، أو أعمال إليو فيتوريني Vittorint أو نيكوس كازانتزاكيس Kazantzakis في الفترة الراهنة .

لهذا السبب فإن الاقليمية، في أمريكا اللاتينية، كانت ولاتزال قوة حافزة في الأدب. فهي في مرحلة الوعي بالبلد الجديد المناظرة لوضع التأخر، تفسح المجال قبل كل شيء لما هو زاهي الألوان وتزرويقي وتعمل بمثابة اكتشاف، وتعرّف على واقع البلد واندراجه ضمن موضوعات الأدب . وفي مرحلة التخلف، تعمل بمثابة استشراق ثم وعي بالأزمة يحفز ما هو وثائقي، مع الشعور بالإلحاح، والجهد السياسي.

وفي كلتا المرحلتين يلاحظ نوع من اختيار مجالات الموضوعات، وانجذاب نحو أقاليم نائية معينة، تقطنها المجموعات التي تتسم بالتخلف. وبلا شك، يمكن لهذه الأقاليم أن تمارس إغراءً سلبياً على كاتب المدينة، بسبب ألوانها الزاهية ذات النتائج المشكوك فيها ، لكنها ، فضلاً عن ذلك، تتطابق عادةً مع المناطق الجدالية، مما يحمل مغزى في آداب بالغة الحيوية مثل آدابنا .

أما في حالة إقليم الأمازون، الذي اجتذب الروائيين والقصاصين البرازيليين منذ بداية المذاهب الطبيعية، خلال عقدي١٨٧٠ و١٨٨٠، في قلب المرحلة زاهية الألوان ، فقد أصبح بعدها بنصف قرن مادة لـ الدوامة، لخوسيه إيوستاسيو ريبيرا، التي احتلت مكاناً وسطاً بين ما هو زاهي الألوان وبين الشجب (الوطني أكثر منه الاجتماعي) وأصبح عنصراً هاماً في الدار الخضراء، لفارجاس يوسا، في المرحلة الحديثة للوعي التقني الراقي، حيث يمثل ما هوزاهي الألوان والشجب معاً عنصرين متراجعين أمام الثقل الإنساني الذي يتبدى مع بزوغ الأعمال العالمية .

ولن يكون ضروريا أن نعدد المناطق الأدبية التي تناظر بانوراما التأخر والتخلف ، مثل مناطق السهول العليا التيلانو وجبال الانديز أوقفارالسرتون البرازيلي. ولا أوضاع وأماكن الزنجي الكوبي، والفنزويلي، والبرازيلي، في

قصائد نيكولاس جيّين وخورخي دي ليما، في (إكـوي يامبـا ـ أو) ، لاليخو كاربنتييه، و(الزنجي البائس) ، لرومولوجاييجوس، و(جوبيـابا) ، لجـورج أمادو . أو ، إذا شئت إنسان السهـول ـ السهل، اليـاميا، الكـاتينجا ـ وهـو موضوع لاضفاء عنيد للطابع المثالي التعويضي المستمد من الرومانتيكيين ، مثل البرازيلي جوزيه دي النيكار في عقد ١٨٧٠ ، والذي تناوله باستفاضة سكان الريو دي بلاتا ، الاورجوا ييان أمثال ادواردو أثيفيدو دياث، وكارلوس ريس Reyles أو خافييه دي فيانا، Viana ، والأرجنتينيـون بدءاً من إرنـاندث الحلمي إلى جويرالدس الأسلوبي، والذي ينحو نحو الاستعارة عندجاييجوس ليجد، رجوعاً إلى البرازيل، وفي قلب مرحلة الوعي المسبق بـالتخلف، تعبيراً راقيـاً عنه في حيوات جافة لجراسيليانو راموس، دون دوار المسافة، ودون إالتواءات ولا آلام ، ودون فروسيات ولا حيل رعاة البقر، ولا السنطوريـات التي تسم بطابعهـا الآخرين .

كانت الإقليمية مرحلة ضروريـة وجهت الأدب، وقبل كـل شيء الروايـة والقصة، إلى الواقع المحلي . وكانت في بعض الأحيان مناسبة لتعبير أدبي جيد، رغم أن نتاجاتها، في غالبيتها، قد شاخت، ورغم ذلك، فربما لا يمكن القول، من زاوية معينة ، بأنها قد انتهت؛ وكثيرون ممن يهاجمونها اليـوم يمـارسونها في الحقيقة. فالواقع الاقتصادي للتخلف يُبقي البعد الاقليمي كموضوع حي، رغم أن البعد المديني يصبح أكثر فاعلية بالتدريج . ويكفي أن نضع في الاعتبار أن بعض الكتاب الجيدين، وكذلك بعضاً من أفضل الكتاب، يجدون فيهـا مادة لكتب جيدة عالمياً، مثل خوسيه ماريّا أرجيداس، وجابرييل جارثيا ماركيث، واوجستو روا باسطوس، وجيمارايش روزا. فقط في البلدان ذات السيادة المطلقة لثقافة المدن الكبيرة، مثل الأرجنتين، واورجواي، وربما تشيلي، أصبح الأدب الاقليمي تخلفاً حقيقياً عن الزمن .

من الضروري أن نعيد تحديد المشكلة بشكل نقدي، وأن نثبت أنها لا تنتهي إلى مجرد ابراز الحقيقة بأن أحداً لم يعد يعتبر الاقليمية شكلاً متميزاً للتعبير الأدبي

القومي ، ولأنها كذلك، كما سبق القول، يمكن أن تكون اغترابية بشكل خاص. لكننا يجب أن نفكر في تحولاتها ، متذكرين أن الحقيقة الأساسية نفسها تمتد تحت أسماء ومفاهيم متباينة. وبالفعل، فقد كانت موجودة لـدينا في مـرحلة الوعي المنتشي بالبلد الجديد، التي تتميز بفكرة التأخر ، الاقليمية زاهية الألوان ، والتي كانت تعتبر في بلدان مختلفة على أنها الأدب الحقيقي . والأمر يتعلق بطريقة تم تجاوزها منذ زمن او انحدارها إلى مستوى الأدب الهابط . أما ظواهرها الأوسع والأطول بقاءً فربما كان جاووشية الريو دي لابلاتا ، بينما كان شكلها اللقيط هو ، بلا شك ، السرتونية* البرازيلية. وهي التي تلتزم بها بطريقة لافكاك منها بعض الأعمال الأحدث مثل أعمال ريفبيرا وجاييجوس .

وفي مرحلة استشعار التخلف، خلال أعوام الثلاثينات والأربعينات، وجدنا لدينا الاقليمية الاشكالية التي سميت باسماء «الرواية الاجتماعية» و« الهندية » ، و« رواية الشمال الشرقي »، حسب البلدان، والتي هي اقليمية في جـزء كبير منها، رغم عدم كونها إقليمية بصورة شاملة . هذه الاقليمية تتهمنا أكثر، بحكم كونها سلفاًللوعي ،بالتخلف، لكن من الانصاف أن نسجل أن كتاباً مثل الثيدس أرجيداس وماريانو أزويلا ، قبلها بزمن ، كانوا قد اتجهوا نحو حس أكثر واقعية بظروف الحياة وبمشكلات البشر في الجماعات البائسة. وبين من كانوا يقترحون حينئذ بحماس تحليلي وبشكل فني جيد أحيانا نزع الطابع الاسطوري عن الواقع الأمريكي يبرز ميجيل آنخل استورياس، خورخي إيكاثـا ، وثيرو اليجـريّا، وجورج امادو، وجوزيه لينس دو ريجو وغيرهم . وجميعهم ، في جزء من عملهم على الأقل، يصنعون رواية اجتماعية مرتبطة بالجوانب الاقليمية، وببقايا نزعة زاهية الألوان سلبية غالباً ، تترافق مع نوع من الاطار الانساني يتيح الالتزام بمدى ما يكتبونه .

إلّا أن ما يميزهم هو تجاوز التفاؤل الوطني وتبني نوع من التشاؤم المختلف عما حدث في الفن القصصي الطبيعي. فبينما كان هذا الفن القصصي يركز اهتمامه

* نسبة إلى إقليم السرتون في الشمال الشرقي من البرازيل - [المترجم] .

على الإنسان الفقير، معتبراً إياه عنصراً مقاوماً للتقدم، نجدهم يركزون على الوضع بكل تعقيده، متحولين ضد الطبقات السائدة ومعتبرين انحطاط الإنسان نتيجة للوضع. وتصبح أبوة دونيا باربارا (التي هي نوع من التمجيد لرب العمل الطيب) عتيقة بشكل مفاجىء، أمام القسمات على طريقة جورج جروس، التي يرسمها إيكاثا أو أمادو، اللذان تختفي في كتبهما آثار النزعة زاهية الألوان ونزعة الميلودراما نتيجة التعرية الاجتماعية ـ محدثين التغيير من «وعي البلد الجديد» إلى «وعي البلد المتخلف» ـ، مع كل النتائج السياسية المترتبة على ذلك.

ورغم أن كثيرين من هؤلاء الكتاب يتميزون بلغة عفوية وغير منتظمة، فإن ثقل الوعي الاجتماعي يقوم أحياناً في الأسلوب بدور العنصر الايجابي، ويتيح المجال للبحث عن حلول مثيرة للاهتمام ومطورةً لتخدم تقديم التفاوت والجور. ودون الحديث عن الأستاذ الشامخ الذي هو أستورياس، فإن روائياً يكتب بصورة سلسلة وبسيطة مثل إيكاثا يدين ببقائه لبعض الوسائل الأسلوبية، المستخدمة للتعبير عن البؤس، أكثر مما يدين به للصياح الهندي أو للتأكيد الذي اتسم به المستغلون. وفي حالة هواسيبونجو، يرجع ذلك إلى استخدام صيغة التدليل، وايقاع النحيب في الحديث، والتقليص إلى المستوى الحيواني، وذلك كله يجسد مجتمع تضاؤل الإنسان، وتقليصه إلى مستوى الوظائف الأساسية التي ترتبط باللغو النحوي لترمز للحرمان. وفي حيوات يابسة يحمل جراسيليانو راموس اقتصاده اللغوي إلى آخر مداه، مطوراً تعبيراً يتقلص إلى الحذف، والمقطع الواحد، وإلى أقل ما يمكن من البلاغة، من أجل التعبير عن الاختناق الإنساني لراعي البقر المحكوم بالمستويات الأدنى للبقاء.

ومن المناسب أن نذكر أن حالة البرازيل ربما كانت حالة خاصة، باعتبار أن الإقليمية، التي بدأت هناك مع الرومانتيكية، لم تنتج أبداً أعمالاً تعتبر من الطراز الأول، ولا حتى بين المعاصرين، حيث ظلت دائماً اتجاهاً ثانوياً، ما لم تكن فارغة صراحةً. بحيث إن المرحلة الثانية فقط، وهي التي نحاول تشخيصها، هي التي

بلغت فيها الاتجاهات الاقليمية، التي تم تساميها وتحولها على يد الواقعية الاجتماعية ،مستوى الأعمال ذات الدلالة، في الوقت الذي كانت فيه هذه الاتجاهات تطرح جانباً أو مطروحة جانبا تماماً في انحاء أخرى ، وقبل كل شيء في الأرجنتين، والأورجواي وتشيلي .

لقد كانت أفضل نتاجات الفن القصصي البرازيلي مدينية دائماً ، ومجردة في غالبيتها من كل تصوير زاهي الألوان ، والسبب أن أعظم ممثليه، ماتشادو دي أسيس، كان قد أوضح منذ عام ١٨٨٠ هشاشة الوصفية واللون المحلي، تلك الهشاشة التي نبذها من كتبه، بوصفها أدباً هابطاً بصورة استثنائية، نثراً وشعراً .

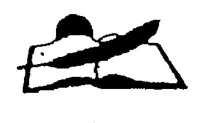
إن تجاوز هذه الأشكال والهجوم الذي تعرضت له من جانب النقد هي علامات نضج . لهذا السبب يرفض عديد من المؤلفين وصفهم بأنهم اقليميون باعتباره وصفا خاطئاً . إلاّ أن ذلك لا يحول دون استمرار وجود البعد الاقليمي في عديد من الأعمال ذات الأهمية الكبيرة، رغم أن ذلك يتم دون أي طابع لميل غير إيجابي أو لجوء إلى وعي قومي خاطىء .

إن ما نراه الآن ، من وجهة النظر هذه، هو ازدهار روائي يتسم بالتنقيح التقني، وبفضله تتحول الاقاليم وتدمّر حدودها البشرية ، مما يجعل الملامح التي كانت زاهية الألوان تتعرى وتكتسب عالمية .

وبصرف النظر عن العاطفية المفرطة والخطابة، فإن الرواية الراهنة، مستفيدة من عناصر غير واقعية، مثل السوريالية، والعبث ، وسحر المواقف، أو من تكنيكات مناهضة للمذهب الطبيعي ، مثل المونولوج الداخلي، والرؤية المتزامنة، والاختصار، والحذف، تتمتع، رغم ذلك، بما كان من قبل جوهر الهندية، والطرافة، والوثائقية الاجتماعية ذاتها . ويدفعنا هذا إلى اقتراح تمييز مرحلة ثالثة، يمكن أن نسميها ما فوق ـ الاقليمية . وتناظر هذه المرحلة الوعي التعيس بالتخلف وتعمل على تجاوز ذلك النوع من الطبيعية الذي كان يقوم على أساس اللجوء إلى رؤية تجريبية للعالم، تلك الطبيعية التي كانت اتجاهاً مميزاً لحقبة انتصرت فيها العقلية البرجوازية وواكبت تدعيم آدابنا .

ويرفد ما فوق ـ الاقليمية هذه في البرازيل العمل الثوري لجوان جيمارايش روزا، المغروس بصلابة فيما يمكن تسميته بعالمية الاقليم . كذلك فان حقيقة تجاوز ما هو زاهي الألوان وما هو وثائقي لاتقلل من حيوية حضور الاقليم في أعمال مثل أعمال خوان رولفو ، سواء في الواقع المفتت والمتسلط في السهل المشتعل ، أو في التعقل الشجي لبدرو بارامو . لذلك يجب أن نؤكد على أحكام فاصلة، وصائبة في الحقيقة، مثل أحكام اليخوكاربنتييه في مقال يكتب فيه أن روايتنا الهندية. هي نوع من أدب المدارس الرسمي لم يعد يجد قراءً ولا حتى في أماكنه الأصلية. لا شك في ذلك، إذا فكرنا في المرحلة الأولى من محاولتنا للتصنيف؛ وذلك صحيح إلى حد معين، إذا فكرنا في الثانية، وليس صحيحاً على الاطلاق، إذا تذكرنا أن المرحلة الثالثة تحمل جرعة هامة من المكونات الإقليمية، بسبب حقيقة التخلف نفسها. وكما سبق القول، فإنها تشكل الأداء الأسلوبي للظروف الدرامية الخاصة بالاقليمية، وتتدخل في اختيار الموضوعات والأمور، وأحيانا في تطوير اللغة .

لم يعد مطلوباً، كما كان من قبل، أن يتغنى كورتاثار بحياة خوان موريرا، أو أن تستنفذ كلاريس ليسبكتور قاموس السرتونية . لكن، يجب كذلك أن نعترف بأن جيمارايش روزا، وخوان رولفو ، وفارجاس يوسا، بكتاباتهم بصورة منقحة وتجاوزهم للطبيعية الاكاديمية يمارسون في أعمالهم، كلياً أو جزئيا ، مثلما يفعل كورتاثار أو ليسبكتور في إطار عالم القيم المدينية، نوعاً من الأدب الجديد مازال يتطور بطريقة تحول مادة الهندية نفسها إلى شيء جديد .



الفصل الثاني
موضوعات ومشكلات

ماريو بنيديتي*
Mario Benedetti

١ ـ على قدم المساواة

وجد الأدب الأمريكي اللاتيني نفسه حائراً منذ بداياته الأولى، وربما بسبب مولده حينما كانت الثقافات الأخرى قد راكمت أجيالاً وحكمة بالغة. وكما هو منطقي، لم يستطع أن يكرر عملية تشكيل الذات الطبيعية التي كانت آداب العالم الأخرى قد قامت بها. لقد وصل، بمعنى معين، متأخراً إلى لعبة الفن، ومنذ الإنكا جارثيلاسو(وهو بمثابة قنصل فخري لنهضة الأرض الجديدة) حتى الشعراء والروائيين الراهنين، ظل همّه هو تحديث نفسه .

ورغم ذلك ، ظل ذلك التأخر على وجه الدقة أحد التناقضات الجذابة في ذلك الأدب لزمن طويل. ومازالت تبلغنا أصداء ذلك الاندفاع العنيد الذي دافع به سارمينيتو في مواجهة أندريس بيّو، في عام ١٨٤٢ ، رومانتيكية ربما إعترف بأنها قد تم تجاوزها في أوروبا .

وربما حدس سارمينيتو أنه إذا كان الأدب الأوروبي قد أكمل وتجاوز تلك الثورة فإنه مازال على القارة الفتية، بالمقابل، أن تفهم وتتملك الانفجار ، لأن

(*) كاتب وصحفي من الاورغواي ؛ولد في باسو دولوس توروس ١٩٢٠) . أهم أعماله : قصائد المكتب (مونتفيديو ١٩٥٦) ، مونتفيديات (مونتفيديو ١٩٥٩) ، المهادنة (مونتفيديو ١٩٦٠) ، أدب الأورغواي في القرن العشرين (مونتفيديو ١٩٦٣) ، شكراً للقاء (مونتفيديو ١٩٦٥)، رسائل من القارة الخلاسية (مونتفيديو ١٩٦٧)، الموت ومفاجآت أخرى (مكسيكو ١٩٦٨) ، جزء ٧٠ (مونتفيديو ١٩٧٠) . احتفالا ببلوغ خوان آنخل (السبعين) (المكسيك ١٩٧٠). عمل مديراً لمركز الأبحاث الأدبية في دار الأمريكيتين (في هافانا). [المراجع] .

ذلك الانفجار يتمشى مع عذابات ثورتها السياسية غير المكتملة أفضل من الأكاديمية الجامدة للكلاسيكيين .

في مناسبة واحدة تقدمت أمريكا اللاتينية على المستجدات الثقافية للعالم القديم، لكن ذلك التقدم نتج، بصورة متناقضة، عن تراكم جوانب تأخرها العديدة. فقد جاءت فترة (في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر) وجد فيها كتاب أمريكا اللاتينية أن بين أيديهم كلاسيكية كانوا قد حاكوها بدقة لكنهم لم يعيدوا إبداعها ؛ ورومانتيكية، لا تقل محاكاة عنها بدأت تصبح مرهقة ومتباهية، وبالاضافة إلى ذلك، نزعة محلية متلعثمة، لم يكن تأخرها يتعلق في شيء بالنزعة نفسها في أوروبا. بل بالواقع المؤجل الذي يتطلب الكثير .

من تلك التأخرات الثلاثة نتج تقدم واحد: هوالحداثة .وتحتوي الحداثة على عناصر كلاسيكية، ورومانتيكية، ومحلية أصلية، وبها أصداء إسبانية، وفرنسية، وإنجليزية وأخرى أشد غرابة. ولأنها ليست شيئا من كل هذا بوجه خاص، فإنها لهذا أمريكية لاتينية غطية، إذ ربما كان أنصار الحداثة هم أول من أوضحوا أن إحدى طرائق زرع الجذور في هذا التقاطع للاتجاهات المتضاربة يتمثل في تأمل انتزاع الجذور .

والآن يمر الأدب الأمريكي اللاتيني اليوم بواحدة من أكثر المراحل حيوية وإبداعية في تاريخه. وبديهي أن الأمر لا يتعلق بأسماء عظيمة منعزلة كانت بارزة على الدوام، بل بصفٍ أول من الكتاب القادرين على استيعاب واقعهم، وسطهم، وكذلك على المشاركة، بأسلوبهم الخاص، في التيارات التي تأخذ على عاتقها ، باستمرار وعلى نطاق العالم، تحديد الحقيقة الفنية . لم يعد على التجديدات الأدبية الأوروبية أو الأمريكية الشمالية أن تنتظر عدة عقود قبل أن تصل إلى كتاب أمريكا اللاتينية؛ ومن ناحية أخرى، ونتيجة مباشرة لهذا القرب للحصول على كل شيء بسرعة، أخذت تقل المحاكيات المفرطة في الاحترام بل والخانعة . واليوم يقف الكاتب الأمريكي اللاتيني على قدم المساواة مع مبدعي البلدان الأخرى،

واللغات الأخرى، ومع الميزة التي لا يمكن التقليل من شأنها ، والتي تجعله عموماً في ظروف تمكنه من قراءة نصوص بلغة أوروبية أو اثنتين على الأقل. لم يعد الكاتب الأمريكي اللاتيني يحاكي بأمانة (إلاّ أن ثمة خطراً كامناً ، سأشير إليه في نهاية هذا المقال) ؛ فلديه الحرية الضرورية ليبدع، سواء إنطلاقاً من تنويعات أجنبية ، أو عبر اكتشافات خاصة، لغة أصيلة لحسن الحظ .

وفي بعض الحالات (أفكر بالتحديد في السرتون الكبير : دروب لجيمارايش روزا ، أو في **قصائد وقصائد مضادة** لنيكانور بارّا) يتوفر حتى شرط أن يكون الكاتب الأمريكي اللاتيني هو الذي يضع على بساط البحث تكنيكات جديدة ومواقف جديدة تجاه الحقيقة الفنية، بحيث يقدر لها أن تؤثر ذات اتجاهين. وهنا أفكر، على سبيل المثال، في شعر البيرواني كارلوس خرمان بيّي Belli. ففي الشهادة اليائسة لـ(أداه) **أيتها الساحرة السيبرنيطيقية ! و (القدم فوق العنق)** لا يمكن اخفاء حضور جونجورا؛ لكن انبعاث جونجورا من الركام الميتافيزيقي الذي ينسجه مواطن ليما المدهش يبين في الحقيقة أنه قد عانى من بعض « التحويرات » البيروانية (لكي نستخدم هنا أحد المصطلحات الأثيرة لدى بيّي) ، وهذه التحويرات abolladuras هي التي ترفع ذلك الشعر الغريب إلى مستوى مزيج فريد من السحر والعدمية .

٢ ـ الخارج، عنصر تجانس

من الشائع أن يصدر من أوروبا أو من الولايات المتحدة الأمريكية تقييم لأمريكا اللاتينية على أنها منجم هائل للفولكلور، على أنها جغرافيا بشرية براقة وزاهية الألوان، وكذلك على أنها كلّ متجانس بدرجة أو بأخرى ، مع اختلافات في الظلال لا تكاد تلحظ، يمكنها أن تعادل على نحو من الأنحاء الملامح المختلفة لمقاطعات أمة واحدة. ومن المؤكد أن ثمة ماضيا مشتركا بدرجة أو بأخرى، وعلى طول مناطق شاسعة، وثمة لغة رسمية مشتركة بين الجميع. لكن بالاضافة إلى تلك التشابهات فإن لكل قطاع ماضياً وحاضراً متمايزين ، وسياقاً اجتماعياً مختلفاً ، ولغة ذات رنين وتعديلات متفاوتة .

ربما بدا غريباً أن نؤكد أن الازدهار الكبير للرواية الأمريكية اللاتينية، وكذلك التواصل المتبادل بين مبدعيها يجريان خلال السنوات العشر الأخيرة، وهذه بالضبط هي الفترة التي يحقق فيها الضغط السياسي للولايات المتحدة الأمريكية أرقاماً قياسية جديدة في أمريكا المتخلفة ، من ناحية، ومن ناحية أخرى، ثمة شعور عميق مناهض لأمريكا الشمالية يكتسب تماسكاً وطابعاً للمرة الأولى . أضف إلى ذلك وظيفة البلقنة الواضحة، المباشرة أو غير المباشرة، التي مارسها على مناطق معينة من أمريكا اللاتينية الوجود الاقتصادي لرؤوس الأموال البريطانية أولاً ، وللاحتكارات الأمريكية الشمالية بعد ذلك .

إلاّ أن من المحتمل ، (رغم أن ذلك قد يبدو متناقضاً)، أن يكون أكثر العناصر فرضاً للتجانس قد أتى من الخارج. بهذا المعنى ، وكرد فعل مفهوم، فإنه حتى العقود الأولى من القرن التاسع عشر كان الوجود الاستعماري المشترك لاسبانيا عاملاً لاصقاً لأمريكانا أكثر مما كانت القرابة بين أحد هنود المايا من إقليم يوكاتان وأحد هنود التهولشي من باتاجونيا، كذلك فإن الضغط الاقتصادي والسياسي والعسكري للولايات المتحدة الأمريكية خلال القرن العشرين يبدو حاسماً بالنسبة لعوامل خلق نسيج روحي مشترك، خلق وعي معين للإنسان الأمريكي اللاتيني، أكثر مما يبدو الظهور المتفاوت لنحو عشرين هوية قومية مجزأة . ولايبدو أمراً عارياً من الصحة أن نخمن أن الثقافة هي الأخرى، وبفعل الظروف، تأخذ في خلق الأجسام المضادة اللازمة .

والكتاب أيضاً يستجيبون لتلك التشابهات والاختلافات . فالمسافة التي تفصل بالفعل بين فنانين من الطراز الأول، مثل خورخي لويس بورخس وإيميه سيزير Aimé Cesaire ، بالإضافة إلى اللغتين المختلفتين اللتين يبدعان بهما، وبالاضافة إلى المفاهيم الشخصية المتمايزة، تتضمن الكيلو مترات الواقعية جداً والتي تمتد بين المخروط الجنوبي وجزر الأنتيل. لهذا السبب، فإنه حين يسأل أحد عن أكثر الكتاب تمثيلاً لأمريكا اللاتينية نجد الاحتمالات صعيفة للتوصل إلى إجابة دقيقة. ليس من الصعب أن نتوصل إلى الاقرار، على سبيل المثال، بأن أكثر

الروائيين المكسيكيين نموذجية في الوقت الحاضر هو خوان رولفو، وبأن الأورجواني الأكثر نموذجية هو خوان كارلوس أو نيتّي ، وبأن الباراجواي الأكثر نموذجية هو أوجستو روا باسطوس، وهكذا دواليك مع كل واحد من البلدان. لكن أحداً لا يستطيع أن يمثل أمريكا اللاتينية في مجموعها إلاّ بصعوبة .

ويجدر بنا أن نقر، رغم ذلك، بأنه بصرف النظر عن تلك الاختلافات ، ورغم أن ذلك قد يبدو متناقضاً مع ما ذكرناه آنفاً ، فإن الكاتب الأمريكي اللاتيني يجد نفسه بالغ القلق تجاه المستقبل الكلي لهذا الكيان، المجرد والعيني في آن واحد، الذي سماه الناقد التشيلي ريكاردو لاتشمان ذات مرة «قارتنا الكبيرة الخلاسية » (ويستحق الأمر عناء توضيح أن هذه الخلاسية ليست خلاسية أجناس فقط ، بل هي كذلك خلاسية تأثيرات،وتطلعات، وإيديولوجيات) . لهذا فإن في كل قصيدة، وفي كل قصة ، وفي كل رواية، وفي كل دراما، ثمة شيء أكثر من الوسط القسري لمؤلفها ؛ فبقية أمريكا اللاتينية حاضرة أيضا بأشكال معاناتها ووضوحها المتميزة، وكذلك بازدهارها المحتمل . وهذا الحضور، الخفي أو البديهي، المستور أو الظاهر ، حسب الأحوال، يضفي على عمل أقدم المبدعين حيوية مُعدية ، ولغة هي لغة الجميع في النهاية .

٣ ـ حضور أو ظل أمريكا

باعتبارها مجموعاً تراكمياً، باعتبارها قارة (بالمعنى الضيق للكلمة) ، ليست أمريكا اللاتينية موضوعاً جديداً . فمن مقالات متنوعة حول زراعة المناطق الحارة لأندريس بيو ، إلى النشيد الشامل لبابلو نيروداب من أمريكانا لخوسيه مارتي Marti إلى سبعة مقالات بحثا عن تعبيرنا لبدرو إنريكيث أورينيا Urena ، ومن آرييل لخوسيه إنريكي رودو، إلى المقالات الأخيرة لجزقيال Ezgquiel مارتينث إسترادا؛ Estrada؛ ومن مناجاة إلى روزفلت لروبين داريّو، إلى الملحمة الروائية لاليخو كارينتييه، غمرت القيمة (الموضوعية) القارية بل وتجاوزت الوسط الجغرافي لأفضل الكتاب . بهذا المعنى تظل أمريكا

اللاتينية اليوم موضوعاً بالنسبة لفنانيها ومثقفيها، لكنها بالإضافة إلى ذلك (وربما كان هذا هو الأهم) قد شكلت مشكلة. مشكلة لمن يتناولونها ولمن يتجنبونها، لمن يؤكدونها ولمن ينكرونها؛ لمن يأخذونها على عاتقهم بدءاً من حشاياهم ذاتها ولمن يفحصونها عن بعد؛ رغم أن المنظار المقرب قد يكون باريسياً، أو لندنياً، أو من روما، فإن النظرة، تظل أمريكية لاتينية بصورة حتمية.

ربما كانت الجدة، في نهاية الأمر، هي السياق الأمريكي اللاتيني للموضوعات القومية. فحين كتب بليست جانا روايته مارتين ريفاس، Martin Rivas أحس أنه شديد القرب من بلزاك، ومن ستندال، ومن جالدوس galdos، لكنه بالتأكيد لم يكن مشغولاً بأي بلد أمريكي لاتيني باستثناء تشيلي، وحين تخيل خورخي أسحق Isaacs روايته ماريّا فربما لم يكن يفكر في أي إشارات خارج كولومبيا باستثناء نماذجه الأوروبية الواضحة؛ وخلال المرحلة الحاسمة التي حول فيها كيروجا Quiroga المنفيين إلى شخصيات لا تمحى. لم يكن يحس بالالتزام تجاه أرض أمريكية أخرى باستثناء إقليم ميسيونس Misiones أو مسقط رأسه أورجواي. لكن في عام ١٩٦٤، حين يكتب سباستيان سالاثار بوندي ليما القطيعة Lima la horrilbe فإنه يمد خيوطه إلى غيره من نازعي الأوهام عن النعيم، الذين قد يكونون مقيمين في المكسيك، أو سنتياجو أو مونتفيديو، وحين يكتب الأرجنتيني خوان خيلمان جوتان Gotán أو الغضب الساحق، يمكن أن نحدس وراء حزن بونيوس آيرس الخشن تفاؤلاً يحمل طابع هافانا؛ وحين تتجول المخلوقات الصغيرة للفنزويلي سلفادور جارمندياً في مدينتها بعذاب يشعر سكان آخرون لمدن أخرى بأنهم هم المقصودون بالتحديد، إن أمريكا تتذبذب خلف كل مبدع، كحضور نهائي أحياناً؛ وكظل مقلق في أحيان أخرى. ولا يهم أن يحيا المبدع في سان باولو أو في ميدان الفوج، بجوار سلسلة جبال لاكورديبرا أو في سوهو*؛ فالحضور والظل يصلان إلى كل الأماكن، بما في ذلك أعمقها، حيث تكمن عادةً الضمائر المعذبة والمستريحة.

(*) ميدان الفوج في باريس و(سوهو) هي في طوكيو. [المراجع].

من المؤكد أن الأدب الأمريكي اللاتيني للعقود الأولى من هذا القرن يأخذ على عاتقه مسؤوليات ملحمية من الواضح أنه لم يكن مستعداً لها. إلاّ أنه يغرس نفسه في نطاقه بصورة ما، رغم أن ذلك يجري بصعود وهبوط، بفراغات شاسعة، وبنقص في الأدوات. فهو، من ناحية، لا يثق بأشكال الطرح المعقدة، وبالتلميحات غير المباشرة؛ فالمطلب من الالحاح بحيث لا يسمح بالمخاطرة بأن تظل الرسالة متعثرة بين الاستعارات ولا تبلغ هدفها الطبيعي. ومن ناحية أخرى، فإن الجهد على المستوى الشعبي تضمنه بحزم الطبقات الاجتماعية الحاكمة والمصالح الاقتصادية، والأجنبية والمحلية، التي تدير، بروح اقطاعية، استغلالاً مهيناً للعامل المحلي، بطريقة تضمن أفضل الأرباح. والأميّة أرضية مثالية لأولئك السياسيين والاقطاعيين (المحليين)، الكريول أو الأجانب، الذين يديرون كل جمهورية فتية كما لو كانت مصنعاً آخر من مصانعهم العديدة. في مواجهة مثل هذا التخطيط للجهل يكون من المفهوم أن يبحث المبدع الفني، ذو الهموم السياسية، عن طريق مباشرة للتعبير عن شجبه. وباعتباره فناً (والاشارة دائماً إلى المرحلة المذكورة أعلاه) فالنتيجة نصف مُرضية. فشعر المنشورات لسنوات العشرينات والثلاثينات، ورواياتها إذا كانت قد نفذت على أفضل النوايا فقد انزلقت إلى نزعات تخطيطية كانت غير مثمرة من وجهة النظر السياسية. فكثيراما كان الشجب الذي يجري إطلاقه بصراخ هستيري سطحياً في أحيان عديدة.

وإحدى الحالات النمطية لهذه الحماسة المفتقرة إلى التأمل؛ على سبيل المثال، كانت رواية السكان الأصليين. فالنوايا المحمودة للروائيين لم تمنع الهندي، تلك الضحية الصامتة ذات الذاكرة، من أن ينظر إليه بنظرة أبوية لاتكاد تفهم، نظرة انحرفت، إضافة إلى ذلك، إلى الشعارات ونادراً ما بلغت العمق.

فالهندي يقدم من الخارج ومن أعلى. ولا يجري التركيز على حل مشكلاته في تعقيدها الاجتماعي والاقتصادي بل باعتبارها عملية أريحية بسيطة. وحتى الروائيون ذووالنية الحسنة، مثل الأكوادوري خورخي إيكاثا أو البوليفي خسوس

لارا Lara، يقتربون من الهندي بالارادة الطيبة والمسافة الواقية التي يمكن أن تمتد بين صاحب عمل إنساني النزعة وخادمه أو قنه ، ولا يتم ذلك ابداً بالنفاذ والعمق اللذين تتطلبها الشخصية الأدبية لكي توجد حقاً .

عند ثيرو أليجريّا ciro Alegria في (العالم ضيق وغريب) يمكن على الأقل أن نصادف شخصية هندية ذات تجسد واقعي : هي العمدة روسندو ماكي ؛ لكن إذا كنا نود أن نشهد ظهوراً مشروعاً للهندي باعتباره شخصية وباعتباره موضوعاً، ضمن الضروري أن نصل إلى خوان رولفو وخوسيه ماريّا أرجيداس. ففي قصص (السهل المشتعل) أو رواية (الأنهار العميقة) ، لا يعود الهندي أو الخلاسي عرائس ماريونيت بل كائنات إنسانية. وتفسح نزعة القولية الطريق للعمق السيكولوجي. أما المشكلة الاجتماعية ، الحاسمة سياسياً، فتخرج من المعجم، وتتخلص من نزعتها التخطيطية، وتقدم نفسها باعتبارها الهواء الذي يسري في رئتي الشخصية، وبذلك تنتقل إلى الدم، وتنصهر في مشاعره الفردية .

أما الموضوع العمّالي فيحقق تطوراً ليس موازياً تماماً لموضوع الهندي. فمن (الرفيق) لأومبرتو سالفادور و(تنجستن) لسيراز فاييجو (وهذه الأخيرة،أقل بكثير من الأعمال الشعرية للمؤلف البيرواني) ، حتى (البناؤون) لفيثنتي لينييرو Lenero الوقود، ثمة عملية كاملة من تصفية واعادة تصفية الحسابات التي يمر مسارها بالواقعية الاشتراكية لالفريدو جرافينا gravina والاحتجاج المكشوف لفولوديا تيتلبويم. Volodia Teiltelboim . لكن العامل عند لينييرو لم يصبح موضوعاً بعد (ولا حتى مشكلة) بل مجرد ذريعة. فالروائي المكسيكي يضرب مثالاً في البنائين على النظرية الشهيرة لزاوية الرؤية، لكنه يفعل ذلك من خلال نظرة لا تلتقط سوى المظاهر السطحية، الخارجية (هكذا يصبح الموضوع مظاهر خارجية إنسانية) ، رغم أن الواجب أن يلجأ إلى رؤية مركبة للواقع، مماثلة لرؤية فيلم راشومون Rashomón .

إن الموضوعات من قبيل الهندي ، والفلاح أو العامل، تجد أصولها بالطبع في

واقع، لكنها تولد قبل أن يصبح هذا الواقع إشكالياً بدرجـة كافيـة. والهنود، والعمال والفلاحون الحقيقيون، الـذين يشكلون على نحـوٍ ما أصـل وأساس الهنـود، والعمال، والفـلاحين الأدبيـين، هم قطاعـات مستعبدة ومضـطهدة باستمرار تقريباً، إلاّ أن الصراعات في تلك اللحظة لم تكن قد انطلقت بكل عنفها، أو كانت ذات فاعلية تجزيئية جداً، وبالتالي كانت أمريكا اللاتينية تحيا في ذلك الحين آخر مراحل السلام النسبي والهش، وهو سلام كان، كما هو واضح، مؤسساً على الجور.

وحين يسارع الشعراء والقصاصون، وكتاب الدراما إلى الإشـارة إلى واقع الحال ذاك، دون أن يحدث بعد تمرد وشيك، لا يكون لصوتهم كبير صدى، ربما لأنهم يكتبون خلال ما قبل تاريخ الانفجار، أو الصدمة الحقيقية، أو التناقض. وربما كان هذا بين أرباب أخرى هو السبب (الآن فقط نجد أنفسنا في ظروف تسمح بتقديره) في استطاعتهم السماح لأنفسهم بالبذخ الساذج في أن يكونوا تخطيطيين..

وخلال العقود الأخيرة، وخصوصاً خلال أحـدثها، يتحـول الموضـوع إلى مشكلة. فإذا كان عمال المناجم يمثلون جزءاً حاسماً من الثورة البـوليفية عـام ١٩٥٢ التي أحبطت فيما بعد، وإذا كان الفلاحون الكـوبيون يحمـون مقاتـلي العصابات خلال فترة السييرامايسترا ويضاعفـون صفوفهم ببطء، وإذا كـان الجوعى والمعوزون في الشمال الشرقي البرازيلي، يغزون الإقطاعيات في محاولة يائسة للبقاء؛ وإذا كانت التناقضات تحل في عواصم مختلفة بأسـاليب متنوعـة للنضال المسلح، وإذا كان الطلبة (غير الموجودين تقريباً كشخصيات للقصص الأمريكي اللاتيني) ينطلقون إلى شارع سان باولو، والمكسيك، وسانتيـاجو، وليما، وبونيوس آيرس؛ وإذا كانت تتشكل، في مونتفيديو، علاوة على العصيان الطلابي الدامي، صورة جديدة من حرب عصابات المدن؛ وإذا كان ثمة، في قلب التخلف، قساوسة وقطاعات واسعة من الشبيبة المسيحية يتخذون موقف شجب محدد، فكل هذا يعني أن القارة بأسرها، مثلها مثل أقاليم أخـرى من

العالم، ترتجف . لم يعد الواقع مجرد بانوراما شاسعة وزاهية الألوان من تلاوين وطبقات مختلفة، في تجاوز جائر وغير متوازن . فالواقع ببساطة هو بركان ثائر .

وكنتيجة مقابلة، لا تحتمل إشكالية الوسط المحيط أدباً ذا شعارات أحادية، صورة حماسية بالأبيض والأسود. لا يصبح الكاتب مفهوماً دائماً، ولا يستجيب دائماً للنداء، لكنه، حين يفعل، يعرف مسبقاً أنه لا يمكن أن يكون تخطيطياً . إن المسافة التي تمتد بين شخصيات الروايات الهندية الأولى المتأثرة بشاتوبريان، وبين الفصول التي تجري في الأحراش في **ابن الإنسان** أو **الدار الخضراء**؛ والمسافة التي تمتد بين روايتين، أرجنتينية وكوبية، مثل **خليج الصمت**، المنشورة عام ١٩٤٠، **والحجلة**، التي ظهرت بعدها بثلاث وعشرين سنة، هما مسافتان تصيبان حقاً بالرجفة .

لم يعد القارىءعاملاً خارجياً هامشياً بالنسبة للأدب، إنه لا يحس فحسب أنه موضوع، وبذلك يتعرف على نفسه في العمل الفني، بل إنه يحس كذلك بأنه متواطىء. حين كانت كلمة قارىء تعني مجموعة نخبة ضيقة لم يكن الوسط الاجتماعي المحيط يمارس نظرياً أي نفوذ في الأدب؛ لكن حين صارت تلك الكلمة تعني آلاف مؤلفة من المستهلكين الشرهين استطاعت أن تؤثر (بافضل معاني الكلمة) على الكاتب وعلى موقفه .

إذا كان الواقع الاجتماعي يتخلل الفرد وعلى نحوٍ ما، فإن الفرد الأدبي، أو الشخصية، يصبح اجتماعياً بالتدريج، على الرغم من المؤلف نفسه في بعض الأحيان. بديهي أن التأثير متبادل، فحين تحمل الشخصية بمعنى اجتماعي تزن هذه الحمولة (دائماً حين لا يقدم العمل تنازلات على المستوى الفني) إن عاجلاً أو آجلاً في الوسط المحيط .

هكذا تحولت الموضوعات إلى غرض شائع (وليس واعياً دائماً) لضرب الجذور في أرض أمريكية لاتينية، هكذا تبتكر، مثل كومالا دو رولفو، مدينة سانتاماريا عند أونيتي، ومدينة ماكوندو عند جارثيا ماركث، أو (إذا أوردنا مثالاً حديثاً)

مدينة ساباناس الشجية عند بابلو أرماندو فرناندث . هذا التوجه إلى اصطناع جغرافيا على مستوى شخصي يمكن تفسيره بأنه إيماءة خفية تكاد تكون سرية، تستهدف إضفاء الطابع الأمريكي اللاتيني على معطى جغرافي محلي، ومحدود، وواضح إن سانتا ماريا ليست أوروجوانية ولا أرجنتينية، بل محصلة معطيات من إقليم ريو دي بلاتا (على الأقل) ؛ وإن ماكوندو تلك ذات الهيئة الكولومبية هي، في نهاية المطاف، نوع من الأرضية الضخمة (والمتواضعة) الأمريكية اللاتينية يقيم فوقها جارثيا ماركث، بفضل مجازٍ مرح وحي، حالة مزاجية تكاد تكون قاريّة. وفي الحالة الخاصة لجيمارايش روزا ثمة بديل لماكوندو هو اللغة المبتكرة، الوسطية، ومتساوية المسافة والتي تكاد تكون ملغزة .

من الغريب أن نكتشف، كما حدث في أجيال سابقة، أن ثمة مؤلفين من الطراز الأول صنعوا بدءاً من أمريكا اللاتينية أدباً ذا أرضية وأساس أجنبي (ولنتذكر ليس فقط مجد الدون راميرو أو لعنة أشبيلية، بل كذلك جزءاً كبيرا من أقاصيص بورخس والكثير من المسرح «الاغريقي» الذي كرس له أنفسهم بحماسة بعض الدرامين الأمريكيين اللاتين خلال سنوات الأربعينات)، والآن، فإن أولئك الذين يقيمون في أوروبا يثبتون أبصارهم بصورة متسلطة على هذه الأرض. والأمثلة ناصعة الوضوح: فميجيل آنخل أستورياس، وأوكتافيو باث، وخوليوكوتاثار، وكارلوس فوينتس، وخورخي إنريكي آدوم، وجابرييل جارثيا ماركث، وماريو فارجس يوسا، ونوح خيتريك، وخوسيه دونوسو، وسيزار فرناندث مورينو، وكلاريبيل ألجريّا، وأنطونيو ثيسنيروس، وحتى جييرمو كابريرا انفانتي وسيفيرا ساردوي، يكتبون أحياناً بصورة موسوسة، عن البلدان التي لم يعودوا يحيون فيها (لأسباب مختلفة جداً ومتناقضة أحياناً، بالتأكيد) . وحتى في حالة الحجلة، التي يجري جزؤها الأول في باريس، فإن الأمر يتعلق بباريس التي يراها، ويسمعها ويحسها ارجنتيني، من بونيوس آيرس بصورة أساسية حتى أن سمعه يصبغ بالصبغة الأرجنتينية كل ما يسمع، ويصبغ كل الكلمات التي تلمسه .

٤ ـ الشخصية تزيح الطبيعة

كذلك تغيرت، داخل العمل الفني، العلاقات بين الفرد والمشهد. فبقدر ما تمتلىء الشخصية، لا بالوعي الاجتماعي بالضبط، بل بالمجتمع (أي، بقدر ما يزيد المجتمع من أهميته في الحياة الفردية) . لا يعود موقفها من الطبيعة هو موقف الدهشة والخضوع . بمعنى أن المشهد يمكن أن يظل ساكناً ، لكن النظرة تتغير. وعند تغير النظرة يستجيب المشهد لذلك الضغط الذي يكاد يكون ديالكتيكياً، ويكتسب دينامية، لكن دون أن يستعبد الشخصية .

وعلى أي حال فإن من المناسب أن نذكر بأن الغابة، في بعدها الروائي، في رواية مثل (الدوامة)، أهم بكثير منها في (ابن الإنسان) أو (الدار الخضراء) . وفي الواقع الجغرافي لابد من أن غابات البيرو أو الباراجواي هي من الوحشية بحيث لايمكن اختراقها مثل غابات كولومبيا، لكنها في واقع الروائي تصور على أنها متمايزة. وبينما تبدو الغابة في عمل ريبيرا إختلاجاً همجياً مخيفاً ينتقم من البشر ويبتلع الشخصية، فإن الغابة، في عملي روا باسطوس وفارجاس يوسا، تتراجع، وتتنازل للشخصية عن الأولوية الروائية .

وخلال الأحداث الأخيرة لرواية الكاتب البيرواني، فإن شخصية مثل فوشيّا، المنهك تماماً، والمدمر، والمشوه جسمانياً وروحياً ، يظل رغم ذلك أهم بكثير من الطبيعة التي هي، في نهاية المطاف، الوحيدة التي تحتضنه، والوحيدة التي تساندہ. إن القوة الخارجية التي تنفجر في (الدوامة) تنتمي إلى البعد التراجيدي للطبيعة، لذلك المشهد الذي هو كابوس قبل كل شيء؛ في حين أن القوة الداخلية التي تفعل فعلها في (الدار الخضراء) أو في (ابن الإنسان) هي قوة إنسانية أساساً تمر من خلال احبولة اللاوعي قبل أن تواجه المشهد الذي يعد بمثابة خلفية .

ولا تظهر الطبيعة عملياً في الأعمال القصصية لبورخس، حتى حين يجري بعضها في الريف، لكنها تظهر حقاً في أعمال كاربنتييه، وخصوصاً في (الخطوات

الضائعة)، باعتبارها تسجيلاً باروكياً للنباتات والحيـوانات النفسيـة للبطل ، وليس، بالتأكيد، باعتبارها «مرآة الروح» المحبذة لدى الـرومانتيكيـين. وعند رولفو نجد أن المشهد حضور شجي يدرك القارىء أنه موجود رغم عدم ذكره، لكن نادراً ما أتيح له أن يتخيل وسطاً محيطاً بهذا الصفاء، ورغم ذلك لا يمكن الاستغناء عنه . وأونيتي، بدوره، نادراً ما يتذكر المشهد، وربما كانت الـرواية الوحيدة التي فعل فيها ذلك هي (الوداع) التي تجري في منتجع سياحي بصورة غامضة، لكن الواضح أنه، برغم هذا الوسط المناسب، قد فضل على الدوام تقريبا أن يدير ظهره له. وعند جارثيا ماركث تظهر الطبيعة في مناسبات معدودة تطيع فيها بصورة عامة نـوعاً من الاستحضـار، لكنها حينئـذ يمكن أن تتحول إلى معجزة شيطانية ،إلى مبالغة لا يمكن إيقافها،إلى مطر يستمر أربعة أعوام،وأحد عشر شهراً، ويومين !!

وفي الشعر كذلك يظل المشهد وحيداً ، ومؤجلاً . وليس حتمياً للتوصل إلى هذه النتيجة أن نقارن الريف ذا الطابع الأخلاقي والفيرجيلي لدى أندريس بيّو مع الطبيعة المتقشفة التي يتبينها إرنستو اردينال من دير الرهبان في خيثيمانـي Jethemani . وإذا فكرنا ببساطة في التبجيل المخلص بدرجـة أو بأخـرى، والخطابي بدرجة أو بأخرى، الذي كان الشعراء عند نهاية القـرن يخصون بـه الوسط الطبيعي ، فإن الزهد الذي يتناول فيه الشعراء الراهنون المشهد يتحول إلى فعل تخريبي جمالياً . فالمشهد النطي لشخص مثل أوتون Othón ، وجرة القلم المرتعشة لشخص مثل زورييا Zorilla دي سان مارتـين، أو النسخة الحسيـة لشخص مثل هيريـديا ، Heredea ، تبـدو جميعها في أيـامنا أشـد بعداً من هوميروس. ورغم ذلك، يبقى وريث واحد، ذو نفس متميز: هو بابلو نيرودا. لكن بالنسبة للشعراء الجدد فإن طرح نيـرودا (الذي لايمـانعون في الاعتـراف بموهبته الفذة) هو بوصلة لا تقول لهم الكثير، ولم تعد تفيدهم، والمشهد الذي يراه الشعراء الجدد يبلغ من التقشف، ومن ندرة التقدير القبلي a priori ، بحيث لابد للناقد من أن يعتصر ذاكراته حقاً حتى يستخلص من تلك الكتب النحيلة

شجيرة سقيمة أو أخرى، أو سهلاً عدائياً ما .

هذا التراجع للمشهد في الشعر والنثر الأمريكيين اللاتنيين ربما يجد تفسيره، الواضح والعميق في الوقت نفسه ، في تمجيد الشخصية . وهو تفسير واضح وعميق، ، لأن الإنسان الآن هو الذي يسود الأدب، وهو الذي يفرض قانونه على المجاز؛ وقد وضع المشهد نفسه في خدمته، لأننا يمكن أن نصادف هنا أيضاً مضموناً سياسياً، ورمزاً اجتماعياً .

بالنسبة للهندي على وجه الخصوص، وبالنسبة للفلاح، وبالنسبة لغالبية الأمريكيين اللاتين الواعين بمصيرهم بشكل عام، أصبح المشهد مرادفاً للسلطة التي أخضعت، بشكل مباشر أو غير مباشر، ومازالت تخضع القارة في المجالين الاقتصادي والسياسي المشهد في أمريكا اللاتينية هو الإقطاعيات، والمناجم، وآبار البترول، والمصانع. إنه؛ في النهاية، الضريبة، والاستغلال، والنهب . ومن السهل هنا أن نقول بلغة ثيرو أليجريا Ciro Alegria إن المشهد ضيق وغريب ، وغريب في المقام الأول .

حين تزيح الشخصية الطبيعة عن مكانها الممتاز في التقييم الروائي في الآداب الأمريكية اللاتينية الجديدة، فربما يعني ذلك، بين أشياء أخرى، طريقة غير مسبوقة لطرح أن هذا الإنسان في الجزء الأمريكي اللاتيني من العالم الثالث يتمرد ضد مشهد يعد على نحوٍ ما الركيزة البريئة للسلطة التعسفية، وللجور ، وللمعاملة غير الإنسانية، وللحرمان. بالنسبة للأمريكي اللاتيني العادي (وللناطق باسمه أي الكاتب) يعد المشهد دائماً شيئاً لا يمكن بلوغه، شيئا يخص آخرين. فالفلاح لا يريد مشهداً ظل دائماً ملكاً لسادته، بل يريد قطعة من الأرض يمكنه أن يغرس قدميه فيها، ويغوص بيديه، ويبذر مستقبله. إن أمريكا اللاتينية تصل بسرعة إلى نتيجة أنها يجب أن تحول مشهدها إلى جغرافيا بشرية، إلى عدالة اجتماعية، وهذه العملية هي التي يحققها، عن وهي أو عن غير وهي، كتابها .

كذلك يحمل المشهد المديني بمعنى اجتماعي . وفي هذا الصدد ثمة مثال حاسم، هو (المطاردة) لاليخوكاربنتييه . وإذا نظرنا إلى هذا الكتاب ضمن مجموع عمل هذا الروائي الكوبي البارز فربما لم يكن على مستوى (الخطوات الضائعة) أو (قرن الأضواء) . لكن ضمن تاريخ النوع الأدبي في أمريكا اللاتينية تمثل (المطاردة) (١٩٥٦) انطلاق بعد جديد في الرواية المدينية . وهذا الرأي يمكن أن يبدو مغامراً إذا فكرنا أنه قبل عام ١٩٥٦ كانت قد ظهرت روايات مدينية لاستورياس، ومانويل روخاس، ومايا Maella، وماريشال، واونيتّي، وساباتو، وبيوي ثيسارس، وفيها بلا شك حركة بندولية غريبة تمضي من المعجمية الكثيفة والفائقة لـ (السيد الرئيس) حتى الخيال الرزين لـ (ابن اللص) ، ومن رؤية الكون المدعية والبرجوازية الصغيرة لـ (خليج الصمت) حتى المسار الخبيث والمقنع للغثيان في (الحياة القصيرة) ، من عدم التواصل الصارخ في (النفق) حتى الغيبوبة التهكمية في (آدم بيونس آيرس) . لكن أحداً من هؤلاء المؤلفين ، رغم وجوه امتيازهم العابرة أو النهائية ، لا يبلغ حد فحص مجال المدنية التيهي بالموضوعية الشديدة لكاربنتييه . ولنقل هذا دون أن ننسى البنية الموسيقية الصريحة التي تندرج تحتها الرواية . هنا بالضبط يكمن تفرد العمل، الانجاز الحقيقي لمحصلته الفنية : أن تتيح بنية بهذا التصلب المرونة الرائعة، وحتى تعليق الحكاية. وليس الأمر هنا أن نقول إن (المطاردة) أفضل أو أسوأ من سابقاتها في الرواية المدينية؛ فهذه، ببساطة، مسألة أخرى. فالمدينة تتحول الى ضابط دائم وملتهب للبشر وللأشياء . ويجري لمشهد الاسمنت ما جرى نفسه تقريباً مع الغابة في الرواية الريفية؛ إذ يتختفي تقريباً لصالح الشخصية . ويختفي بفضل موضوعيته . فالمنازل، والشوارع، والمباني، هي مجرد أشياء تحدد تقلبات الشخصية ، تعقدها أحياناً وتنقذها أحياناً أخرى، لكنها تخضع دائماً لصدفة آلية . وتفيد الشخصية أحياناً ، من لا مبالاة الأشياء. إن هذه الحكاية، من ناحية، لا تدين سوى بالقليل لتلك الحكايات الأخرى التي كانت رائجة خلال سنوات الثلاثينات والتي تتجول الشخصية فيها خلال الحقول أو الشوارع بذاكرة

بروستية* مشحونة أكثر مما يجب بالحنين، لنتعرف هنا وهناك على علاقات من الماضي، على نتف من المشاعر . ومن ناحية أخرى ، تبشر (المطاردة) على نحو ما بانطلاق ما سوف يصبح الرواية الموضوعية لعقد الخمسينات. لكنها أيضاً تحرز ميزة مبكرة على «الرواية الجديدة» nouveau roman ، في أنها لا تقع أبداً في خطابيتها المملة. إن مقارنة «المطاردة» مع أي رواية من روايات آلان روب ـ جرييه ومع بعض روايات ميشيل بوتور تفيد، بين أشياء أخرى، في إثبات كم من التوتر، والدينامية ، يمكن أن يكون لحكاية موضوعية، وكذلك، كم يمكن أن يثري الشخصية تكنيك سوف يستخدمه فيما بعد كثير من القصاصين الفرنسيين لكي يفقروه عن عمد.

حسناً ، والآن ماذا تعني هذه العودة إلى الشخصية (التي تعد بمثابة عودة إلى الكائن البشري) ، في الفن الروائي الراهن لأمريكا اللاتينية؟ هل نشهد ميلاداً جديداً للمفهوم الرومانتيكي، الفردي، الذي نكاد نستطيع أن نسميه البطولي ، لفن القصص الأدبي؟ ألم تصبغ (ماريا)، لايساكس، النزاع الفردي بصبغته فعلاً ؟ بلا شك، لكن النزاع كان جزيرة على نحو ما، وظل الوسط المحيط على مسافة كافية من البعد الدرامي للشخصيات. كان نزاعها فردياً بأضيق معاني الكلمة، وهو معنى يلخص الحب في وحدة ضيقة ومفروضة. « إننا واحد » ، هكذا يقول (اويفكر) الحبيبان الأساسيان في أي رواية رومانتيكية بأي لغة . وخارج هذه الجزيرة من العواطف لا يقف المجتمع وحده، بل كذلك العائلة . أما الروايات التي تحمل أسماء نساء (أماليا، ماري ، ثيثيليا فالديس، بيبا، خوانا لوثيرو، ناتشا ريجوبس، لاوراتشا، دونيا باربارا) فتقلل أكثر من مجال التركيز، بقصره على شخصية نسائية ووضع جهاز أدبي كامل في خدمتها . ورغم عدوانيتها التي تكاد تكون ذكورية، ورغم هيئتها المتحكمة ، فربما كانت الدونيا

(*) نسبة إلى مارسيل بروست (١٨٧١ ـ ١٩٢٢) الكاتب الفرنسي صاحب الكتاب الضخم (في البحث عن الزمن الضائع) . [المراجع] .

بابارا هي الأزدهار الأخير والمتأخر لتلك الفردية التخطيطيـة التي تحتل مكـاناً واسعاً وهاماً في الفن القصصي الأمريكي اللاتيني .

وفي مرحلة أخرى يجري للرواية شيء من قبيل ما جرى لامرأة لوط: فحين استدارت لترى الواقع، تمعدنت على نحوٍ ما . وهذه هي المجموعة التي تظهر فيهـا عناوين من قبيـل التنجستن، والنحـاس، وتحت سـطح الأرض، تحت الأرض ، وبقعة الزيت، ومعدن الشيطان، إلىٰ آخـره . في مرحلة الـواقعية الأشد فجاجة ونصّية تنمحي الشخصية لاكسابها الطابع البروليتاري . وفي مجال الواقعية الاشتراكية على وجه الخصوص، لا ينقسم العالم إلى أخيار وأشرار فقط ، بل ينقسم كذلك إلىٰ شفافين وقاتمين. وبالنسبة لشخصيات أومبرتو سلفادور ، على سبيل المثال، فإن أي مشكلة للفرد تجد تصنيفها من قبل الواقع الاجتماعي ، الذي يصبح غير قابل للتصديق بصورة متعارضة: فالضغط الخارجي ليس قادراً أبداً على هدم الحاجز الأخير للوعي ، وثمة دائماً منطقة ، ملاصقة للموت أحياناً ، يمكن للفرد أن يتخندق فيها ويصبح هو نفسه ، ونفسه فقط . ولا يتناقض هذا مع ما ذكرناه آنفا (رغم أنه يمكن استنتاج ذلك من القراءة السطحية) بشأن الحضور الحاسم لأمريكا اللاتينية وراء عمل كل مبدع ، وهو لا يتناقض، لأنني أتحدث عن الضغوط الخارجية، أما حضور أمريكانا، بوصفها ظلّاً مقلقاً، فهي في المقـام الأول ضغط داخلي لا يحتاج إلى هدم أي حاجز من أجل الوصول فيه إلى الوعي ، إذ إنه عادةً ما يتكون هنالك .

وفي أفضل الروايات والقصص التي تكتب اليوم في أمـريكا الـلاتينية ليس الشخصية هي البطل الفردي ـ هذه الضحيـة التعسفية للقـدر ـ هذا الكـائن المعزول للقصص الرومانتيكي ـ ولا هي مجرد ترس لضغط اجتماعي هو الملاذ المنهك بدرجة أو بأخرىٰ لصعود جماعي لصراع الطبقات . فالشخصية الأدبية اليوم هي فرد ومجتمع في آن واحد، إنها شذرة من المجموع دون أن تكف بسبب ذلك عن كونها متميزة حتماً . فالفصائل العسكرية في رواية مثـل (رجال عـلى صهوة الخيول) ، لدافيد فينياس، هم رجال عسكريون، لكنهم أفراد كذلك،

يحملون دراما حياتهم الشخصية، وترداداتهم ، وحنقهم، وتطلعاتهم، وآمالهم.
وبطل بدرو بارامو هو فرد من نوع خاص جداً ، لكنه أيضا رمز، وبهذه الصفة فإنه يكاد يكون نموذجاً نمطياً، إنساناً يمثل المجتمع. وحتى الشخصية المحورية لرواية السرتون الكبير: دروب ، لجيمارايش روزا، هي فرد فريد لكنها أيضاً، على الرغم من كاتبها، مرآة (مشوهة بقدر ما نشاء) لمجتمع يغلي، مجتمع يشكل ويشوّه نفسه باستمرار وربما كانت الحالة المتطرفة هي حالة جارثياماركيث . ففي مائة عام من العزلة يعبر اسم شخصية، هي أوريليانو بونيديّا، أجساداً عديدة وصفحات عديدة، يعبر عقوداً عديدة ونساءً عديدات، لكن هذا الفردي الخيالي الذي هو جارثيا ماركيث يملك رغم ذلك من الحدس ومن الموهبة ما يكفي لفهم أنه لكي ينقذ الفرد الذي ابتكره يجب عليه أن يضعه في إطار تحول عائلي في الأساس، لكنه في جوهره اجتماعي أيضا، وقومي، حتى وقاري . وبتزويد آل بونيديّا بالرغبة التي لا غنى في السعي نحو الجار، يؤهلهم خالقهم لأن يملأوا قرناً كاملاً ، لأن يحاولوا (لسوء حظهم ، ولحسن حظ الآداب) أن يهزموا مرة إلى الأبد الوحيد ، هذا الجلاد الذي لا يرحم. ومن الغريب أن نستنتج أن ما يمكن أن يكون أكثر الروايات الجديدة المكتوبة في أمريكا اللاتينية فرديةً (فحتى الحجلة لا تتخذ لنفسها هدفاً منعزلاً بهذا الشكل المكشوف) تتحول إلى نوع من الفانتازيا الوسطية، إلى مجاز اجتماعي بشكل غير مباشر لكل عالمنا، عالم التخلف والدهشة، عالم البؤس والجسارة .

وبعبارة أخرى: فإن الرواية الأمريكية اللاتينية، وهي تعاود الآن التركيز على الشخصية، تجد أن هذه الشخصية ليست هي نفس الشخصية التي خلفها كيروجا، وماتشادو دي أسيس، وجاييخوس ؛ ولا حتى الشخصية التي يخلّفها أستورياس، أو بورخس، أو مائياً. لا ؛ فقد تغيرت الشخصية بالايقاع نفسه الذي تحولت فيه أمريكا هذه. وفي قصص مانويل روخاس، وكورتاثار ، وجوثالث بيرا، وساباتو، وفارجاس يوسا، وأرجيداس، ودسنوس، ومارتنيث مورينو، وجارمنديا ، وأوسكار كويّاثوس، أصبحت الشخصية بدرجة أو

بأخرى، كياناً غير نقي ، ورببياً ومتناقضاً كما قد يناسب عالماً يبدو دوماً على حافة الانفجار. ويمكن تطبيق هذه الصفات الثلاث. دون عنف كبير، على ليثما ليما الذي نجد روايته الوحيدة (الفردوس) برغم ايقاعها التذكري عسير التنفس، تراقب من طرف خفي تقريباً بعض المشكلات التي تهدد بعض التوازنات الأخلاقية الزائفة .

لقد تغيرت الشخصية، وربما كان التغير الأبرز هو أن المجتمع لم يعد خارجها فقط ، بل في داخلها. وربما كان هذا هو الاختلاف الذي يفصل، مثلا، بين روائي مثل ايكاثا وروائي مثل خوسيه ماريّا أرجيداس، بين أعمال مائيا وأعمال دافيد فنياس، بين أعمال جاييخوس وأعمال جارمنديا .

٥ ـ المرور بالإقليم للوصول إلى العالم

إن إحدى المشكلات الشائكة التي يجب أن تواجهها الآداب الأمريكية اللاتينية تتصل بلغتها. وربما كانت هذه المشكلة هي التي تثير أكبر قدر من المقاومة لدى النقاد الأوروبيين الذين يصلون إلى تلك الأعمال عموماً بفضل اهتمام أدبي خالص، وعادةً دون معرفة شاملة بالعناصر الاجتماعية، والسياسة، والثقافة، التي تحدد الإبداع في أحيان كثيرة، ومنذ زمن غير بعيد استمعت إلى اليخو كاربنتييه خلال مؤتمر حول الرواية الأمريكية اللاتينية عقد في باريس، وهو يدلي بملاحظة حكيمة جداً بهذا الشأن . فقد ذكر الكاتب الكوبي بأن بول كلوديل، عند افتتاح إحدى قطعه المسرحية، يشير إلى أن الأمر يتعلق بمطبخ، من طراز مطابخ بروجل Brueghel ، ولاحظ، أنه في حالة مماثلة، لم يكن باستطاعة كاتب درامي أمريكي لاتيني أن يوفر على نفسه عناء الوصف على أساس قاعدة جامعة لسابقة ثقافية. فلو كان يصف مطبخاً ويود نقل انطباعه المعاش، لوجب عليه الإشارة بالتفصيل إلى أوعيته، ومقاليه، وملاعقه، الخ ، إذ ليس ثمة عنصر ثقافي قادر على تخليق أو توفير مثل هذا الوصف. ويجد كاربنتييه في اضطرار الفنان ذاك نوعاً من التبرير للاتجاه الباروكي الشهير لدى كثير من القصاصيين الأمريكيين اللاتين. ولا أظنه على خطأ .

إن المبدع يبدأ من الصفر تقريباً. فتقاليدنا جيدة جداً . كل شيء حدث بالأمس عملياً ، وبالتالي لا يمكننا استحضار حقائق الأمس باعتبارها نماذج راسخة، وباعتبارها قيماً مستقرة بشكل نهائي. ففي حين يتمتع الكاتب الأوروبي بميراث متسع وأكيد، مُرتب، ومُحلل ومعروض كما يجب في واجهات أنيقة، وبذلك يكون في ظروف مثالية لعمل إشارات موجزة (لكنها كافية) إليه، فإن زميله الأمريكي اللاتيني بالمقابل، مازال منهمكاً في عمل هذا الميراث . ولا يمكنه أن يعهد للقارىء بمسؤولية ليس هو نفسه واثقاً منها . القارىء الأوروبي يتلقى نتيجة بحوث عدة متسلسلة؛ والكاتب الأمريكي اللاتيني، بالمقابل، يدعو قارئه بإصرار إلى أن يبحث معه، إلى أن يتحول الى شبه شريك، إلى كيان متضامن. ولا يخفي عليّ أنه في الظرف الباروكي للرواية الأمريكية اللاتينية، ليس الجهد الوصفي وحده هو الذي يملك ثقلاً . إذ توجد كذلك (لدى كاربنتييه نفسه في المقام الأول، ثم لدى روائيين مثل أوجستين يانييث، وكارلوس فويتنس ، وجيمارايش روزا) متعة لفظية مشروعة تماماً .

وواضح أن الضرورة الوصفية تلازمها ضرورات. واحدى هذه الضرورات التي لا يمكن التقليل من شأنها هي المرور شبه الاجباري بالاقليم للوصول إلى ما هو عالمي، أو، (لكي نقول ذلك بعبارة استخدمت من قبل) ، المرور بالإقليم للوصول إلى العالم. بالنسبة للكاتب الأوروبي كثيراً ما يختلط الاقليم بالعالم، وعندئذ تفقد التفرقة أهميتها. إذ بالنسبة للكاتب الفرنسي أو الانجليزي، جرت العادة على تسمية العالم فرنسا أو بريطانيا العظمى (أو بصورة أضيق: باريس أو لندن) ـ إنها أوجه قصر النظر الحتمية للتقدم. والفرق يكمن في أن الكاتب الأمريكي اللاتيني يعرف أن إقليمية ليس هو العالم. ولست أشير هنا إلى الكتاب الأمريكيين اللاتين الذين يقومون باستعمار ذاتي والقادرين على تقديم تأييدهم للأوروبي الذي يعتقد أن العالم هو لندن أو باريس. بل إنني أشير إلى الكاتب الواعي بها مشيته بالنسبة لأسواق الثقافة الضخمة؛ وهي هامشية لا يجب، بالطبع، أن تستجيب بالضرورة لأسباب أو علاقات قوى مختلفة عن تلك التي

تحكم اقتصاداً استهلاكياً . وسواء أكان هذا الأمر ظالماً أم لم يكن، فالواقع أن غالبية الكتاب الأمريكيين اللاتين يأخذون إقليمهم على عاتقهم رغم علمهم بأن هذا الموقف يعني دائماً عقبةً في طريق الوصـول إلى قراء آخـرين، وإلى أوساط أخرى. وبالطبع، فان هناك دائما مبدعين (وأحياناً من مبدعي الصف الأول) يفضلون الاستغناء عن إقليمهم للاندراج مباشرة فيما هو عالمي. وهذه هي حالة خورخي لويس بورخس، الذي ربما كان أشهر الكتاب الأمريكيين اللاتين في أوروبا. والنوعية الأدبية الراقية لبورخس، وتملكه للغة، وقدرتـه على تحـويل الأدب إلى ميتافيزيقا وبالعكس هي أمور لا تقبل الجدل. لكنني لا أظن أن من المشروع، بالنسبة لعوامل توضيح هذه «المحصلة لضروب سوء الفهم» التي هي الشهرة كما يقول ريلكه، أن نقلل من قيمة الشرط الأوروبي حتماً لمدار بورخس، لقدرته على التعبير عنه وعلى ترتيبه، لقدرته على وضعه موضع التساؤل أو الايحاء بعبثيته. ولن يكون من الانصاف هنا أن نغفـل أن بورخس يصـدر تلميحات متفرقة عن إقليمه، لكن الحقيقة أن تلك التلميحات لا تظهر الاّ كذرائع. فكل واحدة من شخصياته الأرجنتينية هي في العادة (ولنقله بلغة من اللغـات التي يحمـل لها بـورخس أكبر تقـدير) The wrong man in the wrong place [الرجل الخطأ في المكان الخطأ]، حيث قد جرى التفكير فها بنظرة (بل ربما هو أكثر حسماً: بحساسية) أوروبية .

عند هذه النقطة يجدر بنا أن نقيم تفرقة تزداد ضرورتها باستمرار: فالبدء من الإقليم لا يعني بالضرورة أدباً إقليمياً . فهذا الأدب قد أكمل دورته في كل بلدان أمريكا اللاتينية تقريباً، واليوم يمكن القول إنه من أمور الماضي، إنه تجربة لا تحتل مكاناً (تستحقه عن جدارة، بالتأكيد) إلاّ في مراجع وتواريخ الأدب. البدء من الاقليم، بالنسبة لتأثيرات الابداع الأدبي، لا يتضمن الخضوع لأشكـال اللغة الدارجة، أو إغفالها والخضوع لفروق الفولكلور، ولمعالم تاريخ المنطقة. البدء من الإقليم، يعني توليه باعتباره كائناً إنسانياً، مثلما تولاه في وقته كـلٌ من مارتي، وكيروجا، ومارتنيث استرادا ، وجابرييلا مسترال، وكـما يتولاه اليـوم كلٌ من

رولفو، وكاردينال، وثيسبيديس، وخوسيه ماريا أرجيداس، وروا باسطوس. ويعني كذلك النظر إلى العالم، فهم العالم، وعيشه، ومعاناته، والتمتع به، ليس من الموقف المحايد للمنزوعي الجذور بل بالنظرة المهمومة، المتخيلة، والعميقة لمن يضعون أقدامهم فوق أرض محددة. ومعرفة إلى أين ينتمون لا تتطلب ضرورة العيش في ذلك المكان، لكنها بالمقابل تمكن من يعيشون في أي مكان كان من الفهم بصورة مثلى. وبغض النظر عن استثناءات واضحة، يعرف الكاتب الأمريكي اللاتيني أنه ينتمي إلى قارة مفعمة بالأمل بصورة يائسة، إلى محصلةٍ من الأقاليم الموحّدة بصورة مموّه، ليس فقط بسبب تشابه اللغات بل كذلك بسبب التخلف، والاستغلال، والأمية، والبؤس.

٦ ـ ضرورة تفسير ذاتي

من كل ما ورد حتى الآن أود أن استخلص أمراً يقلقني ويبدو لي مشروعاً. ففي أنواع أدبية مثل الشعر، وفوق كل شيء مثل الرواية والقصة، شكّل كتاب أمريكا اللاتينية خلال السنوات الأخيرة طليعة حقيقية. وباستثناء الأدب الألماني الذي انبعث، منذ ما بعد الحرب، ببريق أكبر وبنوعية فنية واضحة. ليس ثمة في الأدب الأوروبي اليوم (وهنا أشير إلى المستوى الأصيل للنوعية وليس إلى المستوى الذي يلفقه نقاد الكفاف، وبالاحرى ليس إلى المستوى الذي يطرحه نقاد الهدم) أسماء كثيرة يمكن أن تضارع حقاً المبدعين العظام لأمريكا اللاتينية. ورغم ذلك، لم ينل هذا الامتياز على الاطلاق الصدي الذي يستحقه. فمازال النقد الأوروبي يقيس الفنانين الأمريكيين اللاتين بالمقاييس الأوروبية.

والآن هل يجب على الأدب الأمريكي اللاتيني، في ذروة ازدهاره أن يخضع بوداعة لمعايير أدب ذي تقاليد رائعة، لكنه يمر اليوم بمرحلة إجهاد وأزمة؟ هل يجب أن تقاس رواية مثل **مائة عام من العزلة**، على سبيل المثال، بقواعد «الرواية الجديدة» nouveau roman التي تبدو تجربتها الابداعية اليوم جافة بدرجة أو باخرى؟ هل يجب اعتبار النقد البنيوي بمثابة المرسوم الذي لا يقبل الطعن حول آدابنا؟ أم أننا يجب علينا، على العكس، أن نخلق، بالاضافة الى شعرائنا

وقصاصينا، بؤرتنا النقدية الخاصة، وطرقنا للبحث ، وتقييمنا ذا الطابع الخاص، التي تنطلق جميعها من ظروفنا ومن احتياجاتنا، ومن مصلحتنا؟ بالطبع، ليس النقاد وكتاب المقالات الأوروبيون مسؤولين عن الخضوع الذي يعاني منه اليوم جزء كبير من النقد الأمريكي اللاتيني، وفي المقام الأول ثمة نوع من « الصحافة النقدية» يطبق دون تردد الدراسات الجادة جداً التي يجريها علماء لغويات وبحاثة أوروبيون آخرون، لكنه يطبقها بسطحية مفزعة، كأنها وصفات طبية أسيء استيعابها، كأنها صيغ غير مفهومة بمالا يقبل الشك. وليس الخطر في أن يخطىء الأوروبيون في تقييم ما هو أمريكي لاتيني، فقد حدث ذلك مع داريّو، ومع فاييخو (لكي لانذكر خطأين مشهورين فقط)، ولم يكن أمراً بالغ الأهمية بالتأكيد أن الخطر يكمن في أن يندفع الكتاب الأمريكيون اللاتين الشبان إلى تبني موقف الاستعمار الذاتي الذي اعتاد ان يتخذه في بلداننا بعض المعلقين الأدبيين، وفي أن يحاولوا على نحوٍ ما أن يضبطوا أعمالهم وفق ما يفهم أولئك الوسطاء أنه مطلب أوروبي. ولحسن الحظ لا يشكل ذلك بعد ظاهرة متكررة، لكن الحقيقة أن بعض أعمال الكتاب الأمريكيين اللاتين الشبان يبدو وكأنه قد أنجز والذهن أكثر اهتماماً بأن يكون جديراً بنقد بنيوي من اهتمامه بالاحتياجات الداخلية لكل عمل أدبي .

وها هي ذات تفصيلة صغيرة لكنها ذات دلالة. ففي أسواق مثل ايطاليا، وفرنسا، واسبانيا، تعتبر القصة القصيرة نوعاً أدبياً قليل الربح (بالتعبير التجاري). والمقاومة التي يبديها الناشرون الأوروبيون الذين يعارضون نشر مجموعة قصص معروفة لا تتوجه فقط للمؤلفين من وراء البحار بل تتوجه كذلك إلى المؤلفين الأوروبيين .

وبالمقابل في أمريكا اللاتينية كانت القصة القصيرة دائماً نوعاً أدبياً له مؤلفوه الممتازون ، وله بالتالي جذوره الشعبية، وعلى الأقل في بلدان مثل المكسيك، وكوبا، وتشيلي، والارجنتين، والبرازيل، واورجواي، تتمتع القصة القصيرة بجمهور مهتم ووفي . والآن ، من الواضح، خلال السنوات الأخيرة، أن انتشار فكرة أن المجموعات القصصية لا تلقى الحفاوة في أوروبا نتج عنه نتيجة

سيئة هي التقليل من الانتاج القصصي الأمريكي اللاتيني في بعض المناطق. وبعض الكتاب الذين كانوا منذ سنوات قليلة يجدون طريقهم بدرجة متماثلة في القصة وفي الرواية يبدون الآن وقد استقروا على النوع الأدبي الأخير. وكذلك فإن كتابا كانوا يكرسون أنفسهم تماما للقصة، وبتوفيق كبير، يجاهدون الآن «للعبور» إلى مجال الرواية، وربما عن اعتقاد بأن إمكانات النشر والترجمة أكبر بكثير فيه .

لست أطرح أن نستغني عن الحكم وعن الاسهام الأوروبيين في تقديراتنا . وقد قلت من قبل إننا في أمريكا اللاتينية نعرف أن إقليمنا ليس العالم؛ لهذا يكون من الحمق والانتحار أن ننكر ما تعلمناه. ومازال يمكننا أن نتعلمه من الثقافة الأوروبية. لكن هذا التعلم، مهما بلغت أهميته، لا يجب أن يحل محل قناعاتنا، وسلم قيمنا نحن، واحساسنا بالاتجاه. إننا في الطليعة في مجالات عديدة، لكننا في مجال التقييم ما زلنا تلامذة لما هو أوروبي . من ذا الذي ينكر أهمية ليفي - شتراوس، وميشيل فوكو، ورولان بارث؟ إلّا أنه، بالنسبة لمجال تأملنا، بالنسبة لحافزنا، بالنسبة لبقائنا الثقافي في النهاية، قد يكون بعض أشكال طرح أوكتافيو باث، ودافيد فينياس، وفرناندث ريتامار، ورينيه ديبستر، وآنخل راما، وانطونيو كانديدو، وإيميه سيزير، أكثر أهمية وأكثر حسماً . ولست أؤكد هنا أن مثل اولئك الدراسين أكثر عمقاً أو أشد وضوحاً أو أكثر أهمية من الدارسين الأوروبيين المذكورين آنفاً ، لكن الأمر المؤكد هو أنهم يتحدثون بلغة احتياجاتنا، ويعرفون أوجه فقرنا، ويدركون إمكاناتنا الحقيقية. وهذا ليس صحيحاً فقط بالنسبة للوقت الحاضر. فإنريكث أورينيا ومارتنيث إسترادا قد أخطآ، وأخطآ دون شك في مجالات عديدة، لكنهما بذلك افادانا أكثر من اورتيجا إي جاسيت بتلميحاته الحادة، ومن فاليري بتحليله المنيع. وسواء أكنا نتفق أم لم نتفق مع آراء أوكتافيو باث وغيره من كاتبي المقالات الأمريكيين اللاتين اليوم، فإن وجهات نظرهم تثير فينا أوجه اتفاق أو رفض هي في كل الأحوال مفيدة بشكل واضح لتطورنا الثقافي، وحين أقول مفيدة فإنني أفهم اللفظ وفق مفهومنا نحن، وفق لغتنا نحن، وفق عالمنا نحن، فرغم أن اولئك المؤلفين الأمريكيين اللاتين ينقلون ما هو أوروبي

باستمرار فإنهم يفعلون ذلك من موقف يعرف حدوده ويُقرّ بها .

إن لأوروبا موضاتها الأدبية التي يطلقها عن عمد أحياناً الناشرون ووسطاء الاعلانات الذين يديرون صناعة الكتاب باهتمام تجاري بالضرورة، وهو اهتمام إذا كان يصدمنا أكثر مما لو كان يتعلق بالعطور، أو الأحذية، أو الاقلام فإنه هو الذي يحكم في النهاية أي سوق استهلاكي في كل فرع من فروعـه العديـدة. والكتاب بدوره سلعة، وبهذه الصفة يجري نشره وبيعه. وقـد تحولت المدن الأمـريكية الـلاتينية الضخمـة، خلال السنـوات الأخيرة، إلى أسـواق هامـة للكتاب: بونيوس آيرس قبل كل شيء، لكن كذلك مكسيكو، وسانتياجو، وسان باولو، ومونتفيديو، (وإذا كنت لا أورد هافانا، فلأن إنتاج الكتاب في كوبا لا يخضع لاعتبارات تجارية، وبالتالي لا يتحمل ثقل الدعاية الخانق؛ والنتيجة المدهشة لمواجهة الكتاب بقارئه مباشرة، دون وساطة الدعاية التجارية، هي نفاد الجزء الأكبر من العناوين التي تنشر في كوبا خلال أيام قليلة، رغم أن طبعاتها أكبر بكثير من غيرها من طبعات البلدان الأمريكية اللاتينية الأخرى ذات التعداد الأكبر) . والأسواق الأمريكية اللاتينية هي الأخرى لها موضاتها التي تستمد عادةً من موضات أوروبا. وحين يبدأ نقاد فرنسيون جـادّون في التأكيـد على أهميـة الكلمة، وعلى السيادة شبه الشمولية للسيمانطيقا، فإنهم بالطبع، لا يحاولـون خلق موضة جديدة تستهدف إلى أن تدهش مرة أخرى البرجوازي القابل للدهشة في كل العصور، على العكس فإن ما يطرحونه هو تفسير للظاهرة الأدبية في أعمق علاقاتها الإنسانية، وفي المقام الأول بالطريقة وبالتقاليد العقلية التي تشكل مجراها الطبيعي، وعادة التفكير فيها. لكن حين يقبل بعض المعلقين الأدبيين لأمريكا اللاتينية حرفياً القشرة الخارجية، مجرد سطح تلك الأبحاث (التي يجب أن نعترف بتماسكها على الأقل) ، دون النفاذ على الاطلاق الى الدوافـع العميقة لـذلك الموقف العقلي، فإنهم يتحولون إلى وسطاء طـائشين، غـير أوفياء في أعمـاقهم للإعجاب نفسه الذي يزعمونه . في أوروبا يمكن لكشف أهمية الكلمة بصورة تكاد تستبعد ما عداها أن يعبر عن موقف فكري أساساً، والالتجاء إلى أعمق مدلولاتها يمكن أن يكون نتيجة ملموسة لطوفان النزعة السيمانطيقية . لكن هذه

العملية نفسها، في أمريكا اللاتينية، تكتسب أبعاداً مختلفة. ففي بلد متخلف حيث يعيث الجوع والأوبئة فساداً، وحيث الاضطهاد والفساد، والمضاربةليست عنصراً فولكلورياً بل هي الواقع اليومي الخانق، يكون طرح الالتجاء إلى ملاذ الكلمة، وجعل الكلمة جزيرة يجب على الكاتب أن يتخندق فيها ويتأمل، بمثابة اقتراح اجتماعي. حينئذ يعني التخندق في الكلمة شيئا من قبيل ادارة الظهر للواقع تصبح تقوية المرء لنفسه في الكلمة بمثابة اضعاف لنفسه في الوسط المحيط به.

منذ عشرين او ثلاثين عاماً كان الهروب يتكون من الكتابة عن الأيائل والغزلان، ومن إحياء الموضوعات (التيمات) الاغريقية القديمة؛ واليوم ربما يتكون من طرح الكلمة باعتبارها الدير الجديد، باعتبارها وسط الدير المحيط باعتبارها زنزانة اختيارية. والخطر كبير بالغ الدقة لأن الكاتب الأمريكي اللاتيني، بحكم التقاليد تقريباً، مستمتع بالكلمة. كان دائماً مستمتعاً بالكلمة ويظل كذلك الآن. من رودو إلى استورياس. من داريو إلى كاربنتييه، من نيرودا إلى كاردنيال، ومن فونيتس إلى دل باسو شكلت الكلمة متعة للمؤلفين والقراء، وكذلك إغراء ضخماً لكل من الجانبين. وأفضل الشعراء والقصاصين الأمريكيين اللاتين الحاليين هم رجال يولون الكلمة اهتماماً أساسياً، ويزيونها قبل أن يكتبوها. إلّا أن هذه العقيدة لاتحبس المبدع في الزنزانة اللفظية، إنها، ولنضع الأمر على هذا النحو، عقيدة تمارس في الهواء الطلق. فالكلمة تلقى كل العناية التي تستحقها، لكنها مفتوحة على الواقع، تتأثر بالوسط المحيط بها، وتجعل من نفسها انعكاساً له، رغم أنه في أحيان كثيرة إنعكاس مشوه، يلوي الواقع.

إن المثقف الأمريكي اللاتيني لحسن حظه ولسوئه، وبسبب مزاجه، وبسبب مستواه الثقافي المختلف، وبسبب الحاح الوسط المحيط به، هو أقل من زميله الأوروبي اعتماداً على طريقة عقلية لمواجهة العالم. ولحسن حظه أو لسوئه، أو للأمرين معاً في الوقت نفسه، ثمة حبل سرّي في المثقف الأمريكي اللاتيني يربطه

بشكل لا ينفصم إلى الحدس. وكثير من التخطيطات الأوروبية، التي حين تطبق على مؤلفين من منطقتها، تنتج نتائج ممتازة، أو تثير، على الأقل ملاحظات صائبة جداً، لا تكون لها نتائج مماثلة حين تطبق على مشكلات، أو أعمال، أو مؤلفين أمريكيين لاتين. فهؤلاء الأخيرون أكثر تفاوتاً، بشكل عام، في تكوينهم الثقافي، وأقل قابلية للتنبؤ في تطورهم، وأقل ارتجالاً في موهبتهم إلاّ أن ذلك هو المستوى الذي يجب أن يضعه في حسبانه من سوف يصوغ ذات يوم الرؤية النقدية لهذا التفاوت المدهش، وليس (أو على الأقل، ليس بصورة جامعة مانعة) النموذج الذكي، الممكن إثباته حسابياً، والبالغ الدقة، الذي يطرحه العالم المتقدم. والتقدم ليس في حدا ذاته سمة روحية أو تصنيفه أخلاقية (بل يمكن حتى الاصرار على أن التقدم، في حالات معينة، قد يكون ثمرة سياسية دولية غير أخلاقية)؛ ولهذا السبب لا يجب على العالم المتخلف (الذي هو ضحية العالم المتقدم وربحه في الوقت نفسه أن يخلق أخلاقياته المتمردة ذاتياً لتاريخه وكذلك لنصيبه من الفن، دون أن يعتبر نفسه مجبراً على أن يقبل دوماً التشخيص الذي يصوغه، حول تلك الموضوعات وتلك المشكلات، العالم المتقدم، ولو كان ذلك من خلال أروع اقسام «الانتلجنسيا» فيه. ومن المفهوم لدى أن ذلك يمكن أن يمثل بالنسبة للمثقف الأمريكي اللاتيني سعياً ملتهباً من أجل نزع الاستلاب الذي سيعتبره الكثيرون أكبر من طاقاتهم. إلاّ أنه، إذا ما صاحبه عمل موازٍ في الابتكار والابداعية، لا في مجال الابداع الفني فقط، بل كذلك في مجال الأفكار، فإنني أعتقد أن المحاولة تستحق تماماً عناء القيام بها.



الفصل الثالث
وضع الكاتب

خوسيه جيلهرم ميركيور *
José Guilherme Merquir

(١) ملاحظات تمهيدية :

إن تحليل الوضع الاجتماعي للكاتب هو إحدى استراتيجيات المعالجة الأسلوبية ، حيث إن دراسة الأسلوب ، كلما تعمقت ؛ تأخذ بالضرورة في المراوحة على ذلك الطريق ذي الاتجاهين من النص الى التاريخ الذي لا يتكشف خارجه الثراء السيمانطيقي للأعمال الأدبية أمام التفسير النقدي . لكن سوسيولوجية المؤلف ، مثل سوسيولوجية الذوق الأدبي ، تجد مكانها في مركز البحث الأدبي ذاته حين يتركز هذا البحث انطلاقاً من الزاوية الثقافية ، وهو على وجه الدقة مايجرى في حالتنا .

والتحليل الاجتماعي للكاتب مضطر بالطبع إلى دراسة وضعه الاجتماعي - الاقتصادي ، لكن لا يجب نسيان الطابع النوعي للأدب بوصفه مجالا ثقافياً . فالعلاقات بين الشريحة الاجتماعية - الاقتصادية لمجموعة « الكتاب » الاجتماعية وبين الدلالة الاجتماعية لأعمالها هي علاقات أكثر تعقيداً بكثير ، وأكثر تنوعاً في الزمان والمكان ، مما تظن التخطيطات « المادية » . والنقطة الرئيسة

(*) ناقد برازيلي (ولد في ريو دي جانيرو ١٩٤١) ، أعماله الأساسية : شعر البرازيل (بالاشتراك مع مانويل بانديرا - وريو دي جانيرو ١٩٦٣) ، باعث الشعر ؛ ريو دي جانيرو ١٩٦٥) ، الفن والمجتمع لدى ماركوز أدورنو وبنيامين (ريو دي جانيرو ١٩٦٩) . [المراجع] .

في مساهمة سوسيولوجية المجموعة الأدبية في فهم الأدب ، أو الثقافة تعتمد على قدرتها على أن تربط بطرق جدلية بين التعبيرات المختلفة للوظيفة الثقافية للعمل الأدبي وبين تطور الوضع الاجتماعي للكاتب .

إن سوسيولوجيا الانتاج الأدبي في أمريكا اللاتينية مازالت جنينية ، والمسح الموضوعي للبيانات المتعلقة بالوضع الاجتماعي والاقتصادي للكاتب الأمريكي اللاتيني هو بحث وليد . ويشعر المرء أنه مدعو عمليا للقيام بوصف تفصيلي للمكانة الاجتماعية للدخل أو للأصل الاجتماعي للكتاب ، لكن ليس ثمة إجراء علمي أكثر سذاجة من ذلك . إذ من الضروري ، قبل جمع الحقائق والأرقام ، صياغة التساؤلات الأساسية لسوسيولوجيا المؤلف في أمريكا اللاتينية .

لهذا فإن إقامة نماذج تاريخية ـ مقارنة مستلهمة من سوسيولوجيا المناطق الثقافية ، مثلا ، تساوي في الأهمية قائمة الجوانب الاجتماعية ـ الاقتصادية . ومقارنة الواقع الاجتماعي لأمريكا اللاتينية ، وتطوره ، والدور الذي لعبته فيه « الانتلجنسيا » ، عموما ، والأدباء على وجه الخصوص ، مع نظائره في مناطق ثقافية قريبة الصلة به (أوروبا الغربية ، وأمريكا الأنجلوسكسونية) يمكن أن توجه البحث ، لكن السجل البسيط للمعلومات التفصيلية يمكن أن يترك التساؤلات الحاسمة دون إجابة ، وبذلك يلغى المنظور النقدي ، ويصبح غير مجدٍ من أجل توضيح الإشكالية الحقيقية لثقافة أمريكا اللاتينية .

والملاحظات التالية ليست أكثر من محاولة لعرض سوسيولوجيا الانتاج الأدبي الأمريكي ـ اللاتيني من وجهة نظر تاريخية ـ مقارنة . ووضع الكاتب الذي سيتحدد هنا سواء في حاضره أو في بعده الزمني ليس وصفاً حصرياً بل صياغة أسلوبية للمفاهيم ، أو نمطاً مفاهيميا Idealtypus لا يمكن تجنبه ، علاوة على ذلك ، وبسبب قدرات الكاتب والتوازن الكلي لهذا الكتاب ، وليس بسبب المنهج المختار ، فإن تخطيطنا سيميل الى تفضيل مجال الآداب البرازيلية ـ مما لا يتضمن ، بأي حال ، التقليل من شأن السمات الخاصة للآداب الهسبانو ـ

أمريكية ، سواء في مجموعها (بقدر ما تختلف عن البرازيلية) أو منفصلة (بقدر ما يعكس تعددها تنوع الاقاليم الثقافية لأمريكا الهسبانية) .

٢ ـ الخصائص الاجتماعية لوضع الكاتب

بين الخطوط العامة للتطور الاجتماعي الأمريكي اللاتيني يبرز، من تعارض واضح مع مسار التطور الأوروبي أو الأميركي الشمالي، استمرار التخلف الاقتصادي ونظم الهيمنة الاوليجاركية. وحتى القرن العشرين تطابقت سيادة طبقة النبلاء في كل دول أمريكا اللاتينية مع الاتساع المتواضع للتمايزين الاجتماعي والاقتصادي. وبالكاد يرجع تشكّل الشرائح الوسطى بحجم ملحوظ إلى القرن التاسع عشر؛ وخلال السنوات المائة الأخيرة، فقط، ومع القلق الاجتماعي لسكان المدن التي تتوسع بفعل العمران، بدأ يظهر شرخ في الاحتكار السياسي والثقافي لطبقة النبلاء .

هذه السنوات المائة ذاتها هي التي شهدت انبعاث الخصائص الاجتماعية الأساسية للوضع الراهن للكاتب الأمريكي اللاتيني: بدء احتراف النشاط الأدبي ، وخلق جمهور حقيقي ، وانشاء قنوات توزيع منتظم للنصوص . . الخ . وإلى هذه الأعراض «المحايدة» المتصلة بظهور «طبقة» أدبية تتمتع بالاستقلال المهني ؛ أضيفت، خلال العقود الثلاثة الأخيرة، عدة عوامل للتوتر بين الكاتب والمجتمع . وفي رأينا أن تلك العوامل تشكل الفترة الراهنة للأدب الأمريكي اللاتيني (ونعني بالفترة الراهنة المرحلة التي بدأت قرابة الحرب العالمية الثانية، لكن قسماتها تتحدد، بصورة خاصة، خلال السنوات الخمس عشرة الماضية)* باعتبارها فترة أقصى توتر بين الكاتب والمجتمع .

وتتلخص مهمتنا في توضيح هذا التأكيد تحليلياً . وبالطبع لا يمكن فهم عوامل التوتر تلك بين الكاتب والمجتمع خارج إطار الخصائص السوسيولوجية «المحايدة» المذكورة، أي، خلق الجمهور القارىء واحتراف الكاتب ودرجة

(*) نشر الكتاب حوالي سنة ١٩٧٥ . [المراجع] .

الوعي الذاتي المهني الذي يفترضه الاحتراف. وهذا هو السبب في أننا، قبل أن نحلل بنية التوتر بين الكاتب والمجتمع في جانبها المعاصر، نجد من الضروري استحضار السياق الاجتماعي لعملية تشكل الجمهور ولعملية احتراف المؤلف الأمريكي اللاتيني.

أ) المستعمـرة

خلال العهد الاستعماري كان غياب التفاوت الاجتماعي ـ الاقتصادي بدرجة كافية، واقتصار معرفة القراءة على الطبقات العليا أو على المجموعات الصغيرة من اتباعهم يمنعان أمرين تقريباً: أولهما أن يتجاوز الأصل الاجتماعي للأدباء طبقة النبلاء، وثانيهما أن يصبح النشاط الأدبي احترافياً . كانت مجموعة المؤلفين، من النظام الاستعماري، خليطاً ليس له حدود دقيقة. وكان النشاط المتقطع وغير الاحترافي للكتاب يناسب الطبيعة العَرَضيّة للجمهور. لم يكن تقديم النصوص الأدبية يتميز، في الحقيقة، عن الاحتفال الديني، أو عن التكريم العام أو العائلي الذي يحفزها، وللسبب نفسه كان يجري الخلط بين الكاتب وبين الكاهن، والمحامي، والموظف، وما إلى ذلك .ولا يرتسم التجانس الاجتماعي للـ «إنتلجنسيا» إلاّ في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، بتأثير أفكار التنوير التي ألهمت تباعاً الدوائر المثقفة للادارة المستنيرة البوربونية أو البومبالية، وتمردات السكان الأصليين، والنضال من أجل الاستقلال. ولا يبدأ الانتقال من الكاتب الهاوي العضو في طبقة النبلاء أو المرتبط بهم إلى الأديب المحترف من أصل برجوازي إلاّ مع الرومانتيكية، ولا يكتمل إلاّ إبتداءً من نهايات القرن التاسع عشر. وسار ذلك بصورة موازية لاتساع الجمهور، وتنوعه، وتطور الطباعة والكتاب، وعادة الأجر النوعي للعمل الأدبي .

ب) الرومانتيكية ونقد الثقافة

حسناً ، إذا كان القرن التاسع عشر يمثل ، للوهلة الأولى، فترة إقامة ما سميناه آنفاً بالخصائص الاجتماعية «المحايدة» للوضع الراهن للكاتب الأمريكي اللاتيني

ـ أي الأساس الاجتماعي لاستقلال الأدب ـ فماذا كان، من ناحية أخرى، نوع العلاقة بين الكاتب والمجتمع، وفيما يتعلق بقيمه، ما الذي ساد في الفترة نفسها ؟ الإجابة أبعد ما تكون عن التعسف، لأننا لو كنا أوفياء لمنهجنا المقارن، ورأينا ما جرى حينئذ في أوروبا، وإلى درجة معينة، في الولايات المتحدة الأمريكية، لانتبهنا إلى أنه بدءاً من الرومانتيكية على وجه الدقة يكتسب التوتر بين الكاتب والمجتمع حدّةً باقية وغير مسبوقة، حدّة تكاد تبدو لنا الآن، بقوة تبديها في كل الأدب الحديث (بمعنى الأدب بعد ـ الكلاسيكي)، وكأنها شيء كامن في أصالة العمل الأدبي نفسه .

إضافة إلى ذلك، فإنه مع «تقنين» التناحر بين الكاتب والقيم الجماعية، بين الأدب والمجتمع، ظهرت ظاهرة جديدة. وفي الواقع إذا كان المرء يميز في الأدب بين ثلاث وظائف ثقافية على الأقل ـ هي الانشاء، والترويح، وطرح المشكلات ـ فما من شك، كما يرى و. كايزر W. Kayser، في أن مهمة طرح المشكلات تميل إلى احتكار الأدب الراقي خلال القرنين الماضيين وحتى اليوم. ومنذ الرومانتيكية فإن الهدف الواضح للإنتاج الفني الراقي هو طرح الجوانب الإشكالية للوجود. فالتباعد عن القيم الجماعية يسير جنباً إلى جنب مع التساؤل القيمي [الأكسيولوجي] في محور الموقف الروحي للمؤلف الحديث .

لكن من الواضح أن أياً من تلك الميول لم يُفرض في أمريكا اللاتينية، بالقوة نفسها، كما في أوروبا. بالطبع فإن أدب القرن التاسع عشر في المستعمرات الأيبيرية القديمة لا يقدم تآلفاً كاملاً بين الكاتب والمجتمع، لكن لا توجد مجموعة أعمال تتميز بتعميق الوظيفة الإشكالية. ورغم ذلك فإن مستوى القطيعة مع المجتمع والانفتاح على الرؤية الاشكالية لا يمكن مقارنتها بالطلائع الأوروبية لذلك القرن. كذلك فإن الشخصية النقدية ـ الثقافية للكتاب الأمريكيين العظام، في غالبيتهم، تصطبغ بصبغة أخرى، وهي أن أعمالهم أقل جذرية في نقدها. ففي أوروبا، ثمة معنى للحديث عن «تقاليد للفن الحديث»، تعد وريثة لنقد الثقافة Kulturkritik الرومانتيكي، وتتواصل حتى بودلير، وفلوبير،

لكن المعادل الأمريكي اللاتيني لتلك التقاليد لا نصادفه إلاّ في عصرنا .

من وجهة النظر السوسيولوجية ليس من الصعب توضيح هذا الفرق. فمن الناحية الثقافية، إن الملمحين الجوهريين للمجتمع الأوروبي في القرن التاسع عشر هما تعميم أسلوب الحياة البرجوازي - أي السيادة لا الاقتصادية والسياسية فقط، بل الثقافية كذلك للشرائح الوسطى - وعند منتصف القرن تعميم أنماط السلوك التي استجدت مع ظهور المدينة الكبيرة، أو بالأحرى، الطابع المتزايد في لا شخصيته وتفتيته للعلاقات الإنسانية في التجمعات السكانية الضخمة، كما شرح ج. سيمل G. Simmel في مقالة **المدينة الضخمة والحياة العقلية** . وبالتالي فإن الأدب الأوروبي العظيم لتلك الفترة كان محكوماً بموضوعية: إنكار الروح ethos البرجوازي (موضوع « الحياة الرمادية » ، ونثرية ما هو يومي) وفي جيل بودلير، النقد الجذري تجاه إضفاء الطابع اللا - إنساني في المجال الوجودي للمدينة الضخمة. ويمكن اعتبار مجموع الأساليب الرومانتيكية بمثابة. رد فعل واسع النطاق على «نثر الحياة»، وعلى المذهب العقلي النفعي ، وعلى مذهب بنتام ، وعلى عادات السنوات الأولى للقرن الثامن عشر؛ فالتحويرات المتنوعة للسعي الروماني لاعادة تنشيط التدين بدءاً من التوسيع الكوني للذات لم تكن مجرد تبديات لوباء رجعي بسيط، بل بدايات لاعادة اكتشاف معنى ما هو مقدس ولإمكانية توفيقه مع النزعة الفردية للثقافة الحديثة. ومن ناحية أخرى فإن الدراسة «الثقافولوجية » Culturologico لشعر بودلير، التي قام بها ف. بنيامين، قد كشفت إلى أي مدى يكون الأسلوب شديد الوضوح وبالغ الحساسية «لأبي الشعر الحديث » مدفوعاً بحافز الرغبة في معادلة الصدمات اللا - إنسانية لايقاع حياة المدينة الضخمة وللتدهور الآلي في ظروف حياة الإنسان المديني homo urbanus . كانت الرومانتيكية معركة ضد «نثر الحياة »، حين بدت تلك في عُريها القاسي، بعد انهيار التقديسات التقليدية؛ وقد قدم الفن بعد - الرومانتيكي نفسه، ومازال يفعل اليوم، باعتباره دفاع الروح ضد تآكل التجربة في العالم المعاصر، أي الكون المديني - الصناعي

لنـواصل لبـرهة، قبـل أن نعود إلى أمـريكانـا اللاتينيـة ، فحص الجـذور الاجتماعية للظاهرتين المشار إليهما: أي تعميم الروح البرجوازي وتدعيم المدنية الضخمة. وبالطبع فإن هاتين الظاهرتين ماكانتا لتحدثان لولا الثورة الصناعية، لكن هـذه الأخيرة بـدورها لم تكن لتحـدث بدون المستـوى المرتفـع للتمـايـز الاجتماعي ـ الاقتصادي في المجتمع الأوروبي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. لكن في أمريكا اللاتينية، على النقيض من ذلك، ساد التمايز الفرعي؛ فقد كانت الشرائح الوسطى نادرة، والأسواق المدينية غير ملفتة ، والتصنيع غير موجود. ستتأخر التجمعات المدينية الضخمة كثيراً في الميلاد، بينما وجد «تعميم الروح البرجوازي» نفسه مكبلاً بالاستمرار النشط لعادات النبلاء، أي بسلسلة من السلوكات ذات الطابع التقليدي، بالمعنى المحدد لكونها غريبة عن الدافع العقلي ـ النفعي ـ اللا ـ شخصي للسلوك البرجوازي. ولم تقتصر روح النبالة على الطبقات الأرقى ، بل تخللت بقية الطبقات. أسرت «الفروسية» الطبقات الوسطى هي الأخرى .

في ظروف اجتماعية بهذا التباين، كيف يدهشان أن الأدب الأمريكي اللاتيني لا يقدم التوتر النقدي نفسه تجاه الثقافة، ولا المستوى نفسه من تعميق الرؤية الاشكالية؟ كان الكتّاب المحامون (الكريول) يستخدمون النماذج الأوروبية، والأشكال الفرنسية أو الانجليزية، لكن كانت تنقصهم الحوافز الاجتماعية لكي تمتلىء تلك النماذج بالمحتوى الذي يحدده ذلك العصر الثقافي. إن طابع الضمور ـ النقدي للأدب الأمريكي اللاتيني هو نتيجة للوضع الطَرَفي للقارة بالنسبة لمركز التطور الحضاري الذي تنتمي إليه . لكن غياب «نقد للثقافة» كمحتـوىً عام لرؤية الأدب الأمريكي اللاتيني في القرن الثامن عشر لايعني، بالطبع، أن كتّابه كانوا متكيفين تماماً مع المجتمع. فقد وجهت الرومانتيكية الليبرالية إصلاحيـةً اجتماعية قوية. وفي الأرجنتين ظهرت التعبيرات الكبرى للرومانتيكية الليبرالية قبل ان تظهر في البرازيل، وذلك، دون شك، بفضل الانشـاء المبكر للتعليم الجامعي، وبفضل عنف حكم الزعماء المستبدين. و(المسلخ) وفاكوندو أسبق

بكثير من الشعر التحريري لكاسترو آلفن ، ومن مناهضة العبودية لدى جواكيم نابوكو . ومما له مغزى أن يكون الجدال ضد الكلاسيكية في الأرجنتين وتشيلي من عمل رومانتيكيين ليبراليين (سارمينيتو ضد أندريس بيّو) ، بينما قام به، في البرازيل، نصير الهنود جوسيه دي الينكار (وحتى قبل الرومانسية أظهر الأدب الهسبانو ـ أمريكي نزوعاً أكبر باتجاه موقف ملتزم engagée؛ ولنفكر في قصص (العيارين * عند ليثاردي ، الأكثر إيديولوجية ـ لكن ربما كان أقل واقعية ـ من أدب العادات لكاتب أدب العيارين البرازيلي مانويل أنطونيو دي ألْميدا، المعاصر للروائيين الرومانتيكيين) .

وبالإضافة إلى ذلك لا يجب قصر مضمون النقد الاجتماعي على مظاهره الصريحة، المذهبية، غير «الواعية» : ففي الروايات المدينية لألينكار المحافظ، على سبيل المثال، نجد كما يشير أ. كانديدو أن جوانب إشكالية معينة لطفولة المجتمع البرجوازي في ريو دي جانيرو يجري التركيز عليها بذكاء شاعري جدير ببلزاك أو ديكنز . والأدب الإقليمي ، ثمرة التاريخية الرومانتيكية، هو نفسه أفضل برهان على حدة البصر النقدية ـ الاجتماعية لأدب القرن التاسع عشر.

علاوة على ذلك، فإنه في أمريكا اللاتينية، خلال فترة تشكل الجمهور واحتراف مجموعة المؤلفين (أو بالأحرى، خلال القرن التاسع عشر) ، إذا كانت علاقة الكاتب ـ المجتمع لم تتطور باتجاه القطيعة بين الوظيفة الأدبية وبين القيم السائدة ولا باتجاه تجذير الصورة الاشكالية للحياة، فلم يكن ذلك ببساطة بسبب عمى الكتاب تجاه ما هو اجتماعي، بل لأن اللحن المميز Leitmotiv للثقافة المعاصرة ـ أي الأسلوب الوجودي للمدينة الضخمة ـ كان لايزال ضعيفاً جداً في أمريكا اللاتينية، خافتاً جداً ، رغم أنه كان موجوداً بوصفه أفقاً لقوى تحديث المجتمع في أوروبا، جعل الأدب من نقد الثقافة ربة الشعر الأثيرة لتركيزه على

* نستخدم هنا أدب العيارين كترجمة لكلمة picaro أو Picaresco . وهو نوع من الفن القصصي إسباني الأصل يصف مغامرات وتقلبات أبطال من المتشردين أو المجرمين والمحتالين والأوباش ـ [المترجم] .

الرؤية الإشكالية. وعبّر نقد الثقافة ذلك عن عذاب المجتمع تجاه تأثيرات التحديث الوحشية والمنافية للإنسانية، لكنه لم يلخص نفسه بسبب ذلك في نزعة الماضي، وفي الشوق الحنيني إلى الايقاع الهادي للنظام القديم ancien régime، بل استخدم المجتمع الجدلي للألم الذي تسببه أمراض التحديث المفاجىء للمجتمع مع البنية الجديدة للرغبات، وللأشواق المركبة التي أيقظها التقدم نفسه. وما نسميه «بطابع الضمور النقدي» للأدب الأمريكي اللاتيني في تلك الفترة لا يتجاوز ذلك: وهو حقيقة أن الأدب النقدي في أمريكا اللاتينية، خلال القرن الماضي، ملتزم في المقام الأول بمثال التحديث (أي البرجزة والتصنيع) للمجتمع، بينما كان ملتزماً في أوروبا، أساساً، بنقد عواقب ذلك التحديث.

وقد لاحظ شوكينج L. Schücking تناقض وضع الليبراليين الأوروبيين الذين كانوا، مثل شيللي، ديمقراطيين في المجال السياسي، وفي الوقت ارستقراطيين في المجال الثقافي، وأعداء لتعميم الثقافة. وفي ذلك اتبع الرومانتيكيون الليبراليون الأمريكيون اللاتين هوجو أكثر مما اتبعوا شيللي: فقد مارسوا نقد المجتمع دون أن يفتقدوا إشكالية الثقافة، أو، إذا شئت، دون تركيز رسالتهم الجمالية على نقد القيم السائدة للحضارة الحديثة. والحقيقة أن مدلول الرومانتيكية الأمريكية اللاتينية لم يكن يكمن في تطور نظرة نقدية جذرية، بل في إضفاء المشروعية الفنية ـ الايديولوجية على القوميات الشابة، في إضفاء الطابع الأسطوري على الواقع الأمريكي والذي توضحه تماماً النزعة الهندية. لكن هذه المهمة، الأقرب إلى الفنون الشعرية الانشائية القديمة منها إلى إشكالية المضمون الحديثة، باعدت الأدب الرومانتيكي الايبيري الجديد عن الوظيفة النقدية ـ الاشكالية الذي كرس معاصره الأوروبي نفسه لها، وبذلك ظل غريباً عن استقلال الفكر الذي عرف الأدب الغربي عن طريقه كيف يرفض الاتجاهات الثقافية السائدة منذ ما قبل الرومانسية.

هذه العملية التي وصفناها لتوّنا منعت القطيعة الجذرية بين الوظيفة الأدبية

وإيقاع الثقافة، بين الكاتب والمجتمع. كان الكاتب غير المتوافق مع المجتمع، المتمرد المُعْلَن، يخوض مرات عديدة نضالاً ضد النظام، ضد بنية السلطة، ضد أنماط الهيمنة في حينه، لكنه لم يكن يفتقر إلى تأييد حركات المعارضة والشرائح الاجتماعية التي تدعمها. كان التمرد المنفرد لأبطال الكفاح الثقافي Kulturkampf الأوروبيين للفن الحديث شيئاً بالغ الندرة في العالم الأيبيري الجديد.

حـ) الاحتراف واتساع الزبائن

خلال الفترة الأولى التالية للرومانتيكية، أي، بين عقد الثمانينات من القرن الماضي والعقد الثاني من قرننا، تدعم ما سميناه بالمرتكز الاجتماعي «المحايد» لوضع الكاتب - أي الاحتراف واتساع الزبائن - كان الجمهور الرومانتيكي مازال هشاً جداً، وفي بعض المناطق، مثل البرازيل، كان مازال يتكون في غالبيته من النساء والطلاب، أي من مجموعات عارضة أو سلبية من الطبقات العليا. ومع تسارع التعمير أخذ الجمهور في الاتساع وفي التنوع. وأحدث تزايد التعليم (رغم أنه كان مازال محدوداً جداً) مصدراً جديدا للترقي الاجتماعي: هو رقي المعرفة. أصبح التعقيد الذهني ملمحاً مميزاً للآداب التالية على الرومانتيكية؛ فالمستوى المرتفع لفن مقالات الحقبة الجميلة Belle Epoque، وتنقيحه المفاهيمي والتحليلي، يتعارضان بوضوح مع السذاجة الايديولوجية لاغلبية الكتابات الرومانتيكية؛ وليس مصادفة أن تكون تلك أول فترات الممارسة المنهجية للنقد.

وقد أوضح روجيه باستيد Roger Bastide بطريقة نفاذه الطابع «التصنيفي» اجتماعياً لفنون الشعر الارستقراطية لما بعد الرومانسية. فقد كانت البارناسية والرمزية، إلى درجة معينة، طريقين للوصول إلى المكانة الاجتماعية من جانب عدد كبير من الكتاب البرجوازيين الصغار وقد عمل احترام معايير الفن الصعب - تقشف الجمالية . . . - كأداةٍ للانتقاء الاجتماعي، لكنه انتقاء مفتوح (مثل تلك المسابقات الجماهيرية التي سيعجل نمو الجهاز البيروقراطي

بتعميمها) للطبقات الوسطى التي يجعلها اتساع العالم المديني أكثر وعياً بتطلعاتها الخاصة . من هذا السياق الاجتماعي ينبثق إضفاء الكبرياء على النشاط الأدبي، تلك الكبرياء التي تبتدى في ازدهار الأكاديميات . وعند نهاية القرن يتميز المجتمع الأمريكي اللاتيني بعدم التناسق القريب بين التخلف الاقتصادي وبين الصقل الذهني، أو بالأحرى صقل المثقفين .

لكن الكبرياء الجديدة للكاتب، ومكانته في الصحافة وفي الصالونات ، كانتا في جزء منه تعويضاً عن استمرار الحدود المفروضة على الاحتراف . فقد ظل أغلب أبطال النزعة الجمالية لنهاية القرن fin - de - siécal يُنشرون في أوروبا ـ في تلك الشبه جزيرة ـ حيث سيصبح شعر الحداثة أول مثال تاريخي لتأثير أسلوب كريولي (رغم تشكله كما يجب في باريس، Comne il Faut . على الأدب الأم . وعلاوة على ذلك، كانت مكانة الكتاب بعيدة عن بث الحيوية في استقلال عملهم في مواجهة الثقافة والمجتمع . لم تتجاوز رؤية العالم في تلك النزعات الجمالية، في أحيان كثيرة، المستوى التزويقي للأدب باعتباره «ابتسامة المجتمع»، حسب التعبير الموحي لأحد انصار البارناسية الجديدة البرازيليين . ولا يجب أن ننسى ، في المقام الأول، أن استخدام الفنون الشعرية الارستقراطية كأداة لاكتساب المكانة الاجتماعية كان يتوافق تماماً مع نزعة النبالة القديمة للطبقات الوسطى الأميركية اللاتينية، أي، مع النفسية التقليدية .

أما الكتاب الأمريكيون اللاتين لفترة ١٨٨٠ ـ ١٩٢٤ فكثيراً ما تبنوا موضوعات النزعة التقدمية السابقة . وأعلنت الموجة الوضعية، بوجه خاص، أنها وريثة النزعة العلمية للتنوير، والرفض الليبرالي لنزعة التدين التقليدية في الرومانتيكية المحافظة . لكن الغريب أن « وضعية » أوغوست الونت الميتافيزيقية، في أوروبا، قد انحلت إلى عديد من البحوث العلمية (في استمرار خصب للسعي الرومانتيكي بحثاً عن خصوصيات الحقيقة التاريخية والتطور البيولوجي) في حين أنه في أمريكا اللاتينية، تميزت الروح الوضعية بالتجريد المدرسي لعدد كبير من إنتاجاته . في أمريكا اللاتينية كانت الوضعية والافتقار إلى

الموضوعية رفيقين دائمين. وحتى الرواية الطبيعية، ابنة النزعة العلمية، كانت فريدة في فقرها في مادة الملاحظة الواقعية لما هو إجتماعي .

ابتداءً من بودلير وفاجنر ابتعدت النزعة الجمالية الأصيلة في أوروبا عن الميثولوجيا الإنسانية ـ التقدمية. فمن خلال دورها كجبهة جمالية لنقد الثقافة Kulturkritik تعلمت الطلائع الشعرية أن تضع موضع التساؤل الوعود الساذجة للمدافعات عن العلم، وعن التكنيك، وعن الجماهير. لكن إنسانية داريّو، وإمرسونية(*) رودو، أوليبرالية روي باربوسا، مليئة بمقولات إنسانية ـ تقدمية مؤلهة ـ للبشر؛ ويكشف ذلك عن أن النزعة الجمالية التالية للرومانتيكية قد احتفظت بطابع الضمور النقدي للأدب السابق عليها، وبقصر نظره تجاه «قلق الحضارة» ، في المرحلة نفسها التي كان فيها أساسه الاجتماعي، وخصوصا في المدن الضخمة، يكتسب وجوداً واقعياً جنوبي نهر الريو برافو. أما في الولايات المتحدة، على العكس، من ذلك، فقد جرت القطيعة مع الأوهام التقدمية والمفعمة بالوعود خلال الرومانتيكية. وتعارضت أعمال بو، وهوثورن أوميلفيل مع التفاؤل غير النقدي لمدرسة كونكورد. حقاً ، إن شمال الأطلنطي كان قد عرف منذ وقت طويل ثقافة مدينية ـ صناعية قائمة على أساس الروح البرجوازي، quod erat demonstrandum. . . وهذا ما أردنا إثباته .

إن تصفحنا للماضي القريب للأدب الأمريكي اللاتيني المعاصر، أو بالأحرى لمساره منذ القرن التاسع عشر، يشير إلى أن وضع الكاتب في الفترة ١٩٢٠ - ١٩٣٠ كان يختلف عن مثيله الأوروبي أو الأمريكي الشمالي في نقطتين. فأولاً : كان احتراف الأديب الأمريكي اللاتيني، رغم أنه بدأ منذ زمن طويل، أقل حيوية بكثير مما هو في أوروبا الغربية أو في الولايات المتحدة الأمريكية. والكمية الكبيرة من الكتّاب الموظفين، وندرة دور النشر، وتواضع الطبعات، والحجم الضئيل للجمهور المتعلم، هي عقبات أخرى كثيرة أمام التطور المستقل للنشاط

(*) نسبة الى رالف امرسون الكاتب والشاعر والفيلسوف الأمريكي (١٨٠٣ - ١٨٨٢) [المراجع] .

الأدبي. أما الجهود لاسباغ الكرامة على الآداب، وحس الترقي لدى البارناسيين والأكاديميات، فإنها في حد ذاتها مؤشرات على أن الاحتراف نسبي وغير راسخ.

وثانيا، فإن نوع العلاقة بين الكاتب وبين المجتمع يمثل كذلك اختلافات. فعلى وجه العموم لا يتباعد الكتاب العظام عن القيم الثقافية السارية، وليس عملهم مكرساً للوظيفة الاشكالية، بل إنه كثيراً ما يكون دفاعياً أو عابثاً Lúdico، لكن في تآلف مع منظومة قيم الحضارة المدينية ـ الصناعية. وبالطبع فإن «مادية» هذه الحضارة تُدان أحياناً، فحركة الحداثة الهسبانو ـ أمريكية ذات جانب تقليدي واضح، ومناهض «لليانكي» ثقافيا؛ لكن هذه المعارضة الثقافية تقليدية أكثر مما هي نقدية حقاً، وفي النهاية، فإنها محدودة جداً وغير منهجية، كرؤية اجتماعية، مثلها مثل الفوضوية ـ الفردية النخبوية لعدد من المحدثين. لا يكرس الأدب نفسه لنقد الثقافة إلاّ بدرجة قليلة جدا، ولا يتشعب الفن ـ الرفيع جدلياً ـ إلى طرح إشكالية الواقع. لهذا فليس ثمة توتر كبير بعد بين الكاتب والمجتمع من زاوية عامة. وإذا كانت أطروحتنا صحيحة فسبب ذلك جزئيا هو حقيقة أن حالة البنية الاجتماعية ـ الثقافية وإيقاع تحديث المجتمع لم يطرحا بعد على المستوى المنظور الموضوعات النوعية للأدب الحديث بمعنى الفن اللفظي المشبع ذاتياً بالتجسيد الرمزي لمشكلات الإنسان المعاصر.

٣ ـ نصف القرن الأخير

أ) انطواء الأدب

من المعروف أن وضع الكاتب الحديث في مواجهة الثقافة المدينية ـ الصناعية، قد أدّى إلى انطواء الأدب. وقد أوضح ف. بنيامين العلاقة العميقة بين شعر بودلير، أو رواية بروست أوكافكا، على سبيل المثال، وبين الوعي بفقدان أصالة التجربة في المجال الوجودي للمدنية الضخمة، ذلك المجال الذي تحول فيما بعد إلى مسرح لمجتمع الجماهير: فبودلير، أو بروست، او كافكا قد طوّر، كلٌ على طريقته، استراتيجيات « فعل رمزي» (كينيث بيرك) لمقاومة ذلك التهديد المنافي

للإنسانية. وإحدى السمات النمطية للبنية الوجودية الحديثة، المتسمة بفقدان أصالة الحياة، هي انهيار قدرتها على توصيل تجربتها الخاصة، هي تدمير الأساس الوجودي للقصص. وهذا يحدث لأن المذاق الأخلاقي، ولأن القيمة النموذجية للتجربة الفردية تصبح في خطر بصورة متزايدة. في مجتمع الجماهير نجد أن قيمة الآن وهنا hic et nunc ، قيمة التفرد الذي لا يقبل استبدال التجربة الشخصية، تميل إلى الاختفاء، والواقع أنها معدومة عملياً في اللاوعي الجماعي. بالإضافة إلى ذلك، تندر أيضاً الجوانب غير المسبوقة حقاً للتجربة، في الوجود الفائق التنظيم للإنسان الحديث لايكاد الحدث يمثل أي جِدَّة. لكن القصص، بمعناه التقليدي، يكمن على وجه الدقة في نقل تجربة معاشة مليئة بالخبرة والنموذجية؛ القصص الحقيقي هو توصيل ما هو عجيب وقادر على أن يجد صدى - بسبب مغزاه الأخلاقي - في حياة سامعيه. وفي هذا يفكر بنيامين حين يعرف الأقوال المأثورة على أنها أطلال حكايات قديمة.

حسناً، إن البديل الأدبي للقصص التقليدي هو الملحمة «البدائية»، فماذا سيكون البديل لاستحالة التواصل الوجودي الحديثة؟ إنها الرواية، النوع الأدبي الحديث بلا منازع. الرواية هي المشهد للفرد المنعزل؛ وقد عرّفها لوكاتش الشاب بأنها وقائع البطل غير ذي الحكمة sagesse، الذي لا يصحبه المجتمع في بحثه عن قيم أصيلة. وبوصفها تاريخاً للعزلة تتوجه الرواية دائماً الى القارىء المنعزل. وفي هذا تشبه الصحيفة. وليس من قبيل الصدفة أن يتطابق انتصار الرواية مع ظهور الصحافة الحديثة. لكن الصحيفة تمثل القبول الكامل لمبدأ تحلل القصص - ففي صفحاتها، تتكون «الموضوعية» من تجهيل شخصية القاص، ومن تركيز القصص فيما هو «ممتدح» دون تأثير وجودي - في حين أن الرواية - على الأقل في التقليد العظيم للرواية الأشكالية - تحلم باعادة «شبيه القاص»، أي، باستعادة المغزى الأخلاقي للوجود عن طريق «المعاناة agon» التراجيدية للبطل المنعزل.

وبالتالي فإن الرواية، بمضمونها وكذلك بطريقة الاستخدام التي تتطلبها،

توجه الأدب صوب الانطواء. ومثل الشعر الحديث، أو شعر النشاز (كما يسميه هـ. فريدريش)، فإن الرواية تعرّى الطبيعة الاشكالية للأدب الحديث من حيث كونه درامية نقدية لعزلة الإنسان في عصر الجماهير. من هنا يكون الأدب منطوياً بوصفه نقداً للثقافة Kulturkritik ويميل إلى اضفاء التميز على التجربة الحميمة للكتاب ضد المثال القديم للنقل الشفهي.

ب) «الشفوية» الأمريكية اللاتينية

لكن هنا أيضا انفصل تطور الأدب الأمريكي اللاتيني عن الخط الغربي. فمنذ الرومانتيكية وحتى الأمس، ظل الأدب الأمريكي اللاتيني مملكة للشفوية. وقد أكد أنطونيو كانديدو بحدة طبيعته الخطابية، البليغة، الإلقائية. وفي تاريخه الأول، أو بالأحرى، فترته الاستعمارية، كان أدبنا، كما تبين، وثيق الصلة - (ويكاد يكون خاضعاً) - بوظائف اجتماعية (دينية أو دنيوية) يسود فيها استخدام الكلمة على المميزات النوعية للنص ويسود قانون الارتجال اللفظي على الانضباط الأرقى والأشد حزماً للكتابة. والأثر النفسي لهذه العبودية رفيق قديم للكاتب الأمريكي اللاتيني.

وقد أسهم ثقل الأمية في المجتمع الأمريكي اللاتيني بدرجة كبيرة في ذلك التركيز للموهبة الأدبية، في الشفوية، ومن المناسب، أن نذكر بأن أمية الجماهير كانت تناظرها دائماً سطحية ثقافة الكتّاب. فمنذ بارنويبو حتى القراء الساخرين مثل ماتشادو دي أسيس أو خ. ل. بورخس، ظل التبحر شيئاً استثنائياً جداً بين مؤلفينا. والخطابة التالية على الرومانتيكية، رغم أنها كانت أوفر علماً من الخطابة الرومانتيكية، تنم عن ثقافة ظاهرية أكثر منها حقيقية، وقد كانت على كل حال مثل سابقتها في انبساطيتها*، وبهرجتها، كان الفقر الثقافي للجمهور وللكاتب أحد عوامل التباعد بين الأدب وبين الموقفين الانطوائي والاشكالي اللذين اتخذتهما الاساليب النقدية العظيمة للحداثة.

* انبساطية بمعنى عكس الانطوائية - [المترجم].

وربما يشعر المرء بالاغراء في أن يبرز أن هذه الشفوية، وهي نقيضة الانطواء الأوروبي، ليست سيئة؛ وربما أمكن إثبات أنها استطاعت أن تمثل انفتاحاً إيجابياً على ما هو شعبي، لكن الحقيقة أن الميل نحو الانبساطية من جانب الآداب الأمريكية اللاتينية لم يكن له، في ذاته، علاقة بالأصالة الفولكلورية. ويقارن ب. لوجاثيريف ور. جاكوبسون قطع الأدب الفولكلوري بحقائق اللغة، بينما تندرج الأعمال المثقفة في سجل الكلام. لقد تم تجاوز الفكرة الرومانتيكية للإبداع «البدائي»، والمستقل عضوياً، وللفن الشعبي، لكن الحدس الذي كان لدى الرومانتيكية عن المكانة الخاصة للفولكلور يظل صالحاً. فنوع تشييء العمل objectivacion يختلف في الفولكلور عنه في الأدب. في الأول، لا يكون التشييء مستقلاً عن المستقبل، بل إن العمل يقدم نفسه على أنه إمكانية من المعايير والتقاليد التي يجب أن يستحدثها المفسر بالطريقة نفسها التي ينشط بها المتكلمون تحديدات اللغة لمساهمة كلامهم كأفراد. وفي الأدب لا يقدم العمل نفسه على أنه «مثيل» اللغة، وليس هو أيضاً معلومة سابقة على الإبداع؛ فالمعلومة بالنسبة للكاتب ليست هي العمل، بل الجسم الأدبي الذي يحاول غرس العمل فيه.

حسناً، ان «الشفهية» التي تحدد اتجاه الآداب الأمريكية اللاتينية، وهي المؤشر الأسلوبي على الوضع الاجتماعي للكاتب، لا تعمل في سجل التشييء المسمى «مجاز اللغة»، بل في سجل «مجاز الكلام»، وعلاوة على ذلك، وسواء كانت إنبساطية أم لا، فإن الأدب لا يستخدم القواعد المتجانسة والجامدة التي تميز الفولكلور؛ فتركيبه أكثر حرية بكثير. وبالتالي فإن شفهية الآداب الكريولية لم تأت من تحول مفترض نحو الفن الشعبي. وهذا هو السبب في أنها، في ذاتها، لم تكن تمثل أي ضمانة لتجنيس، أو لأمركة النماذج الفنية، فالانبساطية لم تعق إطلاقاً المحاكاة الآلية والمستمرة للقوالب العابرة للأطلنطي. من كل الزوايا تقريباً كانت «الشفهية سلبية».

جـ) تدعيم واستقلال الحقل الثقافي

كل هذه الملامح التي عدّدناها، ولو بصورة غير منهجية، تمثل ميراثاً كئيباً للطبقة الأدبية في القرن التاسع عشر. وفي أيامنا مازال احتراف الكاتب أمراً مفرط التقلقل. والأدباء ينالون أجراً مهنياً » منذ زمن طويل، لكن قلة قليلة منهم تعيش من الأدب . وقد زادت الطبقات، لكنها مازالت طبعات صغيرة حتى في أكثر البلدان ازدحاماً بالسكان: فخمسة آلاف نسخة هي المتوسط السخي في المكسيك والبرازيل. وخروج الكتاب الذين يهاجرون إلى نشاطات أخرى عند نضجهم البيولوجي مازال كثير الحدوث، والنتيجة أن الأدب الأمريكي اللاتيني مازال فردوس حماسات الشباب الخاطئة ، والارتجال وعدن التمعن. والطبيعة النفسية للكاتب الأمريكي اللاتيني النموذجي تتمتع بالكثير من سمات طفولية Puer oetemus يونج*، فالكاتب هو دون جوان الآداب، هو فنان التقلب. ومن هنا الانقطاع الشديد للأجيال. وفي الذهن «الكوبي» أكثر منه تاريخي « للإنتلجنسيا» الكريولية، يُقدم الجديد على أنه خلق من العدم ex nihilo ، وليس كنتاج جدلي للتقاليد .

وبرغم ذلك ، شهدت السنوات الاربعون الماضية تعديلات محسوسة وايجابية . وتراجع الابداع الأدبي الذي يمثل مهنة قصيرة الأمد هو أحد خصائص هذه العقود ، وترافق مع ذلك الوعي التكنيكي الجديد لدى الكاتب ، واهتمامه المتزايد بأدبية ما يبدعه . ويمكن القول إن نصف القرن هذا قد كان ، بالنسبة « للانتلجنسيا » الأمريكية اللاتينية عموما ، وللطبقة الأدبية على وجه الخصوص ، « حقبة تدعيم واستقلال الحقل الثقافي (بورديو) Bourdieu ، أي ، تقوية مطالبه الخاصة في الاختيار والتكريس . واضفاء الصبغة الشرعية على الأدب كف عن الانطلاق بصورة غالبة من مراكز الهيمنة الاجتماعية أو من استراتيجيات الحصول على المكانة ليعتمد أكثر فأكثر على معايير جمالية وثقافية داخلية .

(*) يونغ عالم من علماء التربية وعلم النفس ـ [المراجع] .

ومن الواضح أن هذا الاستقلال لـ « الحقل الثقافي قد تغذّى على أسس « خارجية » . فقد ترافقت فترة تدعيم المطالب الداخلية للاختيار والاجازة بشكل طبيعي مع توسع قنوات التوصيل ، ابتداء من انتشار المجلات الثقافية وحتى الرواج الحالي للنشر في الارجنتين ، والبرازيل وفنزويلا . وتعرف سوسيولوجية الفن الحديثة أن العلاقة بين المبدع وعمله ، رغم أنها تتم في ظل استقلال « الحقل الثقافي » ، تتوسطها بالضرورة العلاقة بين المبدع نفسه وبين الدلالة العامة لعمله . فنشر الأعمال (وجودها أمام بصر جمهور ما) ، بقدر ما هو تشييء للملكة المبدعة ، يتحقق من خلال شبكة من العلاقات الاجتماعية (بين المؤلف والناشر ،وبين الاثنين والنقد ، وبين المؤلفين ، إلى آخره) . تتخللها دوافع المجتمع ككل ، ومن ثم ، فإن الحقل الثقافي ، (ودون استبعاد استقلاله المتحقق) ، مرتبط فسيولوجيا بالخلفية الاجتماعية للانتاج الأدبي .

إذاكان استقلال الحقل الثقافي ـ الذي يمكن تسميته « النضج الاجتماعي » للانتاج الأدبي ـ لا يستبعد ، بل يفترض نسقاً معقدا من الأدوار والعلاقات الاجتماعية ، فإن نمو التمايز الاجتماي ـ الثقافي أمر مواتٍ له . ومنذ الثلاثينات كان تسارع التغيرات الاجتماعية في أمريكا اللاتينية ، وتزايد الضغوط من أجل التغيير من ثوابت العملية التاريخية . ونتيجة لذلك ارتفع التمايز الاجتماعي إلى مستوى غير معروف في الماضي . وتطور المجموعات الاجتماعية الجديدة ، والوضع الجديد للمجموعات التقليدية ، والعلاقات المتغيرة بين مختلف الشرائح الاجتماعية ، كل هذا يلتقي ليمنح النسيج الاجتماعي ـ الثقافي الأمريكي اللاتيني تعددا لونيا غير مسبوق . والواقع ان كثافة التمايز الاجتماعي هي رفيقة تاريخية لتراكم حوافز الابداع الفني . ولنفكر فيما كانت تمثله ، بالنسبة لحيوية مسرح شيكسبير ، أو (بعد اجراء كل التغييرات الضرورية motatis) mutandis ، لمسرح راسين ، الطبيعة متعددة الألوان لقاعدتها الاجتماعية ـ الثقافية التي هي نقطة التقاطع الحقيقية لمختلف الشرائح الاجتماعية ، ولالتقاءاتها وتعارضاتها . وربما كان أحد الملامح الحديثة بصورة نموذجية ، أو

بالأحرى الأخيرة ، للثقافة الجمالية الأمريكية اللاتينية (وأقصد الحيوية الجديدة للإبداع المسرحي) واحداً من أفضل الدلائل على الخصوبة الراهنة . فإن إحدى علامات فقر الدم الانيميا الثقافية لأدب أمريكا اللاتينية هي (أو كانت) شرط كونه أدباً بلا فن درامي بصورة عملية ليس فقط بلا مسرح شعبي ، بل بلا مسرح حي ببساطة .

إن تدعيم الحقل الثقافي وتراكم حوافز الإبداع الأدبي ابتداء من العقد الثالث من القرن الحالي قد حبذّا تحول الأدب الى المنظور النقدي ـ الاشكالي . ومن وجهة النظر المقارنة فإن السمة الأساسية للآداب الأمريكية اللاتينية المعاصرة هي الانكماش السريع للمسافة بين الدافع الذهني الأساسي للأدب الحديث (التحالف بين سيادة المضمون الاشكالي وبين نقد الثقافة) ، وبين الحركة الحميمة للأدب الأمريكي اللاتيني . وقد رأينا أنه خلال هذه العملية تميل العلاقة بين الكاتب والمجتمع إلى بلوغ أقصى مستويات التوتر .

بشكل عام دفع تدعيم الميل النقدي للأدب الأمريكي اللاتيني إلى القطيعة مع النزعة الجمالية التالية للرومانتيكية . في حين لم تُضح الروايات الاقليمية بالعنصر الغريب ، فإن تلك الروايات التي ازدهرت في الحقبة الجميلة Belle Epoque كانت خطوة أولى في هذا الاتجاه الذي تفكك بالشكل ، لكن بعضا من أكثر السابقين للأدب النقدي تماسكا ، مثل ماتشادو دي أسيس ، قد صنعوا أعمالا ذات تركيب شكلي كبير . فالكراهية المستترة التي يخّرب بها ماتشادو القوالب الروائية للقرن التاسع عشر تتضامن مع الحدة المكشوفة التي تنفذ بها نظرته الاجتماعية حلال أقنعة البرازيل الفيكتورية . لقد اختارت الطليعة البرازيلية (التي لا يجب أن توحى تسميتها الشائعة « الحداثة » بأي شبه بينها وبين الحداثة الهسبانو ـ أمريكية) ، في مرحلتها المبكرة ، نوعا من « النقد الاثنولوجي » للمجتمع . في البرازيل استخدم الدرس الثوري لفن شعر الطليعة (المسقبلية ، والسوريالية) برغبة في التعرف القومي على الذات ، لكن النفور من الاضفاء الرومانتيكي للطابع المثالي جعل النزعة البدائية لأعوام العشرينات والثلاثينات

(الهندية ـ الجديدة ظـاهريـا) مفتوحـة لاستيعاب مـوضوعـات نقد المجتمـع المـديني . وينتمي قـطاع أكبـر كثـافـة من شعـر الحـداثـة (شعـر كـارلـوس درومومونـد دي أندرادي ، أو موريلو ميندس) على وجه الدقة الى حلقة الشعر الاشكالي التاريخي ـ النقدي ، بمعنى التقليد « البودليري » ، والشكل نفسه من محسـوسية الـرؤية Coneretizacion الـرؤية الاشكـالية يحفـز الفن الـروائي للمرحلة ، سواء في الحميمية الفكهة عند سيرو دوس أنجوس ، أو في السلسلة الروائية المتنوعة لجراسيليانو راموس ، الذي لم يتردد في مزج احتجاج اجتماعي دون تنازلات بتكنيك دستويفسكي لتمثيل « أغوار الروح » .

(٤) الوضع الاجتماعي للكاتب الراهن

أ) عدم التوافق مع القيم السائدة

حتى الاربعينات ، كان ادخال المضمون الاشكالي واقامة علاقة عضوية بين التجديدات الشكلية والمناخ الجديد للأدب الراقي يشكلان التحول الحاسم في الـوضع الثقـافي للانتـاج الأدبي . وقد أثـر هذا التغـير بالتـأكيد عـلى الوضـع الاجتمـاعي لـلأدب . وأضـاف تعميم أدب نقـدي ـ اشكـالي الى التقلقـل الموضوعي لوضع الكاتب ، وإلى هشاشـة مكانتـه المهنية ، العـواقب النفسية لممارسة فن أكثر مسؤولية ، وأكثر وعيا ، وأكثر تدقيقا ، ورغم ذلك ، فإن التوتر بين الكاتب والمجتمع ، رغم كونه أشد خطورة مما كان بدرجة لا تقارن ، قد ظل في حدود نسبية بسبب عوامل أخرى . فقد ظـل منظورالاصـلاحات البنيـوية للمجتمع ، وخصوصا على مستوى الحملات الليبرالية و« التقـدمية» ، يخـدم باعتباره جوا عاما للكاتب وللجمهور . والنجاح الجماهيري للروايـة الملتزمـة engagée هو مظاهرها الواضحة . لم يكن عصر « الانطواء » عصـر الصدع décalage المحتوم بين الرؤية الأدبية والاتجاه الأدبي السائد ، قد بدأ بعد .

إن أفق عدم التوافق العميق بين الكاتب والأمر الواقع الثقافي هو طابع المرحلة الراهنة . في هذا النصف الثاني من القـرن شديـد التلمذة أحيـانا ، بـالنسبة

للصخب الإبداعي في الأمس ، يبدى الأدب الأمريكي اللاتيني حساسية متزايدة تجاه ضغط المفترق التاريخي . وفي الواقع فإن أمريكا اللاتينية تجد نفسها بصورة درامية أمام الطرق الثلاثة للعبور من المستوى المزدوج. مجتمع تقليدي ـ تخلف اقتصادي إلى مستوى مجتمع حديث ـ تقدم اقتصادي ، وهذه الطرق هي : الطريق الليبرالي ـ الديمقراطي ، وطريق الثورة من أعلى (المشابهة تاريخيا لألمانيا بسمارك أو يابان ميجي) ، وطريق الثورة الفلاحية .

والآن حسناً : إن التقلبات الدائمة للطريق الأول « للعبور » ، والشك في عدم صلاحيته ، تضع الأديب الأمريكي اللاتيني ـ هذا الابن الروحي لليبرالية ـ في وضع نفسي مكهرب، ومؤذ، ومؤلم بوجه خاص. وتراكب أزمة الثقافة المعاصرة ، أي الأزمة الداخلية للحضارة الغربية بعد أن بلغت حقبة انتشارها عالمياً ، مع أزمة البنية النوعية للمجتمعات الأمريكية اللاتينية بوصفها أنظمة تقليدية وذات اقتصاد متطور بدرجة غير كافية ، يفاقم بصورة ملحوظة إشكالية وضع « الانتلجنسيا » . مازال التحليل الاجتماعي لهذا التراكب في انتظار من يجريه ، لكن شيئا واحدا قد أصبح مؤكدا ، هو أنه في أمريكا اللاتينية ، وهي الاقليم الغربي من العالم الثالث ، تظهر بصورة غير مسبوقة التأثيرات الاجتماعية ـ النفسية لالتقاء التقاطعات ـ أي محصلة وضع ما قبل الثورة الصناعية والتململ الثقافي .

وفي مجال تتابع الأساليب الأدبية سببت نهاية المنظور المتفائل ـ التقدمي وانبعاث الارتباك الراهن أفول الرواية الملتزمة engagée ذات التكنيك الطبيعي ، تلك التي يسميها فرناندو أليجريا رواية « الصورة الشخصية » ، مقابل « الصورة الذاتية » الغامضة والإشكالية للفن القصصي لكورتاثار أو لجارثيا ماركث . وهذا التغير بالغ الدلالة اجتماعيا ، إذ يبين غروب الأجيال الأخيرة من مثقفي « التنوير » بالمعنى التقليدي ، أو بالأحرى ، آخر الكتاب الواثقين من أنفسهم ومن المستقبل ، حملة القيم المستقرة ، رغم أنها غير متحققة في جزء كبير منها . إن احتضار الرواية الطبيعية يعكس تحول أمريكا اللاتينية إلى

ثقافة إحساس بالـذنب guilt cultare ـ بالتعبـير الشهير لـر. بنيديكت : يبـين الانسـان الأمريكي الـلاتيني الجديـد ، والمثقف بالأخص ، في صـراعـه مـع العذابات المميزة لأخلاقية استبطان ، أخلاقية تحليل للذات مليئة بالدلالة الإثنية والإنسانية .

ب) التركيز على ما هو خيالي

من المعروف جيداً أن كل حكاية هي حكاية تخيلية ، بقدر ما تكون أدبية :

ويدءاً من سمات سياق لفظي عضوي فقط متعدد الدلالات polisémico (كما يقـول ديللا فـولب) Dellae Volpe يمكن الإشـارة إلى « العـالم » أو إلى « الواقع » . بهذا المعنى ، لا تقل الرواية الطبيعية تخيلية عن أقاصيص هوفمان Hoffman أو التحول Metamorphosis لكن الفن القصصي الأدبي يمكن أن يتباعد عن قوالب المصداقيـة عن عمد . وفي هـذه الحالـة يكون ، كـما يريـد ن. فراي ، N.Frye ليس تخيليا فقط بل خياليا أيضا . وفي الأدب الأمـريكي اللاتيني الحديث سببت أزمة الرواية الكلاسيكية أولويـة ما هـو خيالي في لغـة القصص . وفن القصص الاستبصاري ، بتداعياته « الحرة » ولغته التي لا تقل حرية ، يقرب القصة من السيادة الشعرية ومن نزعة اللعب لدى طلائع السنوات الأولى لهذا القرن .

لكن العنصر العتيق ـ الميثولوجي الذي استخـدمه ر. أ. أستـورياس ، أو أ. كاربنتييه ، أو جيمارايش روزا يقترن بالتقاط ما هو اجتماعي متجسد ، وقد أثبت الفن الروائي الجديد ـ في الرواية الأرجنتينية لكورتاثار ، حيث ربما تجد أثر آرلت بقوة أثر بورخش نفسها . إن التركيز على ما هو خيالي هو استراتيجية واقعية أكثر بكثير من مجرد عودة فات أوانها إلى النزعة التجريدية أو إلى النزعة التزويقية الجماليتين . ويقر النقاد الشبان ، مثل الباراجواي روبـين باريـرو ساجـير أو البرازيلي روبرتو شوارتز ، بحدة النظرة الاجتمـاعية للروايـة الطليعيـة ، بعد

الجويسية * ، ويطبقون عليها بنجاح فكرة بنيامين وأدورنو (الغربية تماماً عن لوكاتش في مرحلته الماركسية) وعن رواية « الصورة السالبة » ، أي ، الرواية باعتبارها عكساً نقدياً « للضمير المستريح » للمجتمع . إن جاذبية الفن القصصي ars narrandi الجديد ، الفانتازي (التخيلي) ، والعاشق لثروات اللغة الخفية ، قد أغرت بعض أنصار الرواية التقليدية ، ولنرجع إلى الكتب الممتعة الأخيرة لجورج أمادو .

إلا أن التجريبية ترتكب هي الأخرى خطاياها فإن جزءا من شعر الطليعة ، المتلمذة طوعاً أو كرهاً nolens volens على بحوث وقطيعة أوائل القرن ، يفضل أحيانا محاولة محاكاة وسائل الاعلام والتكنيكات الحديثة للاتصال من أجل تعميق نقد الثقافة . إن الشكلية (في النوايا ، بل في النتيجة الفنية) هي أحد أقطاب تدهور قوة الدفع النقدي ـ الاشكالية . والقطب الآخر هو الانتحار المحتمل ـ وليس المحتوم ـ للتحول الجمالي ، في شعر « الواقعية الفورية » .
وتحلل المضمون التأويلي للفن ـ أو بالأحرى إلغاء قدرته على أن يحقق ، من خلال تكنيكات ذات تعقيد بالغ ، محاكاة « الحلم الشامل للانسان » (كلمة ن. فراي) ـ هو خطر كامن في ذلك الشعر . ورغم ذلك ، لا يخطىء آنخل راما حين يضم هذا الشعر الى الثوابت الاسلوبية للانتاج الأدبي في فترات التغيير الاجتماعي المتسارع . والواقعية الفورية لا تفعل ، بصورة مثالية ، سوى التجريب لمواصفات فنية جديدة أمام استنفاد المواضعات السارية . وأحد ملامح الفترة الراهنة هو تجاور التنقيح الانشائي ، أو التأكيد على السيطرة الحرفية ، مع انبعاث الأدب المضاد ، ووجوده في أمريكا اللاتينية هو أحد خصائص الفترة الراهنة ـ ولنفكر في معاصرة الشعر شديد التعقيد للبرازيلي جوان كابرال دي ميلو بنيتو مع القصائد ـ المقالات للأرجنتيني سيزار فرناندث مورينو .

---

* تعني التي جاءت بعد جيمس جويس الكاتب الروائي الايرلندي (١٨٨٢ ـ ١٩٤١). (المراجع) .

جـ) المنفى

ومن الأمور راهنة التكثيف غير المسبوق للاتصالات بين مختلف الآداب القومية للقارة . وفي هذه الثقافة الأمريكية اللاتينية التي تبدأ في أن تصبح واضحة في مواجهة الوضع المشترك لأقاليمها الفرعية دون أن تنسى بسبب ذلك صياغة اختلافاتها النوعية ، لم يعد الكاتب في أيامنا يحيا قوميته باعتبارها شيئا مفترضا ، باعتبارها رغبة مؤلمة ، كذلك لم يعد يشعر بالضرورة القديمة لأن يتشكل في أوروبا وهو كان في أحيان كثيرة يجعل من أفضل آداب أمريكا اللاتينية نتاجا للمنافي الاختيارية « الطبيعية » ثقافياً . لقد كانت إقامة جونسالفين دياس ، أو أندريس بيّو ، أو داريّو في أوروبا شيئا داخل نطاق « طبيعة الأشياء » بمعنى معين . واليوم لم يعد الأمر كذلك ، فنفى « الأنتلجنسيا » الأمريكية اللاتينية ، خارج نطاق استنزاف العقول brains drain الذي نعانى منه أكثر من غيرنا ، هو شرط للمعاناة الشخصية بقدر ما هو دراما جماعية . لقد أصبح المنفى أمرا دراميا . وتزايده يوضح ، مثل الرقابة ، خطورة الضغط الذي يواجهه الوعي النقدي في نفق الحاضر ويقدم واحدا من أفضل مقاييس مصير الاتجاه نحو زيادة التوتر بين الكاتب والمجتمع .

د) الاخلاص للأدب

يقال عن حق إن اللحظات العظيمة للنظرية السياسية تتطابق مع فترات الأزمة . ويبدو أن القرن العشرين ، مثله كمثل القرن السادس عشر ، يوضح أن حّمى التاريخ ليست أقل مواتاة لذلك الشكل الخاص للوظيفة الميثو ـ شعرية التي نسميها بالأدب المتبحر والذي يكاد يختلط بمفهوم الفن ذاته في قارتنا الفقيرة جدا في الفنون الأخرى . إن التوترات التي يمكن توقعها بين الطبقة الأدبية والمجتمع يمكنها أن تلهم أكثر من أن تعوق التوسع النشط للآداب الأمريكية اللاتينية ، المرتبطة بحرية بالدافع الأساسي للأدب الغربي الحديث في اتجاهه النقدي ـ الإشكالي . ومهما يكن الأمر ، فإن كرامة المشروع الأدبي في أمريكا

اللاتينية تكمن اليوم في هذا الاتجاه . ورغم أن أحداً لا يستطيع التنبؤ بمساره المحسوس ، فقد أصبحت هناك حقيقة مؤكدة : هي أن الوضع الراهن للكاتب الأمريكي اللاتيني ، ومكانته التي لا تنفصل عن التطور الذي اتخذته النخبة من الجسم (المجموع) corpus الأدبي بوصفه نسقاً للقيم ، يجعلنا نستنتج أخلاقية محددة هي التي تجبر الكاتب على البحث عن الأصالة النقدية لرؤيته في الإخلاص للأدب ذاته . فلن تبلغ الالتزامات الايديولوجية للكاتب فاعليتها الثقافية الحقيقية إلا إذا تآلفت مع التطور المستقل للحقل الثقافي في بعده الأدبي الصرف . ولا يتعلق الأمر بعزل الأدب ، بل بتحقيق التقشف الذي يتطلبه من أجل التحدث دون خطابة زائفة باسم صحة الثقافة . ويجب على الأدب أن يظل نقديا حتى يتحول النقد الاجتماعي إلى نشيد للأمل . وربما سهّل ذلك حقيقة أن الأدب في أمريكا اللاتينية كان باستمرار أداة مستقلة للمعرفة الاجتماعية ، وكان الأداة الوحيدة في أحيان عديدة . والخطر يكمن في تقليد البلاط ـ الأيبيري ! ـ في آدابنا ، في وجوده القوي وغير الواعي ، لا ليؤثر سلبيا فقط في الموقف الشخصي للمؤلفين ، بل ليؤثر في قدرتهم على تحوير نصوصهم من أشكال استعباد الوسط الاجتماعي .





الباب السادس:
الوظيفة الاجتماعية للأدب



الفصل الأول

الأدب والمجتمع

خوسيه أنطونيو بورتووندو*
José Antonio Portuondo

أحد ثوابت العملية الثقافية الأمريكية اللاتينية هو ذلك الذي يتحدد بالطابع الأداتي المسيطر ـ والطابع الخدمي ancilar حسب تعبير ألفونسو رييس ـ الذي يتخذه الأدب الموضوع ، في أغلب الأحيان ، في خدمة المجتمع . ومن المناسب أن نؤكد أن الأمر لايتعلق بالعلاقة الجدلية الحتمية بين القاعدة الاقتصادية وبين مختلف مجالات البنية الفوقية ـ التي تضم الأدب بصورة بارزة ـ ، ولا بالطابع الانعكاسي للظواهر الفنية ، كما يؤكد علم الجمال الماركسي . وإذا كنا نرفض المفهوم الساذج للانعكاس باعتباره نسخة تأملية للواقع ـ وهو المفهوم الذي طرحه ستاندال كصيغة للواقعية النقدية ـ ، فإننا نقبل تماماً صياغته اللينينية المشروعة ـ التي عمقها ووسعها علم السلوك البافلوفي(**) ـ باعتباره استجابة مشروطة لـ إشارة ، مقومة للواقع ، تثير وتحدد ، لا نسخة أمينة للواقع ، بل واقعاً جديداً يكشف فيه الواقع المشار إليه ويوسع حدوده ليقربنا أكثر فأكثر من الإيقاع الجوهري للكون . وتتميز العلاقات بين الواقع الأمريكي اللاتيني والأدب ، لأن

(*) ناقد كوبي (ولد في سانتياغو ١٩١١) من أعماله الأساسية : قضية الثقافة الكوبية (هافانا ١٩٣٩)، المحتوى الاجتماعي للأدب الكوبي (مكسيكو ١٩٤٤) ، البطولة الفكرية (مكسيكو ١٩٥٥)، تنقيب تاريخي حول الآداب الكوبية (هافانا ١٩٦٠)، الاستاطيقا (الحس الجمالي) والثورة (هافانا ١٩٦٣)، نقد العصر ومقالات أخرى (هافانا ١٩٦٥) ، الفكر الحي لدى ماسيو (هافانا ١٩٧١). يعمل استاذاً في جامعة هافانا ومديراً لمعهد الأدب واللغات . [المراجع] .

(**) ايفان بافلوف فيزيولوجي روسي (١٨٤٩ ـ ١٩٣٦) نال جائزة نوبل سنة ١٩٠٤ لاكتشافاته في مجال الغدد الصماء والأفعال المنعكسة . [المراجع] .

الحياة والأدب في أمريكانا يخدمان بعضهما بعضاً بصورة متبادلة وذلك بدرجة كبيرة ، أو على الأقل ، بشكل أكثر تواتراً واستمراراً ، ويتضافران ويمتزجان باستمرار في وحدة لاتنفصم . ومنذ بدايتها ظل الشعر والنثر النابعان من الأراضي الإسبانية للعالم الجديد يكشفان عن موقف تجاه الظروف المحيطة ويجهدان في التأثير فيها . وما من كاتب أو عمل هام لايدور حول الواقع الاجتماعي الأمريكي ، وحتى لدى أشدهم هروباً. ثمة لحظة اعتذار أو نقدتجاه الأشياء والناس . وبالتوازي مع التعبير الراقي يأتي التعبير الشعبي ليلفت انتباهنا ، بحدة ونفاذ متزايدين ، إلى الوجود اليومي لمختلف المجموعات البشرية التي تجهد لتبلغ مرتبة الأمة ، ضد كل ضروب الاستعمار ـ القديمة و « الجديدة » ـ وفي مواجهة كل ضروب الامبريالية . هكذا فإن الآداب الهسبانية للقارة الجديدة تمضي ، منذ بداياتها ، في مسارات ، ملتقية باستمرار ، لما هو راق وما هو شعبي ، بينما تعكس وتحفز الحياة الأمريكية اللاتينية المعذبة ، مع انعطافات عارضة متكلفة يبدو فيها الحرف وكأنه قد نسي الحياة المحيطة به وأخذ يسهل دروب الهروب . لكن حتى في هذه الحالات ، ينم الهروب عن تنافر بين الكاتب ووسطه الاجتماعي ، يتضح ، أحياناً ، في بيت شعر ، أوفي فقرة أو في أي مظهر آخر على هامش النشاط الابداعي الخالص . على أي حال ، فإن الأدب يتأثر بالوجود الاجتماعي ويؤثر فيه ، بدوره ، في تفاعل جدلي لاينتهي من الأفعال المتبادلة ، ومن القوى المتعارضة .

١ ـ الأدب والثورة

أشار خوسيه كارلوس مارياتيجي (١٨٩٥ ـ ١٩٣٠) في (**سبعة مقالات في تفسير واقع البيرو**) (١٩٢٨)، وهو أحد الكتب الأساسية للفكر الأمريكي اللاتيني ، إلى أنه « في البيرو الحالي تتعايش عناصر من ثلاثة أنماط اقتصادية مختلفة . ففي ظل نظام الاقتصاد الاقطاعي الناشىء عن الغزو تبقى في الجبال رواسب مازالت حية للاقتصاد المشاعي الهندي . وعلى الساحل ، فوق أرضية اقطاعية ، ينمو اقتصاد برجوازي يعطي الانطباع ، على الأقل في تطوره

الذهني ، بأنه اقتصاد متأخر »[1] . كان هذا الوضع ، مع تعديلات طفيفة ، يسم كل أمم أمريكا اللاتينية ، التي ترك فيها غزو رأس المال الامبريالي نظام الأرض الاقطاعي سليماً تقريباً ، بل ودعمه في بعض الأحيان ، ترك بل ودعم في بعض الأحيان وجود اقطاعيات ضخمة ظل فيها الفلاح ـ الأبيض ، والهندي ، والأسود ، أو الخلاسي ـ قناً من أقنان الأرض حقاً . وبصورة موازية لشعر الحداثة المتكلف ، الهروبي ، ذي النزعة الأرستقراطية ، أخذت الكتابات القصصية الطبيعية في شجب ذلك الواقع . فقد ظهرت رواية طيور بلا عش (١٨٨٩) ، للكاتبة البيروانية كلورنيدا ماتو دي تورنر Matto De Turner (١٨٥٤ ـ ١٩٠٩) ، بعد عام بالكاد من ظهور رواية (أزرق) ، بادئة سلسلة طويلة من الروايات عن السكان الأصليين يشجب فيها مؤلفون من كل أنحاء القارة ، بتعاطف أو بحنق ، استغلال الهندي .

وتحكي حكايات أخرى عن عذاب ، وأحياناً عن تمرد ، العامل المديني وعن معانات البرجوازية الصغيرة . إذ تقدم الطبيعية على طريقة زولا ومشتقاتها صنيعاً لشجب كل الزوائد والتشوهات الاجتماعية . أما الامبريالية فتجد مستقرها في تخلف شعوبنا ، فتحافظ عليه وتعمقه بتواطؤ حكام دكتاتوريين من السلالة الجديدة للملوك البرجوازيين التي شجبها داريو . ولنراجع لينين : « إن الإمبريالية هي حقبة رأس المال المالي والاحتكارات التي تجلب معها في كل مكان الميل إلى السيطرة وليس إلى الحرية . ونتيجة ذلك الميل هي الرجعية على طول الخط ، مهما كان النظام السياسي ، والتفاقم البالغ للتناقضات في هذا المجال أيضاً . هكذا يتكثف بوجه خاص الاضطهاد القومي والميل إلى الإلحاقات ، أي إلى انتهاك الاستقلال القومي (فالإلحاق ليس سوى انتهاك حق الأمم في تقرير مصيرها) . ويلفت هيلفردينج النظر عن حق إلى العلاقة بين الامبريالية وتكثيف الاضطهاد القومي حين يقول : « بالنسبة للبلدان المكتشفة حديثاً يكثف رأس

---

(١) José Carlos Mariátegui, **Siete ensayos de Intepretación de la realidad peruana,** La Habana, Casa de las Américas, 1963, pp. 15 - 16.

المال الوافد التناقضات ، ويثير ضد المتدخلين مقاومة متنامية من جانب الشعوب التي يستيقظ وعيها القومي ، ويمكن بسهولة لهذه المقاومة أن تنتج عنها إجراءات خطيرة ضد رأس المال المالي . إذ يتم تثوير العلاقات الاجتماعية القديمة بصورة جذرية ، وتتهاوى العزلة الزراعية العتيقة « الأمم على هامش التاريخ » التي تجد نفسها في قبضة الدوامة الرأسمالية . إن الرأسمالية ذاتها تزود الخاضعين رويداً رويداً بالوسائل والطرق المناسبة للانعتاق . وتصوغ تلك البلدان الهدف الذي كان في زمن آخر أسمى الأهداف بين الأمم الأوروبية : وهو خلق دولة قومية واحدة كأداة للحرية الاقتصادية والثقافية . هذه الحركة الموالية للاستقلال تهدد رأس المال الأوروبي (ونضيف نحن أو الأمريكي الشمالي) في أثمن مناطق استغلاله التي تبشر بألمع الآفاق . ولا يستطيع رأس المال الأوروبي (أو الأمريكي الشمالي) الحفاظ على السيطرة إلا بزيادة قواته العسكرية باستمرار »(٢)

هذا المقتطف المسهب من لينين ، والذي يستند على هيلفردينج ، يوفر علينا الوصف التفصيلي للواقع الأمريكي اللاتيني الذي يوضحه الانتاج الأدبي الذي تلا تجربة الأجيال العظيمة التي مثلتها الثورة الفلاحية المكسيكية عام ١٩١٠ . لقد انتشر صدى صيحة إميليانو ثاباتا (زاباتا) ، « الأرض والحرية » في كل أرجاء القارة وولد تعبيراً أدبياً غنياً ذا طابع تحرري ومناهض للإمبريالية . وليس ضرورياً أن نعدد أسماءً أو مقتطفات لنبرر هذه التأكيدات . فنحن نتحدث عن التاريخ المعاصر ، ذلك الذي بدأ في التشكل مع أولى التمردات ضد الامبريالية ودفاعاً عن حق الأمم في تقرير مصيرها بحرية ، وعن حقها في الحرية والثقافة ، وعن ذلك التاريخ الذي نصنعه الآن على الإيقاع المحموم الذي يحدده الحدث التاريخي الرئيس لعصرنا : ألا وهو الثورة الاشتراكية الكوبية . ففي مواجهتها ، أحس كتاب العالم أجمع بأنهم مدعوون إلى اكتساب عاجل للوعي يصبح معذباً في كتاب قارتنا ذاتها . هذا الاكتساب للوعي يتعلق بالدرجة نفسها بمن يشجبون

---

(٢) V. I. Lenin. **El imperialismo, fase superior del capitalismo,** Moscú, Ediciones en Lenguas Extranjeras. s. f., pp. 136 - 137.

الجور بحرارة والذين انتهجوا خط ب . لاس كاساس ، وكذلك بمن يغالون في تمجيد ماهو باروكي وما لاشكل له ، ماهو سحري أو ماهو عبثي مما اعتدنا أن يكون بين ظهرانينا تعبيراً يومياً عن رؤية عنيدة . متخلفة للواقع ، كلما كانت أبعد راقت أكثر للحلوق الأوروبية الفاسدة ، لكنها تملك قيمة جمالية مطلقة ومناسبة . وقد أشار ناقد اسباني نفاذ ، هو خوسيه ماريا كاستيت Castellet ، مؤخراً إلى تسام ما يسميه « خط السمت الكوبي »، وحين يرسم قسمات الأدب الهسبانو ـ أمريكي الراهن ، منظوراً إليه من أوروبا، يبرز أربعة جوانب موحية ، ومخصبة تشكل ، وفق رأيه ، الدرس الكبير للأدب الأمريكي اللاتيني في الوقت الحاضر . هذه الجوانب هي ، في المقام الأول ، « التفكير ، التأمل ، محاولة الاستغراق في كل واقع قومي » . ويؤكد كاستيت أنه يرى ذلك في روائيين مثل خوليو كورتاثار مثلما يراه في ماريو فارجاس يوسا ، في خوان كارلوس أونيتي وفي جابرييل جارثيا ماركث « والسمة الأخرى التي أثرت كثيرا ، بصورة أعتقد أنها خصبة في الكتاب الاسبان ـ يضيف كاستيت ـ ، هي الحرية الشكلية الضخمة لهؤلاء الروائيين ، بمعنى أن كل كاتب يحاول البحث على وجه الدقة من خلال هذا التأمل حول كل واقع قومي ، بحثاً عن كيان ، يحاول أن يجد الوسائل المناسبة للتعبير ، ومثلما يتعلق الأمر في الواقع بمجتمعات متميزة ، فإنني اعتقد أن من الطبيعي تماماً أن تخرج من أولئك الكتاب نماذج شكلية ـ ولنضع الأمر على هذا النحو ـ متميزة جداً ومختلفة جداً فيما بينها . . . . والنقطة الثالثة التي أشير إليها هي ما أسميه التخيل (الفانتازيا) كمجملة للواقع . . . ومن ناحية أخرى أعتقد أنه تجب الإشارة إلى حقيقة أخرى بالغة الأهمية بالنسبة للكتاب الاسبان ، ألا وهي الحرية اللغوية الضخمة ، الحرية الضخمة في الابداع ، في إعادة خلق اللغة »[٣]

---

(٣) José Maria Castellet, La actual literatura lafiuoamericaua vista des de Espana, en Panorama de la achual literatura latiuoamericaua.

وهي حلقة نظمها مركز الأبحاث الأدبية في دار الأمريكيين، هافانا،

Casa, 1969, pp. 35 - 38.

إن كاستيت يحدد بـدقة الخصـائص السائـدة في الأدب الأمريكي الـلاتيني الراهن ، ورغم أنه يرتكز على النثر القصصي فـإن تأكيـداته صـالحة بـالنسبة للأعمال الشعرية ، كما يستنتج من محاضرات أخرى لمؤلفين مختلفين خلال الحلقة التي ينتمي إليها حديث الناقد الإسباني . إذ يتفق نقاد بالغو الاختلاف في موقعهم الجغرافي وفي منظورهم الجمالي مثل الأرجنتيني خـوان كارلـوس بورتـانتيرو(٤) والكوبي خوسيه خان أروم(٥) مع كاستيت في اعتبار الشعورين القومي والأرضي للأدب الأمريكي اللاتيني المعاصر سمة مميزة . هذا الدأب من أجل النفاذ إلى جوهر مايخصنا ، جوهر ماهو قومي ، وبالتالي جوهر ماهو أمريكي ، موجود حتى في الأعمال التي يسهم فيها السحر ، أو ماهو عجيب لإضاءة جوانب لم تندثر بعد من الوعي الجماعي . فالواقعية السحرية لرواية (مملكة هذا العالم) ، لأليخو

---

(٤) « إذا كان من الممكن على نحو من الانحاء أن نستخلص تخطيطياً السمة المميـزة للمعنى الـراهن لأدبنا، فـإن القصد المتقـد لذلـك هو احتضـان الواقـع الذي يحـوطنا، عـاريا وجوهريا » .

Juan Carlos Portantiero, Realismo y realidad eu la narrativa argeutina, Bueues Aires, Procyon,1961.

(٥) يشخص أرّوم Azzom «جيل عام ١٠٥٤» الساري، وفقاً لحسابه الزمني حتى عام ١٩٨٤، بهذه الكلمات: «بوجود هذا الجيل في عالم اختصرت فيه المسافات، فإنه في مجموعه عالمي جداً في الرؤية وفي الوقت نفسه جداً في جذوره. وإذ يتهدده خطر اندلاع نووي فإنه يميل إلى استبدال العذاب الميتافيزيقي بالموقف الخانق. وبتضامنه مع مصير الإنسان المعاصر، فإنه يود أن تكون أعماله شهادة عن زمنه ولزمنه. وباقتناعه بأن ماضياً مفلساً لايفيد في حل مشكلات الحاضر، فإنه لا يقبل العيش بقيم موروثة ولا يود أن يكتب ملتصقاً بجماليات تسبب الشلل. إنه يحتقر بالتالي أدب التكلف والبهجة، ويبحث عن الكلمة الجوهرية، عن اللغة المباشرة، والالتصاق بالأشياء المباشرة: الخبز يعود خبزاً والخمر خمراً، لكنها خمر من الحنق يسود في كل مكان ـ في الروح وفي الكلمة ـ تسود عموماً الجملة اليابسة، والشعر المر ، والقصة والرواية الواقعيتين في الواقعية الجديدة، وبالمقال المتهم والقاسي، ويظهر على المشهد مسرح العبث» . José Juan Arrom, Esquewa generacional de las letras hispanoaweriicanas. Ensaye de un método, Bogotá, Instituto Caro y Cuervo, 1963.

كاربنتييه ، على سبيل المثال ، تشكل الرؤية العادية لشعوب مازالت تفسر ظواهر العالم المحيط بها من خلال ميثولوجيا سابقة على التفسير العلمي للواقع هي بالنسبة لها مشروعة وصالحة بقدر ما يكون التفسير العلمي بالنسبة لنا . وحين يمحو جابرييل جارثيا ماركث في مائة عام من العزلة الحدود بين الواقعي التخيلي والفانتازي فإنه لايفعل سوى مواصلة التقاليد الدينية الطبيعية ، المعادية للميتافيزيقا ، التي يوضحها بشكل جميل في أرضه الكولومبية ذاتها ، مواطن أنتيوكيا* توماس كاراسكيا Carrasquilla (١٨٥٨ ـ ١٩٤٠) . وذهول كولومبس تجاه الباروكية الطبيعية لأشجارنا الاستوائية الضخمة المحملة والمقنعة بالنباتات المتسلقة ، ألا يبشر بالدهشة التي يستمدها القارىء الأوروبي أو المتأورب من أعمال مثل (الفردوس) ، للكوبي خوسيه ليثاما ليما ؟

لكن الساعة ليست مجرد ساع ذهول ، أو دهشة أوسحر ، بل كذلك ساعة فعل . فرغم أن زمن اكتشاف كولومبس لم ينقض فقد أصبحنا فعلاً من اللحظة الوجدانية والخانقة لـ ب . لاس كاساس Las Casas . وفي عام ١٩٢٨ ، عند الاحتفال بالعيد الثاني لظهور مجلة أماوتا Amauta ، كتب صاحبها مارياتيجي هذه الكلمات التي مازالت عصرية بشكل مدهش : « الجيل الجديد ، الروح الجديدة ، الحساسية الجديدة ، كل هذه المصطلحات قد شاخت . والشيء نفسه يصدق على هذه الشعارات الأخرى : الطليعة ، واليسار ، والتجديد ، التي كانت جيدة وجديدة في حينها . وقد أفدنا منها لنرسم تخوماً مؤقتة ، لأسباب تتعلق بمساحة الأرض وبالاتجاه . والآن أصبحت مفرطة العمومية والالتباس . فتحت هذه الشعارات بدأت تمر مهربات فظة . إن الجيل الجديد لن يكون جديداً فعلاً إلا بقدر ما يعرف كيف يكون ، في النهاية ، بالغاً ومبدعاً .

إن كلمة ثورة نفسها في أمريكا، ذات الثورات الصغيرة هذه ، تؤدي إلى الخلط بدرجة كبيرة . وعلينا أن نستعيدها بحماس وتشدد . علينا أن نعيد إليها معناها

(*) إحدى مدن كولومبيا وعلى اسمها تسمى إحدى مقاطعاتها . [المترجم] .

الدقيق والواضح . إن الثورة الأمريكية اللاتينية لن تكون أكثر أو أقل من مرحلة ، من طور من أطوار الثورة العالمية . ستكون ببساطة ووضوح ، الثورة الاشتراكية . وإلى هذه الكلمة ، اضيفوا ، حسب الأحوال ، كل ما تشاؤون من الصفات : المناهضة للإمبريالية ، الفلاحية ، القومية ـ الثورية . فالاشتراكية تفترض ، وتبشر وتضم جميع هذه الصفات .

« إن أمريكا الشمالية ، البلوتوقراطية ، الامبريالية ، لايمكن معارضتها بصورة فعالة إلا بأمريكا لاتينية ، أو أيبيرية اشتراكية . فقد انتهت حقبة المنافسة الحرة في الاقتصاد الرأسمالي ، انتهت في كل الميادين وفي كل المجالات . ونحن في حقبة الاحتكارات ، ويمكن القول ، في حقب الامبراطوريات . وقد وصلت بلدان أمريكا اللاتينية متأخرة الى المنافسة الرأسمالية . المواقع الأولى قد وزعت بشكل نهائي . ومصير هذه البلدان ، في إطار النظام الرأسمالي ، هو مصير مستعمرات بسيطة . وتعارض اللغات ، والأجناس ، والأمزجة ، ليس له أي معنى حاسم . ومن السخرية أن نظل نتحدث عن التعارض بين أمريكا سكسونية مادية وأمريكا لاتينية مثالية ، بين روما شقراء ويونان شاحبة . كل هذه موضوعات فقدت حيثيتها بصورة نهائية . لم تعد أسطورة رودو تؤثر ـ ولم تؤثر مطلقاً ـ بصورة مفيدة وخصبة على الأرواح . فلنطرح عنا ، بحزم ، كل هذ الهزليات والإدعاءات الإيديولوجية ولنسو حساباتنا ، بجد وصراحة ، مع الواقع » .(٦)

هذه الحسابات مع الواقع بدأت تسويتها ، في أمريكانا ، الثورة الاشتراكية الكوبية ، وبتأثيرها ، بدأت الحياة والآداب ، في القارة وخارجها ، في اتخاذ اتجاهات جديدة . وعلى ضوئها يبدو بديهياً الآن أنه لن تكون ثمة جدة ملحوظة في الأدب ، إذا لم تكن قد طرأت قبلها ، أساساً ، في الحياة ، إنه ليس ثمة تجديد شكلي صالح ، مالم يرتكز على مضمون جديد ، إنه لن تستمر أي ثورة في القول

(٦) José Carlos Mariategui, **Aniversario y balance,** en **Amauta,** año III, núm. 17. Lima, septiembre de 1928.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مالم يتم قبلها تثوير الفعل . وثمة شيء آخر يبرز من هذه التجربة الكوبية : إن الأمر ، في الأدب أو في الفن ، لم يعد أمر اتخاذ أوضاع متمردين أو قناصة ـ وهو شكل آخر للتسلية البوهيمية أو الترفع الثقافي ـ بل أمر المسيرة الموحدة ، المنضبطة ، المكافحة للمبدعين الذين يعرفون أنهم جزء من جيش في طريقه إلى المعركة الفاصلة من أجل التحرير النهائي لأمريكا ، والذين أدركوا أن الثورة ليست تدريباً خطابياًبل نزالاً حقيقياً ضد الامبريالية ، ليس رجال الأدب هم من يحددون مداه . لكن الأمر ليس هو أن يبلغ هدير الأسلحة حد إخماد الصوت النقي لأرهف آلة موسيقية ، أو أن يفرض الانضباط الثوري موضوعات أو أساليب نوعية ، محطماً بذل حرية التعبير . فقد أكد فيدل كاسترو ، في كلمات إلى المثقفين :

« يجب على الثورة أن تحاول كسب غالبية الشعب إلى جانب أفكارها ، لايجب على الثرة أبداً أن تكف عن الاعتماد على أغلبية الشعب ، الاعتماد ، ليس فقط على الثوريين ، بل على كل المواطنين الشرفاء الذين رغم عدم كونهم ثوريين ، أي ، ليس لديهم موقف ثوري تجاه الحياة ، فإنهم مع الثورة . يجب على الثورة أن تشجب فقط أولئك الذين يكونون رجعيين بشكل لايمكن إصلاحه ، مضادين للثورة بشكل لايمكن إصلاحه . ويجب على الثورة أن تكون لديها سياسة لهذا الجزء من الشعب ، على الثورة أن يكون لديها موقف لهذا الجزء من المثقفين ومن الكتاب . يجب على الثورة أن تفهم هذا الواقع ، وبالتالي ، عليها أن تتصرف بحيث يجد كل هذا القطاع من الفنانين والمثقفين الذين لايكونون ثوريين أصلاء داخل الثورة مجالاً للعمل والابداع ، وبحيث تتاح لروحهم الابداعية ، حتى حين لايكونون كتاباً أو فنانين ثوريين ، الفرصة والحرية للتعبير عن أنفسهم داخل الثورة . وهذا يعني أن كل شيء داخل الثورة ، ولاشيء ضد الثورة »[٧]

لكن التفاعل بين الآداب والحياة ، بين الأدب الأمريكي اللاتيني و الوسط

---

(٧) Fidel Castro, Palabras a los intelectuales, La Habana, Consejo Nacional de Cultura., 1961.

الذي ينبعث فيه ، لايتضح فقط في قرننا . ونظرة سريعة لماضينا الأمريكي تسمح لنا بتقييم بعض اللحظات البارزة لهذه العملية الجدلية المتصلة .

٢ ـ الماضي الاستعماري .

حين لم تكن أمريكا التي عثر عليها حديثاً تملك بعد صوتها الخاص ـ نظراً لعدم فهم الثقافات العظيمة السابقة على كولولمبس ولإخراسها بوحشية ـ وحين كانت مجرد موضوع للفضول الأوروبي ، أخذت تفرض سمات جديدة على حكايات الـرحالـة والمؤرخين وتستهـل نغمات ستـظل باقيـة في الآداب المستقبلة للعالم الجديد . فكريستوفر كولومبس ، الذي يكتشفها ويصفها لأول مرة ، هو الذي يبدأ الأشكال الحديثة للدعاية التجارية حين يبالغ في امتداح البضاعة التي يحاول فرضها . فكولومبس ، الرحالة العظيم الذي كان باعترافه يعرف كل شواطي المحيط الأطلسي من إنجلترا حتى غينيا[٨] ، كما كان معتاداً على المناظر الجميلة في البحر الأبيض المتوسط ، يعلن أنـه في ذهول متصـل تجاه الصخـور ، والجزر الصغيرة ، والكبيرة التي تصادف مرور سفنه الشراعية السريعة ، وتجاه الأراواكو العراة السذج ، بينما يبحث بحمية عن أراضي الشرق الرائعة التي وصفها ماركو بولو . فلابد من جعل ما اكتشف في هذه الرحلة الأولى إلى المجهول ، على فقره وضآلته ، مقبـولاً للملكين الكـاثوليكيـين ، لهذا لايتخـذ حتى احتياط تنـويع وتدريج الصفات . فأصغر جزر سان سلفادور (جواناهـانى) ، وهي أول ما تتعثر فيه زوارقه المتعبة ، « كلها خضراء ، مما يبهج النظر » . وفرناندينا (إناجوا الصغرى) « جزيرة بالغة الخضرة ومنبسطة وخصبة جداً » ، والنباتات المتسلقة التي تكسو بطرق عديدة ومتباينة الأشجار الاستوائية الضخمة تبدو له « أنها أكبر

---

(٨) « لقد جبت البحر ثلاثة وعشرين عاماً ، دون أن أغادره وقتاً يذكر ، ورأيت كل المشـرق والمغرب ، الذي قطعته لأبلغ طريق الشمال ، الذي هو إنجلترا ، وجبت غينيا . . » ، كريستوفر كولومبس ، يوميات الإبحار . من هذا العمل أخذنا كل مقتطفات كولومبس .
Cristóbal Colón, Diario de navegación, La Habana, Comisión Nacional Cubana de la Unesco, 1961, p. 143.

معجزات العالم » ، ويضيف : « في هذا الوقت طفت بهذه الأشجار التي هي أكثر ما رأيت في حياتي إثارة للدهشة » أما إيسابيلا (إناجوا الكبرى) فهي « أبدع الجزر التي رأيتها ، وإذا كانت الأخريات بديعات جداً ، فهذه أبدع » . ثم يردف : « وحين وصلت إلى هذا الرأس هبت الرائحة الزكية والناعمة لأزهار أو أشجار الأرض التي هي أعذب شيء في العالم ». ومن المعروف أنه قال عن كوبا :

« إن هذه الجزيرة هي أبدع ما رأته العين » ، ويسجل ب . لاس كاساس في تحقيقه ليوميات كولومبس ، أنه عند الإشارة إلى الميناء الذي يسمى الآن نويبيتاس : « يقول أكثر من ذلك : إن بويرتو دي مارس ذاك من أفضل موانىء العالم » وأثناء تجواله في أراضي مايس الكوبية ، في الطرف الشرقي للجزيرة ، يؤكد تأكيداً قاطعاً : « وأشهد لسموكا أنني أعتقد أنه لايمكن وجود أفضل منها تحت الشمس في الخصوبة ، واعتدال البرد والحر ، ووفرة المياه العذبة السلسبيل » . لكنه سيقول على الفور عن لاإسبانيولا (هايتي وسانتو دوونيجو الآن) « إنها أبدع شيء في العالم » ، مدعماً تأكيده على النحو التالي : « في كل قشتالة ليس من أرض يمكن أن تقارن بها في جمالها وسخائها » ، ويؤكد ، في موضع لاحق : « إعلما سموكما أن هذه الأراضي جيدة وخصبة بدرجة هائلة وخصوصاً أراضي إيسلا إسبانيولا هذه بحيث إنه ما من شخص يدري كيف يصفها ، وما من أحد يمكن أن يصدقها مالم يرها » .

إن كولومبس حين يخاطب شركاء مشروعه الرأسماليين ، الذين لايستطيع أن يقدم لهم الذهب ولا الأحجار الكريمة ولا التوابل ، يلجأ ، بحس حصيف إلى الدعاية التجارية الرأسمالية ، يلجأ إلى وصف مثير ، رغم أنه لايتغير لأراض خصبة يمكن فيها تفريغ الفائض البشري للفتح ، مع أيد عاملة من العبيد جاهزة لفلاحة تلك الأراضي .

مع كولومبس بدأت المبالغة . ومع الراهب (فراي) بارتولومي دي لاس كاساس (١٤٧٤ - ١٥٦٦) سيبدأ الجدال ، والنضال الملتهب من أجل

العدالة . واليوم مازال المجتزئون وحفارو القبور يتناقشون بحماسة حول جرائم « الأسطورة السوداء » بالنسبة للغزو ، لكن كل الحماسة اللوذعية التي تجري بها محاولة إثبات جنون العظمة عند هذا الراهب عاجزة ، رغم ذلك ، عن إخراس العدالة المتأججة والإنسانية السخية المناضلة لدى لاس كاساس في مواجهة مذبحة الأمس ومذبحة اليوم : « البشرية واحدة - يكتب هذا - وكل البشر متساوون فيما يخص خلقهم وكل الأشياء الطبيعية . وما من أحد يولد عبقرياً . ويترتب على ذلك أن علينا أن نسترشد ونستعين في البداية بأولئك الذين ولدوا قبلنا . وأناس هذه الأرض الهمج يمكن مقارنتهم بالأرض البكر التي تنبت فيها الأعشاب السيئة والأشواك غير المجدية ، لكن فيها فضيلة طبيعية يمكن بالعمل والتهذيب جعلها تنتج ثماراً طيبة ومفيدة .

إن المبالغة والشجب الحار يكمنان في جذور آدابنا . والمذاق الحسي لما هو ظاهر ، وذلك الابتهاج الباروكي بالزهور والثمار الوافرة ، مع النباتات المتسلقة والأمساخ ، الذي أجج صدر كولومبس ، مازال يحيا ، يتعارض ويتلاقى ، أحياناً ، مع الكلمة القاطعة مع الترافع الحكيم أو العاطفة المشاكسة ، على طول العملية الأدبية الأمريكية اللاتينية وكلاهما يسهم في إنارة وحفز حياة شعوبنا .

حين يبدأ الغزاة في الاستقرار في الأراضي الجديدة يظهر النثر والشعر الراقيان لوصف ما صادفوه وقص ما عاشوه ، ويجانبهما يعلو كذلك صوت الشعب ليقدم فهمه للأحداث ، وليطالب بنصيبه من الغنيمة . وهاهو ذا حوار الجدران المكسيكي ، في النصف الأول من القرن السادس عشر ، في « الأشعار مجهولة المؤلف التي كان يكتبها الجنود الساخطون على جدران كويواكان البيضاء مطالبين الغازي بنصيبهم من الذهب الذي يخفيه حسبما يفترضون . وأول شاعرمعروف هو هرنان كورتيس نفسه الذي كان يرد على الخبثاء شعراً ، كل يوم ، بعبقرية ومرح ، حتى سئم كل تلك الوقاحة ، فوضع حداً للشعر المنصف بمقطع يكاد يكون لاتينياً في إيجازه : « الجدار الأبيض ، ورق الحمقى » . لكن المتجاسرين لم يصمتوا ، وأجابوا في اليوم التالي بنثر واضح : « والعقلاء كذلك ، وستعرف

جلالتك ذلك قريباً »[٩] وكانت تصل إلىٰ جلالته تذكارات وقصائد مثل تلك التي نظمها المكسيكي فرنثيسكو دي تراثاس (١٥٢٥ ؟ - ١٦٠٠؟)،العالم الجديد والغزو التي تتشكى مقطوعاتها الثماني من النسيان الذي يعانيه الغزاه وأبناؤهم الخاضعون لمحدثي النعمة . وسوف يتولى أحد محدثي النعمه السعداء هؤلاء ، وهو برناردو دي بالبوينا (حوالي ١٥٦٢ - ١٦٢٧) ، تمجيد العظمة المكسيكية ، في مقاطع ثلاثيه مسرفة في المبالغة ، طبعت في المكسيك عام ١٦٠٤ . لكن ثمة أيضاً صوتا يبرىء الغزاة ويترك لنا ذكرى عظمتهم ، الجديدة والعتيقة في أوروبا النهضة ، لدرجة أن الجميع يعتبرونها دليلاً جديداً على المبالغة الأمريكية المفرطة ، وهكذا يعتبر بعضهم حتى اليوم الشروح الملكية (١٦٠٩ - ١٦١٧) للإنكا جارثيلاسو دي لافيجا (١٥٣٩ - ١٦١٦) . لكن كثيرين من المفكرين نافذي البصيرة ، في ساعة الرأسمالية الوليدة تلك ، يستشعرون تجاوزاتها ومخاطرها ، ويقترحون ، علاجاً للشر الذي يولد ، عودةً إلى أزمان وأماكن مثالية تستحضر الحكايات المدهشة الدائرة حول العالم الجديد بجزره الفردوسية وقومه الخالين من الفساد ومن الحقد ليجعلوا بعضها موضعاً لليوتوبيا ، أو يقيموا فيها ممالك منظمة بحكمة مثل : مدينة الشمس . وفي وقت قريب جداً من اليوتوبيا (١٥١٦) لتوماس مورو Moro (١٤٧٨ - ١٥٣٥) ستعود إلى أمريكا في متاع الراهب الفرنسيسكاني خوان دي رومـاراجا (توفي عام ١٥٤٨) ، أو رئيس أساقفة للمكسيك ، وتلهم التجارب الاستعمارية الراهب فاسكو دي كيروجا De Quiroga (حوالي ١٤٧٠ - ١٥٦٥) في ميتشواكان . Michoacán

ينتعش الأدب والحياة في الأراضي الأمريكية الجديدة في عملية جدلية لاتتوقف ، وتختلط في بهاءباروكي بالجهود الملحمية للتشيلي بدرو دي De Oña أونيا (١٩٧٠ - حوالي ١٦٤٣) ، وفي الأشعار المتكتمة للراهبة المكسيكية الأخت خوانا إينس دي لاكروث (١٦٥١ - ١٦٩٥) ، أو في السخرية القارسة

(٩) Antonio Castro Leal, Próbgo a las **Poesias** de Francisco te Terrazas, México, Porrua, 1941, p.IX.

لمواطن ليما خوان دل فاي كافييدس Del Valle Qaviedes (١٦٥٢ ؟ - ١٦٧٩) . ومن القيادات العامة المتواضعة ، والحصون البسيطة أو محطات العبور - مثل كوبا - في الامبراطورية والاسبانية الشاسعة ، وحتى نواب الملك الفخورين الذين ينافسون المتروبول في الثروة المادية والثقافية ، ترتفع النبرة الأمريكية اللاتينية الجديدة ، يرتفع صوت انسان جديد هو نتاج ظروف جغرافية واقتصادية ، واجتماعية ، وثقافية جديدة ، يضمها العالم الجديد . وكما يؤكد أفرانيو كوتنهو Cotenho مشيرا بالتحديد إلى البرازيل ، لكن كلامه صالح لكل أمريكا اللاتينية ، فإن « الأوروبي الذي وصل إلى هنا ، وأصبح على اتصال مع الواقع الجديد ، « نسى » الوضع القديم ، وبالتوافق مع الوضع الجديد ، خرج إنساناً آخر انضم اليه بشر جدد آخرون ولدوا و وتربوا هنا . هذا الإنسان الجديد ، الأمريكي ، البرازيلي ، الذي ولدته العملية الواسعة والعميقة للتهجين والتثقيف هنا ، لم يكن يستطيع التعبير عن نفسه باللغة الأوروبية نفسها ، لهذا غيرها ، وطورها ، وعدلها لتناسب الضرورات التعبيرية الجديدة ، بالطريقة نفسها التي تكيف بها مع الظروف الجغرافية ، والغذائية ، والبيئية الجديدة ، ومع العلاقات الإنسانية والحيوانية الجديدة ، وبالطريقة نفسها التي كيف بها ذوقه مع الفواكه الجديدة ، خالقاً ، نتيجة لذلك ، مشاعر ، ومواقف ، وإعزازاً ، وكراهية ، ومخاوف ، ودوافع سلوك ، ونضالاً ، وبهجة ، وحزناً جديدة . كل هذا المركب الثقافي كان لابد من أن ينتج فناً جديداً ، شعراً جديداً وأدباً جديداً ، ورقصاً جديداً ، وغناءً جديداً ، وأساطير وخرافات شعبية جديدة »(١٠) باختصار : فوق أسس اقتصادية جديدة ظهر في العالم الجديد إنسان جديد وثقافة جديدة .

وخلال القرن الثامن عشر تبدأ في النمو برجوازية محلية كريولية(*) أصبحت

---

(١٠) Afranio Coutinho, Coceito de literatura brasileira (ensaio), Rio de Janeiro, Livraria Academica, 1960, pp. 18 - 19.

(*) سبق أن أوضحنا من قبل معنى كلمة كريول. Criol ونستعمل لها هنا كلمة سكان محليين أو نستعملها بلفظها الأجنبي . [المراجع] .

تعي نفسها تماماً وتشعر بعدم الفهم والجهل اللذين ينظر بهما بعض الناس في شبه الجزيرة البعيدة إلى شؤون أمريكا . وحين يحاول أحد ، مثل الديان (القاضي) الأليكانتي مانويل مارتي Marti ، أن يثبط مواطنيه عن البحث عن الثروة في أمريكا على حساب تأخر المستعمرات ، وبالأخص التأخر الفكري ، تنبعث من كل أركان « العالم الجديد أصوات احتجاج كريولية ، مثل صوت العالم البيرواني بدرو دي بيرالتا بارنويفو Barnuevo (١٦٦٣ ـ ١٧٤٣) المفرط في المبالغة ، والذي بالغ في مدحه فييخو Feijoo ، والمكسيكي خوان خوسيه دي إحيارا إي إيجورين De Eguiro y Egaren (١٦٩٥ ـ ١٧٦٣) أبو التأريخ الأدبي الأمريكي اللاتيني ، والمؤرخ الكوبي خوسيه مارتين فيلكس دي آراته De Azrate (١٧٠١ ـ ١٧٦٥) ، الذي يحذو في مواجهة لامعقولية العميد مارتي حذو بيرالتا بارنوينجو ، ويؤكدا حسب قوله : « ملزماً نفسي كذلك بالرغبة والإلتزام في توضيح أن هذه الأجواء بالغة العقم ليست أجواء الناس الطيبين ولا الرجال الفضلاء كما يقال ، وأن ذرية القشتالين لن تصبح ابنة زنا فيها مثل البذرة الجيدة في أرض جرداء »[١١]

على العكس ، فإن الأرض السخية تحفز جهد المعرفة لدى من يجعلونها تنتج ، وتلد جيلاً وخيراً من الحكماء أمثال خوسيه ثيلستينو موتيس Celestino Motis (١٧٣٢ ـ ١٨٠٨) العالم الطبيعي من كولومبيا الذي ينافس لينيو Linneo وألكسندر فون هومبولت ، والخلاسي الاكوادوري فرنثيسكو إيوخينيو دي سانتاكروث اسبيخو (١٧٤٧ ـ ١٧٩٥) الطبيب ، والفيلسوف ، والناقد ، الصحفي ، وإحدى ألمع شخصيات التنوير الأمريكي اللاتيني ، والذي أسهم في النضال ضد النزعة المدرسية ، وفي إدخال مفهوم للعالم يتمشى مع الحقائق

---

(١١) José Martin Félix de Arrate, Llave del nueve mundo antemural de las Indias Occidentales. La Habana descripta : noticias de su fundación, aumeuntosy estado, La Habana, Comisión Nacional Cubana de la Unesco, 1964, p. 288.

الاقتصادية الجديدة .[١٢] ويفيد هذا الجهد بصورة بارزة الصحافة الدورية التي تظهر في هذا القرن على أيدي مجمع كريولي من الرجال المتفقهين ، المصممين على أن ينشروا في أمريكا مبتكرات العلم والتكنيك الضرورية لتقدمها الاقتصادي والإيديولوجي . يجهد السكان الكريول لترقية الوعي العام ولتطوير الزراعة والصناعة الأمريكيتين ، وفق أحدث الطرق . ويضمون جهودهم لهذا الغرض حول « الجمعيات الثقافية لأصدقاء البلاد » التي يعاون فيها شعراء واقتصاديون ، مربون وفلاسفة ، في تزاوج خصب للدوافع الابداعية . وفي ذلك الحين يبدأ السكان الكريول في الاحساس بضرورة معرفة ماضيهم . ويرد الجرويت الأمريكيون اللاتين باعتبارهم « كريول » جرحهم الاستبداد البوربوني إزاء الإهانة التي شعروا بها في المرسوم الذي أصدره كارلوس الثالث بطردهم عام ١٧٦٧ ،ويدافعون بفخر عن ماضيهم السابق على الغزو الاسباني وعن حقهم في الحياة على أرض تخصهم . وهكذا يشرع في تمجيد التاريخ السابق على الغزو الجزويت المكسيكيون فرنثيسكو سافييه ليجري Xavier Alegre (١٧٢٩ - ١٧٨٨) ، وفرنثيسكو سافييه كلافيخيرو Xavier Clavijero (١٧٣١ - ١٧٩٣) ، وأندريس كابو (١٧٣٩ - ١٨٠٣) ، وخوان لويس مانبيرو (١٧٤٤ - ١٨٠٢) ، ويدروخوسيه ماركث (١٧٤١ - ١٨٢٠) وآخرون غيرهم . وقد تغنى الراهب الجواتيمالي رافاييل لنديفار landivar(١٧٣١ - ١٧٩٣) في أشعار لاتينيه رائعة بـ Rusticatio Mexicana ممجداً الأرض الأمريكية . ويسهمون جميعاً في خلق الوعي الانفصالي للبرجوازية الكريولية من ملاك الأراضي . وفي البرازيل ، وسيراً على نهج أنطونيو فييرا Vieira (١٦٠٨ - ١٦٩٧) ، وجريجوريو ماتوس matos (١٦٣٣ - ١٦٩٦) - الذي تنهمر معه كل الحياة الخلاسية ، المفعمة بالألوان والحسية ، لشعب مصنوع من عروق هندية ،

---

(١٢) Cf. Manelisa Lina Pérez - Marchand, Dos etapas ideologicas deldSiglo xviii en Méxicoa trávesde los paples de la Inquisición, México, El Colegio de México, 1945, y padlo Gonzalez Casanova, El misonelsmo y la moder nidad cristiana en dl siglo xviii, México, El Colegio de México, 1948.

وبيضاء ، وزنجية ـ تنشأمحلية الشعر القصصي الرعوي لجوزيه بازيليو داجاما da gama (١٧٤٠ ـ أو ١٧٤١ ـ ١٧٩٥) ، الذي تعبر قصيدته أوراجواي Uraguai عن مشاعر مناقضة لمشاعر الغزاة ، كان الشاعر قد كشف عنها في سوناتا مكرسة للثائر البيرواني العظيم توباك أمارو Tupac Amaru ويشعر السكان الكريول أن قلوبهم تخفق لمفاهيم الحرية ، والاستقلال ، والثورة التي تأتي من المستعمرات الثلاث عشرة حديثة التحرر من إنجلترا ، وكذلك من فرنسا التي فرغت لتوها من إصدار إعلان حقوق الإنسان الذي ترجمه الكولومبي انطونيو نارينيو (١٧٦٥ ـ ١٨٢٣) وطبعه سراً عام ١٧٩٤ ، وجعله يبلغ أقصى أركان جنوب القارة . لهذا ، حينما يغزو نابليون إسبانيا ويرسل نواب المستعمرات إلى المجلس النيابي لقادس ، يجرؤ أحدهم ، وأبلغهم وهو الاكوادوري خوسيه مخيا (١٧٧٧ ـ ١٨١٣) ، على أن يقول : « يجري الحديث عن ثورة ، وعن وجوب رفضها . سيدي ، إني لآسف ، ليس لوجود ثورة ، بل لعدم وجودها . وكلمات الثورة ، والفلسفة ،و الحرية ، و الاستقلال ، من النوع نفسه : إنها كلمات ينظر إليها من لايعرفونها على أنها طيور شؤم ، لكن من لديهم أعين يحكمون ، واذا حكمت فإنني أقول ، إن من المحزن ألا تكون في إسبانيا ثورة » .

٣ ـ الآداب والانعتاق

لم تحدث في أسبانيا حينئذ ثورة ، ولا كان يمكن أن تحدث ،[١٣] لكنها حدثت ، في المقابل ، في المستعمرات الأمريكية ، حيث بلغت البرجوازية الكريولية حد تكوين طبقة تملك وعياً تاماً بنفسها ، وتطمح إلى تتويج علاقات الانتاج الجديدة الناشئة في العالم الجديد ببنية فوقية سياسية وادارية قادرة على الحفاظ عليها وجعلها تزدهر . وليس من داع للتشديد على العلاقات الوثيقة بين

---

(١٣) انظر بهذا الصدد تحليلات ماركس الصائبة في مقالاته، إسبانيا الثورية، في صحيفة النيويورك دايلي تريبيون، من سبتمبر إلى ديسمبر عام ١٨٥٤، المجموعة في :

C. Marx y F. Engels; La revolución esponola, Nosciu, Ediciones en Lengues Extramijeras, s.f. pp. 5 - 72.

الأدب والحياة خلال النضال التحرري ، إذا تذكرنا أن سيمون بوليفار (١٧٨٣ - ١٨٣٠) قد ترك صفحات ذات قيمة أدبية لاتقبل الجدل ، وأننا لانكاد نجد شخصية من بين المحررين لاتكون قد تركت آثاراً في آدابها القومية . إلا أن الفنزويلي أندريس بيو Bello (١٧٨١ - ١٨٥٦) ربما كان هو الذي سيتولى ، في أشعار رنانة كلاسيكية جديدة ، إطلاق نداء استقلالنا الفكري ، وقد ظهرت قصيدة نداء إلى الشعر في لندن ، عام ١٨٢٣ ، قبل أن تصدر في أياكوتسو Ayacucho وفيها يخص « ربة الشعر المقدسة » :

آن أوان أن تتركي أوروبا المثقفة ،
التي تكرهها ريفيتك المحلية ،
وأن توجهي جناحك إلى حيث يفتح
لك عالم كولومبس مشهدة الرحب .
لايوقفنك ، أيتها الربة ! ،
هذا الاقليم من النور والبؤس ،
حيث منافستك
الطموح الفلسفة ،
التي تخضع الفضيلة للحساب ،
قد اغتصبت من الموتى عبادتك ،
وحيث تهدد أفعى الهيدرا* المتوجة
بأن تجلب من جديد الفكر المستعبد
وليل الهمجية والجريمة العتيق ،
وحيث الحرية دوار بلا جدوى ،
والخنوع إيمان ، والخيلاء عظمة ،
والفساد يتسمى ثقافة .

بعدها تصل جوقة الشعراء الذين يتغنون بالاستقلال وبأبطاله : الاكوادوري

(*) الهيدرا : أفعى خرافية ذات سبعة رؤوس قتلها هرقل . [المترجم] .

خوسيه خواكين دي اولميدو Olmedo (١٧٨٠ ـ ١٨٤٧) ، الذي كان قبلها في برلمان قادس وتحدث في صالح الهنود ، والمكسيكي أندريس كينتانا رو Quinta-na Roo (١٧٨٧ ـ ١٨٥١) ، والأرجنتيني خوان كروث فيرالا Verala (١٧٩٤ ـ ١٨٣٩) ،وجميعهم شعراء (رسميون) كذلك بعض الشيء ، تطويهم وتنتشلهم بعدها صراعات الزعماء .

ربما لهذا السبب نجد نبرتهم حزينة ومرة ، كما يصبغ الشوق المخفق للحرية بالحزن العميق ، الشعر المتوقد لمن كان حينئذ أول الشعراء الرومانسيين ، بالرغم من ردائه الكلاسيكي الجديد ، ألا وهو الكوبي خوسيه ماريا هيريديا Heridia (١٨٠٣ ـ ١٨٣٩) . إن بيو وهيريديا مثالان بارزان للنزعة الأمريكية المناضلة : فكلاهما يحمل عاطفته الابداعية إلى ماهو أبعد من موطنه المحلي وينخرط في الحياة المكسيكية أو التشيلية ، صانعاً الوعي مثلما أقام قبلها بوليفار أمماً . كانت الحركة قد انتشرت بين الكتاب والمحاربين في كل أنحاء القارة مسهمةً في تدعيم الوحدة الإيديولوجية الأساسية في أمريكا اللاتينية ، والمؤسسة على التماثل الأساسي لمشكلاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . ولا يهم ، مع الاستقلال ، أن تشتعل الصراعات بين الزعماء المتخفين في زي فيدراليين ومركزيين ، ولا أن تجاهد كل أمة في أن ترفع ، ضد الأخريات ، خصائصها وسماتها الخاصة . وثمة جهد مبالغ فيه لتحديد الحدود القومية بدقة ، في حين يكشف الأدب المشترك وحدة الضمير الأمريكي . لهذا ، فحين يشرح خوسيه خواكين فرناندث دي ليثاردي (١٧٧٦ ـ ١٨٢٧) المجتمع المكسيكي ، تحس كل مجموعة قومية بأنه يقوم برسم صورتها ، وفي نهاية المطاف ، فإن الجهد ذا النزعة الأهلية الذي يشعل أشعار الأرجنتيني بارتولوميه هيدالجو (١٧٨٨ ـ ١٨٢٣) والبيرواني ماريانو ميلجار Melgar (١٧٩١ ـ ١٨١٥) ، والأنتيلي دومينجودل مونتي Del Monte (١٨٠٤ ـ ١٨٥٣) متماثل لديهم جميعاً . وهو لديهم جميعاً محاولة للتعبير عن الوعي الأمريكي الجديد ، انطلاقاً من إنسان الشعب ، الذي يجتذبه النزاع . وينتهج دل مونتي طريقاً خاطئاً حين يزعم أن

شكلاً تقليدياً إسبانياً ، هو الرومانسي نسيته الجماهير الكوبية ، يضم الرسالة الجديدة*. لكن ميلجار يعود إلى البارافي Yaravi** وهيدالجو يصادف في اللهجة الجاووشية الوسيلة المناسبة لهذا الشعر ذي الجذور الشعبية الخالصة . أما دل مونتي في كوبا ، وخوسيه خواكين بيسادو Pesado (١٨٠١ - ١٨٦١) في المكسيك فيمثلان القرار الارستقراطي لاخضاع الدوافع الجديدة ذات الجذور الشعبية والتي تنبعث متفجرة مع الرومانتيكية ، لقوالب تقليدية ، محافظة ورجعية .

كان الشعراء الكلاسيكيون الجدد الذين تغنوا بحروب الاستقلال وبأبطالها ، والذين تحولوا فيما بعد إلى زعماء متناحرين ، كانوا قد عبروا ببلاغة غير عادية عن مفهوم طبقة اجتماعية للعالم ، طبقة النبلاء ملاك الأراضي الذين كانوا يطمحون الى استبدال السيطرة الاسبانية بسيطرة كبار الملاك الزراعيين الكريول المحليين ، دون تغييرات جوهرية في البنية الاقتصادية والاجتماعية السارية . لكن غالبية الجيوش كانت تتكون من أقنان ، وهنود ، وبيض فقراء ، وزنوج، وخلاسيين من كل نوع، وكان لابد من الالتفات إلى مطالبهم، على نحو من الأنحاء ، خصوصاً حين يظهر من بين صفوفهم زعماؤهم العضويون الذين بلغوا حد أن يقارنوا بالنبلاء في قوتهم العسكرية . وما كلف في أوروبا قروناً من العرق والدم - أعني الانتقال من التفتت الإقطاعي إلى الوحدة القومية - كان لابد من انجازه في أمريكانا في ثلاثة عقود على الأكثر . وعلى ضوء تجارب أوروبية لاحقة انتبه المفكرون الأمريكيون اللاتين، إلا أنه كان من الضروري البدء بتغيير الحياة من أجل تغيير الأدب جذرياً . ويجسد الأرجنتيني إستيفان إتشيفيريا (١٨٠٥ - ١٨٥١) نمط الكاتب الرومانتيكي الأمريكي اللاتيني الذي أراد أن يمنح بلده الذي تمزقه النزاعات الأهلية أسلوباً جديداً - في الحياة وفي الأدب . وقد جرت محاولات للتقليل من مزايا إتشتفيريا كمؤسس ومنشيء ، وذلك بالتشديد على

(*) هي القصيدة الملحمية أو الحكاية الملحمية . [المترجم] .

(**) اليارافي هي الأغنية الهندية الحزينة . [المترجم] .

مبدئه الفكري ، لكن عقيدتـه الاشتراكيـة Dogma Socialista لايقلل منها مايمكن أن يكون فيها من سان ـ سيمـون ومن لامنيه ، Lammenais ، من مـاتزيني أو لـرمينييه Lerminies ، وحتى جـوانب ضعف روايته (الأسيـرة) لايمكنها أن تحجب شعبيته الخصبة ولا أن تجعلنا ننسى النفس القوى الذي ينبعث من الصفحات الواقعية (المذبح = المسلخ) لكن مع محدودية إتشيفيريا ، فإنه سوف يبقى رغم كل شيء بسبب الوحدة الوثيقة بين حياته وعمله .

٤ ـ النضال من أجل الحرية والعدالة

بعده ـ وبعد كل الرومانتيكيين الذين عاشوا وكتبوا مثله بدرجة أو بأخرى ـ جاء جيل المؤسسين ، جيل إيديولوجيي تلك البرجوازية الليبرالية التي حاولت استبدال الرأسمالية الحديثة بالتنظيم الذي انقضى زمنه لملاك الأراضي . إنها ساعـة البـردى Alberde (١٨١٠ ـ ١٨٨٤) ، وميتـري Mitre (١٨٢١ ـ ١٩٠٦) وسارمييتو Sarmiento (١٨١١ ـ ١٨٨٨) . (فالأسس) لألبردى تصوغ الحياة الدستورية الأرجنتينية ، نازعةً الفوضى ، و (فاكوندو) سارمييتو سيظل دائماً أحد أهم كتب أمريكانا التي تستبق ذلك التفسير الخاص للأنـواع الأدبية ـ السوسيولوجيا ، والسيرة ، والرواية ، والتاريخ ـ الذي يعتقد بعضهم بسذاجة أنه ملكية قـاصرة عـلى وقتنا الـراهن ، وهي ليست سوى تعبير عن الضرورة الملحة للتوحيد بين الحياة والشعر في تمحيص معذب لجذور مشكلاتنا الجماعية الكبرى . فالأدب يشير إلى دروب أويعلن الفعل المستقبلي ، ويشكل البـرنامـج الذي سينفـذه فيما بعـد ميتري وسـارمييتو في رئـاسة الجمهـوريـة الأرجنتينية ، كما سيقوم بنيتو خواريث Juares(١٨٠٦ ـ ١٨٧٢) فيما بعد بنشر وتحقيق مثل الاصلاح المكسيكي . هذه حقبة من الكتاب المنخرطين بحماسة في المهام السياسية ، إذ وصلوا ، للمرة الأولى ، إلى السيطرة على الشؤون العامة . حينئذ يظهر الزعماء المثقفون للبرجوازية الليبراليـة ، للرأسماليـة الصاعـدة ، الذين ، بتعبير أندريس بيو ، يفتحـون الحقول السخيـة وغير المستغلة تقـريباً

لأمريكا أمـام المهاجـر والمستثمر الأجنبيـين . الحضارة ، التي تـأتي من أوروبا وأمريكا الشمالية برجال ورؤوس أموال ، تنفجر في الأراضي التي تهـرب منها الهمجية البدوية أو تختفي .

وعلى الفور يعطى الأدب ، في مارتين فييرو للأرجنتيني خوسيه هرنـاندث (١٨٣٤ ـ ١٨٧٩) ، في المقام الأول ، احتجاج إنسان الأرض ، الذي طرد منها . كذلك يشجب وجود المهاجر ، وسوف تمضي الرواية والمسرح مظهرين تغلغلهما البطيء ، واندماجهما ، أحياناً ، مع السكان الكريول . الآن يشارك الأدب بطريقة واعية في الحياة الاجتماعية ، ويصاغ بقصد كامل للتأثير في مختلف الجماعات . وحين ينبعث الزعماء المثقفون الرجعيـون تنتصب في مواجهتهم ، عنيفة وهادرة ، كلمة الشجب والسباب إذا اقتضى الأمر ، للإكوادوري خوان مونتالفو (١٨٣٢ ـ ١٨٨٩) أو للبيرواني مـانويـل جونثـالث برادا (١٨٤٨ ـ ١٩١٨) . ومع التغلغل البطيء لرأس المال الأجنبي تزدهـر المدن ، وتتـطور الصناعة ، ويتزايد الاهتمـام والقلق على العلم وعـلى التكنيك المعـاصرين . والموضوعـة (الثيمة) الـريفية ، في الأدب الـروائي في المقام الأول ، تـوضح التحول العميق الذي تعانيه أمريكا في مناظرها ، وفي قومها ، وفي عاداتهـا ، وحتى في لغتها . فبجانب المصانع حديثة الازدهار تولد إنسانية جديدة تكونها مخلوقات قادمة من كل الأرجاء دون جذور في الأرض ولاتجمعهـا إلا خاصيـة مشتركة : استغلالها وبؤسها تدخل البروليتاريا الأمريكية اللاتينية في الحياة وفي الأدب .

وحين يبدأ العالم مرحلة تاريخية جديدة بتطور الامبريالية يكـون من نصيب أمريكانا أن تلعب الدور السلبي لأرض تفتح ولميدان قتال . وكات قد عرفت الأعراض الأولى للإمبريالية ، وكان عليها أن تقاتل ، في الشمال وفي الجنوب ، ضد غزاة أجانب . كانت المكسيـك قد عـانت من الغزو الأمـريكي الشمالي (١٨٤٦ ـ ١٨٤٨) الذي حرمها من النصف الشمالي لأراضيهـا وبعد ذلـك بقليل ، من ١٨٦٢ إلى ١٨٦٧ ، من الغزو الفرنسي ومن مهزلة مكسميليانـو

الامبراطورية . لكن الغزاة الجددمن الامبريالية المصرفية ليسوا بحاجة ، بعد ، لأسلحة أو جيوش . فمع آلاف المهاجرين من البلدان الفقيرة تغلغلت فروع لبنوك ومكاتب تمثيل لاحتكارات وتروستات القوى العظمى محملة بـالجنيهات الاسترلينية ، والفـرنكات ، المـاركات والـدولارات . وراقبت المدن والقـرى بدهشة عرضاً جديداً . يكتب أدولفو ميتري في تصديره لـرواية (البـورصة) (١٨٩١) لخوليان مارتل (خوسيه ميرو ، ١٨٦٨ - ١٨٩٦) : « في عام ١٨٨٩ وصل إلى ميناء بونيوس آيـرس ثلاثمـائة ألف مهـاجر ، وأدرجت في السجـل التجاري مائة وأربع وثلاثون شركة مساهمة برأسمال يتجـاوز خمسمائـة مليون بيسو ، وفي سوق الأوراق المالية - الكائن في ميدان مايو - تبلغ التعاملات ألففا وخمسمائة مليون كل شهر »[١٤] وبسماد رأس المال الأجنبي تنمو وتزدهر برجوازية جديدة ، سلالة ذهبية من الملوك البرجوازيين كالتي يصفها روبين داريو (١٨٦٧ - ١٩١٦) في (أزرق) (١٨٨٨) المستلهمة من شخصية واقعية ، هي إدواردو مكلور ، مدير صحيفة لا إبوكا La Época الصادرة في سانتياجودي تشيلي ، والتي عمل بها الشاعر النيكاراجوي الشاب .[١٥] ونحن نعلم كيف كان ذلك الملك البرجوازي الذي رسمه داريو « يملك قصراً منيفاً ، جمع فيه ثروات وقطعاً فنية رائعة) . وكيف كان يخلط بذوقه الرفيع قراءات من خورخي أونيت « أو كتباً جميلة حول مسائل نحوية ، أو نقداً بديعياً . نعم : إنه مدافع عنيدعن الاستقامة الأكاديمية في الآداب ، وعن الأسلوب المرهف في الفنون ، إنه روح سامية ، محبة لطلب البحر ولفن الخط » . وذات يوم حملوا إليه شاعراً جائعاً بالطبع ، لكن مازال به من القـوة مايكفي لنـزع ريشة إيتشيفـريا والحلم بـالثورات . قـال الشاعر : « أردت أن أكون محارباً ! فسوف يأتي زمن الثورات العظيمة ، بمسيح كله ضوء ، كله تحريض وقدرة ، ولابد من استقبال روحه بالقصيدة التي تكون

---

(١٤) Buenos Aires, Estrada, 1946, p. IX.

(١٥) cf. Armando Donoso, La juventud de Ruben Dario, en Nosotras, Buenos Aires, abril de 1919.

قوس نصر ؛ بمقاطع من الصلب ، بمقاطع من الذهب ، ومقاطع من الحب »
لكن الملك البرجوازي ، الذي لم يكن ، بالطبع ، ميالاً للثورات ، أجاب الشاعر : « ستديرن ذراع البيانولا(*) . ستغلقن فمك . ستبعثن أصواتاً من صندوق موسيقا يعزف فالسات ، ورقصات ، اذا لم تفضل الموت جوعاً . قطعة موسيقا مقابل كسرة خبز . لارطانة ولا مثل » .

يكشف داريو موقف البلوتوقراطية الجديدة التي تحفزها الإمبرياليةوبعدها سيشير إلى دلالة تلك الأخيرة وخطرها ، لكنه مع فتحه الطريق لجزء كبير من كتاب عصره ، فضل أن يدير ذراع بيانولا الفالسات قبل أن يواجه الملك البرجوازي وسادته الأجانب . فالإمبريالية هي تجربة الحياة التي يواجهها رجال حركة الحداثة ، واذا كانت تمثل لبعضهم ، وعلى رأسهم داريو ، فرصة لتجويد النظم والنثر المتكلفين والحسيين ، فرصة للهروب المبالغ فيه فإنها كانت ، بالمقابل ، توقظ في آخرين ، مثل خوسيه مارتي Marti (١٨٥٣ ـ ١٨٩٥) ، العاطفة المقاتلة وتضع التكلف الشكلي في خدمة نضال لايتوقف في سبيل الحرية والعدالة . فكل عمل مارتي مكرس لمعركة واضحة من أجل حرية أمريكانا ومن أجل تحقيق « توازن العالم » ـ بتعبيره . وتتجاوز رؤيته السياسية أغراض الإيديولوجيين الديمقراطيين البورجوازيين الذين سبقوه وتفتح الطريق نحو آفاق جديدة محولة النضال من أجل التحرير القومي لكوبا إلى نزال أعمق وأوسع ضد الامبريالية ، يقوم على أكتاف رجال الجماهير العاملة . لم يكن ماركسياً ، لكنه مهد الطريق للحلول الاشتراكية . ولأنه فهم ـ وقال ـ كيف أن « كل درجة اجتماعية تحمل تعبيرها إلى الأدب ، بحيث يمكن من مختلف مراحله أن نقف على تاريخ الشعوب ، بشكل أصدق من التقويمات والعقود » لهذا السبب عينه جاهد للعثور على التعبير المناسب للحظته التاريخية ، لحظة النضال ضد الامبريالية ، التي مازالت لحظتنا ، ولهذا أيضاً يظل حثه للشاعر صحيحاً تماماً حيث يقول :

(*) علبة تصدر الموسيقا وتدار باليد . [المراجع] .

« اجمع في حزمة عالية ، واقذف إلى اللهب الأحزان المعدية ،والصور اللاتينية الفاترة ، والقوافي المتراصة والشك الغريب عنك ، وشرور الكتب ، واليقين المسبق ، واستدفىء باللهب الناجع من برد هذه الأوقات المؤلمة التي يستيقظ فيها في الذهن المخلوق الناعس ، فكل البشر منتصبون على أقدامهم فوق الأرض ، شفاههم مضمومة ، والصدر الجسور عار وقبضتهم الى السماء ، يطالبون الحياة أن تبوح بسرها » .



الفصـــل الثـــاني
صراعات الأجيـــال

أدولفـو بريتو*
Adolfo Prieto

١ ـ افتراضات منهجية لتحليل الأجيال

لايجب المبالغةفي قيمـة مفهوم صـراع الأجيال إلى حـد أن نفترض فيـه أنه الدينامية التي تحرك مسار التاريخ أو أن ننسب إليه الطابع المجسد لأعمق المثيرات الاجتماعية . فقد يصاحب صراع الأجيال أحيـاناً عملية تغيير بكـل طاقتهـا الاجتماعية الحقيقية وقد يعبر عنها وقد يشير ، وأحياناً وعلى مستويات محدودة جداً ، إلى أوجه عدم التوافق بين بعض المجموعات الاجتماعية ، وقد يجسد ، أحياناً أخرى ببساطة ، النزاع من أجل فرض (أو الإبقاء على) إيماءات ، أو موضات ، أو علامات اصطلاحية داخل نطاق مجموعة مهنية أو إيديولوجية ، أو داخل نطاق مدرسة فكرية وطائفة فنية .

فقد أعلن الجيل الرومانتيكي الأول ، في الريو دي لابلاتا ، قطيعة جذرية مع العالم الذي يمثله رجال الجيل السابق ، مع التسليم بأن هذه القطيعة تتضمن

---

* أدولفو بريتيو ناقد ارجنتيني (ولد في سان خوان ١٩٢٨) من أعماله الأساسية : بورجيس والأجيال الجديدة (برينوس آيرس ١٩٥٤)، سوسيولوجيا الجمهور الارجنتيني (بوينوس آيرس ١٩٥٦)، الأدب الأرجنتيني الذي يترجم لذاته (روزاريو ١٩٦٢)، الأدب والتخلف (روزاريـو ١٩٦٧)، المعجم الأساسي لـلأدب الأرجنتيني (بونيـوس آيـرس ١٩٦٨) ، دراسات في الأدب الارجنتيني (بوينوس آيرس ١٩٦٩). كان استاذاً في عدد من الجامعات الأرجنتينية . وشغل كرسي الأدب الايبري ـ الأمريكي في الجامعة الوطنيـة في روزاريو [المراجع] .

وضع نظام السلطة وتوزيع الثروة موضع التساؤل ، وكذلك امتلاك لغة مختلفة بدرجة كافية وبلاغة قادرة على تقديم واقع يجري التفكير فيه والإحساس به باعتباره واقعاً جديداً . لكن الجيل الرومانسي الثاني ، المفتت والموزع على بؤر اهتمام مختلفة ، لم يعد يقر بأنه رومانتيكي إلا في المجال المحدود بكونه اتجاهاً أدبياً وفي استثارة معينة للحساسية الجماعية . وقد استطاع إيتشيفريا إدخال موضوعة (تيمة) الصحراء في الأدب القومي الأرجنتيني في الوقت الذي كان يطالب فيه بالامتلاك الفعال للأراضي التي يسيطر عليها الهنود ، ويضع أسس لائحة لممارسة السلطة السياسية والاقتصادية . واستطاع سارمييتو أن يرج العمود الفقري للغة الإسبانية الموروثة بالاندفاع نفسه وبالأسباب نفسها التي هاجم من أجلها استمرار المؤسسات السياسية والاجتماعية للاستعمار . لكن أندرادي أصبح مجرد ناظم أشعار ملتصق بالصيغ النمطية لمدرسة أدبية ، وأصبح ريكاردو جوتييريث غنائياً تغريه المبالغة العاطفية . وبالمقابل ، فإن خوسيه إرناندث ، الاسم الهام في هذا الجيل ، لايكاد يبلغ حد الاندراج ضمن الاطار العام للرومانتيكية .

هذه الحالات تبين الحجم المختلف الذي تكتسبه ظواهر تقدم عادة على أنها ذات بؤرة واحدة وتنبىء عن الحذر الذي يجب أن تستخدم به المصطلحات القادرة على إضفاء محتوى على مفهوم الجيل . ومن المناسب كذلك إبراز ميزة قصر تلك المصطلحات دائماً على تحليل الأوضاع التاريخية جيدة التحدد والتعين ، لأن العكس يحمل مخاطر تذويب دلالاتها النوعية في وصف ظاهرة تعادل « روح العصر »[1] .

---

(١) المناقشات حول مفهوم الجيل والمطبقة على تاريخ الأدب، اعتباراً من الدراسة الكلاسيكية لجوليوس بيترس إلى كتاب هنري باير Henri Peyre بعنوان الأجيال الأدبية Les génération littéraires ، حاولت تحديد ما يتسع له وما لا يتسع له مفهوم الجيل. وبعيداً عن الاضافات البارزة على المستوى النظري، ما من شك في أن الصعوبات الحقيقية للمنهج تنشأ عن أي محاولة للتحقيق على نطاق زمني واسع. ومن الممكن تأمل تلك الصعوبات في =

في مراجع وكتب تاريخ الأدب من المألوف أن نصادف استخدام تخطيطات للأجيال من أجل قياس المد والجزر في تيارات الأفكار أو العمليات الإجتماعية التي تشمل مساحة جغرافية بالغة الاتساع . فالحداثة ، على سبيل المثال ، قد بلغت انتشاراً عاماً بصورة تكفي لرصد تأثيراتها في مجمل بلدان أمريكا اللاتينية تقريباً ، لكن مع الاقرار بهذه الحقيقة فإن من الواضح أن منظور التحليل الصحيح يجب أن يستعرض في كل وضع قومي طبيعة المجموعات التي جسدت الحركة والمشروعات المختلفة التي نفذتها من خلالها .

هكذا ، وفي إطار تاريخ شامل يحبذ قبول الكيان « كتلة أمريكا اللاتينية » ، ويتيح التحقق من إحداثيات للمعنى تتجاوز الحدود القومية ، يجب ، بالضرورة ، البحث دائماً عن التعديل الذي يتطلبه التاريخ الداخلي لكل واحد من المجتمعات التي تشكل الكتلة . فقد دمرت الأحداث الثورية في المكسيك بالنسبة لهذا البلد المعابر التي دخلت بها بلدان أمريكية لاتينية أخرى إلى تاريخ القرن الحالي ، وحدد نظام فارجاس ، في البرازيل ، والبيرونية في الأرجنتين ، العملية الاجتماعية في كلا البلدين بملامح ليس لها نظير ، وتظهر الرفاهية الاقتصادية ونتائجها في فنزويلا ، منذ عقد الخمسينات ، بحجم غير معهود في الأمم المجاورة ، أما الثورة الكوبية ، منذ عام ١٩٥٩ ، ورغم أنها تقدم دائرة تأثير إيديولوجي واسعة ، فإنها تؤثر على سكان الجزيرة بدرجة لايمكن فهمها إلا على نطاق قومي محدد .

هذه الملاحظات موجهة ، بالطبع ، إلى الافتراضات المنهجية التي يجب أن

= مقال خوسيه أرّوم José Juan Arrom بعنوان: تخطيط على أساس الاجيال للآداب الاسبانية ـ الأمريكية Esqema generacional de las letras hispano americanas ، وهو أكثر المحاولات المعروفة حتى الآن طموحاً في مجال اهتمامه النوعي ، فالتخطيط الجيلي يعمل بقدر ما يطبق على فترات ثقافية كثيفة بشكل استثنائي ؛ لكنه ، بالمقابل ، يعد بمثابة دافع حيوي entelequia ، حين يحاول الاقتصار على الفترات القاحلة للحكم الاستعماري .

تقوم عليها كل محاولة لتحليل جيلي شامل . وفي العمل الحالي ، بطابعه الموجز المحدود ، يمكن بل يجب فهم هذه الملاحظات على أنها اطار معترف به لأوجه نقص التحليل للإمكانات المتعددة التي تظل دون تطوير مناسب .

٢ ـ الجيل الطليعي .

يشيد الكبار عالماً يقدسون مؤسساته ، ويخلقون معاييره التربوية ، ويقررون تسلسل قيمه وأولوياته ، ويخترعون الأساطير التي يكسون بها أشواقهم ومخاوفهم لكن تاريخية هذا العالم ، وطابعه العارض يتضمنان الاعتراف ، الواعي بدرجة أو بأخرى ، بأن الفوران البسيط للرجال الأصغر سناً يضع موضع التساؤل مشروعيته واتساقه . وكان الانتقال من جيل إلى آخر ملحوظاً دائماً كما بدا من البديهي دوماً فعل الزمن التاريخي المحكوم بتبادل أجيال متتالية . هذه هي الطريقة التي يحكى بها العهد القديم (من الانجيل ـ المترجم)، وهي الطريقة التي تبتذل في كل التقاليد الغربية والتي تضمن الاستمرار والرضى المسبغ على استخدام تعبيرات من قبيل «جيلنا» و« جيل آبائنا »، و«الجيل الديد » .

ويجب أن نضيف على الفور إلى هذا الاعتراف أي إلى نقطة الاتفاق الحقيقية هذه حول وجود إيقاع للأجيال ، تفرقةً يقيمها التأمل التاريخي . ففي المجتمعات المستقرة أو المفروض عليها الثبات بشكل قوي يختزل الانتقال من جيل إلى آخر إلى بديل بيولوجي وإلى دفع منتظم لعناصر شابة في بنية جامدة لايمكن التأثير فيها إلا في جوانب ثانوية جداً : في الموضات ، أو العادات اللغوية ، أو مواضعات الكياسة . أما في المجتمعات الدينامية بسبب عمليات التغيير السريعة ، على العكس ، فإن كل جيل بيولوجي جديد يتولى تنسيق عوامل التغيير ويعلن أنه في صراع مكشوف بدرجة أو بأخرى مع جيل الكبار الذي يعوق تطور تلك العوامل .

منذ الثورة الصناعية الأولى أخذت أوروبا ، وبعد ذلك البلدان الداخلة في فلك نفوذها ، تنخرط بصورة متزايدة في عملية تحولات مفاجئة غالباً ، وخاضعة

أكثر فأكثر لحركة تسارع تسبب الدوار . أما في نطاق أمريكا اللاتينية فبعد الجيل الرومانتيكي الأول تتباعد بتقتير ملحوظ الأجيال التي تتحمل حقاً شحنة خلافية مع الماضي القريب (الوضعية ، والحداثة) ، لكن بقدر ما تأخذ بلدان أمريكا الوسطى والجنوبية ، التي هي كيانات طرفية ، في الانضمام إلى العصب المحرك للبلدان المحورية ، بقدر ما تميل المجموعات « الجيلية » الجديدة إلى تدعيم دورها بوصفها مناقضة للمجتمع الذي يسوده الكبار .

إن تسارع هذه العملية خلال العقود الأخيرة ، والظرف الذي يجعل كل مراقب لهذه العملية واقعاً بالضرورة في إطار مظاهرها الأخيرة ، يجعلان من الصعب ترتيب الأحداث ، أي التمييز المسبق للمعطيات التي يمكن أن تجلو الصورة المضطربة التي تتجاوز وتعوق حكم المراقب .

إلا أننا نستطيع ، برغبة متعمدة في التجريد ، أن نشير خلال الشريحة الزمنية ولنصف القرن الأخير إلى ذروتين جيليتين يبدو أن أغلب السمات المميزة للفترة تستمد منهما . وتتطابق هاتان الذروتان مع ظاهرتين لهما أهمية عالمية : هما اندلاع الحرب العالمية الأولى ونهاية الحرب العالمية الثانية ، ويمكن إلى حد كبير اعتبارهما بمثابة جزر لهذين الحدثين .

والوصف الموجز لأولى هاتين الجبهتين الجيليتين يمكن ، بسبب منظورها الزمني المؤكد وبسبب صفاء الأعمال والإيماءات الممثلة لها ، أن تسهل الوصول إلى نواة السلوك لما يمكن فهمه بشكل محدد على أنه ظاهرة جيلية فبين عامي ١٩٢٢ ، و ١٩٢٧ ، على وجه التقريب ، قامت مجموعات من الشباب الذين ولدوا مع بداية القرن بإثارة الضوضاء والهياج في مدن أمريكا الرئيسة . وكانت الطليعية في الفن والراديكالية في السياسة هما الدافعين الأساسيين اللذين التقطهما الشباب من مجال خبرات أوروبا التي غيرتها تأثيرات الصدمة الحربية الحديثة . كانت باريس ، ولندن ، وزيوريخ في ذلك الحين تنشر ، في لحظة ابتهاج كونية ، بيانات فنانين عديدين تمثل الطليعة بالنسبة لهم إمكانية التعبير عن صورة جديدة للعالم . كان هؤلاء الفنانون صاخبين ، وغير ممتثلين ، وواثقين من أنفسهم

يتباهون ، تحت تناقضاتهم اللانهائية ، بموقف مترفع وعدواني يرفض التقاليد والماضي المباشر . وعلى مستوى آخر ، كان استيلاء البلاشفة على السلطة في روسيا قدأطلق موجة واسعة من التعاطف مع الحركات ذات المطالب الاجتماعية التي كانت تتأجج فيها ، على أسس أخرى ، رغبة في القطيعة مع الماضي . وأخذت مواقف النزاع الحقيقي ، المنفصلة عن أسبابها الأصلية المعقدة ، تتكيف ، بدرجات متفاوتة من الشدة ، مع واقع مهيأ تماماً لإشارات الجدة والتغيير . كانت أمريكا ، من خلال ادراك رجالها الأكثر شباباً ، تحاول الزج بنفسها في قلب التاريخ .

كانت الطليعتان الفنية والقتالية السياسية ، رغم أنهما بدتافي أحيان كثيرة كنشاطين متناغمين ، تميلان بالأحرى إلى التعبير عن نفسيهما في قنوات تواز صريح . وهكذا ، بينما كانت مجلتا أماوتا Amauta التي تصدر في ليما ، وكلاريداد (الوضوح) Claridad التي تصدر في بونيوس آيرس ، تنشران الأدب الجدالي للاشتراكية الراديكالية ، كانت الطليعة الأدبية تطلق قائمة أسمائها المدهشة : ماريو دي أندرادي ، ومانويل بنديرا ، وكارلوس دروموند دي أندرادي ، وأليخو كاربنتييه ، وخورخي لويس بورخس ، وأوليفيريو خيروندو ، وفيثنتي هويدوبرو ، في مجلات ، ومطبوعات وبيانات تركز على مناقشة ونشر الموضوعات الفنية .

وبسبب طبيعة المواد المستخدمة ذاتها وحرية الحركة الواسعة التي يمارسها ممثلو هذا التيار من الأدب الطليعي يتضح أكثر الاندفاع المجدد للشبان وكذلك موقف النفي الذي يجمع التنوع الظاهري للصيغ التعبيرية . فالحداثة المنبعثة من أسبوع الفن الحديث الأول في سان باولو ، ومذهب الصرير estridentismo المكسيكي ، والتحويرات الحدية للمساهمين في مجلة مارتين فييرتو Martin Fierro في بوينوس آيرس ، والمحاولات المستقبلية أو التكعيبية المتناثرة ، كلها تمر بقاسم مشترك هو رفض الأدب الرسمي والعالم الذي يمثله .

الاستفزاز الدائم لأنصار ذلك الأدب التقليدي والوقاحة التي لا تكاد تخفيها

الأصالة الفائقة للأشكال كانا يسعيان إلى فرض هوية الجيل الجديد ، وكذلك إلى مضايقة الكبرياء المقدسة للجيل السابق . وفي عام ١٩٢٦ ، يبين الناقد روبرتو ف . خيوستي . في إجابته عن تحقيق صحفي ، إلى أي مدى حقق شباب طليعة الريو دي لابلاتا بعض أهدافهم المعلنة :

ماذا يعني لصق مجلات حائط ، كما قيل لي إن بعض شبان مونتيفيديو سيفعلون ، تقليداً لما فعله بعضهم في بونيوس آيرس ، وتقليداً كما أفترض لما فعله بعضهم في باريس ؟ . . . . ماذا يعني نشر ظرف به بطاقات مطبوع عليها قصائد بحبر بنفسجي ، مثلما فعل للتو صديق لي عزيز وموهوب ، ومن أوروجواي إذا أردتم المزيد ؟ وماذا تقول في المأدبة المتجولة ـ في أوتوبيس على ما أعتقد ـ التي يعدونها لذلك الأحمق جومث دي لاسرنا ؟

نكات ؟ دعابات « صعاليك » مرحين ؟ فليحسبوني معهم في هذه الحالة ، فلست من صخر . لكن ذلك أدب ؟ أف !!! هل باسم ذلك يمكن أن ينكروا كل ماض ، على كل من أحبوا وأحسوا هم مثلهم على الأقل ، ويعبرون عن ذلك بعاطفة جياشة ؟ لا ! لقد كنا جميعاً من محطمي الأصنام في سن العشرين ، لكن شبان الحساسية الجديدة هؤلاء « يطربقون » الدنيا . ما أشد ادعاءهم ![٢]

وبحلول عام ١٩٣٠ ، بدا أن الذروة الجيلية التي غذت الطليعة الفنية قد استنفدت شحنتها العنيفة . وبدأت فترة النضج الإبداعي بالنسبة لغالبية ممثليها هذا النضج الذي يتطور في عالم لايختلف كثيراً عن العالم الذي رفضوه خلال سنوات الشباب الباكر . كانت الأزمة الاقتصادية ، التي تستهل بالنسبة لعقد الثلاثينات مرحلة مظلمة من التوترات الدولية ، تكتم الأصداء التي مازالت ترن من وهم متابعد الحرب ، وتستبق الرعب المشؤوم لعقد الأربعينات . وفي الأدب والفن ، كان أولئك الشبان قد تمكنوا من جعل بعض التجاسرات محتملة ، كانا قد خففوا لغة الجلال الأكاديمي وأهالوا السخرية على الشخصيات السائدة في

---

(٢) Reproducido en Nosotros, num. 200 - 201, Buenos Aives, Febrero, 1926.

الدوائر الأكاديمية . وحين كفوا عن كونهم شباباً ، بانتهاء العمل الجماعي ، خلفوا وراءهم محصلة ربما كانت أقل أهمية مما إفترضت البيانات ومما بلغت أصوات أكثرهم نشوة ، محصلة تعيد تلك الصراعات التي واجهوا من أجلها عالم الكبار إلى حجمها الحقيقي .

يضم ذلك الجيل بعض صور التكنولوجيا الحديثة ، ويجعل الكثير من الخرافات التي ينشرها ملكه الخاص . إن سرعة الطائرة ، وكفاءة السيارة ، وخط ناطحة السحاب ، وعجائب فنان السينما ، تشكل كلها ملامح العالم الذي يحس الشباب أنه عالمهم . إنه عالم تضفي عليه الآلهة الحارسة ـ بيكاسو ، وتشابلن ، ولوكوربوزييه ، وسترافينسكي ، وجويس ، وفرويد ـ قيمة الكلمات السحرية ، قيمة وسائط التوحد بين المبتدئين . عالم يسهل فيه تشوه المعايير الأخلاقية المتبقية من العصر الفيكتوري جو رحلة مرحة لاصطياد الأحكام المسبقة .

بهذا المعنى ، تكون مهمة التوافق مع الواقع المعاصر ، مهمة « ضبط الساعة على الوقت » كما طالب بعض أكثر الطليعيين حماساً ، قد تحققت بنتائج قيمة بالتأكيد . لكنها تحققت في مجال التبديات الفنية والأدبية ، وفي اطار جمهور مهني تقريباً ، أي ، داخل مجموعات لا اسم لها ، منزوعة الجذور من الايقاع والخصائص الوظيفية للمجتمع ككل أو قادرة فقط على مصاحبته والتعبير عنه في جوانب جزئية جداً .

أما شحنة السلبية التي أعلن بها الفنانون الشبان بعد الحرب مباشرة قطيعتهم مع الأجيال السابقة فقد أصبحت حينئذ لاتمثلهم إلا بشكل محدود ، وأظهرت فيهم حساسية يقظة ، وحدساً لأسلافهم أكثر من القدرة على إجابة مثيرات الوسط المحيط بهم . وفيما عدا ذلك ، فإن من المعروف أن أفضل ممثلي الطليعة كانوا بالإضافة إلى ازاحة العادات والشخصيات القديمة ! يبحثون عن طريقة لإنقاذ بعض تيارات التقاليد ، والى استيعاب الماضي ـ بعض أشكال

الماضي ـ من الصيغ التعبيرية للحاضر . ومع مرور الأعوام جرب هؤلاء الكتاب أنفسهم التنازلات الفادحة أمام النزعة زاهية الألوان ، وأمام الطابع المحلي ، والفولكلور ، المتضمنة جميعاً في موقف الانقاذ والاستيعاب ذاك . ومن الواضح في الأعمال الأولى لكاربنتييه ، وأستورياس ، وبورخس ، أن هذا الموقف يعمل على موازنة السلبية التي تشدد على القطيعة بين الأجيال .

٣ ـ بعد الحرب العالمية الثانية

أ) وعي أخلاقي راسخ

إن عمل الكتاب الذين ظهروا خلال الأعوام التالية على الحرب العالمية الأولى ووجودهم يسود لوحةالأدب الأمريكي اللاتيني المعاصر ، ويمثل نقطة انـطلاق حتمية من أجل تقييم دلالة الأحداث المنصرمة خلال الأربعين عاماً الأخيرة . وتتضح قوة هذا المحور الجيلي ، إلى حد كبير ، من اتساع نطاق مؤلفيه من رجال الصف الأول ، ومن العدد الكبير منهم بصورة استثنائية . وتتضح كذلك من الظروف التاريخية التي تجسد فيها هذا الجيل ، والتي كان من نصيبه أن يجسدها للأجيال التالية . فالفوران الإيديولوجي ، « الإحساس الرياضي بالحياة » في الأعوام الأولى من عقد العشرينات ، صب فيها بعد في الستالينية ، ونظامي هتلر وموسوليني ، وفي الأزمة الاقتصادية لعام ١٩٢٩ ، وفي مأساة الحـرب الأهلية الأسبانية ، وفي الأحداث المختلطة التي أدت إلى الحرب العالمية الثانية .

في هذا الجو الشحيح بدا أن الدفعات المتوالية مقتصرة على العمل في الميراث الذي طرحه جيل سنوات العشرينات ،على الإصرار على بعض ميوله ، وعلى إعادة ضبط بعضها الآخر . وكذلك على الإدلاء بشهادة عن العصر . لكن ليس ثمة فورة جيليـة ، ولاتساؤل حقيقي عن أعـلام الجيل السـابق أو قطيعـة مع العادات العقلية السائدة فيه . ولاشك في أننا يمكن أن نشير ، في كل واحد من بلدان أمريكا اللاتينية ، إلى وجود مجموعات متمايزة بدرجة كافية خلال هـذه الفترة ، وحتى إلى موقف بعض المؤلفين الذين ميزوا أعمالهم المبكرة بايماءة رفض

واضحة ، ورغم ذلك لايتضح في مجموع تلك الأعمال محور للصراع يفصل هذه التعبيرات المنعزلة أو التي تنتجها مجموعات عن صورة العالم التي رسمها الكتاب البارزون للجيل السابق .

وبعد عام ١٩٤٥ فقط ، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية ، تبدأ في الظهور أعراض صراع عميق بين الأجيال . وبالطبع فإن لتأثيرات الحرب علاقة وثيقة بطبيعة الدوافع التي يقيم عليها الشباب موقفهم في لحظة توليهم لواقع عصرهم . وهذا الاندلاع الثاني ، بخلاف الأول ، لم ينته بإحساس بالتفاؤل المعدى ، وبيقين جازم في استحالة مذابح أخرى ، كما حدث عام ١٩١٨ ، كذلك لم يلهم جبهة من الأفكار أو يحدد مجرى لتيار عاطفي واضح الضفاف. بل بالأحرى كان الإحساس العام خلال الأعوام الأولى التي تلت الحرب هو الاحساس بهدنة مسلحة ، بسلام مؤقت ينهار في جبهات خطرة . في هذا الجو من عدم الأمان الراسخ أخذت بعض الدلائل تتضح أمام أمريكا اللاتينية . وكانت إحدى هذه الدلائل ، الهامة نسبياً ، هي أن أوروبا لم تعد المحور التاريخي الجامع المانع ، وثانيها هو أن الخريطة السياسية للعالم قد انقسمت إلى كتلتين متناحرتين ، مع بديل هو كتلة ثالثة أصبحت عرضةً وهدفاً للإغراءات من أجل الحفاظ على توازن القوى .

وخارج نطاق هذه الحقائق ، المستمدة بوضوح من تطور ونتائج الحرب ، اكتشفت أمريكا اللاتينية نفسها ، بعد ما يقارب عقدين من التوتر الدولي ، وقد تغيرت ملامحها في جوانب أساسية . كانت نظمها السياسية لاتزال تعاني من عدم الاستقرار المعتاد ، وهياكلها الاقتصادية تحافظ على وضع العجز القديم . لكن بعض البؤر الصناعية كانت قد بدت تدخل عناصر جديدة توقع الاضطراب في تلك الهياكل ، وتضفي معنى جديداً على التغييرات في الساحة السياسية . وفي المقام الأول أتاح التزايد الاستثنائي للسكان وضع قواعد للعب باللغة الأصالة .

هذه القواعد لاتكشف عن سرها إلا على المدى البعيد جداً . لكن استطلاعاً أولياً يسمح ، على أي حال ، بتحديد أبرز الوقائع . إذ تميل تعديلات الهيكل

الاقتصادي إلى تدعيم وزيادة الشرائح الوسطى مثيرةً فيها توقعات استهلاكية غير معهودة . ويستند النمو السكاني إلى قاعدة آخذة في الاتساع من الشبان الذين يتراوحون بين ١٥ و ٢٥ عاما من العمر .(٣)

لقد اكتشفت أمريكا اللاتينية نفسها واكتشفت ،مع المعاصرة التي تتيحها وسائل الاتصال الجماهيري الجديدة ، وجود ظواهر مشابهة في مجتمعات أخرى .

هذه الصدمات الضخمة التي عانتها القارة منذ عام ١٩٤٥ وحتى أيامنا لم تتبد (أو أننا نفتقر إلى دلائل ذلك) في ذروة جيلية واضحة ، مثل تلك التي ندركها عن أخذ متوسط عقد العشرينات . لكن يجدر بنا أن نميز نوعاً من التصاعد الجيلي ذي خطوط دلالة تركز ، بقدر ما نقترب من أيامنا الملامح المميزة لقطيعة جيلية .

وفي أبعد تلك الخطوط يتعايش ميل تجريبي للطليعة ، الأقوى من سابقاتها المباشرات ، مع موقف نقدي حصيف ، موقف ضمير يتجسد في محاكمة الرجال المسؤولين عن الماضي وأعمالهم ذات الدلالة . ويذكرنا الميل التجريبي ، في اندفاعه ، بطليعة عقد العشرينات ، رغم أنه يحمل اطروحاته إلى حدود أكثر تطرفاً وتمثل حركة الشعر المحسوس في البرازيل ، بشكل دقيق ، هذا الازدهار التجريبي الذي يكتسح التعديلات الخجول التي حاولتها دفعة الشعراء التالين على انفجار أسبوع الفن الحديث عام ١٩٢٢ . ويطرح الموقف النقدي ، بالنسبة للشباب الذين يتخذونه ، التزاماً شاملاً بالموقف التاريخي المعاش ويسمح ،

---

(٣) « يمثل تزايد السكان في العالم ظهور دفعة ضخمة من الشباب . ويقدر أن عدد هؤلاء (ما بين ١٥ و٢٤ عاماً من العمر) سيزداد خلال ٤٠ عاماً ، أي من ١٩٦٠ إلى عام ٢٠٠٠ ، من ٥١٩ مليوناً إلى ١١٢٨ مليوناً . وأكثر من ثلاثة أرباع هؤلاء الشباب يعيشون في البلدان الآخذة في النمو: ٥٩ مليوناً في إفريقية ، و٣٢٤ مليوناً في آسيا ، و٤٤ مليوناً في أمريكا اللاتينية . ورغم أن هذا التطور السكاني كان متوقعاً منذ زمن فلم تتخذ دائماً الاجراءات المرغوب فيها لمواجهة وإعداد الشكل الواجب للاستقبال المنطقي لكل اولئك الشباب »، تقرير اليونسكو حول الشباب في العالم ، في رسالة اليونسكو، العام الثاني والعشرين، أبريل ١٩٦٩ .

كجزء من ذلك الالتزام ، بالمراجعة الدقيقة للأحداث وللمسؤولية الواقعة على منفذي الساحة التاريخية السابقة . إنه « حكم قتلة الآباء » حسب تشخيص الناقد إمير رودريجث مونيجال ، الصالح بالنسبة للكتاب الأرجنتينيين المولودين بين عامي ١٩٢٥ و ١٩٣٠ ، والذين يشرعون نحو عام ١٩٥٥ في مراجعة الأسماء المرموقة للأدب القومي ، أسماء « الآباء » من جيل عام ١٩٢٢ ،[٤] والوعي الأخلاقي هو ما يتخلل مجموعة روايات للأرجنتيني فينياس Vinas ، وكثير من أعمال البيروانيين سالاثار بودني Bondy وكوينجراينس مارتين Coingrains Martin والمكسيكيين فوينتس Fuentes وسبوتا Spota ، والتشيليين لافوركادي Lafourcade ودونوسو ، Donoso والفنزويلي جارمنديا Garmendia .[٥]

ومع تقدم عقد الستينات اكتسب هذا الوعي الأخلاقي قوة وحساسية نتيجة أحداث الثورة الكوبية التي تعد وسيط التفاعل الحقيقي لقارة امريكية ظلت على الدوام تقريباً معزولة ومتجافية داخل تقسيماتها القومية ، وكذلك نتيجة السلسلة المتصلة من إفلاس المؤسسات ، ونتيجة للتوترات الناشئة ، في وقت واحد تقريباً ، عن مراكزالتصنيع الجديدة ، وعن الهجرات السكانية الداخلية ، وعن استيعاب المدن . والى هذا الوعي ينتمي كتاب ولدوا قبل بضع سنوات من الحد الزمني المشار إليه آنفاً ، مثل مارتينث مورينو أو بنيديتي . وينتمي كذلك ، بالطبع ، أولئك الذين بدأوا الكتابة على حافة الأحداث ذاتها ، مدفوعين بضرورة الإدلاء بشهادة ، والتعليق ، والادانة . والواقع الكوبي ، المتضمن في سياق جديد نتيجة الأحداث الثورية ، هو الذي قدم أكبر سجل للأدب النقدي

---

(٤) Emir Rodriguez Monegal **El juicio de los parricidas** Buenos Aires, Deucalión, 956.

٥) تتمشى هذه الجبهة الاولى ، في جوانب كثيرة ، مع التشخيص الذي يقدمه خوسيه خوان أروم لـ « جيل ١٩٥٤ » ، أو جيل « الاصلاحيين » .

Esqueqma generacional de las letras hispanoamericanas, Bogota, Instituto Caro y Cuervo, 1963.

وأدب الشهادة على طول عقد الستينات (فلنفكر فقط في أسماء أوتيرو Otero ، ودسنويس Desinoes ، وكابريرا إنفانتي المبكر) لكن الآداب القومية الأخرى ، وخصوصاً في مجال الفن القصصي ، لم تتخلف هي الأخرى عن سجل الأعمال النقدية .

ب) مفهوم جديد للالتزام

بين الكتاب المولودين بعد عام ١٩٣٥ ، والذين يجب ادراجهم في المخطط السابق ، أصبح معروفاً ذلك الهامش الواسع من الحرية الذي يصوغون به موقفهم الشخصي الملتزم تجاه واقع عصرهم . وأغلبهم ، بلاشك ، ينقلون إلى أعمالهم ذلك الموقف ويحولونها إلى شهادة ، إلى فعل اتهام أو إلى آداة للدعاية الايديولوجية ، لكن كثيرين منهم ينجحون في فصل مهام الالتزام الشخصي عن المهمة النوعية للكاتب ، أي ، المهمة الجمالية ، أو يقررون لهذه المهمة الأخيرة طريقة مختلفة لارتباط بالمطالب الأخلاقية للالتزام .

وفارجاس يوسا ، المولود عام ١٩٣٦ ، هو ، من بين الكتاب الشبان ، الذي يعبر بحدة أكبر عن هذا الميل . فروايته ، المدينة والكلاب ، مازالت بمعان عديدة رواية مرتبطة بواقع يتضمن المنظور الأخلاقي للمؤلف ، لكن (الدار الخضراء) لاتتضمنه على الاطلاق ، وعناصر الواقع المشار إليهافي هذه الرواية تطرح نفسها كمجرد مرتكزات من أجل بناء جمالي . وعلاوة على تأليف هاتين الروايتين ، أخذ المؤلف يؤكد جذرية مهام التزامه الشخصي ، مؤكداً أو نافياً ، قابلاً أو رافضاً أحداثاً ومواقف تمثل رؤية أخلاقية للعالم واختياراً لمعايير محددة للحكم . وعند تلقيه جائزة « رومولو جاييخوس » عام ١٩٦٧ عن رواية (الدار الخضراء) أكد بارجاس يوسا :

« إن الأدب نوع من العصيان الدائم ولايسمح بارتداء قمصان المجانين . وكل المحاولات التي تستهدف اخضاع طبيعته العاصية سوف تفشل . يمكن للأدب أن يموت لكنه لن يكون ممتثلاً أبداً .

« فقط إذا حقق هذا الشرط يكون الأدب مفيداً للمجتمع . إذ إنه يسهم في الاكتمال الإنساني ويمنع بذلك الذبول الروحي ، والرضا عن الذات ، والسكونية ، والشلل الإنساني ، والترهل الفكري أو الأخلاقي . فمهمته هي التحريض ، والاقلاق ، والازعاج ، وابقاء الناس في هياج دائم ضد أنفسهم : ووظيفته هي إثارة الرغبة في التغيير وفي التحسين دون هدنة حتى حين يجب عليه من أجل ذلك أن يستخدم أكثر الأسلحة إيلاماً وحدة . . من الواضح أن الواقع الأمريكي يقدم للكاتب كومة من الأسباب لكي يصبح غير قابل للخضوع ولكي يحيا ساخطاً . لأنها مجتمعات فيها الجور هو القانون . . . . . فإن أراضينا المختلجة تزودنا بمواد وفيرة ، ومثالية ، لكي نعرض في القصص ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، ومن خلال الأحداث ، والأحلام ، والشهادات ، والاستعارات ، والكوابيس أو الرؤى ، أن الواقع سيء الصنع ، أن الحياة يجب أن تتغير .[٦] »

هذا البيان الملقى في كاراكاس كتحد علني للممثلين الواضحين وللمتواطئين مع الأمر الواقع الأمريكي اللاتيني يكرر حرفياً البرنامج القديم لكل الكتاب الذين اختاروا طريق التمرد في أمريكا . لكن مواجهة عبارات الخطاب بالمواد التي تقدمها الرواية الفائزة (وحتى بمواد الرواية السابقة ، **المدينة والكلاب**) يبدو أنها تؤدي إلى استنتاج أن المؤلف ، بانفصال كامل عن مقولات الواقعية النقدية وأدب الشجب التقليدي ، ينقل طاقة استفزاز العمل الأدبي إلى تأثيرات حضور جمالي ، إلى الامكانات الجذابة لبنية من الاشارات اللغوية لن تحيل إلى شيء آخر غير واقعها الخاص الا عبر شبكة معقدة من الوسائط .

تحريض القارىء ، وإقلاقه ، ودفعه لرفض واقع ما وللتغيير الثوري عن طريق التعامل مع نص بترت منه ، عمداً ، وجوه الراحة التعليمية « للرسالة » ،

---

(٦) أعيد نشره في
Mundo Nuevo, núm. 17, Paeis. noviembre de 1967.

هي محاولة متقدة ومعرضة لمشكلات عديدة ، وأكثر هذه المشكلات إثارة للجدل ، بالتأكيد ، تشير إلى الخصائص التي يجب افتراضها في جمهور قادر ثقافياً على ترجمة واستيعاب عبارات التحريض المطروح . وبعيداً عن هذا الهدف القابل للجدال ، يستخلص من أعمال فارجاس يوسا ومن نغمة تصريحاته يقين لايتزعزع في إمكانات التغيير ، وثقة في التاريخ يبلغ من صلابتها أن تتيح للفنان أن يستخلص منها إمكانية الاختيار . أما كابريرا إنفانتي في ثلاثة نمور حزينة ، وسيفيرو ساردوي في (إيماءات) ورينالدو أريناس في (راهب أمام الفجر) ، في سياق الواقع الكوبي لعقد الستينات ، فيشيرون إلى إمكانية فصل العمل الأدبي عن التعليق التقليدي على الأحداث ، وإلى محاولة جعل هذا التعليق يقوم على حرية الفنان ذاتها في نطاق اتساع قواعد للعب تسمح للكاتب بالغوص دون قيود في مجال اللغة والتكنيكات التعبيرية .

وفي أوضاع قومية أقل اختلافاً من الوضع الكوبي يميل القاسم المشترك للالتزام الإيديولوجي الذي يتخذه الشبان ، نسبياً ، الى استخدام ذلك النوع من الآلية ذات الزمنين : فصل الحالات والمزج بينها ، وهو الملاحظ في أعمال الكتاب المذكورين . ويبدو الأمر وكأن أمريكا اللاتينية ، على لسان الكثير من أكثر الناطقين باسمها شباباً ، مستعدة لتحقيق المصالحة بين الطليعة الفنية والطليعة الإيديولوجية ، ذلك الحلم المحبط لأجيال عديدة .

ومن منظور جيلي بحت لايبدو أن الكتاب الذين يحاولون إجراء هذا النوع من المصالحة يشعرون بأنهم بعيدون عن كتاب الدفعات السابقة ، ولا عن الكتاب الآخرين من الجيل نفسه ، نتيجة الطريقة المختلفة التي يفهمون بها الواقع ، ونتيجة الرؤية الأخلاقية أو مطالب الالتزام السياسي . وبالمقابل فإن الكفاءة المهنية ، واستخدام مستويات معينة لجودة التعبير يفرضان نفسهما باعتبارهما النويات الأساسية للتقارب والتعارف . بهذا المعنى يكون بورخس ، بالنسبة لهم ، كاتباً لايمكن الاعتراض عليه ونموذجاً ، وذلك على هامش الحكم الذي تستحقه مواقفه الشخصية ، والشيء نفسه بالنسبة لجيمارايش روزا ، ولأونيتي ،

رغم انكماشها ، وكذلك سيكون جارثيا ماركث وهو حِرَفي يكرس نفسه بحماسة لمهمة عرض الأساطير .

خلال أقل من خمسة عشر عاماً نجد أن الدفعات التي اتخذت بطريقة أو بأخرى موقفاً تجاه واقع عصرها ، والتي تكون الجبهة الجيلية أخذت تعدل تدريجياً السلوك الأولي لـ « قتلة الآباء » ، بينما تمزق الحكم الفني للجمهور ، وتفضل الأمر الأول عن الثاني في كل مرة يكون من الضروري فيها التعليق على مؤلِّف محدد . والملاحظات التي يمكن اصدارها عند التحقق من هذا التحول السريع في المنظور في إطار الجيل نفسه يشير إلى مجالات اهتمام مختلفة ، رغم أنها جميعاً تبرز الى موضع الصدارة حدثاً فريداً : فبالنسبة لهؤلاء الكتاب جُرِّد وضع الكاتب من شحنة التوقع العام التي ظلت مرتبطة به . ورغم أن الكاتب يواصل ، بكلمات فارجاس يوسا ، تقدير قدرة الأدب على التحريض وتقييم نفسه باعتباره محرضاً أساساً ، لاتتضح في الصورة الذاتية المطروحة قاعدة التمثال التي اعتادت أن تقوم عليها صورة الكاتب في أمريكا اللاتينية .

وبالطبع ، وضمن هذا الإدراك للكاتب وللأدب الملتزمين ، يستبعد قليلون ، حين يكون الأمر ضرورياً ، الحكم ذا الطابع السياسي ، ولايكفون عن إدانة الانحرافات الايديولوجية أو عن التحذير من أخطار نشاطات معينة . ويسجل أدب جدالي وفير في كل حالة ، خلال العقد المنصرم ، الغيرة التي تحاول بها هذه الجبهة من الكتاب الحفاظ على حدود أورثوذكسية واضحة بين الأعمال المشروعة وغير المشروعة .[٧] . لكن يبدو بصورة عامة أن ثمة ضعفاً في التوحيد بين صور الكاتب وأعماله وبين صور الرجل العام القريب بدرجة أو بأخرى من دوائر السلطة السياسية .

إن أسطورة الكاتب ـ الرجل العام ـ التي ولدت في تقاليد تعود إلى

(٧) النفي الاختياري لعديد من كتاب أمريكا اللاتينية في مدن أوروبا، وقطيعة كابريرا إنفانتي مع ممثلي الثورة الكوبية، والدعم المالي للمؤسسة الراعية لمجلة موندو نويفو [العالم الجديد] Mundo Nuevo هي بعض الموضوعات التي أثارت أكثر الخلافات حدة .

الرومانتيكية في عصر تشكل القوميات ، قد واصلت البقاء بانقطاعات مختلفة ، رغم تقسيم العمل الخاص بـالمجتمعات الحـديثة . وإذا تنـاولنا المصـطلحات النسبية بالعناية الواجبة ، فربما أمكننا أن نصادف في بعض الكتاب الذين بدأوا النشر حوالي عام ١٩٥٥ آخر آثار هذه الأسطورة . لكن الكتاب الأكثر شبابـاً يطرحون رؤية مختلفة لذلك . ولكونهم أكثر تخصصاً بالتدريج فإنهم لايترددون في اختيار المنفى ، أو الاعتزال في الحياة الخاصـة ، أي ، القطيعـة مع الـظروف المحيطة بهم ، إذا كانت هذه القرارات تسهم في ضمان كفاءة وفعالية العمـل الأدبي .

٤ ـ الشبيبة الراهنة

أ) التضامن الجديد

إن امكانات أن يتحول الأدب ، بأدواته النوعية ، إلى مرآة لمجتمع يحس بأنه قد تغير بعمق في أكثر شرائحه حساسية تصلح كعناوين لعمل عديد من الجهود الفردية والجماعية . وعلى المستوى النظري ، على الأقل ، فإن بعض الجوانب المشار إليها في عمل القصاصين سابقي الذكر يلقى اهتماماً خاصاً ، ويتعدد فيه المؤشرات على وجود مقالة جماعية مليئة بالحيوية .

وفي الشعر البرازيلي الأخير ، كيما نشير إلى إطار قومي يتضح فيه بدقة تتابع سمات جيلية متتالية ، شنت جماعتا فيريدا (الـدرب) Vereda وبراكسيس (الممارسة) Praxis غارات على مختلف المحاولات التجريبيـة التي تسعى إلى جعل اللغة الشعرية ملائمة ، وإلى تجديد البنى التي أفادت في التعبير تقليدياً عن رؤية واقع جرى تجاوزه ، وإلى كسب قبول جمهور اعتبر أن شعراءه قـد تخلوا عنه . وكرد فعل حي ضد ممارسات طليعة وقعت في أحبولة هاجس الأشكال ، تريد هذه الجماعات أن تجعل من نفسها مفسّرين مشروعين للواقع وتريد غرس تكامل القصيدة مع القارىء في دائرة تواصل تثري الطرفين . وكما يقول الناقد والشاعر أفونسو رومانو دي سانتآنّا :

« ليكن واضحاً من البداية أنه بالنسبة لنا ، نحن الأمريكيين اللاتين ، برازيليي عام ١٩٦٤ ، أن الطليعة ليست مرادفاً للقفز الأعمى فوق الهاوية ، ليست لعباً ، ليست إطناباً عن العدم ، ولا وسيلة خرقاء لإذهال البرجوازيين epater les bourgeois . إن ما نريده هو العكس تماماً : تجنب الإدعاء ، توفير السادية الثقافية ، الهروب من المونولوج ، البناء بدل الهدم . ولا يرضينا أن نكون مجرد انعكاس للأزمة الصناعية البرجوازية . بالعكس : فكوننا طليعة يعني التأثير في الأزمة ، استيعابها ، اختزالها إلى معطياتنا الخاصة ، تجاوزها ، وعدم الاقتصار على تلخيصها تاريخياً »(٨)

وكثير من التجارب المتضمنة في هذا التعريف للطليعة مشتركة مع اللغات التعبيرية الأخرى ، وخصوصاً مع لغة التعبير التشكيلي، ومع تقدم عقد الستينات ، تأتي في المدن الرئيسة لأمريكا اللاتينية مفاهيم من قبيل « العمل المشارك » « والعمل المفتوح » لتشهد على رغبة متزامنة في الخدمة . ويتكثف التأمل في الموضوع الفني ذاته ، لكن هذا التأمل يقوم على أساس افتراض أخلاقي ، في توجيه للمعنى يحث الفنان على خلق لغة معادلة للعالم الواقعي ، على خلق نوع من « الاستعارة المعرفية » للعالم .(٩)

إن إدراك الواقع المتحول ، والقلق المترتب عليه من أجل العثور على اللغة والعادات الذهنية القادرة على التعبير عنه ، قد ألهم كذلك محاولات أخرى ، أقل إرتباطاً بحل المشكلات الشكلية . ففي عام ١٩٦٤ ، في العام نفسه الذي حدد فيه الناقد أفونسو رومانو دي سانتانا مشروع الطليعة البرازيلية الشابة ، رتبت مجموعة من الشعراء الأمريكيين اللاتين ذوي الميول المختلفة والأعمار التي تتراوح بين الثامنة عشرة والثلاثين لقاءً من أجل وضع أسس تضامن جديد . لم تكن

---

(٨) En Revista de Ciltura Bra silena, núm. 11, t. III. Madrid, diciembre de 1964.

(٩) حسب التعبير الذي تبناه ونشره أومبرتو إكو في العمل المفتوح

Umberto Eco, Obra abierta, Forma e indetermina ción en el arte contemporáneo, Barcelona, Seix - Barral, 1963.

المناقشات السياسية قليلة خلال اللقاء ، ولا الميل إلى توجيهه باتجاه نوع دون آخر من الالتزام الايديولوجي . إلاّ أن الاتجاه السائد بدا أنه يتجاوز الفعل السياسي وجعل الأدب أداة ايديولوجية . وتتركز نقاط الاتفاق في شجب التهافت في عالم مستلب بواسطة الميكنة وبيروقراطية السلطة ، وكذلك في النداء إلى الحساسية المبدعة ، وإلى الذكاء القادر على العمل خارج الأنساق المتصلبة والعقائد الجامدة .

وذلك التهافت الذي جرى شجبه في أشكال متعددة للحياة ، والمواجهة الضرورية بين « القديم » و « الجديد » ، لايتبديان على شكل صراع جامد بين الأجيال . فقد دعى الشعراء المنظمون للقاء وتلقوا رسائل من الكتاب هنري ميللر ، وسلفاتوري كاسيمودو ، وفيتولد جومبروفيتش ، وتوماس ميرتون ، وخوليو كورتاثار وآخرين عديدين ، وهذه ، بالتأكيد ، قائمة متنافرة ، لكنها تميل إلى استنقاذقيمة بعض الشخصيات المحددة من الطوفان الذين يجتاح عالماً ينتمون إليه زمنياً . والصور التي تطرحها أعمال هؤلاء المؤلفين (وحيواتهم ، إلى حد بعيد) توضح معنى الكثير من التصريحات التي أعلنت خلال اللقاء ، وتساهم ، على الأقل ، في اكسابها مصداقية مغرية .

وبعض عبارات البيان الخارق الأول Primer manifiesto cronópicoوإعلان المكسيك Declaracion de México، وهما الوثيقة التي تبلور العناصر المتطابقة مع عناصر اللقاء من أجل (« التضامن الجديد » ، يسعى إلى إبراز توحد الفنانين الشبان مع ضرورة التغيير ، ويطرح صنيعاً للفن وللحياة لاتنكر بزوغ عصر جديد « أصبح مرتقباً في كل القارة ويلاحظ في جهد سكانها من أجل إقامة عالم مختلف ، ويضفي مضموناً واقعياً على تعبير الروح المتمردة في وجه كل ابتزاز ايديولوجي ، أو سياسي ، أو اقتصادي »(١٠)

وبعد اللقاء واصل بعض الشعراء الذين شاركوا فيه تحديد تعريفات هذا

(١٠) En : Arte y rebelión, Buenos Aires, The Angel Press, 1965.

التمرد . وانتشرت من بوينوس آيرس ، عام ١٩٦٧ ، صيغة القوة الشابة ، كمعادل لأحداث اجتماعية ذات نتائج واسعة المدى : « القوة الشابة ، أيضاً ، هي اليوم مفجر المجتمع المستقبلي » .(١١) من هذه التعبيرات وغيرها ، والمصوغة في الأسلوب النمطي للبيانات ، يبدو أن من الممكن استنتاج وجود تلاصق بين الأجيال مع بعض السمات المميزة ، رغم أن التصنيف حسب العمر لا يهم كثيراً المندرجين فيه ، ورغم أن الاحساس بالانتماء إلى جبهة جيلية لايبالي بإضفاء التجانس والتماسك على مجموع الأعمال التي يطرحها المؤلفون حتى الآن .

ب) تضارب المشاعر

إن صيغة القوة الشابة وارتباطها بأحداث اجتماعية متفجرة على نطاق عالمي يمكن كذلك أن تفيد كجسر لتقديم تشخيص لتلك الملامح التي تتمتع بها الشبيبة الأمريكية اللاتينية التي تفرض قسماتها على الخريطة الشاملة للمجتمع الاستهلاكي الحديث . فقدلوحظت الظاهرة في البداية في الولايات المتحدة الأمريكية ثم في أوروبا التي لم تكد تخرج من هزال ما بعد الحرب . فقد أخذ مستوى من الرخاء الاقتصادي لم يشهده التاريخ حتى ذلك الحين ، أخذ في خلق المنتجات المادية وتوزيعها ، أخذ يشبع وفي الوقت نفسه يحفز تطلعات استهلاكية جديدة . بالنسبة لجيل الكبار ، بطل هذه العملية ، جاءت تأثيرات هذا الرخاء لتغطي بل ولتتجاوز أفق تطلعاته المادية ذاته . أم بالنسبة لمن جاءوا بعده مباشرة ، بالنسبة للأكثر شباباً ، فقد بدت هذه التأثيرات ملكية مشاعاً ولم تتأخر كثيراً في الظهور بوضوح بمظهر الأمور المشكوك فيها . ففي المقام الأول فكك الرخاء بؤر التوتر التقليدية ، وأغرق أكثر الأهداف نزوعاً إلى العنف في سياقات متضاربة المشاعر بين عدم امتثال خطر أو تمرد دون غاية .

ويجد الناقد ماركوس كلاين Marcus Klein في الروائيين الأمريكيين الشماليين الذين بدأوا الكتابة خلال عقد الخمسينات انعكاس موقف يتراوح بين

---

(١١) En : Solcalmo, Buenos Aires, 1967.

التوافق ، أي فقدان روح الانشقاق ، وبين رفض يتخفى تحت أشكال البراءة الراديكالية أو العدمية ، أو فقدان السلوك المهذب ، أو ا الانغماس في المشكلات الميتافيزيقية .[١٢] وإرنست فيشر Ernst Fischer ، بدوره ، حين يراجع كوماً من المواد من أجل مقاله مشكلات الجيل الشاب ،[١٣] يقدم صورة مماثلة لشبيبة البلدان الصناعية الأولى في أوروبا . فالرعب من كل شرط للمساومة الاجتماعية يبدو أنه يجسد أحد تبديات الاحتقار لعالم الكبار ، لكن بقدر ما ينصرم العقد وتتأكد ميول هذا الاحتقار تبدأ في التمايز ، بصورة علنية مادة شكل جديد من المساومة . وقبل انفجارات مايو ١٩٦٨ في باريس ، وقبل القلاقل الطلابية التي سبقتها في مدن أوروبية أخرى ، استطاع فيشر أن يلخص على النحو التالي تشخيصاً للجيل الشاب :

إن أكثر مايبعث على الاستغراب هو السطح الساكن للامتثال ، الناعم مثل بركة من الزيت ، لقبول عالم يجري الاحساس بحمقه ، وتشوهه وجوره ، لكن يجري التسليم بسطوته وديمومته ، ورغم ذلك فإن هذا السطح يخفي تيارات ، وتوترات ، وتحركات خفية ، تمزقه فجأة في دوامات ، وهياج ، وتقلبات ، بشكل عفوي ، دون غاية ، وباتجاه الفراغ .

وتميل وقائع الأحداث التي كانت الشبيبة بطلتها ، منذ عام ١٩٦٥ تقريباً ، إلى إثبات أن سطح القبول تقل كثافته تدريجياً ، وأن فقدان العمق هذا يغذي دوامة متزايدة العنف .[١٤] ويتولى فن الشبان الذين تربوا في المجتمع

(١٢) Marcus Klein, Después de la alienación, La novela nortamericana actual, Buenos Aires, Paidós. 1968.

(13) Problemes de la generacion joven, Madrid, Ciencia Bueva, 1965.

(١٤) من الواضح أن القطاعات الطلابية احتلت مكان الصدارة في تحديد الأعمال العنيفة . ويبدو أن هذه الحقيقة تؤيد بعضا من أكثر الافتراضات اغراء لدى ماركوزه ، وتطلق العنان بالفعل لمجموعة ضغط قوية ومجهولة. وقد نقلت الصحافة العالمية وقائع الانتفاض الطلابي بكل تفصيلاته. ويمكن الرجوع إلى مادة وفيرة من المعلومات في Las Luchas estudiantiles en elmundo ، Buenas Aires, Galerna, 1969, وهو نسخة من الكتاب الأصلي :
Combat d'étudiants, Paris, Seuil, 1968.

الاستهلاكي وأدبهم دوراً هاماً وغريباً في عملية التخريب هذه . إذ يتعاونان مع هذه العملية حين يفحصان ويعدّلان بجسارة صيغهما التعبيرية الخاصة ، ويتعاونان معها حين يعكسان صراحة صدمة العقلية الشابة مع هياكل عالم موروث ، لكنهما يخضعان لهذا العالم على نحو ما حين يستخدمان قنوات قبوله ، حين يسمحان بتصفيق جماهير الكبار من برجوازييه الذين لم يعودوا موضع تشهير ، وذلك من خلال دوائر النشر ، وأجهزة التعميم ومقولات المكانة . ومن المؤكد أن فنانين عديدين قد بدأوا في الابتعاد عن هذ الابتلاع الذي يقوم به الجمهور المتبرجز . فثمة مجلات أدبية شبه سرية ، ومعارض تهمش نفسها عمداً بعيداً عن الصالات التجارية والمتاحف الرسمية ، وموسيقيين ورجال سينما لايقدمون أعمالهم إلا خارج الحلقات التي تحكمها الدوائر الرسمية . وبقدر متفاوت يبحث هؤلاء الفنانون عن التجانس بين سلوكهم وأعمالهم ، ويسبغون على إيماءاتهم طابعاً زاعقاً ونزالياً ، لكنهم مازالوا ، رغم عددهم ، يثيرون الانطباع باعتبارهم استثناءً من المجموع .

ومن المسلم به أن تطور الصناعة والتكنولوجيا في بلدان أمريكا اللاتينية لم ينتج مستويات الرفاهية الاقتصادية البادية في أوروبا وفي الولايات المتحدة الأمريكية . إلا أن هذه المستويات توجد كشرائح ذات قدر متفاوت في النويّات المدينية الأساسية للقارة ، وتبدو تأثيراتها مصطبغة بالألوان نفسها . وإلى هذه التشابهات في الطبيعة الهيكلية يجب إرجاع المثيرات الناشئة عن اكثر المراكز تطوراً ، والتي تعمل بواسطةوسطاء متميزين في دائرة من العدوى الثقافية .

إن كوكبة حقيقية من الأساطير الجديدة تؤاخي في الاهتمام بين آلاف الشباب الأمريكي اللاتيني باعتبارها غذاء لمخططات فكرية وقوة تشكل خيالية . فمن البيتلز إلى مارشال ماكلوهان ، ومن عقار الهلوسة إلى بوذية الزن ، ومن ألين جينزبرج إلى كورتاثار تقوم قائمة مشتركة من الشخصيات والموضوعات بدور الواجهة الواضحة للتعارف بين هؤلاء الشباب .

لقد ولدوا جميعهم تقريباً بعد عام ١٩٤٠ ، وينتمون أو يحسون أنهم مندرجون

في مقولات الطبقة المتوسطة المدينية ، وهم طلبة جامعيون أو كانوا كذلك أو أدّوا بعض الدورات في أكاديميات الدراسات العليا ، ويبـدون استهانـة بالـروابط العائلية وبالنزعة التسلطية ، في أي مظهر من مظاهرها ويعلنون تسامحاً مفتوحاً في الأمور الجنسية ، ولايبدو أنهم يحملون الاختلاف بين الجنسين بأي شكل من أشكال التحريم أو المنع التي لاتزال سائدة في عـالم الكبار ،(١٥) وفي الشؤون السياسية فإنهم ينفرون من كل نزعة انقسامية إيديولوجية ، ويقدمون مجالاً واسعاً من الاختيارات تندرج فيه المبالغات الفوضوية وكذلك التعاطفات المبدئية مع العفوية التي عادةً ما تصاحب أكثر حركات اليسار جذرية . وعلى العكس من شبان الأجيال السابقة الذين تصرفوا دائماً باعتبارهم مجموعات أقلية مقحمة في مجتمع الكبار الـذين يحتملونهم ، ويصفقون لهم أو يتجـاهلونهم ، فإن هؤلاء الشبان واعون بعددهم ، بازديادهم المدهش في البيانات السكانية ، ويعرفون أن المجتمع بأسره يراقبهم باهتمام متـزايد ، بـاهتمام قلق . ويتـولى أحد هؤلاء الشبان ، وهو الروائي المكسيكي مانويل فاريل جوثمان ، هذا التعريف الجيلي :

ليس العالم كما أريد وأرى بكبير رضى أنني مجرد واحد من الشباب العديدين

---

(١٥) هذا السلوك، الذي يصبغ حزمة كاملة من الظواهر الاجتماعية ـ الثقافية يوضح الدور المختلف الذي تتولاه المرأة في أحدث إنتاج أدبي. فحتى جيل أو إثنين (فكر في حالات جابربيلا ميسترال ، أو خوانا ايباربورو أو فيكتوريا اوكامبو) كانت المرأة تطرح في كتبها وفي قرار نشرها استراتيجية نضال حقيقية.كانت النساء يسعين إلى الاعتراف بهن وقبولهن، رغم كونهن نساءً، في العالم الخاضع لقيم ذكورية أساساً . وخلال الثلاثين عاماً الأخيرة شهد الموقف تحولاً ملحوظاً . من المؤكد أن المواقف المتحاملة لم تختف تماماً ، لكن نساء الدفعات الأخيرة يبدون غير منشغلات بها، أوعلى الأقل، لا يغرسن ، في نشاطهن ككاتبات أي قصيدية تحيل إلى الجنس باعتباره شرطاً أصلياً أو مميزاً. حقاً إنه يمكن إدراك أن تفضيلات معينة للموضوعات، مثل الحنين إلى الطفولة، أو النزاعات في النواة العائلية، لاتزال تحتل موضعاً بارزاً في الأدب الذي تكتبه نساء . انظر في هذا الصدد :

Noé Jitrik, Particapación de la juvenrtud en la literatura, en Revista de la Univer-stdad Nacional de Córdoba, ano IX núim. 5, Córdoba, noviembre- diciembre de 1968.

المفتقـرين إلى الاحترام ، وغـير المتعقلين ، وغير النـاضجين لكن الـواعين ، الواقعيين ، غير الراضين ، القساة ، لكنهم مـوهوبـون ، الموضـوعيين لكنهم مثاليون ، الذين يحاولون هز الهياكل القائمة حتى يحدثوا فيها شرخاً ، شرخـاً واحداً ، حتى يضعوا فيها ظفراًواحـداً يخرج مـا أورثتنا إيـاه الأجيال المـاضية بأنانية ، وبحمق بالغين . لايرضينـا ما نحصـل عليه ولن نـرضى مثل جميـع الآخرين : لسوف ندمر حتى نخلق عالمناً أكثر انتماءً إلينا ، أكثر واقعية ، أكثر تمشياً مع العصر . .

إنني أنتمي إلى الجيـل المكسيكي المشـع نـوويـاً ، إلى الجيـل العـالمي الغاضب . . . . (١٦)

وفي سن الثانية والعشرين ينشر الأرجنتيني اكتورليريتيا عام ١٩٦٨ ، رواية ، هي طريق السعداء* El camino de los hiperboreos وهي حكم لاذع على

---

(١٦) ورد في الفن القصصي الشاب للمكسيك Narrativa jovenfe México, México Siglo xxi, 1969. ، مع تصدير هام لمارجو جلاتنس Margo Glantz. ومن بين مجموعة النصوص الواردة، فإن أقصوصة خوسيه أجوستين (١٩٤٤) José Agustín، ماهي الموجة، هي التي تقدم عناصر إثبات أكثر واوضح للمنظور الوارد في مقالنا . وفي ملاحـظة التقديم، يجيب خـوسيه اجـونستين عـن السؤال: ما رأيـك في جيلـك قائـلاً : « أمقت مصطلح الجيـل (أرجوكم ، تصحيحات عاقلة : لا تضعوا عبارات بذئية حيث لا أريد أن ترد) . وأمقته لأن: دو، لأنه مصطلح مستهلك ولا معنى له باعتباره سيكودرليك ، وأجو ـ جو واستقراراً للشعب المكسيكي ؛ دي ، لأنه يمكن أن يضم أناساً من السن نفسها أو يظهرون جماهير في التاريخ نفسه؛ في ، لأنه كلمة حادة ذات أربعة مقاطع ويصعب إدراجها في أغنية شعبية ؛ فا، لأنه ديماجوجي مثل كثيرمن الكلمات متعددة المقاطع والمنتهية بمقطع (ión) [جيل تعني generación] . وفي الواقع أعتقد أنه لفهم ما يجري في أدبنا فإن كل الكتاب الذين وجدوا ينتمون إلى المرحلة نفسها (الجيـل ، إذن) : مرحلة البدء. وبالنظر إلى الأمر على هذا النحو أعتقد أن الامر يسير سيراً حسناً وسوف نصل إلى نضج رائع قريباً » .

* hiperbóreos : التي ترجمناها بالسعداء ، هم شعب أسطوري سعيد كان الاغريق يعتقدون أنه يقيم في منطقة شمالية تنعم بأشعة الشمس على نحو سرمدي . [المترجم] .

عالم الكبار ، وعلى بناه العقلية ، وعاداته الحياتية وصيغه التعبيرية . الأدب كذلك ، فيما يخص طقوس وجوده التقليدية ، يبدو مداناً تحت غطاء الخداع التهكمي لمسابقة أدبية ، لحرق الكتاب الفائز ، للخطاب الذي يلقيه بعد وفاته دكتور في الأدب . ومن المؤكد أن المسافة بين الايماءات والأفعال مازالت بعيدة . فالكتاب الواقعي يقدم إلى مسابقة واقعية ، والجائزة ، التي تقدمها دار نشر هامة في بوينوس آيرس ، تدخل المؤلف في دائرة يتوفر فيها ، بالطبع ، سوء الفهم . هذه المسافة يمكن أن توضح جيداً تضارب المشاعر المشار إليه آنفاً بين الدور التخريبي وانضمام الفنان الشاب إلى المجتمع الاستهلاكي ، والمثال المختار ، بين أمثلة أخرى ممكنة ، لايسعى إلا إلى تشخيص موقف محدد . أما الموقف المعاكس لهذا الموقف ، والذي يحمل سمات مشابهة لتلك الملاحظة في حالات الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ، فيتمثل في حركة ناشئة تميل إلى أن تستوعب فيما بينها دور النشر والمجلات الغريبة على الدوائر التجارية ، من أجل إقامة شبكة نشر غير مشكوك في تواطئها مع العالم الذي ترفضه . ويجهد كثير من الفنانين التشكيليين ورجال السينما في أغراض مشابهة ، وقد أتاح لهم ظهور مواقفهم في رفض المعارض والمسابقات المحترمة الحصول على نتائج ذات أثر واسع .

إن الاستهانة تجاه الروابط العائلية وتجاه كل اشكال النزعة التسلطية ، والتسامح الجنسي ، والمرونة الايديولوجية ، والاحتقار الراسخ للصيغ والعادات التي تحيل إلى عالم الكبار ، والتي طرحت جميعها باعتبارها علامات كاشفة للسلوك الجيلي ، أو إذا شئت ، لقطاع ضخم من الشبيبة المعاصرة ،لايجب اعتبارها محصلة نهائية لعلامات لاتتجسد في الواقع إلاّ تحت بعض جوانبه . فالعناوين الحديثة جداً للإنتاج القصصي على الأقل ، لاتدع مجالاً للشك في الآنية التي تتضح بها تلك المؤشرات .

ومن بين تلك العناوين ، فإن رواية المرعى الأخضر Pasto Verde ، للمكسيكي رامينيديس جارثيا سالدانيا Parménides Gãrcia Saldaña ،

المولود عام ١٩٤٤ ، يمكن أن تكتسب مكانة تمثيلية واضحة . فالفوران يبدأ هنا ، كما يحدث عادةً لدى قصاصين شباناً آخرين ، من المعالجة التي تخضع لها اللغة . فالاستعارات المأخوذة من اللغة الانجليزية ، والرطانات الحمقاء التي تشير إلى نوع من « اللغة الحرة » ، البديلة لإسبانية المكسيك وإنجليزية الولايات المتحدة الأمريكية ، وفقدان الذاكرة الفريدة تجاه علامات الترقيم والقواعد النحوية ، كلها تكمل ، بمساعدة جرعة جيدة من الموهبة ، مهمة تآكل كل ما يفرض في اللغة على أنه مؤسسة ، على أنه إطار من القواعد الموضوعة بصورة جامدة من جانب أجيال أخرى . كذلك فإن القطيعة مع المخططات التقليدية للحكاية؛ إزاحة المحاور القصصية ، وغموض الملامح النفسية أو مجرد التهكم عليها ، تسهم في هدف العداء للمواضعات الموروثة من الماضي ، حيثما تظهر هذه المواضعات . ثم هنالك المضامين الواضحة للرواية : السلوك المتزمت لمجتمع الكبار ، والثقل الميت للمؤسسات؛ وذوبان الروابط العائلية ، وأخلاقية الجنس الجديدة ، واسم كل واحد من الأبطال الذين تفتح أفكارهم وحيواتهم منظور أخلاقية حقة ، والنصوص التقريرية الصريحة :

تذكروا يا أبنائي أن المرء حين يعيش في الظلمات يريد أن يقذف الأحجار على أي شخص وأحياناً على نفسه ، لكن كلما قل ذلك كان أكثر أمانة . لكن لماذا قذف الأحجار ؟ لماذا ؟ ليس له معنى، وسيكون بمثابة الاشتراك في اللعب . وحين يلعب المرء ينتهي به الأمر إلى التبلبل لأن الناس حين تلعب لاتفكر وحين تفكر تملأ الحياة بالقواعد ، ومن أسهل الأمور إثبات هذا . فالمرء يربت على شخص ما وسرعان ما يصبح هؤلاء الناس فارغين ويختفون في منتصف الطريق . الموجة هي عمل ما يريده المرء ونقطة وبس !

. . . أعرف أين الهدف في جنة العدم هذه وسأحاول يومياً أن أكون مالم أكنه بالأمس وسأحاول ألّا أكون مثل الآخرين ولهذا استخدم اليوم عدسات داكنة لمجرد أن أميز نفسي ، ولهذا أرتدي حذاءً من الجلد عليه طين حتى لاأنسى الطريق الذي أقطعه . . . يسقمني ألا أشعر أنني حر . ويجب ياطفلتي في الحياة

أن نكون أحراراً مثل الريح ، أحراراً مثل الطيور والنحل ، ومثل الأشجار والأزهار .[(١٧)]

إنه تمجيد للفردية الفوضوية ، وعودة إلى براءة الطبيعة يصلحان ، تحت غطاء الابتهاج والثقة في النفس الكامنين في الموعظة ، لأن يكونا بمثابة فعل اتهام جارح !



(١٧) Parménides Garcia Saldana, Pasto Verde, México, Diogenes, 1968.

الفصل الثالث
مناقشة متصلة

خوسيه ميجيل أوفييدو(*)
José Miguel Oviedo

خلال أقل من خمس عشرة سنة ، يمثل عقد العشرينات محورها ، تشكلت الرواية الأمريكية اللاتينية المعاصرة : ففي عام ١٩١٦ ظهرت رواية أناس الحضيض Los de abajo لأزويلا Azuela ، وفي عام ١٩١٨ (شخص ضائع Un perdido) لباريوس Barrios ، وفي عام ١٩١٩ جنس من البرونز Raza de bronce) للألثيدس أرجيداس Alcides Arguedas ، وفي عام ١٩٢٤ (الدوامة La vóragine) لريفيرا Rivera ، وفي عام ١٩٢٦ (الدون سيجوندو سومبرا Don Segundo Sombra) لجويرالديس Guiraldes ، وفي عام ١٩٢٨ (ماكونايما Macunaima) لماريو دي أندرادي Mario de Andrade ، وفي عام ١٩٢٩ (الدوينا باربارا Dóna Barbara) لجاييخوس Gallegos . ومع هذه الروايات ولدت رواية جديدة وولدت مذاهبها الأكثر تحدياً : النزعة الهندية ، والكريولية ، والإقليمية ، والطبيعية الحضرية . إلا أن كل هذه الظلال تلتقي في اتجاه مشترك . هو الوثائقية ، التي تحاول أن تقدم سجلاً لواقع كل بلد ، سواء كان هذا الواقع جبلياً أو اجتماعياً ، زراعياً أو

(*) ناقد بيرواني (ولد في ليما ١٩٣٤). من أعماله الأساسية : سيزار فاييخو: دراسة نقد وترجمة حياة (ليما ١٩٦٤) ، عبقرية وصورة ريكاردو بالما (بوينيوس آيرس ١٩٦٥)، قصاصون بيراونيون (كاراكاس ١٩٦٨)، ماريو فارجاس يوسا: ابتكار حقيقة (برشلونه ١٩٧٠). كان أستاذاً زائراً في جامعة إسكس في إنكلترا، ثم صار استاذاً في جامعة سان ماركوس وفي الجامعة الكاثوليكية في ليما [المراجع] .

سياسياً ، وذلك من موقف توضيحي وتصويري على الدوام . هذا الالتصاق بالطبيعة ، وبالنماذج المباشرة التي يقدمها الواقع ، على وجه العموم ، هو نتيجة لمهمة تبشيرية : فروايات الفترة المذكورة تمثل بيانات اتهام وشجب للعنف والجور اللذين يحكمان حياة الإنسان الأمريكي ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، تقوم بدور بديل لكتاب الرحلات : حيث إنها تصف البلد لمن لايعرفه أو لمن يعرفه بصورة سيئة ، تدخل الغابة ، والسهل ، أو نفق المنجم لكي توصل رسالة عن الهوية القومية تصحح الاختلافات السحيقة التي تخفيها السياسة الرسمية . إنها تطرح أخلاقاً وإيماناً ، حين لاتطرح نضالية ، وهي في أعماقها إيجابية ومليئة بالأمل رغم كون لوحاتها كئيبة وفظة : حيث تشرحها التقوى وجهد التبرئة .

ثمة استثناءات ، بالطبع ، مثل (الدونسيجوندو سومبرا) التي تعني تجاوزاً للنزعة الكريولية لمنطقة الريوديلابلاتا وذلك بطرحها صورة ميثولوجية ، « شاعرية » للجاووشو ، ومعالجة مفرطة الفنية للواقع : إن المؤلف يصنع رواية الأرض ويتلقفها من يدي فاليري لابروه Vélery Labraud والجديين ، و « يضفي النبل » على مادته باستمتاع جمالي . يقول جويرالديس في إحدى رسائله : « لدي إحساس بأن أعمالاً معينة تنفصل عن أصلها لأنها أنجزت إنجازاً شكلياً يمكنها من أن تكتفي بذاتها ».[1] لكن رواية جويرالديس ، رغم نجاحها ، كانت تركب تياراً أقوى من أن يجعلها تغير اتجاهها . وفي تلك الفترة نفسها كان شخص مستوحش ، كاره للبشر ، معذب يذرع ، ضائعاً ، منطقة ميسيونس Misiones النائية ، يكتب أفضل (وأفظع) قصصه - تلك التي يمكن قراءتها في كتاب (المطرودين من أراضيهم Las desterrados) (١٩٢٦) ، على سبيل المثال - ، تلك القصص التي اختارت أحد المجالات المفضلة للنزعة الاقليمية - الجحيم النباتي للغابة - لكنها فعلت ذلك لمجرد الانغماس في العالم المظلم لصور المرض النفسي ، وللهلوسة ، ولما فوق الطبيعة . كان اسمه هوراثيو كيروجا

(١) أورده جييرمو آرا في Guillermo Ara, Rieardo Gũiraldes, Buenos Aires, La Mandrágora, 1961, p. 79.

Horacio Quiroga ، وكان أحد الهامشين لمذهب الحداثة ، وكان مقدراً أن تنتهي آثار فنه الشيطاني معه . كانت اللحظة التاريخية تبعد الرواية عن تلك الرؤى الرعوية والأبوية للعالم الريفي الأمريكي الذي كان يطرحه جويرالديس ، وعن الدراسات المرضية للوعي الشاذ التي كان يجريها كيروجا . كان النوع الأدبي يمر بساعة المرارة الجماعية والعاطفية الاجتماعية ، التي كان لابد من أن تؤدي إلى العقيدة الايديولوجية . وفي سنوات الثلاثينات ، مع ظهور رواية (التنجستن El tungesteno) عام (١٩٣١) لسيزار فاييخو ورواية (هواسيبونجو Huasipunqo) عام (١٩٣٤) لخورخي إيكازا Jorge Icaza ، وجد هذا الاتجاه أكثر تعبيراته حماسة : أي الرواية الهندية والمناهضة للإمبريالية المفهومة على أنها أداة مباشرة من أجل النضال السياسي لشعوبنا .

هكذا انتقل فننا الروائي ، خلال بضع سنوات ، من وحدة الوجود الأرضية ومن الانبهار بالجغرافيا ـ (رواية الأرض) كما سماها أرتورو توريس ـ ريوسيكو Arturo Torres - Rioseco عام ١٩٤١ ـ إلى النبوءة الايديولوجية والتحريض الحزبي . ولم يكن هذا الحدث بريئاً من الناحية الجمالية : فرواية فاييخو ، والكتب الأولى للبرازيلي جورج أمادو Jorge Amado (مثل جوبيابا Jubiaba ، عام ١٩٣٥) كانت تعديلات أمريكية لاتينية للواقعية الاشتراكية . لكن حتى في الحالات الأقل تطرفاً من هاتين الحالتين ، كان الأدب يقوم بدور أحد أشكال إنجاز الواجبات السياسية ، واجبات التوحد مع المجموعات المناضلة التي تدرس الواقع ، وإعطاء دروس ماركسية لشعوب أمية ، جائعة ، أنهكها الجور. وليس هذا جديداً في أمريكا اللاتينية ، حيث كان على الإبداعين الأدبي والفني دائماً أن يقوما بمهام المدرسة والمحكمة والصحافة وتسجيل الأحداث : ففي فترة التحرر ، خلال سنوات تنظيم جمهورياتنا ، في العقد الأول من القرن العشرين (حيث كان يجري تجريب التعريفات والمؤسسات الثقافية الأولى ذات الطابع الحديث) ، كانت السياسة والفن ، الحكومة والإبداع مجرد جوانب قابلة للتبادل للهم المشترك نفسه ذي النزعة الأمريكية .

لهذا كانت ثقافتنا ثقافة دعائمية Jánica* : فكثيراً ما كانت تسكن الرجال الذين صنعوها ، بصورة ذات مغزى ، روح الشخصية التي يغويها الفعل المباشر - إذا لم يحدث العكس -. إنه لتقليد أمريكي لاتيني أن يمتزج طراز بوليفار Bolivar والتشي جيفارا Che Guevara بطراز سارمينتو Sarmiento وخافير هيرود Javier Heraud . كان على الأديب أن يكون كذلك رجلاً عاماً ، وأحياناً كان منصب رئاسة البلاد هو الجائزة التي تناسب النجاح الأدبي (وألمع مثال على ذلك في القر العشرين هو رومولو جاييخوس Rómulo Gallegos ، لكن يجب ألا ننسى الحالة الأقرب لخوان بوش Juan Bosch في جمهورية الدومينيكان) ، رغم أن الجائزة يمكن أن تكون أكثر تواضعاً : منصباً وزارياً ، أو ديبلوماسياً ، أو بيروقراطياً . كان الناس يظنون ، بسذاجة آلية ، أن الكتاب الجيدين يجب أن يكونوا مواطنين جيدين بالإضافة إلى ذلك . ومن ناحية المبدأ ، ليس أمراً سيئاً أن تكرم الأمم فنانيها وأن تسجلهم في قوائم رجالها العظام ، لكن كان لهذه الحقيقة ، من ناحية التطبيق ، نتيجة مزدوجة ومشؤومة : إذ إنها ، أولاً ، نشطت الوهم بأن الأدب يمكن أن يعيش بارتياح في الفراغات التي تتركها له النشاطات العامة الملحة ، وشجعت ممارسته وكأنه هواية لأيام الأحد ، وليس باعتباره مهنة جديرة بهذا الاسم ، وثانياً ، حفزت موقفاً معيناً سلبياً وكسولاً في مواجهة مشكلات الإبداع ذاتها يخلط بين فن الكتابة وبين امتياز أو معاصرة الموضوعات ، كما يخلط ، بطريقة ورعة ، بينه وبين التأطير الايديولوجي الصحيح للعمل .

سقط الأدب في شراك التبسيطية ، والتعليمية ، والرسالة .

١ - ب الخلاص

إن ما كان يتأكد في الأساس لدى أولئك الكتاب في تلك الأعمال كان هو الوظيفة الاجتماعية للأدب ، تلك المشكلة الشهيرة والأبدية في أمريكا

(*) ثقافة دائمية jánica، من jan وهي الدعامة التي تسند النبات أو ما أشبهه - [المترجم] .

اللاتينية ، التي نوقشت بحماسة بالغة وسط أنهار الحبر . كانت الروايـة ، أو القصيدة ، تقوم بدور الخطاب والمقالة ، أو الإصلاحات التي لم تكن موجودة ، أو كانت غير كافية لإنقاذ البشر المنسيين الذين يقطنون تلك البلدان المجهولة ، كان هدفاً نبيلاً بلاشك ، لكن كثيراً ما كان بمثابة ارتهان : فالجمهور لم يكن يقرأ الروايات باعتبارها روايات ، بل كان يفتش عن شبـه أرسطي للفن بالأرجاء المادية أو بالظروف الاجتماعية التي تصفها ، كان بإمكانها ألا تكون واقعية ، لكن كان عليها أن تبدو حقيقية ، شذرات دامية للحياة الأمريكية . إن التيار الهندي (كما استطاع خوسيه كارلوس مارياتيجي José Carlos Mariátegui أن يكتب في (سبع مقالات في تفسير واقع البيرو Siete ensayos de inter- pretacion de la realidad peuana ، عام ١٩٢٨) « لايعتمد على عوامل أدبية بسيطة بل على عوامل اجتماعية واقتصادية معقدة . وما يعطى الهندي الحق في السيادة في نظر البيرواني المعاصر هو ، في المقام الأول ، النزاع والتناقض بين سيـادته الـديمـوغـرافيـة وبـين استعبـاده ـ وليس مجـرد دونيتـه ـ الاجتمـاعي والاقتصادي . إن وجود مابين ثلاثة وأربعة ملايين من البشر من الجنس الأصلي الهندي في البانوراما الذهنية لشعب من خمسة ملايين لايجب أن يدهش أحداً في فترة يشعر فيها هذا الشعب بالحاجة إلى العثور على التوازن الذي افتقده في تاريخه حتى اليوم . . . إذا كان الهندي يحتل مكان الصدارة في الأدب والفن البيروانيين فليس ذلك ، بالتأكيد ، بسبب أهميته الأدبية أو التشكيليـة ، بل لأن القـوى الجديدة والدافع الحيوي للأمة تميل إلى الدفاع عنه »(٢)

لقد ولد أدب أمريكا اللاتينية تحت تأثير هذا الدافع ، ولم يكن ليستطيع إنكار وظيفته في قلب القرن العشرين . لقد كانت مشكلة ضمير بالنسبة للكتاب الذين يعرفون أنهم ينتمون إلى نخبة متميزة ، يمكنها الوصول إلى الثقافة ، وسط شعب من الجهلة والمحرومين . فمن جهة ، تولوا هم أنفسهم دور المدافعين الرسميين

(٢) josé Carlos Mariátegui, Siete ensayos de interpretacion de la realidad peruana, Lima, Amanta, 1964, p. 290.

وحاولوا التوحد مع الجماهير ، كانوا يلمسون الجروح بأيديهم كما يغرسون النبتة في الأرجاء المادية التي تجري فيها أعمالهم فيما بعد ، وذلك كجزء من الارتباط الذهني . ومن جهة أخرى ، فإن هذه الجماهير ذاتها رأت فيهم مخلصيها النهائيين ، وطالبتهم بصمت بأدب خلاص أو بأدب دعاية تحريضية - agit prop : كان من الضروري الحفاظ على الإيمان حياً في وسط الواقع الحزين . وكان حب الأرض هو أبرز مظاهره وأكثرها تميزاً ومن هنا نشأت هذه الوفرة للقصص الزراعية الرعوية ، وهذا الهوس الفولكلوري والجدلي ، وهذه الفكرة (الزائفة) في أن الروايات الأمريكية اللاتينية ليس لديها من شخصيات أفضل من مشاهدها الطبيعية المتنوعة بلا نهاية ، ومن جماهيرها المستغلة مجهولة الأسماء . إن أبطالنا هم « الأرض » و « الشعب » ، كما كان يقول المدافعون والنقاد الأدبيون لأعوام الثلاثينات ، وكان المؤلفون أنفسهم يعتقدون ذلك عن يقين . فعند شرح منشأ روايته (**الدوينا باربارا**) ، يقص جاييجوس قصة زيارته لسهول أبوري Apure عام ١٩٢٧ ، والتأثر الذي أحدثه فيه المشهد المهيب ، ويكتب : « لم يكن المنظر يثير تأملات متشائمة ، واتخذت رغبتي الفنزويلية في أن تنال كل أرض وطني الرفاهية وتضمن السعادة ذات حين شكلها الأدبي في هذه العبارة : ـ الأرض الواسعة والمنبسطة ، كلها آفاق مثل الأمل ، وكلها دروب مثل الارادة . . . ـ كانت لدى بالفعل شخصية أساسية لرواية محظوظة الهدف . كان لدى بالفعل : منظر السهل ، الطبيعة البرية ، التي تضم بشراً نابضين بالحياة . أليست من مخلوقاتها كل تلك المادة الإنسانية التي تظهر في هذا الكتاب ؟»(٣) وكما نرى ، فإن الدافع ينبع من المنظر لكن الهدف مدني ، هو هدف توكيد قومي .

وفي مجال الشعر ، فإن مفهوم الأدب باعتباره أداة مباشرة في الدفاع الاجتماعي عن أمريكا ، قد ترك كذلك آثاره العميقة . فقد كان الهم

(٣) Citado por Juan Liscano, Róumlo Gallegos y su tiempo, Caracas, Monte Ávila, 1969, p. 102.

« الأمريكي النزعة » ، ونزعة حب الهندي ، والنزعة الأرضية ، كانت كلها ، في الحقيقة ، ميراثاً أقدم : فقد طرحتها الحداثة في صورها الشمسية لبدايات القرن ، لكن الرومانتيكية وكل الشعر الأكاديمي في أواخر القرن التاسع عشر كانا كذلك قد أظهرا هذا الميل . كان الأمر ، عموماً ، أمر نزعة طرافة exotismo تحمل الأرض بداخلها ، وهي نزعة أصبحت شعبية حين وصلت إلى درجة التشبع محاولات الهروب المثالية إلى الشرق ، أو إلى العصر الوسيط ، أو إلى فرنسا في فترة الروكوكو . أما الحركات الشعرية الأولى المعاصرة حقاً فهي « الشعر الزنجي » لجزر الأنتيل و « النزعة الأهلية » أو « التشولية » Cholismo لبلدان جبال الإنديز (البيرو ، وإكوادور ، وبوليفيا) . وهي تهجين لمجموعة من المؤثرات الثقافية : هي حركات الطليعة الأوروبية ، والماركسية ، وإلحاح المشكلة الهندية ومشكلة الأجناس في أمريكا . وعلى سبيل المثال فإن الشعر الزنجي ـ المتصعلك ، ذا الإيقاع المكهرب والالتزام التعجبي ـ نشأ من التوفيق بين النزعة الحدية والرافد الافريقي (مع جرعة من جارثيا لوركا) ، والشعر ذا النزعة الأهلية ـ التلغرافي ، والطرائفي وحتى العنصري ، بصورة متناقضة ـ كان مديناً لمستقبلية مارينيتي Marinetti وللأستاذية الايديولوجية لمارياتيجي (مع بضع قطرات من ماياكوفسكي) . وكان كلاهما إجابةً ونفياً للشعر الخالص الذي كان أحياناً يتغذى على المنابع الثقافية نفسها ، وكلاهما سيمهد الطريق للشعر الإجتماعي في ذاته الذي سيغرق أمريكا في أواخر عقد الثلاثينات : شعر فاييخو ، ونيرودا ، ونيكولاس جيين Nicolás Guillen وراؤول جونثالث تونيون Raúl Gonzalez Tuñan . . . الخ . وجاءت الحرب الأهلية الإسبانية ، وخطر الفاشية العالمي ، ووجود الولايات المتحدة الأمريكية ، كقوة لتطرق روح هؤلاء الشعراء وغيرهم ، وتجبرهم على إجراء مراجعة عميقة لقيمهم الجمالية .

كان النداء واضحاً : كان المرء إما في صف الشعوب المهددة وإما ضدها في هذه السنوات القاسية بلا هدنة كانت أزمة الضمير وإعادة القولبة الإيديولوجية

والجمالية تمثلان حالات عديدة. وأكثر هذه الحالات تأثيراً، بلا شك، هما حالتا نيرودا وفاييخو. فمنذ عام ١٩٢٧ تبين المقالات والتعليقات النقدية لفاييخو المسافة التي تفصله عن الشاعر الذي كتب تريلثي Trilce (١٩٢٢)، وفي عام ١٩٣٠ يقوم بـ تشريح السوريالية Autopsia del surrealismo المبكر ويحدد نفسه إيديولوجياً: « إن بريتون مخطىء إذا كان، حقاً قد قرأ الماركية وانخرط فيها ــ. فلست أفهم كيف ينسى أنه، في اطار هذا المذهب، ليس دور الكتاب هو إثارة أزمات أخلاقية أو ذهنية حادة أو عامة بدرجة أو بأخرى، أي عمل الثورة من أعلى، بل عملها « من أسفل ». إن بريتون ينسى أنه ليس هناك سوى ثورة واحدة: هي الثورة البروليتارية وأن هذه الثورة سيصنعها العمال بالعمل وليس المثقفون « بأزمات الضمير »(٤). وقد سجل فاييخو ونيرودا تأثير الحرب الأهلية الإسبانية بتحول مفاجىء في أعمالها: و (إسبانيا، أبعدي عني هذه الكأس España, aparta de mí este Cáliz) و (إسبانيا في القلب España en el corazón) هما ثمرتاهما المرتان على التوالي. وعلاوة على ذلك ستعلم المأساة الإسبانية نيرودا إعادة اللقاء الشعري مع الواقع الأمريكي العميق: ففي عام ١٩٣٨ كان الشاعر يكتب ملحمته (النشيد الشامل Canto general) الذي لن يرى النور إلا بعدها بزمن طويل في عام ١٩٥٠، وفي ذلك العام نفسه، في تشيلي، يلقي خطاباً يحدد دون مواربة مثله الشعرية الجديدة مع إشارة واضحة للتنافر بين واجباته وبين مواطن قلقه العميقة: « لم يتح لي في هذا العام من النضال، لم يتح لي الوقت حتى للنظر عن قرب إلى ما يعشقه شعري: النجوم، والنباتات، والغلال، وصخور أنهار ودروب تشيلي. لم يتح لي الوقت لمواصلة إستكشافي الغامض، ما يدفعني إلى أن ألمس بحب حلمات الكهوف* والجليد حتى تسلمني الأرض والبحر جوهرهما الخفي. لكنني سرت في طريق

(٤) En Variedades, Lima, 26 de marzo de 1930.

* حلمات الكهوف: eslalactitas: رواسب كلسية تتدلى من اسقف الكهوف - المترجم. وتعرف علمياً بالستالاكتيت والستالاغميت. [المراجع].

أخرى ، وصلت إلى أن ألمس القلب العاري لشعبي وأن أدرك بفخر أن بداخله يحيا سر أقوى من الربيع ، وأخصب وأشد رنيناً من الحنطة ومن الماء ، إنه سر الحقيقة الذي يستخلصه شعبي المتواضع ، الوحيد ، المستوحش من أعماق تربته الصلبة ، ويرفعه في انتصاره حتى تأخذه كل شعوب العالم في اعتبارها ، وتحترمه ، وتقلده »[٥] ويكرر ذلك بصورة أشد درامية ، بعدها بعام ، في مونتفيديو : « لاأستطيع ، لا أستطيع الحفاظ على مهنتي في الفحص الصامت للحياة وللعالم ، فعلي أن أخرج لأصرخ في الطرق وهكذا سأكون حتى نهاية حياتي . إننا متضامنون ومسؤولون عن السلام في أمريكا ، لكن هذه المهمة تمنحنا كذلك السلطة ، وتحدد لنا واجب أن تخرج البشرية ، بتدخلنا ، من دوارها وتبعث في الاعصار »[٦]

والتضامن الأمريكي لنيرودا وفاييخو هو بدوره جزء من ارتباطهما بالثورة العالمية : الشعر كذلك يجوب مواقع القتال في ستالينجراد ، والصين ، وبراغ ، الخ . سيقول فاييو : « أنت وحدك تظهر ، هابطاً/أو صاعداً من صدري ، أيها البلشفي ، /ملامحك غير المميزة ، /إيماءتك ، إيماءة الزوج ، /بطاقتك ، بطاقة الأب ، /ساقاك ، ساقا المحبوب ، /جلدك عبر الهاتف ، /روحك العمودية /لروحي . . . » (تحية ملائكية Salutación angélica) . وسوف يقول نيرودا : « إنني أضع روحي حيثما شئت . /ولا أغتذي بالورق المنهك ، /الملطخ بالحبر والمحبرة . /ولدت لأتغنى بستا لينجراد » (أنشودة حب جديدة لستالينجراد Nuevo canto de amor a Stalingrado) . وفي ذلك الوقت نفسه وصل نيكولاس جيين إلى مفترق الطرق نفسه : فقد رن شعره الزنجي عام ١٩٣٤ بصرخة حنق اجتماعي عنيفة في مواجهة مشهد جزر الأنتيل وهي أسيرة شباك التبعية، وفي (الوست إنديز ليمتد West Indies Ltd) كتب أبياتا متهكمة

(٥) Citado por Emir Rodriguez Monegal, El viajero inmovil, Buenos Aires Losada, 1966, pp. 99 - 100.

(٦) المرجع السابق . ص ١٠١ .

وعنيفة : « ها هم خدم مستر بابيت . /الذين يعلمون أبناءهم في وست بوينت . /هاهم من يصيحون : هاللو ، بيبي ، / ويدخنون « تشسترفيلد » و « لاكي سترايك » . هاهم راقصو الفوكس تروث، / الجازباند/ ومصطافو ميامي وبالم بيتش . / هاهم من يطلبون الخبز والزبد / والقهوة باللبن . / هاهم الشبان العبثيون المصابون بالزهري ، / مدخنو الأفيون والماريجوانا ، / يعرضون في الواجهات جراثيمهم اللولبية / ويفصلون بدلة كل أسبوع . / ها هنا أفضل ما في بورت ـ أو ـ برينس ، / أنقى ما في كينجستون ، هاي لايف هافانا . . . » وفي عام ١٩٣٧ يكتب إسبانيا Espana ، « قصيدة في أربعة عذابات وأمل واحد » ، و أغنية لستالين Cancion a Stalin التي يظهر فيها الزعيم السوفيتي وسط الآلهة الأفرو ـ كوبية : « ستالين ، أيها الربان الذي يحميه تشانجوه ويرعاه/ أوتشون . . » ومن عام ١٩٤٠ حتى عام ١٩٥٠ سيسود في أمريكا هذا الشعر شعر الشهادة الاجتماعية والسياسية الصريحة ، وفي بلدان معينة ، مثل البيرو ، سيكتسب ذروة مكانته بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٦٠ ، بينما كان يشهد في أجزاء أخرى أزمة مكانته الشعرية والثقافية .

٢ ـ أعراض الأزمة

بدأت عدة أوجه قصور تثقل كاهل هذا النوع من الأدب الذي عممته النزعة الهندية والشعر الاجتماعي . وبالتأكيد ، لم يكن أمراً مذموماً ـ بل بالأحرى كان من المرغوب فيه ـ أن يبحث كتاب أمريكا اللاتينية في أعمالهم عن التوحد مع أرضهم هم ،مع شعبهم ، ومع آماله الجماعية . ماحدث هو أن مناهج معينة لتحقيق ذلك كانت مناهج هشة جمالياً اذا لم تكن مجرد مناهج ديماجوجية . كانت العمليةتتم بواسطة التبسيطات ومع إعمال التعميمات : وغذى جهد التوضيح عملية مقنعة لإسباغ الطابع المثالي على الأشياء والمواقف الواقعية . وعلى نحو من الأنحاء اعتقد الكتاب أن الثورة (التي لم يصنعها السياسيون) يمكن أن تصنعها الكتب . وهذا وهم : فلم تكن الكتب تصل إلا إلى اكثر الشرائح الاجتماعية

استنارة والتي لم تكن دائماً أكثرها تقدمية ، وكان الأمر يفتقر إلى نسق للوصول إلى الجماهير ، كان الأدب الموجه لدفع الوعي السياسي لبلد من البلدان يستهلك ، أو يكاد ، في الصالونات الأدبية بصورة لايمكن إصلاحها . وسهل هذا نفسه التنبؤ والوصاية الايديولوجية : إن الكاتب الأمريكي اللاتيني ، بتحوله إلى عراف لشعبه ، كان يعلن على شعبه ، في زمن الكوارث ، مقدم العدالة في المدى القصير ، وبرغم ذلك استمرت هذه اليوتوبيا وكانت أقل بساطة مما كان يفترض . وقليل من الكتاب من استطاع أن يكتب عنها بكل تعقيدها المدهش .

إن التنجستن لفاييخو ، والمرسومة ضمن قوالب الواقعية الاشتراكية ، تفترض ، على سبيل المثال ، أن ينجز المثقفون دوراً ثانوياً وسلبياً في الثورة (يقول سرفاندوهوانكا Servando Huanca : « الشيء الوحيد الذي تستطيعون عمله من أجلنا « العمال » هو أن تفعلوا ما نقوله لكم وان تستمعوا إلينا وتضعوا أنفسكم في طاعة أوامرنا وفي خدمة مصالحنا ») ، وتخلط بين صراع الطبقات وبين الكراهية العنصرية والانتقام الشخصي (« يجب أن ننتقم ! يجب أن ننتقم من ظلم الأغنياء ! ») ، وتؤكد على المعنى الرمزي للعاصفة ـ الثورة الوشيكة التي تعلنها الريح في آخر صفحات الكتاب ـ بالكلمات الأساسية (« الاستغلال » ، و « البرجوازية الصغيرة » ، و« رأس المال » ، و« ماركس » ، الخ الخ) التي تتراقص في مخلية بروليتاري حديث التمذهب ، الخ . . ومن الملفت للنظر أن نلاحظ أن (العالم ضيق وغريب El mundo es ancho y ajeno) لثيرو أليجريا Ciro Alegria عام (١٩٤١) تختتم بمشهد مشابه جداً : وليس عويل الريح هو الذي يحمل الرسالة الثورية هذه المرة ، فالآن نجد أن « هدير مدافع الموزر (الذي) ظل يرن « هو بمثابة نغمة الانتصار الذي ينتظر الفلاحين بعد المذابح . إن رواية ثيرو أليجريا ، التي تعد أقل مجازية وأقل تصلباً بكثير في طرحها الايديولوجي ، مازالت تضفر عاطفتها التي لاتنكر وعذوبتها التعبيرية ضمن اطار مفاهيم ثقافية شائعة عن الحياة الاجتماعية لبيرو الهنود : وطريقة احساسها بموضوعها أكثر ثراء من طريقة التفكير فيه ، إن بعض التدجيل

الملحمي ، ونوعاً من الشعور بأنها تختبر أطروحة في الوقت نفسه يسببان تبلد القوة الواقعية للحكاية . وفي الحقيقة فإن أليجريا يمثل ختام كما يمثل ازمة الفن الروائي الذي استهله أثويلا ، وريبيرا ، وجاييجوس ، وغيرهم.ذلك الفن المتناقض ، المصنوع من فضائل وعيوب ، من ضعف وقوة ، بمناظير تنتمي إلى الرومانسية الاجتماعية للقرن التاسع عشر وإلى استراتيجية النضال المناهض للإمبريالية . وفي الروايات الهندية ، وفي روايات الأرض ، وفي كل الطبيعة الأمريكية ، تكمن دائماً رؤية واثقة ومؤكدة للواقع : الكلمات يمكنها تحديده بصورة مناسبة ، وفصل أضوائه عن ظلال ، وحل اشكاليته مثلما يحل المرء مسألة حسابية . حسناً : سوف تحل اللحظة التي لاتعود تستطيع فيها تلك الثقة الذهنية أن تعمل في مواجهة دلائل الحقائق الجديدة .

وقد لاحظ إمير رودريجث مونيجال[٧] أنه بالضبط وفي العام نفسه الذي نشر فيه أليجريا كتابه الثالث والأخير ظهرت الرواية الثانية لخوان كارلوس أونيتي Juan Carlos Onetti ، رواية أرض ليست لأحد Tierra de nadie التي تفتتح الطريقة الجديدة لعمل الرواية والتي ستتطور بدءاً من ذلك الحين الرواية « التي تستكشف تعقيدات الطبيعة الانسانية أكثر مما تستكشف تعقيدات الطبيعة الخارجية الرائعة ، تلك التي توسع حدود الواقعية » واتسمت هذه الطريقة الجديدة بتغير في المشهد : من الريف إلى المدينة . كما اتسمت بتحول جوهري في القصد : فلم يكن الأدب يريد أن يثبت شيئاً ولا أن يضع نفسه في خدمة أحد ، كان يود أن تكون له قيمة في ذاته . ودون أن يتجاهل وجود بعض الأسلاف ، كما هو منطقي (أمثال كيروجا ، وآرلت) ، يعتبر ماريو فارجاس يوسا Mario Vargas Losa أن أونيتي هو أول روائي « مبدع » يظهر في أمريكا اللاتينية (وآخر من اعترف به كذلك) ، فهو مؤلف عالم دقيق ومتماسك في آن واحد ، هام في ذاته وليس بسبب مادة المعلومات التي يضمها ، في متناول قراء أي مكان

---

(٧) Emir Rodrignez Monegal, Narradores de esta América, Montevideo, Alfa, 2a ed., 1969, t. I.

بأي لغة لأن شؤونه قد اكتسبت بعداً كونياً ، بفضل لغة وتكنيك « وظيفيين » . وليس الأمر أمر تقديم عالم مصطنع ، بل عالم ليس أمريكياً فقط بل انسانياً ، يقوم ، مثل كل الابداعات ذات الطابع الدائم ، على موضعه شيء ذاتي ، بينما كانت الرواية « البدائية » قد حققت إسباغ الذاتية على واقع موضوعي محدد . . . إنه لايعود يخدم الواقع ، بل يستخدم الواقع من أجل ذاته »[٨]

ويمكن تفسير التحول من الأراضي الوحشية إلى المراكز الحضرية بسهولة : فالأدب يحاول أن يضبط نفسه وفق العملية الاجتماعية لأمريكا اللاتينية ، التي تشهد نمواً غير متناسب للعواصم وإفراغاً للريف من خلال عملية هجرة داخلية لم تنته بعد . تتحول المدن إلى تركيبة درامية للبلد : فالغنى الفاحش والفقر المدقع ، الثقافة والأمية ، ناطحات السحاب والعشش الهامشية ، وسائل الراحة الحديثة وكفاف أشكال الحياة البدائية . . . الخ ، تتعايش جميعها في مجالات متلاصقة وآنية . ليس ثمة حاجةللذهاب إلى الريف للعثور على موضوعات جديدة : فقد أتى الريف إلى المدينة وطرح بخشونة مشكلات كانت تبدو بعيدة أو تخيلية فانتازية . وبدأ القراء يقللون من بحثهم عن الموضوعات الغريبة وعن الاستكشافات الجغرافية : فهم يفضلون الكتب التي تتناول واقعاً يمكنهم التعرف عليه على أنه واقعهم . والمدينة نواة للنزاعات الفردية والاجتماعية التي تتطلب عند الوصف نعومة سيكولوجية ربما لم تكن ضرورية من قبل : فقد كانت الغابة تفترس البشر دائماً . وتفرع النضال الملحمي القديم ضد الطبيعة وانطلق على جبهات عديدة في آن واحد ، ويسمى بالعزلة ، والاغتراب ، والشجن ، والانقطاع مما لايعني القول بأن الموضوعات القديمة للهندية والإقليمية قد اختفت في البانوراما الجديدة ، إنها ببساطة قد أصبحت أقل فوتوغرافية وأكثر تعبيرية ، أقل تبشيرية وأكثر أدبية .

---

(٨) Times Literary Supplement , Londres, 14, de noviwbre de 1968, p. 1287.

جرى هذا التجديد بطرق عديدة : فمع رواية (بدرو بارامو عام (١٩٥٥) Pedro Paramo يهبط خوان رولفو حتى أعمق جذور الفلاح المكسيكي ويكتشف أنها مضفورة بالزمن وبالموت ، الذي تضاعفه في أشكال وجود أسطورية حتى ما وراء القبر ، ومع رواية رجال من الذرة Hombres de maiz عام (١٩٤٩) يغرق ميجيل آنخل أستورياس Migul Angel Asturias في بحر من الأصوات ، والكلمات ، والفانتازيات المبهرة لهنود المايا التي تجسد نظرية في نشأة الكون نقرأ فيها التاريخ الحقيقي لشعب جواتيمالا ، ويكتب جيمارايش روزا رواية واحدة على الأقل (هي السرتون الكبير : دروب عام ١٩٥٦ ، Gran Sertón : Veredas وعدة قصص (قصص أولى Primeiras estorias عام ١٩٦٢) مناطقها واقعية بصورة مفزعة لكن جوها جو معجزات ، إن لم يكن مفارقاً للطبيعة أو شيطاناً صراحةً : إن سرتون جيمارايش تلاصق عالماً آخر تهاجر فيه الأرواح وتفتح البداهات فخاخا مزدوجة القاع ، وفي رواية ابن رجل Hijo de Hombre عام (١٩٦٠) سجل أوجستوروا باسطوس Augusto roa Bastos أفضل رابسودية عن الحياة العنيفة والمعذبة للباراجواي ، تبسط وسائل الواقعية الكلاسيكية ، ووسائل التأريخ ، والشعر ، ويوميات الحرب ، والأسطورة الشعبية ، الخ ، وفي الروايتين العظيمتين (الأنهار العميقة Los vios profundos عام ١٩٥٩ ، و كل الدماء Todas las somgres عام ١٩٦٤) ، يستنقذ خوسيه ماريا أرجيداس José Maria Arguedas من أعماق ذاكرته وحنينه الانديزي ، الحقائق السيكولوجية للهندي وللخلاسي البيروانيين ، بكل طياته المتنازعة ذات الطابع الثقافي، والجنسي ، والديني ، وحالة أرجيداس هامة بوجه خاص لأنها توضح مصير التيار الهندي في هذه الأعوام الأخيرة . لقد بد أرجيداس وأليجريا أعمالهما حوالي عام ١٩٣٥ (في هذه السنة نشرا مياه Aguaو الأفعى الذهبية La serpiente de oro على الترتيب) ، لكن العمل المستقبلي لأولهما مضى يتطور بصورة أكثر شخصية بعد عام ١٩٤١ ، وهو العام الذي ينتهي فيه عمل أليجريا من الناحية العملية ،

وأخذ يمثل درجة جديدة من تطور النوع الأدبي في البيرو : إنها اللحظة التي تفسح فيها النضالية الإيديولوجية الطريق لعاطفة أدبية أصيلة تحل فيهـا الشخصيات وتقلباتها الداخلية الصغيرة محل مخلوقات المانيكان المفصلة حسب نماذج محددة للسلوك . إن أرجيداس ـ الذي هو نفسه هجين كان عليه أن يتعلم الإسبانية في العاصمة ـ يثبت أن البلاد ليست منقسمة إلى هنـود وبيض ، بل إلى شـرائح لانهائية ، في مجتمعات تعددية ، تفصلها مصالح دقيقة لايمكن التوفيق بينها تجعل البعض يقفون في مواجهة آخرين . كانت الأحادية الهندية قد أخفت عنا بزهد هذه الصورة للواقع .

٣ ـ الثـــورة والكلمة

من جهة أخرى كان تغير قصد الأدب ـ الذي لم يعد وسيلة ، بل غاية ـ حتمياً إذ كانت تتزايد صعوبة التمسك بأن عليه أن ينجز مهام التحـريض السياسي والايديولوجي : فهذه النشـاطات تمـارس في مجالات أخـرى ، ليست واقعية النزعة ، بل واقعية ، تفترض تعقيداً ، وهمةً ، ومسؤولية ثقافية وعملية أكبر . ومع بداية عقد الستينات بدأت تبزغ أمريكا لاتينية جديدة : وقد أبرزت ذلك مظاهر النضال المسلح في بلدان عديدة ، والاضطهاد الذي اتخذ طابـع المؤسسة وأزمة الديمقراطية النيابية ، وظهـور الفاشيـة القديمـة من جديـد (تحت أقنعة مزيفة) . . الخ . لكن في المقام الأول عمل وجود الثورة الكوبية بمثابة ظاهرة حافزة للحياة السياسية ، والثقافية ، والفنية في القارة . وفهم المثقفون ، على وجه الخصوص ، الدرس الرائع التي تلقنه هذه الثورة الاشتراكية الأولى ـ والوحيدة حتى الآن ـ في أمريكا : لقد تحولت اليوتوبيا إلى واقع صعب ، متناقض ، ومثير للإعجاب ، لهـذا السبب نفسه لم يكن يكفي الـدفاع عنهـا : فقد كـان من الضروري إعادة طـرح كل شيء والتفكـير في كل شيء والتصـرف على هـذا الاساس بالاضافة إلى أن مجال عمل ذلك كان بالغ الاتساع والمرونة لأن ثورة كوبا كانت ثورة للواجب الثقافي في إطارها معنى وإطار دقيقان (وصل الأمر ببعضهم إلى أن يقولوا ، مبالغين ، إن المثقفين كانوا هم المحظوظين الوحيدين في كوبا) .

إنها عـلاوة على ذلـك ثورة لم تـأت لتفرض أي معيـار جمـالي ، ولم تكن تؤمن بالفضائل التعليمية للواقعية الاشتراكية ، وكانت تعمم بنفس الجهـد ماركس وجويس ، مارتي وكافكا . إنها كانت تمثل في آن واحد وعداً وتحدياً ، بالنسبة للمعسكر الاشتراكي ، حيث العلاقات بين المثقف والدولة ليست مريحـة على وجه الدقة . لقد أوضح وجود الثورة أشياء كثيرة وخلص الأدب من الكثير من المذاهب الجامدة التي كانت تثقل كاهله . وقد أظهر ، بوجه خـاص ، اللا ـ أخلاقية الخفية للتخطيطات التبسيطيـة والمعتادة ، وأنعش فكـرنا السيـاسي ، وربطه بالواقع .

لقد شهد العقد المنصرم تعديلاً جوهرياً لحدود مناطق النفوذ في العالم . وفي البداية ، أعلنت كوبا أنها جمهورية اشتراكية على بعد بضع مئات من الأميال من الولايات المتحدة الأمريكية . أما روسيا والصين ، من جانبهما ، فقد رفعتا نزاع العمالقة بينهما إلى درجة لايمكن أن تتصورها الأممية البروليتارية وأوقعتا الانقسام في الأحزاب الشيوعية في كل مكان . وكان على الاستراتيجية أن تتغير ، وقـد تغيرت .

يكتب كارلوس فوينتس Carlos Fuentes قائلا : « في القرن العشرين على المثقف نفسه أن يناضل داخل مجتمع أكثر تعقيداً بكثير ، داخلياً وعالمياً ، حيث لاتكفي أسلحة العقل والأخـلاق لمواجهـة وضع لم يعـد ملكية إقليميـة لأقلية أوليجاركية تعارض جمهوراً لا اسم له في إحدى جمهوريات المـوز ، وتحول الى إحدى الحقائق المحورية لعصرنا : التمرد والشقاق ، المتناقضين ، والمعقدين ، والعالميين ، في العالم المتخلف صناعياً . لقد بدأ الانتقال من التبسيطية الملحمية إلى التعقيد الديالكتيكي ، من يقين الإجابات إلى تحدي الأسئلة » . (٩)

على هذا النحو ، إذا كان وجـود « الثورة » الكـوبية قـد كشف التناحـرات

---

(٩) Carlas Fuentes,La nueva novela hisepanoamericana,México,joequin Mortiz, 1969, p. 13.

السياسية في البلدان الأخرى ، فقد كان على اللغة الثقافية والفنية أن تصبح أكثر تنقيحاً ، ووضوحاً ، وتشككاً : فالشعار القديم لأدب « الأطروحة » أصبح كل خيوطه معقداً. وصل الكتاب إلى الإدراك بأن فنهم قد غزته هموم تعبر عنها الآن السينما ، والصحافة ، ووسائل الاتصال الجماهيري ، عموماً ، بصورة أفضل بكثير : وما من رواية تصمد للمقارنة بالتأثير الذي يمكن أن ينتجه فيلم تسجيلي مدته نصف ساعة أو استطلاع تلفازي . إن الأدب يفتح مملكته ذاتها : الاختراع الخيالي لحقائق شبيهة ، حقاً ، « بالواقع » ، لكنها ليست صورته الأمينة . بصورة اجبارية ، ولا حتى بطاقة هويته . أدرك القصاصون أن هدفهم هو القصص ، ببساطة ، وليس التوضيح ، أغرتهم امكانية خلق عوالم مستقلة واعادتها إلى العالم الواقعي ، لا من أجل تكراره ، بل من أجل شجب بؤسه الجوهري وزيفه ، استكشفوا ، وأعادوا الهيكلة ، وابتكروا . إن مواد عمل الكاتب هي الكلمات ، وباستثناءات قليلة ، لم يكن الأمريكيون اللاتين يعرفون ذلك جيداً ، ولم يستخدموها حتى آخر مدى . حتى اكتشفوا أن المرء يصل إلى أن يلمس الأشياء بامتلاك لغة ، إن الخدعة الأمريكية اللاتينية الكبرى ، والنشوة الحقيقية لقارتنا ، هي نشوة اللغة ، إنه يجب اعادة بناء أصالتهم المفقودة إذا كانوا يحاولون خلق تمثلات حقيقية للواقع . وهنا يكون من الإنصاف أن نقر بالأستاذية التي لاتنازع لبورخس ، لأساطيره ولاهوتياته ، لتناقضاته واستعاراته ، التي علمتنا متعة الوضع اللغوي ـ أي المثالي ـ للفن ، لطريقة في التفكير عالمية رغم كونها ثمرة نموذجية لمنطقة بوينوس آيرس . لقد جعلنا بورخس نرى أن الأوديسة ملكية تخص الإنسان الأمريكي اللاتيني مثلما تخصه مارتين فييرو Martin Fierro

لكن ، بين الروائيين (وقد نفى بورخس ـ بشدة ، كما كان سيقول ـ أن يكون أحدهم) يعتبر كارنتيه Carpentier أفضل من يمثل هذا التوحد الأساسي بين الإبداع اللفظي وبين تصوير العالم الذي يبتكره . وبالنسبة لهذا الروائي الكوبي نجد أن تسمية الشيء تعني خلقه ، وأسماء الأشياء هي الأشياء ذاتها . وهذا

هاجس توضحه جذوره : فأمريكا قارة تزدحم بالأشياء التي تنتظر تسميتها لكي تبدأ في الوجود في عالم الفن . وتكتسب أعمال كارنتييه مغزاها في هذا الترتيب للفوضى الطبيعية ، في الانتقال من التخلق إلى التاريخ . وفي هذا المقطع من رواية قرن التنوير El siglo de las luces نجد علامات هذه العملية : « متأملاً إحدى الرخويات ـ واحداً فقط ـ فكر استبان في وجود المحارة ، خلال آلاف ملايين السنين ، أمام النظرة اليومية لشعوب من الصيادين ، الذين مازالوا عاجزين عن فهمها أو حتى عن إدراك حقيقة وجودها . فكر في شعر القنفذ ، في حلزون الحيوان الرخوي ، في تجاويف المحار المروحي ، مندهشاً أمام علم الأشكال ذاك المبسوط خلال زمن بالغ الطول أمام انسانية مازالت دون أعين تتفكر فيه . ماذا يكون حالي لو أصبحت معرفاً ، مكتوباً ، حاضراً ، ولايمكنني الفهم ؟ أي علامة ، أي رسالة ، أي إنذار ، في أشواك الهذباء ، في الحروف التي تشكلها الطحالب ، في هندسة تفاحة الورد Pomarrosa ؟* أن ينظر المرء إلى إحدى الرخويات. واحدة فقط . حمداً لله » . وفي الحجلة Raynela يمضي كورتاثار إلى أبعد من ذلك ويتجاسر على إنكار الرواية التي يكتبها (أو بالأحرى : على اقتراح أخريات ، صالحة مثلها تماماً) ، على نسف لغته ، على تفكيك كل تروس الرواية التقليدية ، على أن يغمس في التهكم المفزع طريقةً معتادةً للتفكير ولفهم الإنسان . ويعرض بطله موريللي برنامج الكتاب : « الاستفزاز ، اتخاذ نص متقطع ، مفكك ، متنافر ، مناهض للنزعة الروائية بتدقيق (رغم أنه غير مناهض للرواية) . دون حظر على التأثيرات العظيمة للرواية حين يتطلب الموقف ، لكن مع تذكر نصيحة جيد : لاتستفد أبداً من الوثبة المكتسبة ne jamais profiter de l'élan إن الرواية ، مثلها مثل كل المخلوقات التي ابتدعها الغرب ، تقنع بنظام مغلق . وضد هذا بإصرار أبحث هنا أيضاً عن فتحة ولهذا أقطع من الجذور كل بناء منهجي للشخصيات والمواقف . والمنهج هو التهكم ،

(*) تفاحة الورد Pomarrosa هي ثمرة نبات اليامبو Yambo أو الجامبو Jambo ، وتشبه التفاحة لكنها أصغر منها وبها بذرة واحدة ورائحتها زكية ـ [المترجم] .

النقد الذاتي الذي لايتوقف ، التنافر ، الخيال دون أن يكون في خدمة أحد » وتوضح شخصية أخرى أكثر : « إن ما يريده هو انتهاك الفعل الأدبي الكلي ، الكتاب ، إذا شئت . في الكلمة أحياناً وفيها تنقله الكلمة أحياناً أخرى . إنه يتقدم كالمحارب ، يجعل كل ما يستطيع يقفز ، ويتابع الباقي طريقه . ألا تعتقد أنه ليس أدبياً » أما رواية الفردوس Paradiso لليثاماليما فهي رواية ـ قصيدة ليس بالمعنى الذي يحمله المصطلح عادةً (حين يشير إلى تلك الروايات التي تكون فيها اللغة هي الحلية اللافتة للنظر على مضمون فقير في ذاته) ، بل بقدر ما يكون موضوعها الذي يتذرع عند ليثاما بطفولة خوسيه سيمي ومراهقته ـ هو الصورة ، هو امكانية المعرفة عن طريق الصورة . على هذا النحو ، يكون الروائي شاعراً بالضبط ، عرافاً يستكشف « واقع العالم غير المنظور » . وتهديه في ذلك « ممارسة الشعر ، البحث اللفظي عن غاية مجهولة » ، « حين كانت رؤيته تنقل إليه كلمة في أي علاقة يمكن أن تكون لها مع الواقع ، كانت هذه الكلمة تبدو له وكأنها تنتقل الى يديه ، ورغم أن الكلمة كانت تظل غير منظورة بالنسبة له ، متحررة من الرؤية التي انطلقت منها ، فإنها تأخذ في اكتساب عجلة يدور فيها بلا توق التعديل غير المرئي والصياغة القابلة للابتلاع » وقد قدم روائيان متميزان تماماً فيما بينهما اسهامات هامة لهذا النوع الأدبي . والروائيان هما جارثيا ماركث García Márquez وفارجاس يوسا Vargas Llosa . الكولومبي بعودته المندفعة إلى عالم الخيال ، وإلى منطق الأحلام ، إلى زمن الأصول والميثولوجيا الشعبية ، التي يقيم على أساسها روايته الرائعة مائة عام من العزلة Cien años de soledad والبيرواني ، بواقعيته التي لا تشوبها شائبة وان كانت متجردة ومحايدة ، وبتأليفه بين عوالم اجتماعية واسعة ، وبانغماسه النفاذ في جحيم الحرية ، والعنف ، والعاطفة الإنسانية ، بثقته التكنيكية المذهلة للتحكم في المستويات المكانية ـ الزمانية ، بميلودرامات الجنس وشعر الفظاظة الخالصة . بوجه عام ، فإن الرواية الأمريكية اللاتينية ، التي كانت من قبل أقرب إلى المقالة أو التحقيق الصحفي (وأحياناً كانت تحل محله) ، أصبحت تشارك الآن في ممتلكات الشعر . والنثر

القانوني أو التعليمي أحياناً لبدائييناذوي النزعة الهندية ونزعة السكان الأصليين ، قد استبدل بلغة أكثر إبداعية : لغة الأحدوثة (الحدوتة) والأسطورة ، والصورة ، التي يمكن لمدلولاتها ألا تكون متعددة فقط بل متناقضة أيضاً .

٤ ـ أساتذة وتلامذة التمرد .

وقد مر الشعر بسلسلة من التحولات لاتقل ثورية . وهناك مجموعة من الشعراء ، أكثر شباباً من نيرودا ، انتقلت إليهم عدوى روح الطليعة والسوريالية بشكل أساسي ، هم مؤسسو هذا الشعر الأكثر انتشاراً في أيامنا والذي يوجه ، بصورة ما ، التجارب الشعرية لشعراء اليوم الجدد : إنهم أوكتافيو باث Octa-vio Paz ، وإنريكي مولينا Enrique Molina ونيكانور بارا Nicanor Parra (أما أشدهم سوريالية ، وهو البيرواني سيزار مورو César Moro فقد كتب عملاً شعرياً هاماً ينتظر النشر على مستوى القارة) . وقد حقق باث ، على مدى ثلاثين عاماً من ممارسة الشعر ، أهمية فائقة لايستطيع أن ينازعه فيها كثيرون ، فقد اخصب أجيالاً بكاملها من الشعراء في المكسيك على الأقل . وبمزاوجة عمل نقدي شديد الثراء والوضوح ، بحث شعر باث عن أهداف محورية وعثر عليها : من ذلك جدل المتناقضات ، والتدفق الشبقي ، والكشف الصوفي ، والغموض الجوهري للعالم الشعري . . . الخ . وخلال العقد الأخير أصبحت تجربته أكثر جذرية وأسهمت في نفي الخطاب الشعري ذاته من خلال « اسطوانات بصرية » وأشكال متنوعة من الشعر الجسور (وبياض Blanco هي أفضل مثال) تفتح وتضم المكان ، والكلمة ، والصمت ، في مغامرة حرية مطلقة . أما « الشعر ـ المضاد » لبارا فهو تمجيد نثرية الأماكن العامة ، التي تنعطف لتكشف عن العبثية والدعابة الشريرة للعالم المعاصر . « أنا لاأسمح بأن يقول لي أحد/ إنه لايفهم القصائد المضادة / فعلى الجميع أن يقهقهوا بالضحك . / من أجل هذا أحطم رأسي / من أجل بلوغ روح القارىء . / دعكم من الأسئلة . / فعلى فراش الموت / يحك كل واحد جلده بظفره » . ومعه ، دون شك ، تبدأ عملية التحلل

البلاغي التي ستنقذ الشعر الأمريكي اللاتيني من طريق مسدود : إنه يشير إلى حركة تتجه نحو التهكم المثبط والحقيقة المتنافرة اللذين يسودان بين الشعراء الشبان . ويحافظ مولينا على اخلاصه للسوريالية ، لا بسبب الولاء لحركة أدبية ، بل كنتيجة شخصية لذاته ، كما يثبت ذلك شعره المزدحم بالصور الشبقية ، وبالرؤى البحرية ، وبالحض على المغامر . أما أساتذة الشعرالبرازيلي فهم بالتأكيد شعراء آخرون : مانويل بانديرا Manuel Bandeira ، وكارلوس دروموند دي أندرادي Carlos Drummond de Andrade ، وفينيسيوس دي موارايس Vinicius de Moraes وفي المقام الأول ، الشاعر العظيم جورج دي ليما Jorge de Lima ، كاتب القصيدة الخالدة اختراع أورفيوس Invencáo de orfeo (١٩٥٢) .

وهناك صوت عظيم أصيل آخر في شعر أمريكانا هو صوت أرنستو كاردينال Ernesto Cardenal (تلميذ المتقلب الكبير الكولونيل أورتتشو Urtecho ، شاعر (الابيجرامات) Epigramas المراثي ضد الدكتاتورية ، وصوفي المزامير Salmos ، والشاهد المعذب لدينونتنا في (صلاة من أجل مارلين مونرو Ora-ción para Merilyn Monroe ،) وفي النهاية ، مبتكر لغة مميزة ، تشارك في التأريخ ، والمذكرة ، والصلاة . وهناك شعراء آخرون يسيرون على هذا الطريق من البساطة العامية ، هم بنيديتي Benedetti ، وسابينس Sabines ، وخوسيه إميليو باتشيكو José Emilio Pacheco ، مؤخراً . أما كارلوس خرمان بيّي Carlos Germán Belli فيمثل حالة ـ أو قيمة ـ قائمة بذاتها بلغته وتعبيراته العتيقة ، والتي تنشر طوايا رؤية مفزعة تماماً للحياة الداخلية والاجتماعية : فالكائن مشوه ، والمجتمع ترتيب مراتبي من السادة والعبيد . وأما الشعر الدقيق والعميق لجوان كابرال دي ميلو نيتو Joáo Cabral de Melo Neto والنفاذ النقدي لإنريكي لين Enrique Lihn وهربرتو باديا Herberto Padilla ، والصعود الحماسي « للزنوجة » الأنتيلية لرينيه ديبيستر René Depestre ، وشبقية هوميرو أريدخيس Homero Aridjis ، والفورات

والدوارات المتكلسة لرافييل كـاديناس Rafael Cadenas وخـوان كالـزاديبا Juan Calzadilla (القادمين من جماعتي « المائدة المستديرة » و« سقف الحوت » الهامتين بسبب عملهما الشعري العنيف في كاراكاس) ، والصوت النظيف الفتي لخافييه هيرود Javier Heraud (منشد نهر الحياة ، ونبي موتـه ، والأسطورة الحية في البيرو) ، والتهكم المناهض للبرجوازية والأمثال على ألسنة الحيوانات عند أنطونيو ثيسنيروس Antonio Cisneros فهي كلها بعض الطرق الأخرى .

٥ ـ خطــــان .

خلال السنوات الأخيرة مرت الرواية والقصة القصيرة بدورهما بتحول سريع على أيدي أناس أصغر سناً أو أقل شهـرة من العظماء المعتـرف بهم . ويمكن تصنيف أولئك الكتاب بتعسف لامفر منه في خطين رئيسين :

الخط الواقعي الذي يطرح حكاية محددة في أساس القصة والذي يحاول تجديد تقاليد الواقعية الأمريكية اللاتينية ويعمل داخل هذه التقاليد ذاتها . وتنـدرج ضمن هذا المجال الواسع الواقعية الملتزمة سياسياً لدافيد فينياس David Viñas (الـرجال عـلى صهوة الجيـاد Los homlores de a caballo) ، والواقعيـة السحرية ـ السيكولوجية لدى دانييـل مويـانو Daniel Moyano (أقـاصيص الـوحش (أو الغـول) El monstruo) ، ورينـالـدو أرينـــاس Reinaldo Arenas (ثلستينـو أمـام الفجـر Celestino ante el alba) ، والـواقعيـة التعبيرية والبـاروكية أحيـانا لكـارلوس مـارتينث مورينـو Carlos Martinez Moreno (الهنـود الأصليون Los aborigenes و النصف الآخـر La otra mitad) ، والواقعية الانتقادية ضد البرجوازية المتعفنة لخوسيه دونوسو Jose Donoso (هــذا الأحــد Este damingo) وخــورخـــي ادواردز Jorge Edwards (نغمات وتنويعات Temas y variaciones) .

والخط الآخر ، الذي يعتبر أشهر ملهميه هم كارلـوس فوينتس في انتاجه الأخير (تغيير الجلد Cambio de piel و المنطقة المقدسة Zona sagrada) .

وكورتاثار بصورة معينة وجييرمو كابرير إنفانتي بصورة أوضح (ثلاثة نمور حزينة Tres tristes tigres) ، الذي يكاد يستغنى عن الحكاية أو يخضعها لبحث شكلي يائس تقريباً . وينتمي إلى هذا الخط سيفيرو ساردوي Severo Sarduy (من أين هم المغنون De dónde son Las cantantes) ، ومانويل بويج Manuel Puig (خيانة ريتا هيوارث La traicion de Rita Hayworth ، وأفواه ملونة Boquitas pintodas) ،ونستورسانتشث Nestor Sanchez (سيبيريا بلوز Siberia Blues) ، وفيثنتي لينييرو Vicente lenero (الخطاف El garabato) ، وسلفادور اليزوندو Salvador Elizando (التوالد الخفي El hipogeo secreto وجوستافو ساينث Gustavo Sáinz (أيام دائرية متسلطة Obsesivos dias cirulares) . وفي حين يحاول أولئك تخليص الواقعية من فخاخها التوهمية ويواجهونها بتنقيح ونفاذ أكثر ، يستطيع الآخرون ، بإخلاص أقل ، الاستغناء عنها أو استخدامها كمجرد ذريعة لتلاعباتهم وتشويهاتهم اللفظية : إنهم يكتبون روايات تريد أن تهزأ من مفهوم الرواية ذاته . وربما كان من المثير للانتباه أن نسجل معلومتين عن الجغرافيا الأدبية :فالألوان يأتون عموماً من تشيلي وغيرها من بلدان المحيط الباسيفيكي ، بينما يأتي الآخرون من المكسيك والأرجنتين .

٦ ـ التجديد المسرحي

تظل سندريللا الحقيقية لثقافة هذه القارة هي المسرح (لأنه حتى السينما ، التي مازالت أولية ، لا تملك سوى حفنة قليلة من الروائع : أعمال جلوبير روشا Glau-ber Rocha ، وختينو ـ سولاناس Getino - Solanas ، وأعمال السينما الكوبية الجديدة) . وقد أثر انقطاع كبير في الجهود على وجود الفن المسرحي ، كما أثر الجمهور ، الذي مازال محدوداً ، والذي اعتاد التوجه إليه (أحياناً بسبب طرح غير صحيح لعلاقته بهذا الجمهور) وأثر الانتشار القومي الصارم للمؤلفين . وقد تميز المسرح الأمريكي اللاتيني دائماً بوظيفته الواقعية والاجتماعية ، هكذا ظل ، على الأقل ، ثابتاً على النماذج التي يمكن اعتبارها

تريانا José Triana (المعروف عالمياً بمسرحيته ليلة القتلة La noche de los asesinos) ، وأنطون أروفات Anton Arrufat ، وهكتور كينتيرو Héctor Quintero ، وخيسوس دياث Jesus Diaz وآخرون . إنهم هم المسرح الكوبي الجديد ، حيث نصادف فيه ابتداء من الدمى الطليعية الغريبة حتى التأريخ بالمشاهد للنضال الثوري . أما أفضل مسرح اجتماعي فهو ذلك الذي يكتب ، وينتج ، ويشاهد اليوم في البرازيل . ومجاله واقعي (وربما لم يكن ليستطيع أن يكون خلاف ذلك) لكن ما يحققه هو التواصل المباشر بين العرض والجمهور ويستعين على ذلك بوسائل كثيرة : الموسيقا والرقص الشعبيين ، وأنساق التمثيل غير الرسمية ، والاستخدام الرائع للفولكلور ، والحركات الكورالية ، وتجديد الصيغ الكلاسيكية (« المسرحيات الدينية » ، والمجازيات ، والحكم الخ) وتشهد على ذلك أعمال جورج أندرادي Jorge Andrade (درب الخلاص Vereda da Salvacáo) وجوان كابرال دي ميلو نيتو (موت وحياة (قاسية (Muerte y vida severina) ، وألفريدو دياز جومز Alfredo Dias Gomes (قاطعوا الوعود Opagador de promessas) ، وأدوفالدو فيانا Oduvaldo Viana (أربعة بيوت من الطين Cuatrocuadras de tierra) وبيلينيو ماركوس (شفرة في اللحم Navalha na carne) .

٧ ـ هذه الفترة الأخيرة .

الواقع الراهن إنسيابي ووصفه عند نقطة محددة من العملية يعني تشويه ملامحه بصورة بارعة : فليس كائناً بل إنه يحدث . وأحد العوامل التي جعلت هذه الفترة الأخيرة أكثر خلافية ، وثراء وحماسة ، هو التأثير القوي للثقافة الكوبية في الأوساط الثقافية الأمريكية اللاتينية ، وبالعكس ففي خلال هذه السنوات ، كان كثير من الأمور التي جرت في حياتنا الأدبية والفنية يدور حول الوضع الفريد لكوبا باعتبارها مركز إبداع وبث لثقافة ثورية واشتراكية من أجل القارة ، وكان لامفر من أن يكون على المثال الكوبي أن يشكل تحدياً (مالم يكن معيارا وانقطاعاً)

نماذج نهائية حتى سنوات الحرب العالمية الثانية : رودولفو أوسيجلي Rodolfo Usigli وثلستينو جوروستيثا Celestino Gorostiza في المكسيك ، وصامويل آيشيلباوم Samuel Eichel baum في الأرجنتين . وسوف ينقح أسلوب الإطالة بعض التنقيح أو أسلوب المحاكاة (حين يريد أن يكون شعبياً) في هذا الخط فيما بعد في أعمال مسرحيين من أمثال الكوبي فيرخيليو بينييرا Virgilio Piñera ومواطنه أبيلاردو استورينو Abelardo Estorino ، والكولومبي إنريكي بوينافنتورا Enrique Buena Ventura ، الذين يعرفون كيف يسجلون تجارب معاشة أكثر حميمية ، ويستخدمون حواراً مقتصداً فعلاً ، ويطلقون قوة درامية أصيلة.وتجتاح مسرحنا موجة من التجديد مع مقدم رياح مابعد الحرب . وتأثير مسرح العبث والأشكال التي تميل إلى اعادة طابع الطقس إلى الدراما هو تأثير عام ، لكن يؤثر فيه كذلك المسرح الوجودي الفرنسي ، وبريخت ، والمسرح السياسي الأوروبي . فما هو الوضع الحالي ؟ في المحل الأول ، يجب التأكيد على استمرار عواصم معينة في القيام بدور المراكز المسرحية ـ الأرجنتين ، وتشيلي ، والمكسيك على نحو معين . وقد أسهم في الفن الدرامي الجديد اسهامات بارزة كل من الأرجنتينيين أجوستين كوزاني Agustin Cuzzani ، وأوسفالدو دراجون Osvaldo Dragún ، وروبرتوكوسا Roberto Cossa ، وريكاردو تالسنيك Ricardo Talesnik ، والتشيليين إيجون فولف Egon Wolff وخورخي دياث Jorge Diaz ، والمكسيكيين إميليو كاربابيدو Emilio Carballido وخورخي إيبارجو ينجويتيا Jorge Ibargüengoitia ، والجواتيمالي (الذي يعمل من المكسيك) كارلوس سولورزانو Carlos Solórzano . لكن أكثر الظواهر أهمية ليست في هذه الأنحاء ، بل في كوبا والبرازيل . فقد أضفى انتصار الثورة الكوبية دفعة ومعنى جديدين على المسرح القومي : وكانت الحوافز الرئيسة هي الحماسة الشعبية ، ووصول جمهور جديد إلى العرض المسرحي ،والدعم الحكومي للمؤلفين ، و المخرجين والفنيين . وإلى جوار بينييرا واستورينو المذكورين آنفاً ، واللذين يجددان داخل الثوة حماسهما الإبداعي ، يظهر خوسيه

للإنتلجنسيا الأمريكية اللاتينية . لقد جعلت البؤرة الكوبية نفسها محسوسة بطرق عديدة .

لقد غيرت السنوات الأخيرة بسرعة مصطلحات النقاش وحتى أطر المتجادلين : وليس نادراً الآن أن يجد أشد المجادلين حماساً أنفسهم على الجانب نفسه في الوقت نفسه وأن يخرج الدفاع من الخنادق المعارضة . ومع نهاية عام ١٩٦٧ بلغت المواقف المتعارضة وضوحاً كاملاً من خلال استطلاع في مجلة دار الأمريكتين Casa de las Américas.ففي العدد المخصص لبحث « وضع المثقف الأمريكي اللاتيني » تحددت المواقف واشتعلت (أحياناً) . خوليو كورتاثار يعيد تأكيد إيمانه بالاشتراكية ، ويبرر مد مدة نفيه في فرنسا « التي هي داري (و) تظل تبدو المكان المختار لمزاج مثل مزاجي » ، ويعلن استقلال عمله ككاتب بالنسبة لأفكاره : « مع المخاطرة بأن أخيب ظن الملقنين ودعاة الفن في خدمة الجماهير ، أظل أنا هذا الكائن الخرافي Cronopio* الذي . . . يكتب من أجل بهجته أو معاناته الشخصية ، دون أدنى تنازل ، ودون التزامات أمريكية لاتينية أو « اشتراكية » مفهومة باعتبارها مفاهيم قبلية a prioris برناجية . وموقف فارجاس يوسا ، كما هو معروف ، مطابق لموقف الكاتب الأرجنتيني : فهو يفرق التزامات المبدع عن التزامات المواطن ، والوفاء للالتزامات الأولى قد يعني إخضاعاً غير إرادي للثانية ، وعلى كل حال ، فالأمر يتعلق بمجالين للخيارات الأخلاقية ، لكل واحد منها قوانينه الخاصة . وحين يتحدث عن سباستيان سالاثار بوندي يكتب : « لقد عرف كيف يلتزم سياسياً محافظاً على استقلاله ، على عفويته الإبداعية ، لأنه كان يعرف أنه ، بوصفه مواطناً ، كان باستطاعته أن يقرر ، ويحسب ، ويتأمل أفعاله عقلياً ، لكنه ، بوصفه كاتباً ، كانت مهمته هي خدمة وإطاعة الأوامر ، غير المفهومة دائماً بالنسبة للمبدع ، إطاعة النزوات والهواجس ذات العواقب التي لاتحصى ، لذلك المستوحش الذي

* Cronopio : كائن خرافي من اختراع كورتاثار نفسه ـ [المترجم] .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هـو (الأدب) ، هذا السيـد الحـر ، المحسـوس في وجـوده عن طـواعيـة . وبنيديتي ، من ناحيته ، يصر على أن مسئولية الكاتب دائما مزدوجة ، « مسؤولية فنه ومسؤولية وسطه المحيط به» ، وينفي « خط التقسيم غير المحتمل هذا الذي يفضل كثير من المثقفين أن يرسمـوه تحوطـاً بين العمـل الأدبي وبين المسؤوليـة الإنسانية للكاتب » . أما الشـاعر البيـرواني أليخانـدرو رومـوالـدو Alejandro Romualdo فيدين ، بعنف أكبر ، الكتاب الأمريكيين اللاتين الذين يقبلون المنح ، والترجمات إلى الانجليزية ، الجوائز الضخمة ، مثل جائـزة « رومولـو جاييجوس » ، أويقبلون شرف وسام شمس البيرو (وسام الصول ديل بيرو) Orden del soldel peni ، والعبارة محملة بالتلميحات المحددة ، من بينهـا التلميح إلى فارجاس يوسـا نفسه وإلى نيـرودا ، وتعلن سلسلة من التوتـرات الداخلية التي تزداد حدة .

وليس ذلك أمراً عارضاً : فقد أخذت الثورة تبلغ النضج وسط مشكلات تتطلب الانتباه من طلائعها ـ وكانت الطليعة الثقافية بالغة الأهمية ـ ، وفي أمريكا اللاتينية كلها كانت نضالات التحرر القومي وحركات حرب العصابات تبقى على قيد الحياة بصورة يائسة ، وتواجه الفشل والموت ، وتهاجم فلا تجني سوى تشديد جديد للاضطهاد . وكان على تضحية التشي جيفارا ، وانقسام الأحزاب الشيوعية إلى أجنحة « ذات ياقات منشاة » و « دون يـاقات منشـاة »، وطرح الحلول السياسية بعبارات عسكرية ، كان على كل ذلك أن يؤثر ايضاً على الوضع الداخلي الكوبي وأن ينقل تركيز العمل الثقافي نحو نقاط معينة لم تكن تستحق أن تبرز هذا الإبراز . إن صورة الكاتب الناجح ـ كالروائيين الـذين يشكلون ما يسمى بصورة حمقاء باسم « الرواج » ـ ، الذي يتمتع بترجمات مضمونة داخل نظام نشر قوي ، ويتمتع بالجوائز ، والدرجات الأكاديميـة ، وبالـدعوات من مختلف الجهات ، والمدافع عن منفى أوروبي عادةً وعن احتراف مطلق للأدب ، والملتزم لكنه ليس مناضلاً حزبياً ، هذه الصورة بدأت تبدو غير مريحة بوجه خاص لقطاع من المثقفين يطالب بالارتباط الثوري الوثيق لا في الأفعال السياسية فقط ،

بل في الجهد الابداعي لكل واحد . والغريب أن هذا الضغط ظهر بصورة حصرية في مجال الأدب ، وليس في مجالات الفن الأخرى (كالتصوير ، والسينما ، والمسرح ، الخ) حيث واصلت الأشكال التجريبية والطليعية النابعة من المجتمعات الاستهلاكية المكروهة (مثل البوب Pop والـ أوب ـ آرت - Op art) واصلت انتشارها وسيادتها في الواقع الجمالي الكوبي . وبعد مرور عشر سنوات على الثورة انفتحت هوة بين المواقف التي كانت متجانسة للكتاب المؤتلفين حول كوبا . وتشكل نوعان من المجموعات : كورتاثار وفارجاس يوسا ، من جانب كممثلين للمثقفين الذين يقدمون تأييداً نقدياً وليس كفاحياً للثورة ، وبيديتي ، ديبستر ، ودالتون ، بشكل أساسي ، كنماذج للمثقف الذي يملك تجربة داخلية عن الثورة ، والنشيط داخل الأجهزة الثقافية أو الحزبية ، والمتكامل والمكرس بكليته للممارسة الاشتراكية . وكمايمكن أن نرى فإن الكتاب الذين يظهرون على هذا الجانب من خط النار هم كتاب أمريكيون لاتين وليسوا كوبيين فقط .

هذا الجدال ـ الذي ليس سوى واحد بين جدالات عديدة حفزت الأدب الأمريكي اللاتين خلال السنوات الأخيرة مثل جدال كورتاثار وأرجيداس حول « العالمية » و « الإقليمية »ـ يكتسب أهمية كبرى لأن أصله ودافعه في كوبا على وجه الدقة ، حيث يظل أحد الآمال الثقافية القديمة حقيقة واقعة : أعني غياب معيار جمالي للثقافة الاشتراكية . والدليل على ذلك هو أن الآراء المؤيدة والمعارضة للنقطة موضع النقاش تجد الانصات هناك على قدم المساواة ، مما يتيح حواراً ، مستحيلاً بالتأكيد في بقية بلدان أمريكا كلها تقريباً . أي نظريات جديدة وتفسيرات للظاهرة الأدبية ستخرج من هذا التبادل الكثيف للآراء ؟ وأي آثار سيتركها في الابداع الثقافي ؟ مازال الوقت مبكرا لمعرفة النتائج ، ولايمكننا الآن سوى تقديم المواقف التي تؤثر على صيرورة آدابنا .



الفصل الرابع
تفسيرات أمريكا اللاتينية

أوجستو تامايو فارجاس*
Augusto Tamayo Vargas

آن أوان أن تتركي أوروبا المثقفة التي تكرهها ريفيتك المحلية ، وتوجهي جناحك
إلى حيث يفتح لك عالم كولومبس مشهده الرحب .
أندريس بيو

١ ـ تباينات الصور والأفكار .

أخذت أمريكا تكشف نفسها لنا ـ في أدب ناطق بالإسبانية ـ منذ اليوم الثاني عشر من اكتوبر عام ١٤٩٢ . سيكتب كولومبس : « هذه الجزر شديدة الخضرة والخصوبة وذات أنسام بالغة العذوبة . ويمكن أن يكون بها أشياء كثيرة لاأدريها ، لأنني لاأريد أن أعطل نفسي بأن أخترقها وأذرع جزراً كثيرة حتى أجد الذهب » وسوف يعلن هو عن نفسه : « بدا لي بالأحرى أنهم أناس فقراء جداً في كل شيء . . . . فقد كانوا يمضون عراة كما ولدتهم أمهاتهم . . . ذوي سلوك فريد جداً ، محبين وذوي لغة عذبة » . ووراء الذهب غير الموجود في عالم جزر الأنتيل ذاك سقط الشلال الأوروبي بغتة فوق السكان الأصليين الفقراء ، العراة ، ذوي « اللغة العذبة » . لكن حين يتقدم كورتيز عبر المكسيك فإنه يصف روعة

(*) كاتب بيرواني (ولد في ليما ١٩١٤) ، أعماله الأساسية؛ بيرو والرواية (ليما ١٩١٤) ، قصائد للموت وللأمل (ليما ١٩٤٤) ، رؤوس أقلام لدراسة الأدب البيرواني (ليما ١٩٤٨)، بحث (ليما ١٩٥٣)، الأدب البيرواني (ليما ١٩٥٤ ـ مجلدان) ، الشعر المعاصر في البيرو (ليما ١٩٦٣)، ١٥٠ مقالا عن البيرو (ليما ١٩٦٦)، حب لأمريكا الفقيرة (مكسيكو ١٩٧٠) ، قوس في الزمن (يونيوس آبريس ١٩٧١)، الأدب في أمريكا الاسبانية (ليما ١٩٧٢) ، كان يعمل استاذا في جامعة سان ماركوس. [المترجم] .

رجال موكتزوما(**) Moctezuma ، ويصف هو وبرنال دياث Bernal Diaz قوتهم في ساعات مثل ساعات « الليلة الحزينة ».يذهل فاتح المكسيك من المدن في بلاد مليئة بالجبال والبحيرات : « هذه المدينة بها ميادين كثيرة . . . وشوارعها ، أقصد الشوارع الرئيسة ، عريضة جداً ومستقيمة جداً » . ويتعجب من الغرف العليا والسفلى في دور ذات حدائق « نضرة جداً ، وذات أشجار كثيرة وأزهار فواحة » ، ومن « أحواض الماء العذب المشغولة ببراعة بسلالمها التي تبلغ القاع » . ويتأمل بطريقة مخالفة تماماً لطريقة كولومبس : « إذا أخذنا في الاعتبار أن هؤلاء القوم همج وشديدو البعدعن معرفة الرب وعن الاتصال بالأمم الأخرى فمن المعقول أن يكون مما يثير الإعجاب أن نرى ما لديهم في كل شيء » . وفي هذه الأثناء يواجه جنوده أولئك الذين يمثلهم برنال دياث بضمير المتكلم ـ شعب الأزتيك ـ الذين هم ليسوا « محبين » على الاطلاق ـ من أجل امتلاك الثروات وذلك الذهب الذي مضى المكتشف في أعقابه منذ جزر الأنتيل المتقدمة . وتتزايد هذه العاطفة تجاه الأرض والذهب بالأساطير التي يزينها السحر الأدبي للسكان . والمثال على ذلك تلك الحكاية عن الأمير الذي يكتسي بالذهب و « تيجانه الذهبية وأساوره وعقوده وأقراطه الذهبية » ، والذي يقدمه رودريجث فريلي Rodriguez Freile في (الكبش El carnero) . فقد حملت هذه الحكاية المغامرين من الساحل إلى الغابة ، مقتفين آثار تلك الكنوز التي يقال إنها تقدم قرابين في تلك الأراضي الأمريكية الجنوبية في بحيرة يضيع مكانها في مملكة التخيل (الفانتازيا) . وحكاية رودريجث فريلي هذه هي قطعة أصيلة من الأدب يبدو أن الأقصوصة والتقاليد الأمريكية اللاتينية تولد فيها . أما (شعوذات خوانا جارثيا Las brujerias de Jnana Garcia فربما كانت السلف البعيد لأعمال ريكاردو بالما Ricardo Palma وجزء من النثر القصصي الهسبانو ـ أمريكي .

إن خبرات الفتح والالتقاء بواقع يدهش الفاتحين نتج عنه أن كتبت في

(**) هو ملك المكسيك عند الغزو الاسباني وقد قتل ودمرت عاصمته تينوتشتيتلان على يد المدمر الاسباني كورتيز سنة ١٥٢١ . [المراجع] .

المعسكرات (مدونة البيرو La Crónica del Peru) لثييزادي ليون Cieza de león والأروكانية La araucana لارثيا Ercilla ، بينما في الأديرة التي أقيمت في المدن الجديدة انكب رهبان مستنيرون على إبراز جوانب أصالة الأراضي التي تم ضمها إلى المسيحية ، وفي الوقت نفسه ، وفي الدور الأندلسية لمونيتا وقرطبة كان الإنكا جارثيلاسو Inca Garcilaso يعيد بناء عالم وامبراطورية كان ينتمي إليهما من جهة أمة تشيمبو أوكلو Chimpu Ocllo لكنهما كانا ضائعين وراء البحار في ضباب الحنين لسنوات الشباب . لكنه تذكر بوضوح المدينة الخلاسية المتراكبة حيث ولد ، والأبيات القليلة بلغة الكتشوا التي تعلمها ، والضواحي الريفية لمدينة كوثكو Cuzco ، وناي المحب وصوت المحبوبة ، والعبور على طول جبال الإنديز وساحل البيرو القديم حتى عاصمة نائب الملك ، حيث كان الحكام الإسبان ينقلون سراً مومياوات من سبقوهم حتى يمحوا مبرر وجود مجتمع مستعبد . وظلت مختلطة في ذاكرته احتفالات « سيتوا Sitúa » ـ النظافة العامة ـ واحتفالات « هوراتشيكو » Hurachico ـ احتفالات الجنس ـ باحتفالات عيد القربان المقدس وعيد جميع القديسين ، مع بقاء الموت كشخصية محورية ، يمكن تقديرها حق قدرها لدى السكان القدامى والجدد لأمريكا ، كما يسجل أوكتافيو باث في الصفحات التأملية لكتابه (تيد العزلة El laberinto dela soledad . يقول : « بالنسبة للمكسيكيين القدماء »لم يكن التعارض بين الموت والحياة مطلقاً مثلما هو بالنسبة لنا . إذ كانت الحياة تمتد في الموت » . ويمكننا أن نضيف إلى أنه بالنسبة للبيروانيين القدماء « كان الموت يمتد في الحياة ».بالنسبة للمكسيكيين كان الدم يغذى هوتزيلوبوتشتلى Hutzilopochtli* وبالنسبة للبيروانيين كانت تنبثق من موت « العالم السفلى » الحياة من أجل « عالم هنا » ، عبر الـ « باكارينا » ، التي هي موضع « مملكة السموات » بالنسبة للاسباني الذي انتقل إلى القارة .

(*) هو إله الشمس لدى شعب الازتيك وكانوا يقدمون له قلوب الاضاحي البشرية ودماءها ليستمر في الاشراق ويستمروا في الحياة . ويعتقدون أن وعدهم أن يكونوا الشعب المختار . [المراجع] .

ومن أقصى هذه القارة إلى أقصاها ، حيث كان الموت موضع احتفال ، سار الاسبان الذين يجلبونه في حرابهم في أعقاب ثمانية قرون من النضال ضد « الكفار » العرب . كان الموت ، بين التنجيم ، ومحاكم التفتيش ، والغرق ، يسكن أيضاً روح الاسباني النمطي لهذا الزمن : فبدروسارمينتو دي جامبوا Pedro Sarmiento de Camboa ، الذي أدي بتهمة السحر في بويبلادي لوس أنخليس (بلدة الملائكة) هو في ليما بطل مغامرات مشهورة بالاضافة إلى كونه كاتباً ساحراً في كتابه Histaria indica التاريخ الهندي .

خلال هذه القرون نمت الامبراطوريات التعدينية للمكسيك والبيرو كما توضح المدونات والحكايات المختلفة . فباتجاه الأطلنطي الأمريكي الجنوبي لايصادف المغامرون الإسبان والبرتغاليون ثقافات يعجبون بها ولا أعمالاً فنية ينسخونها أو ينقلونها ، وهناك تتم الصياغة الأمريكية دون تاريخ يهدم بعمال مأجورين يستخرجون خشب « البرازيل » ، وبعمال قصب السكر ، وبالباحثين عن المعادن والأحجار الكريمة الذين لديهم واحة صغيرة من الذهب والتماثيل الباروكية في ميناش جيرايش ، وبمهدي الأرض ولصوص الخيل الذين يفرضون قوانين سهول البامبا . وفي الداخل ، في قلب القارة ، يدير القساوسة الخرويت نوعاً من المجتمع يقوم على أساس الجماعة التي تحولت إلى المسيحية من السكان القدماء فيما يسمى باسم « المستوطنات* » ؛ التي سيخرج منها أول تمرد كريولي في بلدة أنتيكيرا ، هذا بينما يغامر مبشرون آخرون عبر الأنهار الداخلية الكبيرة ويخلقون أبرشيات ضئيلة وخجولة في الغابات على الضفاف التي تحركها الفيضانات ، بينما يدرسون في الوقت نفسه حيوانات وطيور إقليم فقد فيه كثير من المغامرين بحثاً عن « بلد القرفة » . كل هذا يجعل من « المدونات » مزيجاً غريباً من التاريخ ، والمقال والنثر القصصي واجهة أدبية ثمينة يمكن فيها رؤية أمريكا في

---

* « المستوطنات» . الكلمة المستخدمة هي reduccioes : وهي قرى أقامها المبشرون خلال الغزو للهنود الذين دخلوا المسيحية . وأشهرها تلك التي مازالت تحمل اسم الجزويت في الباراجواي ـ [المترجم] .

منشور ذي أوجه قطعت بمهارة أحياناً ، وبخشونة في معظم الأحيان .

كذلك ستكون تقارير الرحلات دافعاً على التصوير والتحليل . وبعض الرحالة ، مثل دييجو ميكسيا Diego Mexia الذي ارتحل من أكاخو Acajú حتى مكسيكو ، لايستفيد من المنظر الا لقراءة أوفيد وترجمته على وقع خطوات البغال المتعبة . لكن آخرين قدموا تقريراً عن الواقع الاجتماعي والسياسي الأمريكي ، مثل خورخي خوان وأنطونيو أيوا Jorge Juan & Antonio Ulloa في (ملاحظات سرية Noticias secretas) حيث يلاحظان أن « المدن والقرى الكبيرة هي مسرح للتنافرات وللتعارض الدائم بين الاسبان والكريول . . . اذ يكفي أن يولد المرء في جزر الهند الغربية حتى يبغض الإسبان . . . . » ، هكذا تهمس صفحاتها المحذرة . ويضيفان : « يبلغ من فساد تلك البلاد أنهم يرفعون من قدر هذا الأمر (اتخاذ المحظيات) حين يحققون منه المزايا التي لايمكنهم بلوغها عن طريق الزواج » .

ويقدم دليل العميان الجوالين El lazarillo de ciegos caminantes رصيداً هاماً آخر للمعلومات عن المجتمع ، بالاضافة إلى كونه دليلاً في خدمة الجغرافيا . يحملنا الوصف من مونتفيديو وبونيوس آيرس ، مركزي تجارة الماشية ، حتى مرتفعات بوتوسي Potosi وكوثكو ، لننحدر ، بعد ذلك ، إلى ليما . على مشارف مدن الأطلنطي نجد جموع « الجاودريو Gauderios »* - « سترة سيئة وثوبا أسوأ » - الذين سيطلق عليهم اسم « الجاووشو » . ستخرج للقائنا - بين محادثة وأخرى لكاريو دي لابانديرا Carrióde la Vandera وكونكولوركورفو Concolorcorvo - الضياع والكفور التي تحيطها الجبال ، لكن ، رغم ذلك ، ستكون العربة تعبيراً عن منطقة نمطية : هي سهول البامبا . وإلى أعلى : ستكون البغلة هي شخصية المشهد الإنديزي التي أصبحت تحل محل اللاما . أرض باردة ذات جليد وعشب قصير . يغني البغالون أنغاماً خلاسية .

---

* gauderio : تعني الكسول - [المترجم] .

وبعد ذلك : بوتوسي وثرواتها ، لنصل ، بعد عبور جبال الانديز ، إلى كوثكو وليما ، وتقارن هذه بمكسيكو ، بالطابع « الحرافيشي » (البيكارسكي) والتعبير المنفلت الذي يسود عملاً ذا لهجة سطحية تحل فيه الألوان الزاهية محل العمق . كذلك ستكون مسارات العلماء والمراقبين هي ما يكمل الرؤية « الخارجية » لأمريكا . ولنتجاوز أشهر الحكايات لهومبولت Humboldt أو لفريزير Frezier ولنتوقف عند عمل كتبه الكولونيل الأمريكي الشمالي ويليام دوان William Duane عنوانه (**رحلة إلى كولومبيا الكبرى(* *) في عامي ١٨٢٢ ـ ١٨٢٣**) Viaja a la Gran Colombia en los onos 1822-23 (« من كاراكاس ولاجواهيرا حتى كارتاخينا ، وعبر سلسلة الجبال حتى بوجوتا ومن هناك فصاعداً عبر نهر ماجدالينا ») من الشاطىء يلاحظ القارة :

« بدأ الشراع الذي كان معلقاً فوقنا في الهبوط وكشف عن قمة أول سفوح سلسلة الجبال . . . . لم تلاحظ أي أرض منبسطة للزراعة البشرية ، بين هذا الانحدار المباغت وبين المد المتصل . . . » .

وفيما بعد سيكون في سلسلة الجبال ذاتها وسوف يصفها بأشكال متنوعة :

« تحت أقدامنا كانت ترى مرتفعات ضخمةمن الأرض مع منحدرات من الحصى ومساحات أكثر انخفاضاً ومخضوضرة إلى اليسار ، حيث تمتد كذلك مساحة واسعة من النباتات الكثيفة . . إنه اقليم بارد ، ورطب ، وضبابي . . كانت الأرض مستوية (النجد) تغطيها أعشاب بالغة القصر . . . » .

بعدها سيكون الانحدار المفاجىء : « حالما تركنا خلفنا هذا المرتفع الحاد ، انفتح أمام أبصارنا سهل بوجوتا الشاسع » .

لكن بعد السهل أو السافانا ، تتلوى سلسلة الجبال المرة بعد الأخرى ، وتظهر دروب صعبة ، شديدة الانحدار ،بين صخور مكشوفة :

(**) مصطلح كولومبيا الكبرى يطلق على كولومبيا والاكوادور وفنزويلا [المراجع]

« كانت الصخور معلقة فوق زوايا أو نهايات الشذرات التي تبقت منها ـ هكذا يشرح دوان ـ دون طبقات وسيطة من الأرض أو الزرع ، رغم أنه هنا وهناك ، فوق سطح الصخور المستوية الضخمة ، كانت ترى كتل من الطحلب المتناثر والطفيلي تتدلى بطريقة منذرة وكأنها ستنفصل وتجذب معهاتلك الصخور المستوية التي يمكن أن تحدث تأثيرات كارثية . . . » .

بين تلك البانورامات الضخمة من القمم والأنهار الملحمية التي يعرضها الرحالة تبدو في تقابل معها تلك الممرات الصغيرة بين الجبال ـ التي يدرسها علماء الاجتماع والمهندسون ـ والتي تعيش فيها بصورة غامضة جماعات من الهنود أو الخلاسيين بنباتات قليلة أو بائسة ، بين الصخور والأعماق المظلمة للغابة التي تقدم مشهداً أقل جاذبية من « النهر العظيم » الأمازون ، والمارانيون ، والأورينوكو ، والماجدالينا . في هذه البيئات المجدبة تظهر قرى صغيرة صنعتها رواسب متتابعة من البشر الهاذين أو البائسين وربما سكنها أحد العلماء الذين أخذتهم الحماسة للعمل الدقيق والصبور . على ارتفاع آلاف الأمتار فوق سطح البحر ينمو بشر آخرون هم حبيسو أربعة جدران من الطوب اللبن ، يعيشون فيها مع حيواناتهم الأليفة . . . وعلى ارتفاعات مختلفة عند أقدام البحر ترتفع دور بائسة لصيادين . ونحو كل واحدة من تلك الجهات تنطلق من المدن ـ التي يتراكم فيها السكان بأعداد منذرة ـ الطرق الأسفلتية والأنهار الموصلة . وأما اللغة ، المليئة بالعذابات ، بالثمار الغريبة والشهية المذاق ، فتلتوي في عبارات مبعثرة وفي تناقضات من الصور والأفكار .

٢ ـ الطابع الخلاسي لما هو أمريكي .

« إن أي اتصال ، ولو عابر ، بالشعب المكسيكي ، يبين أنه تحت الأشكال الغربية مازالت تنبض المعتقدات والعادات العتيقة ـ هكذا كتب أوكتافيو باث في تيه العزلة ـ . هذه البقايا ، التي لاتزال حية ، هي شاهد على حيوية الحضارات السابقة لكورتيز . وبعد اكتشافات الأثريين والمؤرخين لم يعد ممكناً الاشارة إلى

تلك المجتمعات بوصفها قبائل همجية أوبدائية . ورغم الانبهار أو الرعب الذي تثيره فينا ، يجب التسليم بأن الاسبان عند بلوغهم المكسيك وجدوا حضارات معقدة وراقية » . وكل ما قاله باث عن المكسيك وأمريكا الوسطى يمكن قوله عن البيرو وعن شعوب الإنديز الأمريكية الجنوبية حيث ازدهرت حضارة كانت لحظتاها العظيمتان هما لحظتا تياهواناكو Tiahuanaco وتاهوانتيسويو Tahuantisuyo . ويمكن للقارىء أن يرى من خلال الفصل الأول من كتابي الأدب البيرواني Literatura peruana انعكاس تلك الثقافة السابقة على كولومبس في مختلف الظواهر الأدبية : الملحمية ، والغنائية ، والقصصية ، والدرامية . إذ يبزغ واقع خاص في الأغنيات والحكايات التي تسودها اشارات ريفية أو جماعية . وفي الأساطير على وجه الخصوص - وهي الذكريات التي يضخمها الشعر - نجد عالماً مبهراً مليئاً بخصوصيات البيئة والمجتمع . هذا الأدب كان يستجيب لإطار ثقافي محدد يضم الجوانب شبه الثقافية للمنظومات الساحلية والانديزية .

وفوق هذه الثقافة يحدث الفتح ويخلق ما يمكن أن يكون خلفية الإنسان الأمريكي اللاتيني: تقاطع وتراكب إمكانات تصوغ وعياً محدداً، شديد الاختلاف عن الوعي الذي كان لدى الاسباني أو البرتغالي الأيبيري . إن أمريكا تخلق أمريكيين منذ اللحظة الأولى . وتستمر عملية الدمج هذه طالما دامت ما تسمى بالفترة الاستعمارية أو فترة نواب الملك ، وباث نفسه يقول ذلك : « يأتي الاستقلال حين لم يعد يربطنا بإسبانيا شيء سوى القصور الذاتي » . وعلى طول هذا التاريخ الطويل أو العملية التي يحددها الشاعر المكسيكي لوطنه أو لإقليمه ، ينتج ما يسميه هو نفسه باسم « البحث عن أنفسنا نحن المشوهين أو المقنعين بمؤسسات غريبة عنا ، وعن شكل يعبر عنا » . غضي في انتزاع جذورنا ببطء - ونحن مازلنا نتتبع فكر باث - ونحاول القطيعة الحاسمة مع الشكل الذي كان غريباً عنا ، رغم أن هذا الشكل كان للحظة ، هو البنية الغربية المفروضة التي تغطينا . لكن الإنسان الأمريكي اللاتيني كان قد أصبح إنساناً آخر ووجب أن

يكون شكل تعبيره شكلاً آخر رغم أنه لم يكتشفه عند استقلاله . في وسط هذا الطريق المليء بالتمزق يتزحزح الانسان ويضيع محاولاً أن يجد ذاته . جعلته ثقافة قرون طويلة جماعياً ، وحاولت ثقافة غزو واحتكاك ثقافي أوروبية أن تدفعه بخاتم فرديتها . وتحت طبقة مؤثرة من الكاثوليكية ، ينتفض الجسد تحت العلامات القديمة . وفي البيرو فإن الفكر ذا النزعة العضوية والفكرة الأساسية عن حياة تزدهر من الموت ، وعن عالم الدنيا الذي هو ازدهار العالم الآخر السفلي كلاهما يدركان في مفهوم مختلف عن البعث ومن عبادة للأرض ، بوصفها الأم المقدسة أو الإله الداخلي : باتشاكاماك Pachacamac ، الذي مازال يمارس سحراً طاغياً . إن الصليب يغرس فوق القبر . ومولد البشر من الأحجار ومن أولئك الذين يتحولون إلى أحجار ، في تحولات ذات اتجاهين ، يجد اجابته في تقديس الطبيعة وفي الوعي بتوالد صخري محسوس منذ الشعراء الشعبيين القدماء الهارافيكوس Haravicus وحتى فاييخو . وبالمقابل ، ولد البشر في أمريكا الوسطى من الذرة ، والمطر ، والماء ولديهم انبهار شعري للألوان ، كتزالكواتل* Quetzalcóatl المليء بالريش يموت بحسية سماوية ليفسح المجال لغزو الرجال البيض بسبب خطيئة الألهة والملوك . وحين نترك هنود الأزتيك والمايا إلى هنود الكتشوا والأيمارا ، نقابل علامات فارقة ، بالطبع ، لكننا نجد كذلك طرائق مماثلة ودلائل لاتخطىء على عدم التواصل متجسدة في العبارة التي يصادفها من يتوجهون إلى البيرو في رحلتهم من الجنوب إلى أمريكا الوسطى. وفي أسطورة نايلامب Naylamp ، الزعيم القبلي الكاريبي ، الذي يصل إلى الشواطىء الرمادية ليامبيياك llampeyac ، في شمال البيرو ، مع محظيته ، ومع راقصين ،

---

* هو الإله الآخر لشعب الازتيك ويتصل بالحضارة والحياة وكان له كما للإله الآخر (هويتزيلوبو تشيتلي) معابد ضخمة . وآخر معبدين دشنا لهما كانا سنة ١٤٧٣ ضحى الكهنة من أجلهما ما يزيد على ٢٠ ألف ضحية بشرية . وتنسب إلى كتزاو لكواتل نبوءة تقول إن إلهاً أبيض من الشرق (من المحيط الاطلسي) سوف يأتي فوق الماء عائداً الى الأرض ويطالب بمملكة الأزتيك التي يجب ان تسلم له . [المراجع] .

وخياطين ، وطباخين ، تكسوهم جميعاً ثياب يلونها الريش والأصباغ الاستوائية .

ومن المثير للاهتمام أن نتابع الأفكار الأساسية لكتاب تيه العزلة لكي نفهم الكثير من تلك التشابهات . فالتشابه الرئيس هو الطابع الخلاسي الذي يوحد بيننا . وهو خلاسية نتمرد عليها بطرق عديدة . شرح أوكتافيو باث « عقدة المالينشي Malinche » اي الشعور بأن المكسيك هي المسرح الذي يغتصب فيه الغازي الثقافة الهندية الأصلية . وما يمثل أقذع شتيمة وأكبر اذلال ، وهو أن يكون المرء ابن « المنتهكة » ـ المغتصبة ـ ، يعطينا مفتاح هذا الشعور بالميلاد المخزي ، حيث إن كون المكسيكي « ابن منتهكة» ابنا يمثل بالنسبة له إهانة أكبر من كونه ابن عاهرة* يقول في فصل (أبناء المالينشي) ـ « بالنسبة للإسباني يكمن العار في كونه ابن امرأة تهب نفسها طوعاً ، أي عاهرة ، وبالنسبة للمكسيكي يكمن في كونه ثمرة اغتصاب » . ويضيف أن كون المكسكي مولوداً مشوهاً للاغتصاب أو لعبث الغزو المقبول بذلة هو المحور « الخفي لتحرقنا وعذابنا » .
ومن هنا يأتي مفهوم شعر آخر مترتب على الأول : هو مفهوم العزلة « إن العزلة ، الخلفية التي ينبت منها العذاب ، بدأت يوم انفصلنا عن رحم الأم وسقطنا في عالم غريب ومعاد . لقد سقطنا ، وهذه السقطة ، معرفة أننا قد سقطنا ، تجعلنا مذنبين . بأي شيء ؟ بجريمة بلا اسم : هي كوننا قد ولدنا » . وقد قال كالديرون Calderon ذلك على لسان سيجيسموندو Segismundo بالنسبة للمفهوم الغربي ، وأكده روبين داريو Rubén Dario شعرياً . لكن كل هذا التذليل العقلي ، الممكن عمله في كل إقليم أو فترة من الوجود البشري ، يكتسب

---

* في محاولة للنفاذ إلى الشاعر العميقة المترسبة لدى المكسيكيين يستخدم باث تعبيرات عامية نعتقد أن من الصعب وضعها في تعبيرات فصحى مهذبة . فعقدة المالينشي يمكن ترجمتها بدقة أكبر « بعقدة الخواجه » أي تفضيل ماهو أجنبي نتيجة الانسحاب أمامه . وما ترجمناه بلفظ «منتهكة»: chingada تعبير سديد الشيوع في المكسيك ويعني المغتصبة عنوة وقهراً ـ [المترجم] .

ـ بالنسبة لباث ـ طابعاً خاصاً في المكسيك ـ أو بـالأحرى لنقـل ، في أمريكـا الايبيرية بسبب عملية الغزو ، حيث يجري إدراك « ام المغتصبة » . يقول : «هذا الاغتصـاب ليس فقط بالمعنى التـاريخي ، بل إنـه في ذات لحم الهنديـات » . والانقطاع والعزلة اللذان ينشآن من هذا الواقع القائم على أساس الانتهاك لا يقدمان أنفسهما فقط كسمات للشعب المكسيكي بل كسمات لكل الشعوب ذات التقاليد الهندية الأصلية الأمريكية .

وربما أمكننا العثور على تنويعات لذلك الشعـور بالاغتصـاب المخزي . إذ يمكننا القول إنه مع اشتداد الخلاسية في البيرو في زمن نواب الملك نشأ تمرد أنثوي ضد الفاتح الاسباني : إذ تهرب المرأة من الدار وتصبح « محجبة » . أما المرأة العادية فتسيطر بصورة غير مباشرة على الرجل الذي يجسد السيد الأبيض . و « بيرتيشولي Perricholi » هي التعبير عن ذلك التمرد الغريب بسيطرتها عـلى نائب الملك أمات Amat ، وبتنزهها في العربة الملكية بين مماشي أشجار الحور لتحصي ، واحدةً واحدة ، تلك الممتلكات التي انتزعتها من الحاكم الشهم ذي السبعين عاماً . وتمثل ميكائيلا فييجاس Micaela Villegas ، تلك « الكلبة الحقيرة » طبقة اجتماعية ، لكنها تمثل كـذلك مـوقفاً : إنها الـطبقة المتـوسطة الدنيا ، الخلاسية ، وهي في الوقت نفسه التمرد الذي تبدى من جانب آخر في الموقف الثوري الحقيقي لميكائيلا باستيداس Micaela Bastidas بجوار زوجها خوسي جابرييل كـوندوركـانكي José Gabriel Condorcanqui ، الملقب بلقب توباك أمارو رقم ٢ ، في أول عصيان كبير ذي أساس اقتصادي ـ اجتماعي جرى في أمريكا .

وبالتالي فهناك مفهوم أساسي هو أن الرجل الأمريكي هو نتاج للغزو الإسباني أو البرتغالي ، إن الأوروبي أخذ المرأة والأرض وجعلهما ملكه ، عـلى المستوى الجنسي وعلى مستوى الملكية القانونية ، أي لم تنشأ قطاعات بسيطة للاستعمار وللانعزال عن المجتمع الهندي مثلما حدث مع الاستعمار الريفي أو مع المصانع التي يملكها إنجليز ، أو فرنسيون ، أو هولنديون . لهذا تكتسب ثقلاً بالغاً تلك

العلامات التي تبدو في الثقافات الأخرى ضائعة في الأحبولة المشتبكة للخلفية الأسطورية . وهكذا ، ومثلما ينشأ مفهوم ميلاد الأمريكي اللاتيني بوصفه اغتصاباً من أسطورة معممة تكتسب هنا كثافة ، فكذلك أيضاً تنشأ أسطورة ظهور البشرية على الأرض من خلال « الشرخ أو فتحة الجرح الذي أحدثه الإنسان في لحم العالم المكتنز » . وهذا واضح صراحة في تفكير البيرواني القديم الذي يعتقد أن البشر يخرجون من العالم السفلي من خلال الـ « باكارينا Pacarinas ـ وهو موضع الشروق ـ ، الذي هو الكهوف ، والمغارات ، وعيون الماء ، مواضع الاتصال الأرضي . ويخرج الإخوة أيار Ayar ـ آيا Aya تعني الموت بلغة الكتشوا ـ من باكاريتامبو Pacaritampu عبر الأخدود أو نافذة تامبوتوكو Tamputocco للموت الذي يخلق في الحياة ، وفي مسيرتهم باتجاه كوثكو ، بالبذور وأدوات الفلاحة في أيديهم ، يأخذون في التحول إلى تل من الملح ، وإلى طائر كندور، وإلى حجر أساس للمدينة ، في قصيدة تضم كل رموز تفكير الانسان في البيرو القديمة عبر ذلك الشرخ أوالفتحة ، يخرج الانسان المختلط مع الكائنات العضوية الأخرى ـ الملح ، والفلفل الأحمر ، والبطاطس ـ باتجاه الأرض الموعودة ويقيم أسس « النوع » ، أسس الأسرة ـ الأيلو » ayllu كما يضم أسس المجتمع الامراطوري لهنود الانكافوق الأراضي الخصبة لوادي كوثكو ، الذي يتحول إلى عاصمة امبراطورية كتشوا ضخمة . من هناك ، من خلال النافذة التي يتصل منها العالم السفلي بالدنيا خرج النظام . لكن باث يعتقد أن البشر يخشون أن تنطلق من هذه الشروخ الفوضى من جديد التي هي « الحالة القديمة ، واذا شئت ، الطبيعية للحياة » . ومن أجل تجنب ذلك جعل شعراء البيرو القديمة ثلاثة من الاخوة آيار يدفنون رابعهم ـ آيار كاتشي القوي Ayar Cachi ـ في صخرة من تلك الصخور التي لايمكن تحريكها ، والتي كانوا يعرفون كيف يستخدمونها ، والتي كانت تفيد في جلب الأبدية إلى ساكساهوامان Sacsahuaman أو ماتشوبيتشو(*) . . كذلك ستكون الصخور التي تتحول

* هما مدينتان من مدن البيرو قبل كولومبوس ولاتزال آثارهما باقية بكل أطلالها ـ [المراجع] .

الى بشر باباً مغلقاً على الفوضى في الفكر الذي ينقله الأماوتا amauta ـ الحكيم ـ البيرواني إلى معماريي تلك المدن . في ماتشوبيتشو يجد الكاتب الاسباني لاريا larrea « طابعاً ميتافيزيقياً ونابضاً بالمستقبل » ، صورة « للعالم الجديد » الفعلي في أمريكا الجنوبية . أما بابلو نيرودا فيقول ، بدوره ، في مرتفعات ماتشو بيتشو . Alturas de Machu Picchu :

بقيت الدقة المتفتحة ،
الموقع السامق للفجر الإنساني :
أعلى إناء يضم الصمت :
حياة من الصخر بعد كل هذه الحيوات . .
إنهض معي ، أيها الحب الأمريكي . . . .*

٣ ـ أمريكا باعتبارها شيئاً وشيكا

رغم ذلك ، فإن العالم « النابض بالمستقبل » الذي استشفه لاريا Larrea هو صورة مفزعة بالنسبة لآخرين . يقول هذا إنريكي بتسوني Enrique Pezzoni في مقال بعنوان الأرجنتين لدى روائييها ومفسريها La Argentina en sus novelistas y ezégetas ، وذلك حين يعلق على فكرة مورينا Murena عن قارتنا أو عن مجموعة شعوبنا في مفترق الطرق التي نسميها أمريكا : « أمريكا باعتبارها غياباً » باعتبارها شوقاً للوجود ، باعتبارها ، في النهاية ، شيئاً وشيكاً » . وكان مورينا يقول في الخطيئة الأصلية لأمريكا El pecado original de América : « نحن منبوذي العالم ، مثل حثالة الأرض ، نحن أبأس البائسين . نحن بعض المحرومين لأننا تركنا كل شيء حين أتينا من أوروبا أو من آسيا وتركنا كل شيء لأننا تركنا التاريخ » هذا هو مفهوم أمريكا هي نتاج لأوروبا وليس لها جوهر خاص بها . لكن الحل ذو نزعة أمريكية : اقتراف جريمة

---

* عن : مرتفعات ماتشو بيتشو ، ترجمة أحمد حسان ـ مجلة الفكر المعاصر، العدد الأول، مايو ١٩٧٩ ، القاهرة .

: هذا المفهوم الغرائبي والممزق ، يقف
التي أخذت الجذور العتيقة ووحدتها مع
ا الآخرين الذين أصبحوا جزءاً منها .

ة أمريكا اتساق تباينها . إنها قارة
جانب أمريكا المطروحة عضوياً
اراً مثالياً ، إذ يمكن أن يكون
معيناً) ، فيجب علينا أن
موجودة » ، تنفيذ كيان غائب ،
ارتكبت جريمة قتـل الأب فإن :
لجديدة حتى تضمن بـالزواج
، احاصه » . المعنى الأول يقوم على أن ثمـة
. وبالنسبة للثاني ليس ثمة تاريخ لأنه ليس هناك
معه شجرة العائلة كاملة في الألبـوم الذي أنقـذه من الغرق
لجذوره ، يقلب صفحات الألبوم كي يدرك أن عليه أن يمزقه
نهائياً في أفق ثقافي جديد . « أعتقد أن تقاليدنا هي كل الثقافـة
. الخ . وباستخدام مصطلحـات مستعملة لشرح الحـاجة إلى
العثور على صورة أمريكا في ذلك الأدب الآخر سنأخذ كلمات إنريكي بتزوني Pezzoni ، حين يبدأ في تناول عمل حزقيال مارتينث إسترادا Ezequiel Martinez Estrada « ليس الأدب ، في نهاية المطاف ، سوى هذا الحوار لأصوات ناشزة ، سوى هذه الشبكة من الطرق المتشعبة بحثاً عن واقع يمكن في الطريق فقط ، في البحث ذاته » .

إن كتاب مارتينث استرادا Estrada **صورة بالأشعة لسهول البامبا** Radiografia de la pampa يمثل تجربة طيبة لشرح ظاهرة إيبرو ـ أمريكا أو أمريكا ـ اللاتينية ، كما سميت رسمياً . فرغم أن المؤلف يتخذ موقعه في سهول البامبا ـ الأرجنتينية ، الأورجوايية ، البرازيلية ، جنوبي الأطلنطي بوجه عام فإنه لايكف

عن أن تكون له تضمينات في كل المجموع الاقليمي المذكور . ويقر المؤلف بذلك : « إن العالم الجديد حديث الاكتشاف لم يكن محدداً بعد على ظهر الكوكب ولم يكن له أي شكل . كان امتداداً نزقاً لأرض تعج بالصور . ولد من خطأ وكانت الطرق المؤدية إليه مثل طرق الريح والماء » . والمقال ، المشحون بالمرارة والذي نجد بؤرة تركيزه على قطاع واحد بينها يحاول باستمرار أن يفسر الكل ، يتمتع بجوانب صائبة استثنائية وبجوانب جمال واضح : « كذبوا دون ارادتهم حتى أولئك الذين كانوا يستمعون » . إن الوجود المفجع لعالم خطأ ، لإنسان وحيد ، لواقع لاندري إن كان غير مكتمل أم غير ذي شكل ، يقدم لنا دائماً منظورات محددة جيداً وقصداً اجتماعياً سياسياً لابراز العقبات من أجل تخطيها . ومن الضروري أن نصادف عالم الأمل . القوميات في فوضى . والحدود بين هذه البلدان لاتستجيب لمعنى إنساني ، بل لمجرد تجريدات مثالية من أجل محاولة تحديد طابع قومي ، والحروب بين الشعوب ليست سوى تأكيدات جديدة لتلك البينة القومية المفترضة . والنتيجة هي أن أمريكا اللاتينية مكونة من معازل ضخمة لبشر متشابهين . يتحدث مارتينث إسترادا عن نمط أمريكي ولد في قلب الفضيحة . « الأب ينتمي إلى الغزاة ، وسيمضي ، والأم تنتمي إلى المهزومين ، وستموت . . . » تكتسب الخلفية الجنسية أهمية بارزة في تشكيل إنسانية جديدة وقديمة ، وفق مفهوم مارتينث إسترادا ، فبالنسبةله كان ثمة عالم منهك من شعوب هندية لديها بؤرتان أو ثلاث لثقافة في أزمة وخلاسية تكونت عن طريق المغامرة ، واتخاذ الخليلات ، والدعارة ، حين لم يكن الحال أمر زواج رسمي له سمات اتخاذ الخليلة ، بوجه خاص ، في ظروف سيادة الذكر ، وفي ظروف ندرة العلاقة-مالم تكن جنسية ـ بين الرجل والمرأة « بدت أمريكا الجنوبية وكأنها سوق متعة هائلة ، ماخور ، تديره السلطات ويوجهه المضاربون » . إنها الدار الخضراء La casa verde ، لماريو فارجاس يوسا ، في الوقت الحاضر .

من السلوك الجنسي للإسبان والبرتغاليين ينشأ عالم خلاسي خاص ، بمناطق كثيفة السكان واتساعات ضخمة صحراوية وغير مستقرة يسود فيها شرط التفوق

الذكوري الوقح ، للسيد أو للماتشو (الذكر المتسلط) Macho والوعي بالدونية الأنثوية الخانعة . إن المرأة والمهرة تبدوان متشابهتين في مجتمع تشكل بواسطة الغزو ، واللصوصية والتسلط . وكما توقعنا ، فإن من الصعب ، في تيه العزلة لأوكتافيو باث ، أن نجد عبارات محددة عن مجتمعات تطورت بشكل مختلف وبتهذيب المدن الاسبانية ، مثل مجتمعات البيرو أو المكسيك . إن نتيجة هذه المغامرة الضخمة ، هذا التغلغل في قلب قارة كاملة، تحمل خليطاً غريباً من الناس لايتكامل إلا في الفعل الجنسي : هندي متشكك ، وخلاسي موسوس يحاول أن يمحو الماضي الذي ولده في موجة هجرة ، وأبيض متسلط وغير مسؤول ، مغامر أو حاكم ، في أغلب الأحوال . ونحن نصر على أن هذه التقييمات هي نتاج نظرة من الخارج . أما النظرة الأخرى ، الإنديزية(*) فتلاحظ العملية من الداخل لكن ، ورغم أن مارتنيث استرادا يشير بشكل أكثر تحديداً إلى سهول البامبا وإلى الريودي لابلاتا ، فإنه ـ كما قلنا ـ يطرح ذلك على كل العملية الثقافية للغزو خلال فترة نواب الملك وحتى ، حسب قوله ، على فترة الجمهوريات ، حيث إن الاستقلال كان « فعلا » في الريف أثارته « حالة الدونية والتخلي » و « أطروحة » في المدن ، يتحكم فيها وينشرها قوم ممذهبون على تعاليم الأفكار الليبرالية والديمقراطية ، لكن دون رقي فعال في التغيير . كل هذا ـ وأكرر القول ـ من وجهة نظر رجل من الريو دي لابلاتا أو من السهل وهكذا : فإن الحصان والبامبا ، والسكين يمثلون ثلاثة جوانب أو فصول أساسية ـ بها مقاطع شعرية جميلة ـ .وفي إطارها : يأتي ظهور سيد خاطىء وحيد ، هو ضحية . لـ « سراب الصحراء » ، يجعل من الشجاعة مذهباً ومن الترويض أرقى فضيلة لوضعه كرجل على صهوة حصان . من هذه الشخصية النوعية والاقليمية ، التي تنتمي إلى البامبا ، سرعان ما نجد أنفسنا منطلقين في نثر مارتينث استرادا القاطع ، في عبارات تعميمية مع « الزعيم » ، وهو الشخصية المألوفة لكل الشعوب الأمريكية

(*) نسبة الى جبال الانديز Andes التي تمتد على طول الساحل الغربي كله للقارة الأمريكية . [المراجع] .

اللاتينية سواء بوصفها سيداً اقطاعياً أو قاطع طريق . وهي كلا الأمرين في نهاية المطاف . يكتب مارتينث استرادا : « لم يكن قاطع الطريق بالضرورة كائناً معادياً للمجتمع . كان يشكل مجتمعاً مشكوكاً في أمره ضد مجتمع آخر ، وكانت له مبادئه ، وقانونه ، وطقسه . وقد وصف شيللر في كتابه (**قطاع الطرق**) تلك الفروسية في نموذجها النمطي الرومانتيكي . . .« لم يكن الزعيم باروناً إقطاعياً بل كان قاطع طريق . . . وفي أمريكا ، مع الافتقار إلى وجود المجتمع ، كان هو جنين المجتمع . . . ان الشكل المحسوس للهمجية التي يحاول تأبيدها باسم رنان . . . » وبصرف النظر عن تعميمات كهذه يصل بها مارتينث استرادا مما « هو » من الريو دي لابلاتا أو من جنوبي أمريكا الجنوبية بشكل نوعي ، إلى ما « هو » أمريكي ، فإن استرادا يتحدث دائماً عن أمريكا ، دون تحديد نوعي للبامبا : « لقد وجدت أمريكا وعاشت حياتها الأمريكية في مختلف الشعوب التي تشكلها . بضع بذور ، سقطت من ثقافات أخرى ، أثمرت ثماراً برية لم تبلغ النضج ولا المذاق » « في كل يوم ملاحة ، كانت السفائن ترجع مائة عام . أصبحت الرحلة عبر العصور ، متراجعة من حقبة البوصلة والمطبعة الى حقبة الأحجار المشغولة » . « كنا عراقة وكانت تسكننا أمة من طراز عريق » . . وهو يطرح مشكلة عدم التواصل ـ القومي وليس الفردي ـ ، والمشكلات الجغرافية ـ المشبعة بنغمات متشائمة ، لكن يطرح كذلك المشكلات الاجتماعية التي تعزلنا وتفصل بيننا ، برغم تشابهنا الشديد وجهدنا لنكون متساوين ـ إنها أجزاء من « كل » يبحث عن وحدته ـ وهكذا يجعل مارتينث استرادا من المقال الأدبي والاجتماعي تشخيصاً متسرعاً بعض الشيء لكنه مركز لمجتمعاتنا أو لمجتمعنا الأمريكي اللاتيني المقسم على بؤرات ذات مركزية متعاظمة والمبعثر في سهول بامبا ، وتلال ، وصحراوات . وحين يقول إن الهندي ليس له تاريخ فإنه يخطىء لتعجله . لكنه حين يشير إلى عزلة العالم والإنسان التي تتمتع بخصائص نوعية في أمريكا مصنوعة حتى الآن من ضروب الانعزال ، ومن المناجيات العظيمة ، تتبدى قوية وتزداد شاعريته حدةً . وحين يحدثنا عن العالم قبل الهسباني يفقد

صوته قوته ونشعر بأنه لايعرف خلفية الثقافات القديمة الإنديزية أو الأمـريكية الوسطى . ولايستطيع تطبيق شعره علىهذاالتناقض العظيم لثقافتين متنافرتين . لكنه حين يفحص الواقع الراهن تسمو كلمته : « في مجتمع مكون بشكل سيىء ، أو مكون بعدم رضى ، يمثل العنصر المناهض للمجتمع جزءاً كبيراً من المشاعر المكبوتة المجتمع نفسه : وهي العزلة الكـامنة . وحـين يتحدث عن السيـاسة الأمريكية الجنوبية يخطىء ، لكنه حـين يتحدث بـالغريـزة الطبيعيـة للشاعـر وبالصوت المتقطع لمتنبيء لـ « الشعوب المختارة » الغارقة في الشقاء أمام أعين الرب ، تكتسب عباراته وقعاً مهيباً : « سلاسل جبال ، وأنهار ، تطوقها غابات من اللامبالاة » .

وبعدها ، حين يركـز مقالـه على الأرجنتـين ، يمكننا تعميم بعض نتـائجه الأساسية على مجمل أمريكا الـلاتينية : « كـان مبدعـو الحكايـات هم محركي الحارة ، في مواجهة عمال الهمجية الأشد قرباً من الواقع الكريه . وفي الوقت نفسه الذي كانوا فيه يحاربون من أجل ازاحة ماهو أوروبي . كان هذا الأوروبي يتسرب بدرجة أكبر من الاستعانة به ضد الفوضى . . . . » « كان أكـثر هؤلاء الحالمين ضرراً ، مشيد الصور، وهو سارميينتو . فقد كانت سككه الحديدية تقود إلى ترابالاندا Trapalanda ـ الأرض الزائفة لإلدورادو غير الموجـودة ! وكان تلغرافه يقفز مائة عام في الفراغ ـ . . » « كان سارميينتو هو أول من أقام جسوراً فوق الواقع . . . » « كان يريد بعنف ، وبإنكار ذات ، ايجاد ما كان موجوداً في أنحاء أخرى . . . » « في حقيبة الميدان ـ يشير إلى الجنرال مانسيا Mansilla ، المدافع عن سارميينتو ـ وكان يحمل شيكسبير الذي كان يعبىء اشعاره بالانجليزية في يوميات البعثة » . « إننا نملك أرضاً بكراً في جزء كبير منها ، حيث تزدهـر النباتات النافعة والأعشاب الضارة على قدم المساواة ، الجغرافيا والديموغرافيـا تولدان ، بالمصادفة الطبيعية ، الأمية » . من هذا كله نشأت مهمة هائلة تنطوي على إنكار للذات لإزاحة « الهمجية » من أجل خلق « الحضارة » ، بدون فهم لكلية الواقع الأمريكي . كان يجري التطلع إلى عالم مقام على أسـاس مفاهيم زائفة ، كما يشير مارتينث استرادا بشأن إيديولوجية سارميينتو .

« أزاحت الأشباح البشر والتهمت اليوتوبيا الواقع . . . الواقع العميق. علينا أن نقبل هذا الواقع بشجاعة حتى يكف عن إزعاجنا، وأن نضعه في الوعي حتى يخفت ونستطيع أن نحيا متحدين في صحة» . وهنا نجد التفاؤل الناتج عن استعراض أسود لأمريكا لا يحاول سوى تحليل الإطار الأرجنتيني وعمل « صورة بالاشعة للبامبا » .

ويبحث مارتينث استرادا عن لغة تتوافق مع هدف العمق الذي هو أساس مقاله. ويتكشف بحثه عن أفق يراه هو في إنجاز نثريكرس نفسه لهذا الغرض ويكتسب شاعر ما بعد حركة الحداثة، شاعر الأشياء البسيطة والصوت الأليف، يكتسب لفتةً عميقة، دون أن يصل إلى تعقيدات لغوية في المصطلحات ولا حتى في الصور، رغم التعقيدات في الخطاب عموماً ، وفي المعاني المضادة التي يريد بها شرح المعنى المضاد للثقافة الأمريكية اللاتينية. لأن هذا، حقاً ، هو ما يحققه ـ بَشَرك مقصود ـ لكي يبين فقط واقع قطاع واحد من عالمنا الأمريكي المعقّد .

٤ ـ الحضارة والهمجية

تحملنا الاشارات المتناقضة إلى سارميينتو وعصره وإلى النظر إليه من خلال عمله (فاكوندو: الحضارة والهمجية : Facundo Civilizaciốn y barbarie). وفي الواقع، فإن مارتينث استرادا وسارميينتو يتحركان داخل المجال نفسه. لقد كتبت فاكوندو بالقوة التعبيرية وعدم الاهتمام الشكلي للرومانتيكية، وفيها يُطرح الصراع بين الهمجية متمثلة في البامبا. في الطبيعة الأمريكية ذاتها ، وبين الحضارة التي جلبها الأوروبيون، والتي توجد في المدن الكبيرة. وتظهر الأزمة بحدة في حقبة روساس Rosas ، إذ إنه بالنسبة لسارميينتو كان الإنسان الهمجي لسهول البامبا قد قَدِم إلى المدن وفي الوقت نفسه أخذت روح المدنية تكتسب قطاعات معينة من البامبا. ثمة رقابة متعمدة على القوى الجارفة التي تولدها طبيعة خاصة. وفكرة « المتأورب » تجعله معارضاً لكل العناصر التي يمكننا تسميتها هندية أصلية أو معبرة عن الأصالة الأمريكية. لكن

الكاتب يتأثر في الوقت نفسه ـ ولا ندري هل هي عن طواعية أم لا ـ بالعظمة المشوّهة للبامبا ولرجالها الذين تشكلوا في الصراع ضد تلك الطبيعة، منعزلين، منتصرين دائماً بالقوة، أمثال فاكـوندو كيـروجا Facundo Quiroga، هؤلاء الرجال الذين لا يحكمهم قانون، الطموحين، السوداويين، الذين يندفعون إلى حكم شعوب في مرحلة التكوين. إن فاكوندو ـ الشخصيـة الروائيـة ـ هو نمط أصيل، لكنه أصيل بالنسبة للعصر وبالنسبة «للمناخ» الذي يقدمه لنا المؤلف.

وفصل « هاوية ياكو Barranca - Yaco » على الأخص يقدم بحرارة الشخصية المندفعة التي لا تعـرف الخوف لفـاكونـدو كيروجـا. « عاد فـاكونـدو إلى سان خوان » . . « انطفأت فتائل المدافع وكفت حوافـر الخيول عن تعكيـر صمت البامبا » . . . « السلام الآن هو الوضع العام للجمهوريـة » . . . « ملأ اسم فاكوندو فراغ القوانين، وكفت الحرية وروح المدنية عن الوجود » . . . وبزغ، حينئذ، اسم آخر هو اسم روساس، رجل العاصمة ـ رجل « المدينة » ـ متلفعاً بـروح البامبـا «بطل الصحـراء» . ويحكى لنا سـارمييتو ، بسـرده المختلط، الصراعات التي تنشأ بعد هذا السلام الظاهري. وتبدأ شخصية فاكوندو كيروجا في الظهور بشكل أكثر حميمية، هذا الشجاع الذي يتسوّد على قطاع طريق يجيدون استخدام المطواة، بسمو قاطع طريق موضوع في منزلة أرقى بسبب استثنـائية عبقريته في السيطرة، «انظر» !! كان يمكنني أن أخرج إلى الشارع، وأول رجل أقابله، أقول له: اتبعني! وكان هذا الرجل سيتبعني!!» . . . وتأخذ المقاطع في السخونة حتى نصل إلى المقطع الذي لقى الكثير من التعليقات وهو عن الرحلة التي يقوم بها فاكوندو كيروجا من بوينوس آيرس نحو الشمال لمحاولة التفاهم مع القوات التي كانت تستعد لضربات جديدة . ويتحمس سارمييتو أكثر وأكثر مع الشخصية: « أي توقعات شريرة ستظهر وجهها الشـاحب في تلك اللحظة في روح هذا الرجل الذي لا يهاب؟ الا يتذكر القارىء شيئا مشابهاً لما يبديه نابليون عند مغادرته التويليري متوجهاً إلى الحملة التي ستنتهي بواترلو؟ » وتظهر جسارته الهمجية ـ الآن يسميها «شبه الهمجية» ـ في عبور الجداول، في التغافل الذي

ينصت به إلى الشائعات والنصائح حول مؤامرة لاغتياله. منذ نقطة عين الماء وحتى هاوية ياكو، يعرف فاكوندو وزملاؤه أنهم يسيرون مدفوعين صوب الموت، لكنه لا يريد التراجع أمام قدره. هنالك نجد سانتوس بيريث Santos Perez هو وجماعته مستعدين للهجوم على «البهو» المؤدي إلى الزعيم. ومشهد الاغتيال قاس منذ اللحظة التي تصرع فيها رصاصة في العين كيروجا وحتى قطع رأس طفل، هو ابن أخت الجاويش الذي يقوم بالحراسة في العربة. وفي نهاية الفصل، وبينما يصيح شعب بوينوس آيرس: «الموت لسانتوس بيريث»، يتقدم هذا باصرار إلى العنبر متمتماً بالكلمات: «لو كان سكيني معي هنا»...

إن عمل سارمينتو، الذي كتب في مواجهة روساس، يقدم لنا في هذه الحالة أيضا صفحات عديدة تحبذ الدكتاتور المهزوم. وموقف هذا الأخير في مساعدة نشيلي ضد الجنرال سانتاكروث Santa Cruz وفي توحيد البيرو وبوليفيا لا تستحق الرقابة، بل تستحق إجازة معينة لأنها تؤكد أن روساس يخمن أن ذلك سيؤدي إلى إعادة إقامة مملكة بوينوس آيرس. كذلك يستحق عمله في «وحدة» الأرجنتين بعض كلمات المديح. وفي فصل «الحاضر والمستقبل» يقول: «لكن لا تظنن أن روساس لم يحقق تقدم الجمهورية التي يمزقها، لا: إنه أداة عظيمة وقوية للعناية الإلهية، تحقق كل ما يهم مستقبل الوطن. انظر كيف أنه قبله وقبل كيروجا وجدت الروح الفيدرالية في المقاطعات، وفي المدن، ولدى الفيدراليين ودعاة الوحدة أنفسهم، وأتى هو ليحفزهم، ولينظم لمصلحته النظام التوحيدي الذي أراده ريفادافيا Rivadaavia لصالح الجميع. واليوم، فإن كل زعامات الداخل، المتدهورة، عديمة القيمة، ترتجف فرقاً من مخالفته، ولا تتنفس دون موافقته... كل شيء جاهز من أجل «الوحدة».

«لقد حملت الحرب الأهلية أهل بوينوس آيرس إلى الداخل، وأهل المقاطعات من مقاطعة إلى مقاطعات أخرى. تعارفت الأقوام، ودرسوا بعضهم وتقاربوا أكثر مما أراده الطاغية»... كذلك أتاح تعامل الأرجنتينيين مع البلدان الأمريكية الجنوبية المجاورة. وهكذا يجد سارمينتو أن الواقع الأرجنتيني على وشك العثور

على مصيره، وذلك بفضل رجلين حاربها، لكنهما يمثلان قوىٰ همجية بناءة بصورة متناقضة: هما كيروجا وروساس.

من خلال فاكوندو، وجد نقاد القرن التاسع عشر أن من الممكن رؤية طابع لأمريكا. وكانت الرواية، من جهة أخرى، هي التعبير الرومانتيكي، المزدهر حينئذ، في مقالة تغطي جوانب من الفن القصصي الخيالي بجانب الدراسة السياسية والاجتماعية. لكن نقاد القرن العشرين ـ وخصوصاً الارجنتينيين ـ قد عارضوا سارميينتو ـ رغم إعجابهم به. هكذا أوجدنا إن مارتينيث استرادا يعارض مفهوم «التمدين» لدى سارميينتو، باسم جيل يعتقد أننا يجب أن نتأمرك انطلاقا من واقعنا المحدد. إلّا أن مارتينث استرادا ينطلق من أساس الإنسان الذي يراه سارميينتو نفسه: وهو غازي البامبا المتأورب، الذي يحنّ لكثير من المؤسسات الأوروبية، باحثاً عن حلول من الخارج، ومن هنا يأتي قتل الآباء المنشود باعتباره الفعل النهائي. ومن جهة أخرى، فإن موقفه ضد «بابل» العاصمة هو مظهر نمطي لهذا القرن الذي قدم فيه الأدب مادة ثرية لنقد المدن الكبرى، خصوصاً في الرواية الأمريكية الشمالية والجنوبية، الانجليزية والأيبيرية ـ الأمريكية. ورغم ذلك فقد لمس الكتاب، من ناحية أخرى، حافة «الدسكرة» بكل جحيمها الكبير في قرية صغيرة. فمن جهة، قدمت لنا الرواية بانوراما تلك المراكز الضخمة للانقطاع، وللبؤس، وللعزلة المصحوبة، بجماهير ضخمة، ومن جهة أخرى قدمت مأساة القرى الصغيرة حيث تسيطر مجموعة ضئيلة على النشاطات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية للباقين. كانت الفضيلة الكبرى لسارميينتو ولروايته فاكوندو هي أنها عالجت على هذا النحو وللمرة الأولى موضوعاً كان له أن يعالج بطرق شديدة الاختلاف: هو موضوع المدينة والأوساط الريفية، و«همجية» أو«حضارة» أمريكا.

ومن الواضح أن في أسلوب سارميينتو عيوباً، لكن فكره الأساسي يجد تعبيراً عاطفياً عنه. «كان هذا هو العنصر الذي أطلقه ارتيجاس Artigas الشهير؛ إنه أداة عمياء، لكنها مليئة بالحياة، بالغرائز المعادية للحضارة الأوروبية ولكل تنظيم

معتاد؛ معادية للملكية وللجمهورية، لأن كلتيهما قدمتا من المدينة، وجلبتا معهما نظاماً وتكريساً للسلطة . وقد استخدمت هذه الأداة مختلف الأحزاب، احزاب المدن المثقفة، وأقلها ثورية أساساً، حتى استسلم، مع مرور الزمن، أولئك الذين استعانوا بها أنفسهم، ومعهم «المدينة»، بأفكارها، وأدبها، ومعاهدها، ومحاكمها، وحضارتها» . هذه الحركة يسميها في آن واحد «عفوية السهول الرعوية» «الساذجة في تبدياتها البدائية»، لكنها كذلك «عبقرية» و« معبرة» .

وكانت اللغة الرومانتيكية والمشوشة لسارميينتو تتمشىٰ مع ما كان يدافع عنه في جداله مع أندريس بيّو Andrés Bello؛ وإذا كان يبدي افتقاراً إلى الأسلوب المنمق في فاكوندو، فإنه يحافظ على سذاجة أصيلة في (ذكريات الريف Recuer-dos de provincia) التي تستبق بعض اللوحات والمواقف الأدبية للكتاب التالين للحداثة، في هذا القرن، بما في ذلك مارتينث استرادا نفسه، المعجب به والمعارض له في الوقت ذاته. والتعارض الأساسي بينهما هو أنه بينما يعتقد سارميينتو أن الحضارة الأوروبية ستذهب بسككها الحديدية ومدارسها من المدن إلى الريف لافادة الطبيعة الأمريكية، يعتبر مارتينيث استرادا، بنظرة تنطلق أيضا من شاطىء الأطلنطي ، أن من الضروري القضاء على المجتمع المتكون من هذا الغزو الأوروبي من أجل العثور على إحساس جديد بالتوحد مع الأرض ومع الظروف التاريخية التي يجب أن تناسب أمريكا ـ الايبيرية أو أمريكا اللاتينية، غير الموجودة بعد، وإن تكن مرجوة .

٥ ـ إعادة طرح المشكلة الهندية .

إذا كان هذا الاتجاه ـ سارميينتو أو مارتنيث استرادا ـ يقدم لنا صورة لأمريكا شكلها طوفان من المغامرين الأوروبيين يضمون بينهم جماعات من الهنود «بلا تاريخ» ، ويخلق هذا الطوفان توقا إلى التكامل في الأرض الجديدة، لدى غربيين فقدوا اتجاههم ولم يعرفوا كيف ينسون اسلافهم، فقدأنتج عدد كبير من الكتاب الأمريكيين اللاتين خلال عقدي العشرينات والثلاثينات رؤية» مختلفة تماماً . لقد صاغت دراسة أساطير وقصائد أمريكا القديمة أدباً مثل أدب ميجيل آنخل

أستـورياس Miguel Angel Asturias؛ وأملت معـرفـة المجتمـع والإنسـان الأمريكيين بفضل الأنثروبولوجيا وعلم الآثار فصول مقالات من قبيل (عاصفة على جبال الانديز Tempestadl en los andes) للويس فالكارثل Luis E. Valcárcel، حيث تطرح ملاحـظات عالم الهنـود اتهامـاً للغزو وحنينـاً وثورة طوباوية مع العودة إلى جوانب من الماضي الأمريكي الذي يتمثل في هذه الحالة العينية ، في امبراطورية الإنكا. وقد قام إثنولوجي وكاتب في الوقت نفسه هو هيلدبراندو كاسترو بوزو Hildebrando Casfro، بدراسة للمجتمع الهندي البيرواني الحالي، وأشار إلى الملاحظات الثقافية حول العمل الجماعي ، والفن الجماعي ، والتعبيرات الأدبية الزراعية مجهولة المؤلف ، علاوة على نوعية الحياة الكلية في المجتمع. ومن أجل ذلك تبنى اصطلاحات جذبت الاهتمام بشـدة وبدأت فصلاً جديداً في اللغة الهسبانو- أمريكية: هو الـ «أيلو Ayllu » - الذي مازال قائماً في المجتمع الحالي - ، ونظام الـ « مينجا minga » أو العمل الخاص من أجل الصالح العام للـ «ياناكوناخي Yanaconaje » أو نـظام الاستغلال العبودي تحت قناع تأجير الأراضي في الاقطاعيات والـ «ميتا Mita » أو العمل الاجباري الذي تستخدمه الإدارة الاستعمارية، والـ «كيبيتشار quipichar » ، أو حمل ربطات البذور على الظهر وغيرها كثير. كذلك قدم مشهد الأعياد الهندية ذات الرقصات التي تحمل أسماء خـلاسية، وأسـماء أماكن الـطقوس أو المرح وكذلك العادات التي استمرت خلال الجمهورية، مثل التعاقد الجنسي من نوع « Servinacuy » . وأدى كل ذلك إلى خلق كتاب أساسي في عقد العشرينات هو (سبع مقالات في تفسير واقع البيرو Siete ensayos de interpreta- ción de la realodad peruana)، لخوسيه كارلوس ماريا تيجي José Car- los Mariátegui . وأن تمكن مؤلفه - وهو عالم اجتماع وصحفي، وسيـاسي اشتراكي وفي الوقت نفسه أديب ينتمي إلى الجماعة الثقافية التالية على الحداثة في البيرو- جعل من الكتاب قطعة من التجميع وقطباً لنقد أو تفسير أمريكا من خلال دراسة واقع جزئي ، هو واقع البيرو، يمكن تعميمه على الإكوادور وبوليفيا وعلى

غيرهما من البلدان ذات التطور المشابه، أي، حيث وجدت سيطرة الولاة* الذين خلقوا مجتمعاً هسبانو ـ أمريكياً نمطياً فوق المجتمع الهندي القديم الذي بقي على قيد الحياة من خلال آليات معقدة ثقافية، واجتماعية، واقتصادية. هذه الدراسة في الدرجة الأولى، تقدم لنا أطروحة الهنود ذوي «التاريخ» المناقضة والمقابلة لفكرة الهنود «بلا تاريخ». يقول مارياتيجي: «على مستوى الاقتصاد، يتضح أفضل من أي بلد آخر إلى أي حد يقسم الغزو تاريخ البيرو». ويمكن أن نضيف، وتاريخ المكسيك، وجواتيمالا، والأرجنتين، التي ليست هي مجرد سهول البامبا، وتشيلي، وفنزويلا، الخ. ويضيف العالم الاجتماعي قائلا: «حتى أيام الغزو كان يتطور في البيرو اقتصاد ينشأ عفوياً وبحرية من التربة والبشر البيروانيين». ويطور على طول صفحاته صورة دولة على مقاس واقع جغرافي واجتماعي. وواضح، كما يحدد مارياتيجي نفسه جيداً، أن هذا لا يعني الوقوع في تيار العودة إلى الماضي لدى بعض الكتاب في عصره، ولا العودة إلى نظم تخص مجتمعاً آخر. لقد كان ذلك جيداً بالنسبة لمرحلة محددة، وبالنسبة لظروف عملية ثقافية قد انتهت. وبانقطاع هذه العملية لم يبق سوى العثور على بقايا هامة وجذور حيوية يمكن أن نقيم عليها واقعاً جديداً بعناصر جديدة أيضا. والاستفادة من أحد هذه العناصر، مثل المجتمع الهندي الباقي، لا تعني العودة إلى النظام الثيوقراطي والامبراطوري للإنكا، كذلك لا يمكن مناقشته من أجل حل مشكلة عرقية. «اعادة طرح المشكلة الهندية بعبارات جديدة. لقد تخلينا عن اعتبارها بصورة مجردة مشكلة إثنية أو أخلاقية لنعترف بها كمشكلة اجتماعية، واقتصادية، وسياسية، » هكذا يشرح مارياتيجي. من سبع مقالات ينشأ عرض للتاريخ الأمريكي يقوم على الحاجة إلى الاعتراف بمجتمع هندي خاص، وعلى

---

* الولاة: ترجمة لكلمة encomenderos. وهم ملاك الاقطاعات التي كانت تمنح للمستوطنين الاسبان في أمريكا اللاتينية في العهد الاستعماري. وكان على الهنود أن يخدموا الوالي «الاكومنديرو» أو يدفعوا له الضرائب مقابل قيامه برعاية مصالحهم في إقليمه وادخالهم في المسيحية ـ [المترجم].

انقطاع مجتمع أمريكي مع الغزو وعلى اعادة طرح معـاصرة يجب أن تضـع في حسبانها الخصائص النوعية لذلك المجتمع، مستفيدة على سبيل المثال ـ فيكرر هـذا ـ مـن الـ « أيبو Ayllu » البيرواني أو الـ «إخيدو ejido » المكسيكي كنواة نشطة للتنظيم الاقتصادي والسياسي*. وبناء على ذلك، تظهر الضرورة الملحة لدراسة الثقافة، والفن، والأدب فيما يتعلق بنا، مقرين بتلك الخصائص النوعية وملاحظين إلى أي مدى تكوِّن خلفيةً لتحقق معاصر شعري، وقصصي، ونقدي . إن وجود مجتمعات ـ مثل مجتمع المكوكيياويو Muquiyauyo في مركز الانديز بالبيرو ـ ذات تطور صناعي بجانب عمل الكفاف الزراعي الجمـاعي والأعياد التقليدية، والتي يمتزج فيها الطقس المسيحي الكاثوليكي بمشاهد من الغيبيات القديمة والسحر، يقدم لنا بانوراما مختلفة عن تلك التي يقـدمها لنـا مارتينث استرادا في صورة بالأشعة لسهول البامبا ، التي تمثل فيها الاحتفالات مهرباً من وضع قاسٍ وحزين. هو مهرب العيد، الذي يمكن كذلك رؤيته من زاوية أخرى في كتاب مارياتيجي نفسه، حين قدمه لنا المؤلف في إطار الاقطاع على وجه الخصوص، في إطار إقـطاع الجبل، حيث مـازال النظام الاقـطاعي المتخلف يسم بميسمه «تاريخ» الحاضر الهندي.

ويمكن تخصيص نقطة منفصلة لجانب «الأعياد» ذاك . يقول أوكتافيو باث «المكسيكي الوحيد يحب الأعياد والاجتماعات العامة. وتقويمنا مليء بالأعياد في أيام معينة، سواء في أشد الأماكن عزلة أو في المدن الكبيرة ، تصلي البلاد كلها ، وتصرخ، وتأكل، وتسكر وتقتل نفسها تكريماً لعذراء جواد الـوبه أو للجنـرال ثاراجوزا.» « يمكن قياس فقرنا بعدد وبذخ الأعياد الشعبية. فالبلاد الغنية لديها القليل منها . . . » ـ ليس لأن بها أعياداً قليلة، فيما أعتقد، بل لأن هذه الأعياد تفيد في البلدان المتقدمة في الراحة ، والنزهة ، أو الاجازات في أماكن بعيدة. ويـوضح بـاث: « الجماهـير الحديثـة هي مجموعـات من الـوحيـدين » . وفي الاحتفالات «ينفتح المكسيكي على الخارج » . خلال تلك الأيام يقوم المكسيكي

---

* ـ الاخيدو : ejido : الأرض المشاع لدى هنود المكسيك ـ [المترجم] .

الصامت بالصفير ، والصراخ، والغناء ، وإلقاء المفرقعات، وتفريغ مسدسه في الهواء » . بإحساس سيكولوجي وشعري ، يبسط أوكتافيو باث رؤيته الأمريكية ـ المكسيكية في هذه الحالة ـ ويشرح احتمال أن يكون العيد « فخاً سحرياً » لخداع الآلهة أو خداع النفس ؛ لكنه يعتقد أو يصرّ على العيد باعتباره : « مقدم ما هو فريد » باعتباره « عالماً بهيجاً ». . في العيد « الزمن زمن آخر » . . . «كل شيء يحدث وكأنه غير مؤكداً» ، « كما في الأحلام» . . « تعود الفوضى وتسود الحرب المطلقة ». . . « العيد انتفاضة »، في الاختلاط الذي يولده، يذوب المجتمع، ويختنق» . . . « المجتمع يتواصل مع نفسه في العيد » .

بالنسبة لمارتينث استرادا فإن «الكرنفال هو عيد حزننا » . « إن البهجة التي تنطلق من عقالها في مناسبات شديدة الاختلاف هي بهجة قاسية، يائسة، عدائية ». الكرنفال وحده هو سكر جمع الكروم مقابل بقية السنة، « الحزينة والخانعة ». « يحكي لوجونس Lugones كرنفالاًفي ريوخا.تسعة أشخاص على ظهور الحمير يجوبون القرى، مقنعين . وبأكياس هواء ينتجون ضوضاء لا تصدق، ويستخدمون قلوباً مليئة بالدم كقنابل ماء تتناثر». . . أما في تصوير المجتمع الذي يقوم به كاسترو بوثو فإن العيد علامة على الحياة الجماعية ، على متعة الحياة في العمل العائلي . ويقابل ذلك عيد المجتمع الاقطاعي في قرى الزعماء الاقطاعيين والعبيد، حيث تكتسب«الكرنفالات » التي يصفها مارتينث استرادا ثقلها الكامل .

والكرنفال البرازيلي مختلف ـ لكنه وليد الجذور نفسها التي يقدمها المؤلفون المذكورون في ظروف مختلفة ـ .كيف يشرح البرازيليون والأجانب كرنفال ريودي جانيرو؟ الجموع الهائلة التي تهبط من «عشش الصفيح »، وفخامة أزيائهم ؛ قوم فقراء ، متواضعون، يدخرون مالا يملكون لينفقوه على الزي الذي سيستخدمونه، ومن أجل العرض الذي ستقدمه «مدرسة السامبا escola de sambe ، يضفون دلالة اقتصادية وكذلك دينية أيضا على نوع خاص من المجتمع. واضح أن هناك هروباً، فراراً من بؤس الضواحي التي تهبط لتستولي

على المدينة في تلك الأيام وتخلق لنفسها «عالماً بهيجاً » ، وهو ما تكبته بقية العام .

لكنه العيد أيضا، هو الطقس السحري الذي يستبق الانضباط، هو العقاب الذاتي على عقدة الذنب من الخطيئة الأصلية. هكذا فإن العيد هو دليل جديد على الخلاسية التي تنتج «الانتفاضة » التي يشير إليها باث من خلال انفجار الحماسة، لكنه كذلك يضم الأشكال السحرية القديمة إلى التعبير الكاثوليكي الذي جلبه الغربيون .

٦ ـ مصير جماعة من البشر في إقليم محدَّد .

كانت أهل السرتون Os Sertões لإيوكليدس دا كونيا Euclides da Cunha تعني في بداية هذا القرن تركيزاً للواقع الأمريكي الجنوبي ضمن إقليم معينّ ، حيث تعقب القسوة الوحشية ؛ وحيث يتعايش العذاب، والجوع ، والحرب من أجل امتلاك الثروات الطبيعية التي تقدم للإنسان وتنتزع منه ، لكنها تعني كذلك السحر، والطقس الهندي أو الزنجي المتراكب فوق الرداء الأبيض للمسيحية؛ فيها يتكشف المصير الخاص لجماعة من البشر هم أمريكيون تماماً بسبب تهجينيتهم في وسط جغرافي خاص بهم، وتختفي النظريات الجيولوجية والتاريخية للغرب داخل تقلب مناخي . ويُصاغ طراز من السكان، هو«الجاغونزو Jagunzo، أقل بطولية مسرحية « من الجاووشو أو من راعي البقر الأمريكي الشمالي؛ لكنه، حسب قول إيوكليدس داكونيا، «أكثر اصراراً، ومقاومة، وخطراً ، وأكثر قوة، وصلابة » . وفصول أهل السرتون Os Sertoes مزيج من الجغرافيا، والسوسيولوجيا، والملحمة، وتشع في ثلاثة جوانب محددة «الأرض » ، و« الإنسان »، و«النضال » . يضم هذا العمل سمات من المقال، والشعر ، والرواية التاريخية . إن « حرب الكاتينجا querra de las Caatingas ، في إطار يسمى بتهدئة «سرتون كانودوس Sertão de Canudos » ، هي تطور للنزاعات في صحراء إستوائية في مشهد يتم وصفه بتفصيل، وبلاغة، مشهد تراجيدي بسبب المعركة التي تجرى فيه والتي تنتهي

بموت المتمرد أنطونيو كونسليرو Antonio Conselheiro ورجاله حكـاية هي مزيج من قـطع الطرق والتعصب الـديني تتلو تصويـراً للأرض البـرازيلية في منـطقتها الشمـالية ولسكـانها الـذين يتشكلون من تهجينـات متتـاليـة. هـذه التهجينات تعطي أنماطاً متنوعة داخل إطار تنويعات الإنسان الأمريكي اللاتيني، كما تقدم خصائص نوعية ثقافية للإقليم، والحكومة، والتقاليد. وأنطونيو ماسييل Antonio Maciel هو البطل وقاطع الطريق في هذه الحكاية التي تُتخذ ذريعة لمقالة، أو المقالة التي تتخذ ذريعة لحكاية خرافية. بين اللوحات الجيـولوجيـة الضخمة والأركان الطوبوغرافية الدقيقة، بين الرجال ذوى المكانة المتنوعة الذين تشكلوا في حياة العاصفة والجفاف، تنبثق كأنها أحد الأنـاجيل قصـة أنطونيـو فيسنتي ميديس ماسييل Antouio Vicente Mendes Maciel، الملقب باسم «[المسيـح الـطيب المعـزى] بـوم جيـوس كـونسليـرو» . Bom Jesus Conselheiro »، لقد نما بين مشاجرات الجيران، بزوجة قلقة يغتصبها رجل بوليس، ويدم أحد أقاربه على يديه الهاذيتين، مع احتمال أن يكون قد قتل أمه بدل الزوجة الخائنة ، وهو يظهر في منطقة باهيا Bahia «ناسكاً وعابساً ، وشعره نـامٍ حتى المنكبين، والـذقن شعثاء طـويلة ، والنظرة زائغـة، هـذا الشخص الوحشي الموضوع داخل عباءة من نسيج القـطن الأمريكي الخشن، ملتصقـاً بالعكاز الكلاسيكي الذي تتوكأ عليه الخطوات المتثاقلة للحجاج» هكذا يدخل إقليم كانودوس مثلما ترسم الأسطورة فيراكوتشاقي الأراضي الانديزية أو مثـل كتزالكواتل بين هنود التولتيكا، يشبه المسيح أو أحد أنبيـاء اليهود، أو حـاجاً أوروبياً عجوزاً ، بمزيج من الملامح الخـاصة بـروايات الفـروسية، أو بـرواية العيارين (الحرافيش) . هذه الشخصية الغريبة تسيطر على وسط غيبي كانت المسيحية فيه ممتزجة بعبير المعتقدات الأفريقية وبقايا المعتقـدات الهنديـة. كان إنجيلياً من ناحية وعنيفاً من الناحية الأخرى. ومحملاً بالاساطير، يجعل من نفسه نبي السرتون بعبارات هاذية عن يوم الدنيوية، يتحدث عن قطعان يقودها راعٍ واحد؛ وعن القديس سباستيان الذي يخرج من البحر بكل جيشه، بينما تتصارع

الأمم ـ البرازيل مع البرازيل، وانجلترا مع انجلترا ـ في اللحظة التي « سيضع فيها » المبعوث السماوي ٩٠ سيفه فوق صخرة ويقول: وداعاً أيها العالم ، »

وحين يمتلك أنطونيو كونسيليبرو « قطيعة من البشر » من ضيعة كانـودوس سوف يستفز بهجوم رجاله « الجاغونزو » على القرى القريبة، تدخل الشرطة أولاً ثم الجيش الفيدرالي. وسيصمد لحملة إثر أخرى، يقتل فيها جنرالات معادون في فترة حرب طويلة تمتد من أكتوبر عام ١٨٩٦ حتى اكتوبر عام ١٨٩٧ . وحين مـات في ٢٢ سبتمبر، ظـل رجالـه يقاتلون، محـاصرين ومغلوبـين بتفجيرات الديناميت . وفي أول اكتوبر سلم المتمردون وهم ٣٠٠ عجوز، وامرأة، وطفل، عدا من ألقى بنفسه منهم في النيران الليلية مع أبنائهم، بينما ظل في مواجهة جيش من خمسة آلاف رجل أربعة متعصبين بائسين فقط: رجلان وكهل ومراهق، إنها روا ، بدورهم بعد أربعة أيام. وتم العثور على جثمان أنطونيو كونسليبرو، الذي بدأ يتعفن، تحت قشرة من الطين، ملفوفاً في قماش قذر. صوروا بقاياه وقطعوا رأسه ليعرض ويقتنع الجميع بأن هذا العدو الرهيب قد أبيد ؛ في النهاية . في أهل السرتون Os Sertões انطبعت قطعة من الأرض الأمريكية اللاتينية مع طراز من البشر وحكاية، كان يمكن لها أن تخرج من (الأروكانية La Araucana) لإرثيا وتنتهي في قطعة من الغابة البوليفية بنهاية مقاتل من مقاتلي العصابات. وقد كتبها مهندس بالجيش البرازيلي صنع لنا لوحة للطبيعة وللفرد، بملامح محلية أصيلة .

٧ ـ اللغة الباروكية والصور المتراكمة لأمريكا .

باروكية كانت لغة إيوكليدس دا كونيا، وباللغة الباروكية: « مجدية بصـورة همجية ؛ باذخة بصورة رائعة » . . . وسرعان ما بقي الوادي الخصب البستان شديد الاتساع، الذي ليس له مالك ثابت، عـاريين من الخضـرة، وخمائلهـا ذابلة : « الانتفـاضة المبـاغته للجفـاف » . والطبيعـة تقـدم لنـا في «تـلاعب بالاضداد» ، بعبارات مفاهيمية . والإنسان ـ أكثر من الطبيعة ذاتها التي تدافع عن نفسها ضد القسوة ـ هو صانع عظيم، ومفزع ، للصحراوات . كان الساكن

البدائي يستخدم النار في الزراعة ويلتهم الاشجار . وفعل ذلك المستعمر أيضا . صيغت حياة الأرض، وبالتالي، حياة الإنسان، من الصراع، والاستشهاد، والموت. « الاستشهاد الدنيوي الأرضي » . إن سكان هذه الفضلة من القارة الأمريكية يدافعون هناك عن الحق في أن يحيوا جنونهم الغريب الديني أو الاجرامي أو يموتوا تلك الميتة . وفي كانودوس عاشوا بصورة عنيفة بالصورة المسيحية للسلام. كان قطاع الطرق أو الأبطال يسمون «بوم جيوس Bom Jesus [المسيح الطيب]» أو « بوم كونسليو Bom Conseho [المعزى الطيب] » أو أنطونيو إل بياتينيو Antonio el Beatinho [أنطونيو الورع] .

وتناقضات هذا الوسط الهمجي والبحث عن الفاظ مناسبة يجعلان هذه اللغة تصطبغ بالباروكية، يحفزان هذه الحاجة الدائمة إلى صور في هذا التيه الملتف، حيث تريد الكلمة أن تجسد جبالاً ، وصحراوات، ورجالاً على صهوة الجياد أو على الأقدام في مسيرات قسرية، عنيفة، بطولية، مشؤومة، مهلهلة، يحفزهم سمو الصباح، في نوبات من الاستنارة وفي الفعل الخشن ضد الجيوش. إنها تقاليد، ودين ، وموقف لمسرتونيين يخلقون لغتهم الخاصة ذات المعاني المتضادة، حيث يقع الكاتب في أحبولة الأحداث ويتعرى في الوقت نفسه، ثمة صحراء وطين؛ لكن هناك أشجار الأمبو ombú من أجل الظل؛ وهناك الكوركوري curucuri والماري mari ؛ والكيكسابا quixaba التي تطرح ثماراً صغيرة للسائر الجائع، وهناك النخلات المتفرقة، والجوا Juás التي تقيم أود الخيول، وللسير في الليل، هناك الألوان الفوسفورية المزرقة للكونانا Cunanas والأغصان الخضراء للكاندومبا Candomba من أجل إخافة الحيوانات والأشباح . والإنسان مثل أنتايوس* « العملاق البرونزي »، الذي لا يروّض .

* أنتايوس Anteo - Antaeus بالإسبانية. عملاق في الاساطير اليونانية، ابن بوسيدون وجايا (الأرض) كان يعيش في ليبيا ويتحدى كل من يمر للنزال ويستخدم جماجم الضحايا كسقف لمعبد ابيه . ولم يكن يهزم لأن اتصاله بالأرض يجدد قوته . هزمه هرقل بأن رفعه عن الأرض واعتصره حتى الموت - [المترجم] .

وفيما يتعلق بالباروكية يكـون من المناسب ان نـذكر روائيـا معاصـرا ، هو أليخوكاربنتييه Alejo Carpentier ، الذي يدلي بتصريحات من قبيل التصريح التالي: « كان فننا باروكياً دائماً ، منذ النحت الرائع السابق على كولومبس وفن المخطوطات، وحتى أفضل الروايات الأمريكية الحالية، مروراً بالكاتـدرائيات والأديرة الاستعمارية لقارتنا. حتى الحب الجسدي يصبح باروكيـاً في الفحش الخشن لفن التسلق البيرواني. لانخافن، إذن، من باروكية الأسلوب، ورؤية السياقات، ورؤية الصورة الإنسانية المكبلة بحبائل الكلمة، إن باروكيتنا ، وليدة الأشجار، والحطب، ومحـاريب الهيكل ومـذابحه، والحفـر المتدهـور والصور الشخصية الكاليجرافية وحتى الكلاسيكية الجديدة المتأخرة؛ إنها باروكية خلقتها الحاجة الى تسمية الأشياء . . . » ويمكننا أن نضيـف إذن أن هذه الباروكية قد ولدت بالفعل لدى اولئك المؤرخين المولعين بتسمية ما كانوا يصادفونه في قارة أمريكية مليئة بأشياء أصيلة ورائعة ، في الطبيعة، والتنظيم ، واللغات المحلية . ويمكننا على هذا النحو أن نفقد أنفسنا في متاهة ب . ب . برنابيه كوبو P. P. Be-rabé Cobo أو جوزيف دي أكوستا Joseph de Acosta منذ السنوات التي تأسس فيها تاريخ طبيعي شعري جديد، وحتى اليوم حـين يقوم شـاعر مثـل الكولومبي خايمي تيّو jaime Tello ، المحب للشعر الإبداعي لهويدوبرو والشعر الباروكي لإليوت، بكتابة التاريخ الطبيعي لكاراكاس Historia natural de Caracas ، ويبتهج باسم نباتات ذلك السهل الذي نظر إليه أندريس بيّو ليتغنى بالفواكه الأمريكية بين أشعار كتابه(متنوعات في زراعة المنطقة الحارة Silva a la agricultura de la zona tórrida) .

يقدم لنا خايمي تيّو ـ بين ما يقدم من أشياء أخرى ـ الـ « جوامو Gaamo » ـ وهي شجرة يبلغ من ضخامتها أن تكفى لتلوذ بها المجموعة العسكرية لبوليفار بأكملها، قرب ماراكاي؛ وكذلك الـ «ميخاو mijao » والـ «بيرو Perú ؛ والـ «بوكاري bucare » ، والـ « توتوميّو totumillo، و« قصب الهند »، علاوة على « زهـرة الدم » وكلهـا خاصـة بفنـزويـلا ، « والكـاوتشـوك » خـالق ومحـطم

الامبراطوريات ، وعديد من الأسماء الخاصة بتسمية أمريكية. وإلى جانب الأشجار هناك النباتات الطبية ـ الأعشاب المنزلية ـ الـ «إسباديا espadilla »، والـ «بوراخي borraje » و«عشبة الدم » . وعلى الجانب المضاد « العقاقير السامة والمفزعة » . الـ « تشوكوماكا Chucumacá » والـ «كوراري Curare » ، التي تشكل موضوعاً لاحدى قصص فنتورا جارثيا كالديرون Venturia Garcia Calderón ، وأزهار الحنين مثل الـ « نيوربو norbo » ، ونباتات الشاطىء البهيج فالديلومار Valdelomar ، مثل الـ «يانتين llantenes » والـ « تونيويش tonuces » ، والـ «فردولاجا Verdolaga » التي كانت عنوان دراما ريفية صغيرة سابقة على مسرح جارثيالوركا. إذن فالشعراء والقصاصون منذ بدايات القرن الثامن عشر وحتى الآن باروكيون هم أيضاً .

يؤكد كارنبتييه في التصريحات المذكورة آنفاً : « لقد انتهى زمن الروايات التي يلحق بها ثبت الكلمات الاضافي لشرح أن الشجرة المسماة كذا تكتسي بالأزهار القانية في شهر مايو أو اغسطس. إن نباتاتنا، وأشجارنا، سواء اكتست بالازهار أم لا ، يجب أن تصبح عالمية من خلال عمل كلمات مقتدرة، تنتمي إلى المعجم العالمي . . . » « إن الأسلوب الشرعي للروائي الأمريكي اللاتيني الراهن هو الباروك » .

لكن بالإضافة إلى تسمية الأشياء فإنه يولد الباروكية الأمريكية من موقف رومانتيكي يأتي من التاريخ إلى الأدب. وفي عمله (عن الباروك في البيرو Delo barroco en el Peru)، يقول الشاعر مارتين أدان Martin Adan (اسمه الحقيقي رافاييل دي لافونيته بينافيدس Rafael de la Fuente Benavides) : « في البوتقة القاسية لأمريكا، في مبدأ أمريكا وإمكانها باعتبارها إسبانية، يكون على الأمريكي المهتاج والمبعثر على أرضية تعبيرات وحشية أن يلجأ إلى النظرية لترتيب المعاناة وإلى العاطفة لاخصابها. ربما لايطلب مصيرنا حتى ولا الحب، (المشغول بشؤونه بدوره) : إلا لمجرد أنه ضروري، وفعل منظم ـ يؤكد في قلب الشك، لا الهرب، ولا الخوف من إحداث الجراح بل الاحتقار وعدم

الشفاء ـ ، وهكذا نريد ما أراد الله . فلنعوض ذلك بالكتاب البارزين والحساسين . . . إنهم موجودون في روحنا بقدر ما يتناقضون مع النموذج النمطي ، بقدر ما يعيدون صياغة مبدئهم بمزقٍ من الاستمرارية ، بقدر ما يكون عقلهم اعمى وغريزتهم مطلقة وراء إزاحة المغالق؛ بقدر ما يتطلعون بقانون مكتوب إلى عاطفة لا تنتهي ، إنهم لا يزالوان يحيون ، من ناحية المبدأ ، بالحرية كجماعة ، وبالمعاناة كقاعدة » .

هذا الموقف الباروكي ـ الرومانتيكي في جوهره ـ والذي ندركه في الأدب الإسباني والبرتغالي لأمريكانا اللاتينية يأتي من الارتجال الهمجي لانطونيو ماسييل كونسلييرو ـ المقدم في طبيعة متناقضة بقلم إيوكليدس داكونيا ـ وفي صياغة من جانب فئة ثقافية ـ ثورية تعيش في قلب مدينة من طراز متوسط ، مثل كاراكاس في بدايات القرن التاسع عشر ، التي يصورها لنا ميخارس Mijares في دراسته عن المحرر El Libertaor ، وهي صورة متباينة في عبقريته كأديب وكقائد سياسي ، وكمحارب وكنمط إنساني . « حان الوقت لنستبدل أرباباً جددافعالين وغاضبين بالأرباب المنزلين الخاملين الذين هم اليوم أربابنا التعسين الكابيين إنهم أوفروزين euphrosine ، * جص مصبوب جص كورينثي ! » هكذا يقول مارتين آدان في نزعته الثقافية الملتوية للقرن العشرين . إن بوليفار رب فعال وغاضب ـ بأنبل غضب ـ كتب من كوثكو تلك العبارات الجميلة حول الواقع الأمريكي المصنوع على مقاس ثقافتين : « وصلت بالأمس إلى البلد الكلاسيكي للشمس ، وللإنكا ، وللخرافة والتاريخ الشمس الحقيقية هنا هي الذهب ، والإنكا هم نواب الملك أو العمد ؛ والخرافة حكاية جارثيلاسو . التاريخ ، هو سرد تدمير الهنود من قبل لاس كاساس . تجريد مكون من الشعر كله ، كله يذكرني بأفكار راقية ، بأفكارعميقة ، إن روحي مسحورة بوجود الطبيعةالبدائية ، التي تتطور من تلقاء ذاتها ، محطيةً إبداعات من عناصرها ذاتها وفق نموذج

(*) يقصد Euphrosyne القديسة التي عاشت ٣٨ سنة متنكرة في دير للرهبان في زي رجل . ماتت سنة ٤٧٠م . [المراجع] .

استلهاماتها الحميمة، دون أي امتزاج بالأخرى الغريبة عنها، بالنصائح الدخيلة عليها، بنزوات الروح الإنسانية، ولا بعدوى تاريخ الجرائم، والعبثيين من نوعنا. إن مانكو كاباك Manco Capac، آدم الهنود، قد خرج من جنته، جنة هنود التيتياك وشكل مجتمعاً تاريخياً دون مزج للخرافة المقدسة أو الأرضية، جعله الرب بشراً، وصنع هو مملكته وذكر التاريخ الحقيقة، لأن الآثار الحجرية، والطرق الواسعة والمستقيمة، والعادات البريئة، والتقاليد الأصيلة، تجعلنا شهوداً على خلق اجتماعي ليست لدينا عنه أي فكرة، لانموذج ولا نسخة ..» هذا الموقف والموقف الآخر ـ الذي أوردناه ـ يشكلان تلك العقدة الثقافية الذي كان على بوليفار أن يعمل فيها عمل «البرق».

من إقليم «السرتون» المجدب خرج أنطونيو ماسييل كونسلييرو، المبشر وقاطع الطريق ـ ملفوفاً في قماش قذر لرجل دين همجي ـ، ليموت بالرصاص موتاً تراجيدياً. ومن مدينة فاترة، على حافة البحر في جبال الانديز، خرج سيمون بوليفار ليموت مهجهوراً في سانتا ماريًا بعد أن أشعل ثورة في القارة وبعد أن صار حتى الآن مرشداً للتحولات التي مازالت تحدث في هذه القارة بالطريقة الأمريكية اللاتينية.

في هذا التقديم المتباين للمقالات حول واقعنا تظهر، إذن، صورتان: أمريكا لاتينية ذات تاريخ صيغ في الخلاسية، وفي الغزو، وفي العزلة، وفي الغيبيات والإيمان؛ وأخرى لم تتشكل بعد لكنها وشيكة، كأنها مرتقبة، مستخلصة من الرفض. وكلتا الصورتين تتراكبان في لغة الكتّاب.



الفصل الخامس

صورة أمريكا اللاتينية

خوسيه ليثاما ليما*

José Lezama Lima

بعد ان قامت الصورة بدور الدافع إلى أشد البعثات جنوناً أو تعقلا إلى الأرض المجهولة terra incognita ، إلى مهدنا ، كان عليها أن تخفت . فقد عانى كولومبس مثلما عانى ماركو بولو من السجن بعد اكتشافاتهما ومغامراتهما ، وكأنما كان الهدوء المفروض عليهما ضروريا بعد حمى الصورة la imago .** وربما حققا بفضل سجنهما تضارباً للمشاعر بين ما رأياه حقاً ، وما كانا سيقصانه حتى لا يظلا حبيسي الصورة التي كانا قد بدآ منها قبل أن يلمسا ويعرفا . ولأنهما رجلا قرارات تمليها نزوات الدم والصورة التي يطيعها دمهما ، فإن مما لا غنى عنه أن نتعرف على ما في مغامراتهما من هذه ومن تلك ، وإذا وجدناهما مضفورتين ، أن نعرف كيف حددت الصورة في دمهما المغامر مخاطراتهما ولقاءاتهما مع المعجزات .

في السنوات الاخيرة ، سنوات اشبنجلر أو توينبي ، أصبح موضوع الثقافات بالغ الاغراء ، لكن الثقافات يمكن أن تختفي دون أن تدمر الصور التي

(*) كاتب كوبي (ولد في هافانا). من اعماله الاساسية : الفردوس (هافانا ١٩٦٦)، ملك ليزاماليما ، الارماندو الفاريس برافو (هافانا ١٩٦٦)، الكمية المسحورة (هافانا ١٩٧٠) شعر كامل (هافانا ١٩٧٠) . وهو مؤسس ومدير مجلة اصول Origenes (منذ ١٩٤٤ في هافانا) [المراجع] .

(**) imago : الصورة او المقابل البصري لشيء . وتعني كذلك في هذه الصيغة اللاتينية الصورة الذهنية التي تتميز بالتقديس أو الاعجاب والتي تبقى في اللاوعي وتمارس تأثيرها ـ [المترجم] .

أفرزتها . فلو تأملنا جرّة مينويـة * ، بعناصر رسومها البحرية أو بعض نقوشها ، لأمكننا ، عن طريق الصورة ، أن نحس بوجودها الراهن ، كأن تلك الثقافة سليمة لم تمس في الوقت الحاضر ، ودون أن تجعلنا نشعر بالألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد التي انقرضت خلالها . إن الثقافات تمضي نحو الدمار ، لكنها بعد الدمار تعود لتحيا عن طريق الصورة . وتحيى الصورة شرارات روح الاطلال . تنضفر الصورة مع الاسطورة التي تكمن عند عتبة الثقافات ، تسبقها وتعقب موكبها الجنائزي . تحبِّذ بدأها وبعثها .

لقد تطوّر الغزو والاستعمار الأمريكي بطرق معاكسة جدا لمسارات الثقافة الرومانية . فقد كانت هذه الأخيرة كيانا corpus ، قوة اشعاع تاريخية أخذت تتجاوز حدودها التاريخية ، كانت تعبيرا عن عالم بلغ درجة من الامتلاء ، وكان مقتنعا بالهمجية التي تطوّقه ، رغم أنه أحيانا ، في وثباته في الشرق ، كان عليه أن يدفع الثمن بتغيير آلهته ، ومعتقداته ، خاسرا بالتوسع قوته الموحدة ومضطراً لوضع قناع ازدواجيته الامبراطورية في الشرق وفي الغرب . لكن الثقافة الرومانية ، خلال غزواتها لانجلترا ، وفرنسا ، واسبانيا ، كانت لا تزال تتصرّف ابتداء من مركز يغطي حدود الهمج . أقامت قوانين ، وجسوراً ، ومجاري مياه ، وطرقاً ، وغيبيات ، بالاسلوب ، وبالطاقة الغريبة والكبرياء التي تميّز طابعاً لا تخطئه العين . وتمكن السلت ، والنورمانديون ، والبريتون ، والدرويد ، بجهد محلي كبير من ابقاء صورتهم imago حية ، في مواجهة ذلك الطوفان من الفيالق التي تمضي في استعراض لا يتوقف ، وذلك قبل أن يهاجموه ويدمّروه . كان النحو اللاتيني وانضباط الفيالق يرتّبان الأفعال ويوجزان الطبائع والغرائز . هكذا أمكن التأكيد بأن ثمة صراعاً بين النحو اللاتيني والسلتي المتمرد في جِذْر التعبير الهسباني . وتتواصل هذه المعركة ، عند أعظم كتابنا ، من سارمييتو الى مارتي ، بكفاءة تحض على استمرارها .

(*) من عصر الملك مينوكا في جزيرة كريت، وهو ملك اسطوري يقال إنه كان يحكمها في القرن الخامس عشر ق . م أو قبله وتنسب إليه الحضارة الأولى هناك .

ربما كان ذلك الترتيب ، ذلك العمل المُنجز ، كما يقول الخزّافون ، هو ما يكاد يجبر تلك التيارات الهمجية على تحرير نفسها من ذلك الابتلاع المركزي ، كأنما يجري ذلك بفعل تعويذة جديدة ، لم تعد التعويذات القديمة تجدى ضدها . إن لا نهائية الإيروس في تريستان ، المتحرر من امتداد البصر ، من النهائية ، من المنطق الخفي logos o kulos ، والسحر المرجاني لرفاق الملك آرثر ، والأثر الذي يمكن التعرّف عليه للغطاء الطائر للكأس المقدسة * في مواجهة الكنز المخبوء في الأحشاء ، قد انتصبت مُستَنفَرَة في مواجهة فرض الأساطير الإغريقية القديمة ، وتاليتها اللاتينية . وأخذت تظهر مشاتل جديدة للصور ، تحل بروفنسا Provenza ** محل أثينا ، ويستبدل بالبونتو يوكسينو *** Ponto Euxino (البحر الأسود) وأعمدة هرقل بلاد كاتاي Catay أو سيبانجو cipango****. انفتح البحر المتوسط على الأطلنطي وحمل الغرقى المعذبون الذين وصلوا إلى جزر الأزور حكاية الحمامات الجديدة التي أزاحت حكاية الجوارح القديمة فوق أقدم الأسس . ومن وجهة نظر مملكة الصورة قاومت شبه جزيرة أرموريكا الصغيرة التقدم الروماني بأشباحها ، وساحراتها ، وجنياتها . وإذا كانت الصورة ، كما أكدنا ، تعيد تنظيم الثقافات وتلم شتاتها بعد انقراضها ، فإن رقصة الساحرات السلتيات فوق جسر روماني تمنحها مكنسة الخلود الباقية .

---

* الكأس المقدسة في أساطير العصر الوسيط، هي الكأس التي استخدمها المسيح في العشاء الأخير، والتي كان فرسان الملك آرثر يجدون في البحث عنها ـ [المترجم] .

** بروفنسا : هي إقليم بروفانس الحالي بفرنسا. كانت أكثر أقاليم أوروبا الوسطية بهاءً حتى عصر دانتي وكانت لغتها ، من القرن الحادي عشر حتى القرن الرابع عشر الميلادي، هي شعر التروبادور الغنائي. وشهدت النهضة البروفنسالية التي ارتبط بها اسم الشاعر ميسترال في القرن التاسع عشر [المترجم] .

(***) Ponto Euxino : كناية عن البحر الأسود في التسمية الرومانية ـ [المترجم] .

(****) كاتاي Catay أو Cathay : هي التسمية التي أطلقها كتّاب العصر الوسيط على الصين، وسيبانجو Cipango هي الجزيرة أو الجزر المدهشة التي تقع شرقي آسيا التي وصفها ماركو بولو، وكان كولمبوس يبحث عنها ، ولعلها جزر اليابان الحديثة ـ [المترجم] .

لكن الوضع الأمريكي بالنسبة للصورة كان مناقضا لما قدمته أوروبا تجاه الغزو الروماني . فقد كانت فوضى العصر الوسيط الاسبانية شديدة البعد عن الوحدة . فالعالم الاسلامي ، واليهودية ، والنزوع نحو التفتت الاقطاعي ، واللاهوت الذي يتخذ موقف الدفاع عن إشكالية عارضة تماما ، والتنافر بين فظاظة كامنة ورقة جلبتها سلالة بورجونيا أو جلبها العرب، كل هذا حوّل كل إشكالية، متولدة عن قوة امتصاص مركزية وعن مقاومة قوى الطرد المركزي، الى صراع بين الفوضى ، (التي لم تعد بالطبع الفوضى الأصلية التي تجعد فيها الريح سطح المياه ، بل التشتت التاريخي الذي يبحث عن مخرج تُقدِّمُه الصُدْفة في النهاية ، وهذه هي بدائيته الحقيقية) ، وبين ما سميناه بالمجال الغنوصي ، أي البعد الذي يولد الشجرة ، المجال الذي يولّد ويَعْرف كما يراه التاويّون ، القوة التي تُفرخُ في المجال الخالي . وكانت امبراطورية الإنكا ، دون منافذ اتصال مع الامبراطورية الرومانية ، تقوم فقط بدور المجال ، فمواردها في الظاهرة هي القصور الذاتي والسلبية ، لكنني أشك في أن توجد في الحضارة الرومانية صورة تعدل في خصوبتها صورة فيراكوتشا : فهو يكسر التتابع الزمني ، ويجذب إليه زمن التوافق الآني ،ويخلق هيلوزويستية * سحرية ، إذ يرى في كل حجر رجلا محتملا أو رجلا قد انقضى ، ويشكل محاربين من الأحجار وبعد النصر يعود المحاربون فيتحولون الى أحجار . إن به بعض الشبه بهاملت وشارلمان ، لكنه دائما هو ذلك الذي يهب للمساندة ، والذي يختفي كشبح دون أن يلمس الأرض . إنه هاملت الذي لا يمتنع عن الحضور في الوقت المناسب للعون ، وشارلمان الذي لا يثقُل في الإحبولة التاريخية مثل الهرّاوة الشارلمانية التي يسلمها لكل واحد من الأزواج الاثني عشر .

يؤكد بعض دارسي العصور الوسطى أن ما جرى في أمريكا كان عصرا وسيطاً متأخراً ، ويمكننا أن نضيف أنه مع إدخال التكنيك ومع روح التشرذم لحضارة

(*) مذهب الهيلوزونيسم عقيدة فلسفية يؤمن أصحابها بوجود حياة في كل مادة ـ [المراجع] .

استوعبناها بصورة ناقصة ظل طابع العصر الوسيط ذاك هو جذر أمريكا اللاتينية . وقد وجد بين سكان أمريكا الاوائل ، من هنود التشيتشيميكا إلى هنود الإنكا ، نزوع إلى الامبراطوريات ، إلى الأبعاد الكوكبية الضخمة المقامة بدءا من مركز .

وقد أوضح سانشيتألبورنوث alpornoz أنه في اكتشاف أمريكا وغزوها لا يمكن غض الطرف عن أهمية آخر عصر بطولي في العالم الغربي ، آخر فترات العصر الوسيط الملحمي .

ينقل المؤرخ لجزر الهند الغربية إلى المنظر الطبيعي رواية الفروسية . فطريقة برنال دياث دل كاستيو Del castillo تكشف أنه قرأ وسمع حكايات من كتب الفروسية . تمتلىء الغابة بالتعاويذ وتصبح النباتات والحيوانات موضوعا للادراك في علاقتها بالمؤلفات القديمة عن الحيوانات ، والخرافات ، والنباتات السحرية ، ويستبدل نبات الكينا بنباتات الخشخاش ، التي كانت تلقّب أيضا بالمعزية ، والتي كانت تستخدم في العصر الوسيط لمعالجة المسوسين والمتلبسين ، ويشيد المسكال * والكوكا ** اكثر الكاتدرائيات شموخا في الهواء ، لكن دون ركيزة ودون واقع . يسمى جونثالو ارناندث دي أوفيدو De Ovedo التماسيح تنانين . إذ يدفع كل حيوان حديث الاكتشاف الغزاة الى تذكر بلينيو العجوز . في البداية يعثر على التماثلات برباطة جأش ثم يعثر على الاختلافات مع الحيوانات المعروفة بتشديد عنيف . فالمؤرخ نفسه يقارن العناكب بالعصافير ، والنحل

---

* المسكال Mazcal : صبار دون شوك (الاسم العلمي Lopho phora) يستخدمه هنود المكسيك كمنشط ومضاد للتقلصات، وكذلك يسمى الشراب المسكر القوي الذي يستخرج منه . ومن الصبار نفسه يستخرج المسكالين ، وهو يتكون من بللورات ، قلوية بيضاء تسبب الهلوسة - [المترجم] .

** الكوكا Coca: (علمياً Eritroxylon coca شجيرة يستخرج من اوراقها الكوكايين، كانت قديما موضوعاً لغيبيات كثيرة لدى هنود البيرو وبوليفيا الذين يمضغونها لتقليل التعب وتهدئة الاحساس بالجوع والعطش - وعلى أساسها كان شراب الكوكا كولا . [المترجم] .

بالذباب . في كل حيوان أو نبات يشدد المؤرخون على أوجه تشابهه مع تلك الحيوانات والنباتات التي يجلبونها بالذاكرة أو بالصورة ، ثم يؤكدون الكشف بأوجه الاختلاف . وحين يتحدث المؤرخ نفسه عن شجرة المامىّ Mamey * ، يؤكد أن لونها مثل لون شجرة الكمثرى « لكنها أكثر صلابة وغلظة » ويقارن ثمرة الجوانابانا ** guababana بالشمام لكن « من الخارج عليها نقوش دقيقة يبدو انها بمثابة حراشف » . ويمضي الخيال مقيا أوجه الشبه ، لكن اللمس والرؤية يدركان الخصائص المميزة واللطائف الجديدة . في أمريكا ، خلال الأعوام الأولى للغزو ، لم يكن الخيال هو « مجنونة الدار » بل مبدأ للتصنيف والتعرف والتمييز المشروع .

إن حقيقة تفتيت كل ما نستقبله إلى صور قامت للأمريكي منذ الغزو مقام حماية سحرية وضمان للاختيار . من المؤكد اننا نستقبل محصلة أو ناتجا ، لكننا نجذبه نحو منشور مؤشر الصورة . . لهذا فان نضج ثرفانتس أو نقاء لآلىء جونجورا يترافقان مع ظهور مؤرخي جزر الهند ، الذين تتحد لديهم بدائية التعبير مع نقاء الصورة . ويتم التعميق والتنقية للصورة لأن الامتلاء الجديد الذي تجلبه الأعاجيب الجديدة يتحد مع المتاع المجلوب من اوروبا ، من بلينيو الى كتب الحيوان . ومن البداية ، يضرب ثقل الصورة بجذوره بيننا ، الصورة التي تمضي نحومركز الارض والمتحررة تماما من التعقل السحري ، الصورة التي ينتجها ذلك المجال الذي يعرف ، والذي يخلق غنوصا ، تكسونا كمشيمة عارفة ، تحمينا من العالم الخارجي ، من الظلمة القاتلة التي يمكن ان تدمرنا قبل الأوان .

---

* المامّي mamey: شجرة أمريكية ذات جذع مستقيم وأوراق بيضاوية وأزهار بيضاء عبقة الرائحة وثمرة شبه مستديرة ذات غلاف مائل إلى الخضرة ،ولحم أصفر زكي الرائحة وطيب المذاق وبذرة اواثنتين ـ [المترجم] .

** الجوانابانا guanábana : هي من اشجار جزر الانتيل (anona muricata) . والثمرة تغطيها حراشف لينة وقلبها أبيض شهي المذاق ومرطب. ويمكن أن يبلغ وزنها الكيلوجرامين ـ [المترجم] .

هكذا ، مثلما انتقلت أوروبا من الخرافات الى الأساطير ، كما أوضح فيكو ، كان علينا في أمريكا ان ننتقل من الأساطير إلى الصورة . على أي نحو خلقت الصورة ثقافة ؟ وفي أي مجالات كانت تلك الصورة أكثر حفزا ؟ ومتى لم تعد الصورة تستطيع أن تكون لا خرافة ولا أسطورة ؟ هذه كلها اسئلة يمكن فقط للشعر أو للرواية أن يحاولا الاجابة عنها . وخصوصا السؤال عن النحو الذي ستؤثر به الصورة في التاريخ ، وسيكون لها فضيلة فاعلة ، أو قوة مجازية حتى تعود الأحجار فتصبح صورا .

إن جونجورا ، من أجل بلوغ عزلتيه الاثنتين، ينطلق من أوفيد ومن اشاراته الى بروسربينا Proserpina *، وإلى أسكالافو Ascálafo المحب للنميمة ، ومن انحدارات القمر إلى الوادي المظلم . وأعراسه الجبلية يضيؤها ظهور الإله باث في وديان صقلية . ويتسم منظوره الشعري بالتقاليد الاغريقية الرومانية وببهاء الحلية القرنية الباروكية ذات الاسماك والصقور . انه مجرد مجال يضيؤه قنديل بضعة أعراس ، وميض يجعلنا نتبين حمى رقصات الرعاة ومربّي الماعز. وتحفز العنزة أمالتيا** Amaltea ، ذات التقاليد العطنة ، تلك الرقصات بقفزاتها الى النجوم .

لكن لا الحكاية ولا الأوصاف تتعلق على الاطلاق بشكل جديد، وليس ثمة أدنى احتمال في أن تفارق تلك المرئيات Vistas ، كما يمكننا القول، الإشعاع المعدني لكل واحدةٍ من استعاراته . لكن لنُر ، في المقابل، القصيدة البطولية، في تكريم القديس إجناثيو دي لويولا ، للكولومبي دومينجث كامارجو Camargo يتتبع كامارجو، بامتداد رواية أكثر منه امتداد قصيدة، كل تقلبات القديس، منذ

---

* بروسربنيا : إبنة سيريز إلهة الزراعة عند الرومان من جوبيتر، والتي حملها بلوتو معه لتكون ملكة العالم السفلى ـ [المترجم] .

** العنزة أمالتيا : هي عنزة ارضعت جوبتر في الأساطير الرومانية . وقد أصبح أحد قرنيها «قرن الوفرة» أو الحيلة القرنية التي ترسم وقد انسكبت منها الخيرات في الفنون الوسيطة . وكانت الربة باللاس Pallas تحمل جلد هذه العنزة محلى برأس ميدوزا كشعار وتميمة ـ [المترجم] .

ميلاده وتعميده حتى توجهه إلى روما للحصول على اعتراف الكنيسة. إن دومنيجث كامارجو هو واحد من أهم تلاميذ جونجورا، وأحد مقلديه، لكنه يقدم اختلافات جذرية مع أستاذه. فحيث يقدم جونجورا وميضا، أو ضوءاً لملاحظة الرقصات اللحظية يصوغ (ومينجث كامارجو حكاية سياق حياة. ويمكنني القول إن دومينجث يعارض الاستعارة الجونجورية بصورة مجال وتطور أمريكية جداً . يلاحظ فوسلرVossler أن أعمال جونجورا تخلو من المنظر الطبيعي، لكن قصيدة دومنيجث تستبدل بتزويق الحلية القرنية الباروكية الغابة والجبال التي تحيط بكنسية تونخا الصغيرة الرائعة، بينما يظل رعاة ماعز جونجورا يقفزون في وادي صقلية المفعم بالتاريخ، متتبعين المسار المسبق لهوميروس وفرجيل، وتيوكريتوسTeocrito ولونجو Longo. يصل كولومبس أثناء رحلات حجيجة في ربوع إسبانيا إلى كاتدرائية ثامورا، حيث تحفظ بعض السجاجيد الفنية الرائعة وتظهر عليها مشاهد غزل لسيدات وفرسان، تحوطهم كل الحوافز البروفنسالية من لون وأشكال، ويمزج الغزل والطيور والأزهار بين رهافة الإيماءات والطبيعة الأشد صفاء في رشاقتها. تمثل إحدى السجادات حفل تتويج، هو حفل تتويج تاركينو Tarquino في أولى سنوات روما؛ وتمثل أخرى حروب طروادة، وفي هذه السجادة يظهر زورق من العصر الوسيط وبحار يفك حباله. في كل مكان نبلاء بيزنطيون، وتجار اغريق، وشخوص رائعة بالألوان . وفيما يتقدم الفارس نحو المعركة تتأمل السيدات من إحدى الشرفات تطور ما يعتبر بالنسبة لهن مباراةً. وتلف الزهور المعركة كما لو أنها في مبارزة في بروفنسا. ولو قرأنا بضع صفحات من يوميات كولومبس بعد تأمل سجادات كاتدرائية ثامورا تلك لأدهشنا ذلك الجهد المبذول في محاولة تحويل الطبيعة إلى سجادة، ولأكّد رهافة الطيور الخفيفة التي تمتزج بالأوراق متعددة الظلال. في خيال كولومبس تقفز دلافين* وجنيات البحر المتوسط والحيل الشعرية والمباريات الفروسية البروفنسالية .

(*) الدلفين Delfine الحيوان البحري المعروف - [المراجع] .

لا يمكن أن يدهشنا أن يكتب إيطالي يمر بإسبانيا في عهد كارلوس الخامس عن أشياء لم يرهاقط، ويخضع للخيال الذي سميناه خيالاً صقليا أكثر من خضوعه لواقع منظر جديد لا يعرفه. فوصفه لكوبا لا يقوم إلاّ على ذكرياته الخيالية، وعلى ما استمده من قراءاته: « كل شيء معتدل بفعل الرطوبة ، وكل شيء غني بالمنتجات الذهبية. وكهوفها، مثل عديد من الأفواه المفتوحة، تتقيأ في ماء الأنهار. هنالك ثمة كهوف، مرعبة، ووديان مظلمة، وصخور كلسية » ، أي أنها نفس الدوامات، والكهوف، والأنهار، والصخور، التي استمدها خياله من قراءاته من هوميروس حتى أوفيد، والتي تفيده في معادلة الصور التي لديه عما هو صقلي مع منظر جديد حقاً ، يجد خياله نفسه مستوحشاً أمامه فيبحث عن نقاط الارتكاز تلك. هكذا يحكي بدرو مارتير دي انجليزيا de Angleria أن أحد الزعماء الاقطاعيين في تاهيتي كان لديه في بحيراته عجل بحر يأكل من يديه وينقل الرجال والأطفال إلى الضفة الأخرى. وقد استبدل المؤرخ البحار التي تحيط بالجزيرة بالبحر المتوسط، واستناداً إلى أتفه التشابهات يعادل عجل البحر بجنية البحر . ولسوء الحظ فإننا قد انتقلنا من التضارب والتشابه بين الصور إلى هياج مدمر يستعصي على الفهم يجعل من عجل البحر اليوم فصيلة شبه منقرضة . وكان من الأفضل الإبقاء على تفاهة خطأ للخيال من أجل بقاء هذه الفصيلة .

تتحرر الصورة الأمريكية بضغط المجال الغنوصي الذي يستبدل البعد بالصورة، مثلما بدأ النفي ، والسبي ، والحرية في العالم القديم، تجد مستقرها في النجوم وتؤثر في التاريخ . فالأبعاد العملاقة التي بلغها هنود الإنكا والازتيك لا يمكن أن تقارن إلاّ بإمبراطورية نينوى، وبالفرس أو المصريين في أبرز فترات تاريخهم. وقد أغرى مفهوم المجال ذاك شعب الإنكا منذ البداية؛ ففي واحدة من أكثر خرافاتهم بدائية يخرجون من كوى بعض الصخور القريبة من كوثكو. من هناك خرج أربعة رجال وأربع نساء «تذكروا السلالات الصينية الأولى ، حيث يظهر تتابع الأخوة) . وقد خرجوا من الكوة الوسطى ، وهي الكوّة الملكية. ومن النافذة كان عليهم أن يروا مجالاً تشارك فيه النجوم والإنسان . وعند مركز النافذة

تظهر سرة، هي مدينة كوثكو. في هذه الخرافة يظهر المجـال الخالق بسـرته أو مركزه ، وبالملح ، والفلفل، والرقصات، والبهجة. وعلى الفور، يريد الغزاة أن يقربوا بين كوّة الصخر وكوّة سفينة نوح، لكن حقيقة أن هندي الإنكا يعتبر نفسه منحدراً من صلب كل الطبيعة، من مساقط المياه، وذئاب البراري، والطيور، مما يقوده إلى تقديس شامل لكل العالم الخارجي، لابد من أنها بدت للغزاة لغـزاً يستعصي على الحل، فالصورة القـديمة التي جلبـوها معهم مشبعـةً بتشابهـات لانهائية أصبحت تواجه مجالاً جديداً يوقع بها الاضطراب ويجعلها ترتجف .

هناك تشابهات بين مجال الإنكا ومجال الأزتيك، فالكوّة السرية لدى الإنكا تتطابق مع مُخمَّسة quincunce الأزتيك ، وكلتاهما تشابه ما كان يطلق عليه في عهد الدكتور كونج تسو (كـونفوشيـوس) اسم الطريق الـوسط، بين السـماء والأرض. ويبدو أن ياهوار هو اكاك، سابـع ملوك الإنكا، والمسمى «البـاكي دماً »، يستبق رعب موكتزوما ,Moctezuma إذ يحيا محاطاً بالفأل، والمخاوف، والشكوك. لكن ياهوار يتمكن من الأفلات من مخاوفه بظهور شبح، صورة، لكن أغرب ما في الأمر أن الأمير الشبحي يدعى فيراكوتشا Viracoch وهو اسم ابن ياهوار نفسه الذي ينقذه. ثمة اندماج بين الشخصية التاريخية والشخصية الميثولوجية. إلاّ أن موكتزوما يبدأ يقطع رأس الاحلام . فيقيم في قصره ما يشبه إدارة لـلأحـلام المشؤومـة . ويحكم بـالموت عـلى كـل من يحلمـون بـزوال إمبراطوريته .

وأفضل علامات التعبير عما سميناه بـالعهد الأمـريكي للصورة هي المعاني الجديدة لدى المؤرخ لجزر الهند الغربية، والنبالة الباروكية، والتمرد الرومانسي . هنالك تقوم الصورة مقـام كم quantos يتحول إلى كيف quale عن طـريق العثور على مركز وبالتوزيع المتناسب للطاقة. والنفي والسبي يكمنان في جذر تلك الصور ذاتها. فالمؤرخ لجزر الهند الغربية يجلب صوره الجاهزة فيكسرها له المنظر الجديد. والسيد البـاروكي يبدأ التـواءاته وتلميعـاته ومـرساتـه ملقاة في الخرافات والأساطير الإغريقية ـ اللاتينية ، لكن ضم العناصر النباتية والحيوانية

التي تقع في نطاق ملاحظته، مثل السحالي، والعصافير، وذئاب البراري، وأشجار الأمبو ombú والسيبا ceiba والهيلام ـ هيلام hylam - hylam، سرعان ما يخلق خرافات جديدة تضفي على عمله ثقلا جديداً. والتمرد الرومانتيكي بين ظهرانينا هو أكثر من مجرد قطيعة أو بحث شيطاني عن شيء آخر، إنه على العكس يتجاوز مع الظرف التاريخي ويعبر عنه. والتمرد اللفظي للرومانتيكيين الأمريكيين العظام، من سارميينتو إلى مارتي، يسوى بين فتوحهم في اللغة وتشكلهم باعتبارهم بناة شعوب. لقد دمجت الرومانتيكية بين ظهرانينا كاليماكو Calimaco وليكوفرون Licofron مع ليكورجو Licurgo وصولون Solón. وفي تاريخ الغرب، فإن دانتي، على سبيل المثال، لم تكن له أبداً سيطرة تاريخية ـ سياسية جوهرية على أقدار فلورنسا، بعد تشييد بنائه الرمزي اللغوي العظيم. أما في التاريخ الأمريكي فإن أعظم مشيد ومجدد للغة بيننا، وهو خوسيه مارتي دون أدنى شك، يخلق ثورة على أكثر الأسس جدّة. إن الصورة تنتهي بأن تتجسد في التاريخ، بينما يجعل الشعر من نفسه نشيداً (كوراليا) جماعياً.

ينقل سيمون رودريجث إلى بوليفار منذ مراهقته معنى العظمة التاريخية الأمريكية من خلال امبراطورية الإنكا. وكان الجنرال ميراندا Miranda يبهر بوليفا، في مراهقته، شأنه في ذلك شأن نابليون. فمن روسيا حتى إسبانيا كان ميراندا يسود المجال الأوروبي. وبتأثير ميراندا، صار بوليفار يعتقد، خلال الأعوام الأولى لعودته إلى كاراكاس، أن من الممكن تحقيق الاستقلال بمساعدة الارستقراطية الليبرالية. في ذلك البعد الخاطىء يدمر مونتفردي ميراندا ويتخلص من بوليفار بأن ينفيه. لكن لقاءاته المتتالية مع سيمون رودريجث، المتشيع لروسو والعاشق لمجال الإنكا، يحمله على التعمق والبحث عن عناصر إثنية جديدة تنشد التشكل على امتداد جبال الانديز. وعقب وفاة بوليفار يظل سيمون رودريجث غارقاً في بُعد الاستقلال، إذ يعرف أن حدس بوليفار لذلك البعد كان الجذر الذي أتاح الاستقلال، ويعرف أن تعميق هذا البعد سيكون إضاءة للمجال الأمريكي.

لكن البحث عن مركز المجال الأمريكي ذاك كـان أشد مـأساويـة بالنسبـة لسيمون رودريجث. فقد بلغ آخر حدود العظمة في نضاله من أجل العثور على ذلك المركز لمجال الإنكا الهائل، وعلى مُخمَّسة الأزتيك، أي على مركز الاشعاع لطاقات المجال. وقد رأينا سيمون رودريجث، وهو يناهز الثمانين، يدور حول بحيرة تيتيكاكا، يحيط به أبناؤه وزوجته الهندية، وهو يعاني أبشع صنوف الفقر. وفي مركز التاريخ الأمريكي، في مخمسة مجـال الإنكا، ظـل رودريجث يكسب المعارك حسناً من أجل الصورة، يكسب النبضـات الخفية لما هو غـير منظور في الصورة التي تتحرق شوقاً إلى أن تَعرِفـ وأن تُعرفـ .



(مراجع الكتاب بقسميه) الأول والثاني

BIBLIOGRAFÍA GENERAL

Alegría, Fernando, *Historia de la novela hispanoamericana*, México, De Andrea, 3ª ed., 1966.
Anderson Imbert, Enrique, *Historia de la literatura hispanoamericana*, México, Fondo de Cultura Económica, vol. I: *La Colonia, cien años de república*, 1ª ed., 1954; vol. II: *Época contemporánea*, 1ª ed., 1961.
—— y Eugenio Florit, *La literatura hispanoamericana*, Nueva York, Reinhart and Winston, 1960.
Arrom, José Juan, *Esquema generacional de las letras hispanoamericanas. Ensayo de un método*, Bogotá, Instituto Caro y Cuervo, 1963.
Bazin, Robert, *Histoire de la littérature américaine de langue espagnole*, París, Hachette, 1953.
Benedetti, Mario, *Letras del continente mestizo*, Montevideo, Arca, 1967.
Campos, Augusto, Haroldo de Campos y Décio Pignatari, *Teoria da poesia concreta (textos críticos e manifestos), 1950/60*, São Paulo, Invenção, 1965.
Cândido, António, *Formação da literatura brasileira*, São Paulo, Livraria Martins, 1964, 2 vols.
——, *Introducción a la literatura del Brasil*, Caracas, Monte Ávila, 1968.
Carilla, Emilio, *Hispanoamérica y su expresión literaria*, Buenos Aires, EUDEBA, 1969.
Carpentier, Alejo, *Tientos y diferencias*, México, UNAM, 1964.
Coutinho, Afranio, ed., *A literatura no Brasil*, Río de Janeiro, Sul Americana, 1955-1968, 5 vols.
Díez-Canedo, Enrique, *Letras de América*, México, El Colegio de México, 1944.
Fernández Moreno, César, *La realidad y los papeles*, Madrid, Aguilar, 1967.
Fuentes, Carlos, *La nueva novela hispanoamericana*, México, Joaquín Mortiz, 1969.
Harss, Luis, *Los nuestros*, Buenos Aires, Sudamericana, 1966.
Henríquez Ureña, Max, *Breve historia del modernismo*, México, Fondo de Cultura Económica, 1954.
Henríquez Ureña, Pedro, *Seis ensayos en busca de nuestra expresión*, Buenos Aires, BABEL, 1928.
——, *Las corrientes literarias en la América hispánica*, México, Fondo de Cultura Económica, 2ª ed., 1954.
——, *Obra crítica*, México, Fondo de Cultura Económica, 1954.
Lafforgue, Jorge, ed., *Nueva novela latinoamericana*, Buenos Aires, Paidós, 1969 y 1972, 2 vols.
Lazo, Raimundo, *Historia de la literatura hispanoamericana*, México, Porrúa, 1963 y 1967, 2 vols.
Leal, Luis, *Historia del cuento hispanoamericano*, México, De Andrea, 1966.
Lida, Raimundo, *Letras hispánicas*, México, Fondo de Cultura Económica, 1958.
Loveluck, Juan, ed., *La novela hispanoamericana*, Santiago de Chile, Editorial Universitaria, 1969.
Mariátegui, José Carlos, *Siete ensayos de interpretación de la realidad peruana*, Lima, Biblioteca Amauta, 1928.

Ortega, Julio, *La contemplación y la fiesta. Notas sobre la novela latinoamericana actual*, Caracas, Monte Ávila, 1969.
Paz, Octavio, *El arco y la lira*, México, Fondo de Cultura Económica, 1956; 2ª ed., 1967.
——, *Puertas al campo*, México, UNAM, 1967.
——, *Corriente alterna*, México, Siglo XXI, 1967.
Portuondo, José Antonio, *El heroísmo intelectual*, México, Fondo de Cultura Económica, 1955.
Rama Ángel, *Diez problemas para el novelista latinoamericano*, en *Casa de las Américas*, La Habana, núm. 26, octubre-noviembre de 1964.
Reyes, Alfonso, *La experiencia literaria*, en *Obras completas*, t. XIV, México, Fondo de Cultura Económica, 1962.
Rodríguez Monegal, Emir, *El arte de narrar*, Caracas, Monte Ávila, 1968.
——, *Narradores de esta América*, Montevideo, Alfa, 1969, vol. I.
Solórzano, Carlos, *El teatro latinoamericano en el siglo XX*, México, Pormaca, 1964.
Torre, Guillermo de, *Claves de la literatura hispanoamericana*, Madrid, Cuadernos Taurus, 1959.
Varios, *Panorama de la actual literatura latinoamericana*, La Habana, Casa de las Américas, 1969.
Zum Felde, Alberto, *Índice crítico de la literatura hispanoamericana*, México, Guarania, vol. I, 1954; vol. II, 1959.

Antologías

Caillet-Bois, Julio, *Antología de la poesía hispanoamericana*, Madrid, Aguilar, 2ª ed., 1965.
Latchman, Ricardo, *Antología del cuento hispanoamericano contemporáneo*, Santiago de Chile, Zig-Zag, 2ª ed., 1962.
Onís, Federico de, *Anthologie de la poésie Ibero-Américaine*, París, Nagel, 1956.
Pellegrini, Aldo, *Antología de la poesía viva latinoamericana*, Barcelona, Seix-Barral, 1966.
Solórzano, Carlos, *El teatro hispanoamericano contemporáneo. Antología*, México, Fondo de Cultura Económica, 1964, 2 vols.

BIBLIOGRAFÍAS PARTICULARES

PARTE PRIMERA

Capítulo I

Aguirre Beltrán, Gonzalo, *El proceso de aculturación*, México, UNAM, 1957.
Bastide, Roger, *Las Américas negras*, Madrid, Alianza, 1969.
——, *Estudos afro-brasileiros*, São Paulo, Universidad de São Paulo, 1948-53 (tres series).
Baldus, Herbert, *Ensaios de etnologia brasileira*, Biblioteca Pedagógica Brasileira (vol. 101), São Paulo, Companhia Editora Nacional, 1937.
El mestizaje en la historia de Iberoamérica (actas del coloquio organizado por el Instituto Ibero-Americano de Estocolmo), México, Instituto Panamericano de Geografía e Historia, 1961.
Estudio sobre el mestizaje en América. Contribución al XXXVI Congreso Interna-

cional de Americanistas, en *Revista de Indias*, núms. 95 y 96, Madrid, enero-junio de 1964.

Herkowits, Melville, *Acculturation. The study of culture contact*, Nueva York, J. J. Agustín, 1938.

Lipschutz, Alejandro, *El indoamericanismo y el problema racial en las Américas*, Santiago de Chile, Zig-Zag, 1944.

Miscelánea Paul Rivet (XXXI Congreso Internacional de Americanistas), México, El Colegio de México, 1958.

Mörner, Magnus, *Race mixture in the history of Latin America*, Boston, Little, Brown and Co., 1967.

Presente y futuro de la lengua española (Actas del Congreso de Academias de la Lengua Española, Madrid, 1963), Madrid, Cultura Hispánica, 1964.

Rosenblat, Angel, *La población indígena y el mestizaje en América*, Buenos Aires, Nova, 1954, 2 vols.

Capítulo II

"Languages of the world", *Native America*, fascículo 2, en *Anthropological linguistics*, Indiana University, vol. 7, núm. 7, octubre de 1965.

Lastra, Yolanda, *Lingüística y alfabetización en Iberoamérica y el Caribe*, en *Estudos Lingüísticos*, vol. II, núms. 1 y 2, São Paulo, julio-diciembre de 1967.

Mason, John Alden, *The native languages of Middle America*, en C. L. Hay *et alii*, *The Maya and their neighbors*, Nueva York, 1940, pp. 52-87.

——, *The languages of South American Indians*, en Julian H. Steward (ed.), *Handbook of South American Indians*, Nueva York, Smithsonian Institution Bureau of American Ethnology, 1950, vol. 6, pp. 157-317.

McQuown, Norman A., *Los lenguajes indígenas de América Latina*, en *Revista Interamericana de Ciencias Sociales*, Washington, Unión Panamericana, segunda época, vol. 1, núm. 1, 1961, pp. 37-207.

Meillet, A. y M. Cohen, *Les langues du monde*, París, Champion, 1952.

Nimuendajú, Curt, *Idiomas indígenas del Brasil*, en *Revista del Instituto de Etnología de la Universidad de Tucumán*, 1931-32.

Rivet, Paul, y Cestmir Loukotka, *Langues de l'Amérique du Sud et des Antilles*, en Meillet y Cohen, *op. cit.*, pp. 109-160.

Swadesh, Mauricio, *Mapas de clasificación lingüística de México y las Américas*, en *Cuadernos del Instituto de Historia, serie antropológica*, núm. 8, México, UNAM, 1959.

Tovar, Antonio, *Catálogo de las lenguas de América del Sur*, Buenos Aires, Sudamericana, 1961.

Voegelin, C. E., y F. M., *Anthropological linguistics. Languages of the world*, Bloomington, Indiana University, 1966.

Capítulo III

Arrom, José Juan, *Certidumbre de América*, La Habana, Anuario Bibliográfico Cubano, 1959.

——, *El teatro hispanoamericano en la época colonial*, México, De Andrea, 1967.

Ballagas, Emilio, *Mapa de la poesía negra*, Buenos Aires, Pleamar, 1947.

Barrera Vásquez, Alfredo, *El libro de los libros de Chilam Balam*, México, Fondo de Cultura Económica, 1948.

——, *Libro de los cantares de Dzitbalché*, México, Instituto Nacional de Antropología e Historia, 1965.

Buarque de Holanda, A., *O romance brasileiro*, Río de Janeiro, Edições O Cruzeiro, 1952.

Calcagno, Francisco, *Poetas de color*, La Habana, Solar y Cía., 1878.
Césaire, Aimé, *Culture et colonisation*, París, Présence Africaine, 1956.
Coulthard, G. R., *Survey of British West Indian literature in the Commonwealth*, Ithaca, Cornell University Press, 1961.
——, ed., *Caribbean literature*, Londres, University of London Press, 1966.
——, *Race and colour in Caribbean literature*, Londres, Oxford University Press, 1962.
Damas, León, *Poetes d'expression française*, París, Éditions du Seuil, 1947.
Dathorne, O. R., *Caribbean verse*, Londres, Heineman, 1967.
——, *Caribbean narrative*, Londres, Heineman, 1966.
Fanon, Frantz, *Peau noire masques blancs*, París, Éditions du Seuil, 1943.
Fernández de Castro, J. A., *Tema negro en la literatura cubana*, La Habana, 1943.
Figueroa, John, *Caribbean voices* (vol. I), 1966.
Firmin, Anténor, *De l'égalité des races humaines*, París, F. Pichon, 1885.
Guirao, Ramón, *Órbita de la poesía afrocubana, 1928-37*, La Habana, Ucar, García y Cía., 1939.
Guzmán, Augusto, *Tupaj Katari*, México, Fondo de Cultura Económica, 1944.
Kesteloot, Lilyan, *Anthologie négro-africaine*, Verviers, Marabout University, 1967.
Madden, Richard R., *Poems by a slave of the Island of Cuba, recently liberated*, Londres, Thomas Ward, 1840.
Marinello, Juan, *Poética, ensayos en entusiasmo*, Madrid, 1933.
——, *Sobre una inquietud cubana*, en *Revista de Avance*, La Habana, 1930.
Martínez Estrada, Ezequiel, *La poesía afrocubana de Nicolás Guillén*, Montevideo, Arca, 1967.
Masdeo Reyes, Jesús, *La raza triste*, La Habana, 1924.
Molina, Cristóbal de, *Relación de fábulas y mitos de los incas en el tiempo de su infidelidad*, Lima, Sanmartí y Cía., 1916.
Pereda Valdés, Ildefonso, *Antología de la poesía negra americana*, Montevideo, BUDA, 1953.
Portuondo, José Antonio, *Bosquejo histórico de las letras cubanas*, La Habana, Ministerio de Relaciones Exteriores, 1960.
Porras Barrenchea, Raúl, *Guamán Poma de Ayala*, Lima, Mercurio Peruano, 1946.
Price, Hannibal, *De la réhabilatation de la race noire*, Puerto Príncipe, Imprimerie Vellarat, 1900.
Mars, Jean-Price, *Ainsi parla l'oncle*, Puerto Príncipe, Imprimerie de Compiègne, 1928.
Ramchand, Kenneth, ed., *West Indian narrative*, Londres, Nelson, 1966.
Sodi, Demetrio, *La literatura de los mayas*, México, J. Mortiz, 1964.
St. Louis, Carlos, y Maurice Lubin, *Panorama de la poésie haitienne*, Puerto Príncipe, H. Deschamps, 1950.
Varela, J. L., *Ensayos de poesia indigena en Cuba*, Madrid, Edición Cultura Hispánica, 1961.
Viatte, Agusto, *Histoire littéraire de l'Amérique française des origines à 1950*, París, Presses Universitaires de France, 1954.
Vila Selma, José, *Procedimientos técnicos en Rómulo Gallegos*, Sevilla, Escuela de Estudios Hispano-Americanos, 1954.
Vitier, Cintio, *Cincuenta años de poesía cubana 1902-1952*, La Habana, Ministerio de Educación, 1952.

Capítulo IV

Estudios

Carter, Boyd G., *Historia de la literatura hispanoamericana a través de sus revistas*, México, De Andrea, 1968.

Carvalho, Ronald de, *Pequena história da literatura brasileira* (5ª ed.), Río de Janeiro, Briguiet y Cía., 1938.
Jones, Willis Knapp, *Breve historia del teatro latinoamericano,* México, De Andrea, 1956.

Antologías

Alcina Franch, José, *Floresta literaria de la América indígena, antología de la literatura de los pueblos indígenas de América,* Madrid, Aguilar, 1957.
Gaos, José, *Antología del pensamiento de lengua española en la edad contemporánea,* México, Séneca, 1945.
Nicolau d'Olwer, Luis, *Cronistas de las culturas precolombinas, antología,* México, Fondo de Cultura Económica, 1963.

Capítulo V

Arciniegas, Germán, *América mágica,* Buenos Aires, Sudamericana, 1959.
——, *El continente de siete colores; historia de la cultura de América Latina,* Buenos Aires, Sudamericana, 1965.
——, *Biografía del Caribe,* Buenos Aires, Sudamericana, 1945.
Basadre, Jorge, *Meditaciones sobre el destino histórico del Perú,* Lima, Huascarán, 1947.
Chinard, Gilbert, *L'Amérique et le révue exotique dans la littérature française au xvii^e et au xviii^e siècle,* París, E. Droz, 1934 (1ª ed., París, 1913).
——, *L'exotisme américaine dans la littérature française au xvi^e siècle,* París, Hachette, 1911.
Frank, Waldo, *América hispana,* Madrid, Espasa-Calpe, 1932.
——, *Ustedes y nosotros,* Buenos Aires, Losada, 1942.
García Calderón, Francisco, *En torno al Perú y América* (páginas escogidas con un ensayo preliminar de J. Basadre), Lima, Mejía Bacca y P. Villanueva, 1954.
García Calderón, Ventura, *Vale un Perú,* París, Desclée de Brouwer, 1939.
Gerbi, A., *La disputa del nuevo mundo. Historia de una polémica (1750-1900),* México, Fondo de Cultura Económica, 1960.
Hauser, A., *Historia social de la literatura y el arte,* Madrid, Guadarrama, 1960.
Keyserling, Hermann, *Meditaciones sudamericanas,* Madrid, Espasa-Calpe, 1933.
Lira, Osvaldo, *Hispanidad y mestizaje,* Madrid, Cultura Hispánica, 1952.
Macera, Pablo, *La imagen francesa del Perú* (tesis presentada a la Universidad de San Marcos de Lima), Lima, 1961.
Maitrot, Charles A., *Francia y las repúblicas sudamericanas,* Nancy, Berger-Leorault, 1920.
Meléndez, Concha, *La novela indianista en Hispanoamérica,* Madrid, Hernando, 1934.
Miró, César, *Alzire et Candide, ou l'image du Pérou chez Voltaire,* París, Centre de Recherches Hispaniques, 1967.
Miró Quesada, Francisco, *Notas sobre la cultura latinoamericana y su destino,* Lima, Industrial Gráfica, 1966.
Niedergang, Marcel, *Les vingt Amériques latines,* París, Seuil, 1963-68.
Núñez, Estuardo, *Autores ingleses y norteamericanos en el Perú,* Lima, Ministerio de Educación, Dirección de Cultura, 1956.
——, *Autores germanos en el Perú,* Lima, Ministerio de Educación, Dirección de Cultura, 1953.
——, *Herman Melville en el Perú,* en *Panorama,* Washington, 1954, vol. III, núm. 11, pp. 3-25.
O'Gorman, Edmundo, *La invención de América,* México, Fondo de Cultura Económica, 1958.

——, *Fundamentos de la Historia de América*, México, Imprenta Universitaria, 1942.
Pedro, Valentín de, *América en las letras españolas del siglo de oro*, Buenos Aires, Sudamericana, 1954.
Picón Salas, Mariano, *De la conquista a la independencia; tres siglos de historia cultural hispanoamericana*, México, Fondo de Cultura Económica, 1944.
Relaciones culturales y morales entre el viejo y el nuevo continente (respuestas al cuestionario de la UNESCO), Madrid, Ed. Cultura Hispánica, 1957.
Reunión internacional del Centro Europeo de Documentación e Información. X: El Occidente en esta hora de Iberoamérica, Madrid, Instituto de Estudios Políticos, 1961.
Rivera Martínez, J. Edgardo, *Imagen de Jauja (1534-1880)*, Huancayo, Univ. Nac. del Centro del Perú, 1967.
——, *El Perú en la literatura de viaje europea de los siglos xvi, xvii y xviii*, Lima, Univ. de S. Marcos, 1963.
Sánchez, Luis Alberto, *Examen espectral de América Latina; civilización y cultura, esencia de la tradición, ataque y defensa del mestizo*, Buenos Aires, Losada, 1962.
Sibirsky, Raúl, *El continente de la promesa*, Quito, Univ. Central del Ecuador, 1966.
Urbanski, Edmundo Stefan, *Angloamérica e Hispanoamérica*, Madrid, Studium, 1965.
Vasconcelos, José, *La cultura en Hispanoamérica*, La Plata, 1934.
——, *Hispanoamérica frente a los nacionalismos agresivos de Europa y Norteamérica*, La Plata, 1933.
El viejo y el nuevo mundo — sus relaciones culturales y espirituales. Reuniones Intelectuales de São Paulo y "Rencontres Internationales de Genève", 1954, París, UNESCO, 1956.
Wagner de Reyna, Alberto, *Destino y vocación de Iberoamérica*, Madrid, Cultura Hispánica, 1954.
Zea, Leopoldo, *América en la historia*, México, Cultura, 1957.
——, *América como conciencia*, México, Cuadernos Americanos, 1953.
——, *Latinoamérica y el mundo*, Caracas, Universidad Central de Venezuela, 1960.

PARTE SEGUNDA

Capítulo I

Crítica

Torre, Guillermo de, *Literaturas europeas de vanguardia*, Madrid, Caro Raggio, 1925.
——, *Historia de las literaturas de vanguardia*, Madrid, Guadarrama, 1965.

Poesía concreta

An anthology of concrete poetry, preparada por Emmett Williams, Nueva York, Something Else Press, 1967.
Anthology of concretism, seleccionada por Eugene Wildman para *The Chicago Review*, Chicago, The Swallow Press, 1968.
Antologia do verso e a poesia concreta, 1949/62, São Paulo, Noigandres, 5, 1962.
Poesía concreta, Lisboa, Servicio de Propaganda y Expansión Comercial de la Embajada del Brasil, 1962.
Solt, Mary Ellen, *A world look at concrete poetry*, introducción al número 3-4 de *Artes Hispánicas/Hispanic Arts*, dedicado a la poesía concreta, Nueva York, Indiana University, The Macmillan Company, 1968.

Capítulo II

Alonso, Dámaso, *Versión en prosa de "Las soledades" de Luis de Góngora,* Madrid, Sociedad de Estudios y Publicaciones, 1956.
Bakhtine, Mikhail, *La Poétique de Dostoïewski,* París, Seuil, 1970.
Barthes, Roland, *Système de la mode,* París, Seuil, 1967.
Charpentrat, Pierre, *Le mirage baroque,* París, Minuit, 1967.
Chomsky, Noam, *Structures syntaxiques,* París, Seuil, 1969. [Traducción española por aparecer en Siglo XXI.]
d'Ors, Eugenio, *Lo barroco,* Madrid, Aguilar, 1964.
Jammes, Robert, *Études sur l'œuvre poétique de Don Luis de Góngora y Argote,* Bordeaux, Institut d'Études Ibériques, 1967.

Capítulo III

Alegría, Fernando, *La poesía chilena,* México, Fondo de Cultura Económica, 1954.
Alvarez Bravo, Armando, *Órbita de Lezama Lima,* La Habana, Órbita, 1966.
Bachofen, J. J., *Myth, religion and mother right,* Princeton, Bollingen Series, Princeton University Press, 1967.
Borges, Jorge Luis, y Adolfo Bioy Casares, *Poesía gauchesca,* t. I, México, Fondo de Cultura Económica, 1955.
Fuentes, Carlos, *Casa con dos puertas,* México, Mortiz, 1970.
Ghiano, Juan C., *Poesía argentina del siglo xx,* México, Fondo de Cultura Económica, 1957.
Montezuma de Carvalho, Joaquim de, *Panorama das literaturas das Américas,* Angola, Nova Lisboa, 1958-1959.
Rosemberg, Harold, *La tradición de lo nuevo,* Caracas, Monte Ávila, 1969.
Torres Rioseco, Arturo, *Breve historia de la literatura chilena,* México, De Andrea, 1950.
Varios, *Diccionario de escritores mexicanos,* México, UNAM, 1968.
Varios, *Historia de la literatura argentina* (dirigida por Rafael A. Arrieta), Buenos Aires, Peuser, 1959.
Xirau, Ramón, *Octavio Paz; el sentido de la palabra,* México, Joaquín Mortiz, 1970.

Capítulo IV

Bignami, Ariel, *Notas para la polémica sobre realismo,* Buenos Aires, Galerna, 1969.
Bozal, Valeriano, *El realismo entre el desarrollo y el subdesarrollo,* Madrid, Editorial Ciencia Nueva, 1966.
Cine del Tercer Mundo, Montevideo, Cinemateca del Tercer Mundo, 1969, núm. 1.
Fischer, Ernst, *The necessity of art,* Middlessex, Penguin Pelican Original, 1963.
Garaudy, Roger, *D'un réalisme sans rivages,* París, Plon, 1963.
Gramsci, Antonio, *Literatura y vida nacional,* Buenos Aires, Lautaro, 1961.
Lukács, George, *La théorie du roman,* Lausanne, Éditions Gonthier, 1963.
——, *Situación actual del realismo crítico,* México, Era, 1963.
Sánchez Vásquez, Adolfo, *Las ideas estéticas de Marx,* México, Era, 1965.
Siqueiros, David Alfaro, *No hay más ruta que la nuestra,* en *Expresión,* núm. 1, Buenos Aires, 1946.
Volpe, Galvano della, *Crítica del gusto,* Barcelona, Seix-Barral, 1966.

PARTE TERCERA

Capítulo I

Auerbach, Erich, "Germinie Lacerteux", en *Mimesis,* México, Fondo de Cultura Económica, 1950.

Barthes, Roland, *Le degré zéro de l'écriture*, París, Éditions du Seuil, 1953.
Benedetti, Mario, *Juan Carlos Onetti y la aventura del hombre*, en *Literatura uruguaya del siglo xx*, Montevideo, Alfa, 1963.
Blanchot, Maurice, *René Char*, en *La part du feu*, París, Gallimard, 1948.
——, *Gide et la littérature d'expérience*, en *La part du feu*, París, Gallimard, 1948.
Borges, Jorge Luis, *Ultraísmo*, en *Nosotros*, núm. 151, año XV, Buenos Aires, 1921.
Buenos Aires Literaria, núm. 9, año 1 (dedicada a Macedonio Fernández), Buenos Aires, 1953.
Communications, núm. 11 (sobre "Le vraisemblable"), París, Éditions du Seuil, 1968.
Cortázar, Julio, *La vuelta al día en ochenta mundos*, México, Siglo XXI, 1968.
Change, núm. 1 (sobre "Le montage"), París, Éditions du Seuil, 1968.
Duquesne Hispanic Review, núm. 3, año II (dedicada a Manuel Gálvez), Duquesne, Duquesne University, 1963.
Genette, Gerard, *Frontier du récit*, en *Communications*, núm. 8, París, Éditions du Seuil, 1966.
Gómez de la Serna, Ramón, *Prólogo*, en Macedonio Fernández, *Papeles de Recienvenido*, Buenos Aires, Losada, 1944.
Jean, Raymond, *Qu'est-ce que lire*, en *La Nouvelle Critique* ("Littérature et Linguistique"), París, 1968.
Jitrik, Noé, *Procedimiento y mensaje en la novela*, Córdoba, Universidad Nacional, 1962.
——, *El 80 y su mundo (presentación de una época)*, Buenos Aires, Jorge Alvarez, 1968, Col. Los Argentinos, 5.
Kristeva, Julia, *La productivité dite texte*, en *La Nouvelle Critique* ("Littérature et Linguistique"), París, 1968.
Lagmanovich, David, *"Rayuela", una novela que no es novela pero no importa*, en *La Gaceta*, Tucumán, 29 de marzo de 1964.
Macherey, Pierre, *Borges et le récit fictif*, en *Pour une théorie de la production littéraire*, París, Maspero, 1966.
Rozitchner, León, *Persona, cultura y subdesarrollo*, en *Revista de la Universidad de Buenos Aires*, 5ª época, núm. 1, año VI.
Schmucler, Héctor N., *Rayuela: juicio a la literatura*, en *Pasado y Presente*, núm. 9, año III, Córdoba, 1965.
Todorov, Tzvetan, *Teoría de la literatura de los formalistas rusos*, Buenos Aires, Signos, 1970.
Viñas, David, *Literatura argentina y realidad política*, Buenos Aires, Jorge Alvarez, 1964.
Visca, Arturo S., *Prólogo*, en *Cartas inéditas de Horacio Quiroga*, t. 1, Montevideo, Instituto Nacional de Investigaciones y Archivos Literarios, 1959.
Yurkiévich, Saúl, *Valoración de Vallejo*, Resistencia (Argentina), Universidad Nacional del Nordeste, 1958.

Capítulo II

Alegría, Fernando, *Literatura chilena del siglo xx*, Santiago de Chile, Zig-Zag, 2ª ed., 1967.
Fernández Moreno, César (en colaboración con Horacio Jorge Becco), *Antología lineal de la poesía argentina*, Madrid, Gredos, 1968.

Capítulo III

Abril, Xavier, *César Vallejo o la teoría poética*, Madrid, Taurus, 1962.

Alazraki, Jaime, *La prosa narrativa de Jorge Luis Borges*, Madrid, Gredos, 1968.
Alegría, Fernando, *Las fronteras del realismo: literatura chilena del siglo xx*, Santiago de Chile, Zig-Zag, 1962.
Alonso, Amado, *Poesía y estilo de Pablo Neruda. Interpretación de una poesía hermética*, Buenos Aires, Losada, 1940 (segunda edición ampliada, Buenos Aires, Sudamericana, 1951).
Anderson Imbert, Enrique, *La crítica literaria contemporánea*, Buenos Aires, Gure, 1957.
——, *Crítica interna*, Madrid, Taurus, 1961.
Andrade, Mário de, *Movimiento modernista*, Río de Janeiro, CEB, 1942.
Araujo, Orlando, *Lenguaje y creación en la obra de Rómulo Gallegos*, Buenos Aires, Nova, 1955.
Barrenechea, Ana María, *La expresión de la irrealidad en la obra de J. L. Borges*, México, El Colegio de México, 1957.
Borges, Jorge Luis, *Inquisiciones*, Buenos Aires, Proa, 1925.
——, *Evaristo Carriego*, Buenos Aires, Gleizer, 1930 (nuevas ediciones, Emecé, 1955, 1963).
——, *Discusión*, Buenos Aires, Gleizer, 1932 (nuevas ediciones aumentadas, Emecé, 1957, 1961).
——, *Historia de la eternidad*, Buenos Aires, Viau y Zona, 1936 (nueva edición aumentada, Emecé, 1953).
——, *Otras inquisiciones*, Buenos Aires, Sur, 1952 (nueva edición, Emecé, 1960).
——, *Leopoldo Lugones* (en colaboración con Betina Edelberg), Buenos Aires, Troquel, 1955 (nueva edición aumentada, Pleamar, 1965).
Carballo, Emmanuel, *Cuentistas mexicanos modernos*, México, Biblioteca Mínima Mexicana, 1956.
Carpeaux, Otto María, *Origins e fins*, Río de Janeiro, Casa do Estudante do Brasil, 1943.
——, *Presenças*, Río de Janeiro, Instituto Nacional do Livro, 1958.
Coutinho, Afrânio, *Correntes cruzadas*, Río de Janeiro, A. Noite, 1953.
——, *Da crítica e da nova crítica*, Río de Janeiro, Civilização Brasileira, 1957.
——, *Introdução a literatura no Brasil*, Río de Janeiro, São José, 1959.
Coyné, André, *César Vallejo y su obra poética*, Lima, Letras Peruanas, 1958.
Escobar, Alberto, *Patio de letras*, Lima, Caballo de Troya, 1965.
Fernández Moreno, César, *Esquema de Borges*, Buenos Aires, Perrot, 1957.
——, *Introducción a la poesía*, México, Fondo de Cultura Económica, 1962.
Freyre, Gilberto, *Vida, forma e cor*, Río de Janeiro, José Olympio, 1962.
García Canclini, Néstor, *Cortázar, una antropología poética*, Buenos Aires, Nova, 1968.
Goic, Cedomil, *La poesía de Vicente Huidobro*, Santiago de Chile, Ed. de los Anales de la Universidad, 1956.
——, *La novela chilena. Los mitos degradados*, Santiago de Chile, Editorial Universitaria, 1968.
Gutiérrez Girardot, Rafael, *Jorge Luis Borges. Ensayo de interpretación*, Madrid, Insula, 1959.
Jitrik, Noé, *Horacio Quiroga, una obra de experiencia y riesgo*, Buenos Aires, Ediciones Culturales Argentinas, 1959.
Lezama Lima, José, *Analecta del reloj*, La Habana, Orígenes, 1953.
——, *La expresión americana*, La Habana, Instituto Nacional de Cultura, 1957.
Liscano, Juan, *Rómulo Gallegos y su tiempo*, Caracas, Universidad Central de Venezuela, 1961.
Mallea, Eduardo, *El sayal y la púrpura*, Buenos Aires, Losada, 1947.
Martínez Estrada, Ezequiel, *Muerte y transfiguración de Martín Fierro*, México, Fondo de Cultura Económica, 1948.

——, *El mundo maravilloso de Guillermo Enrique Hudson*, México, Fondo de Cultura Económica, 1951.
Martins, Wilson, *Interpretações*, Río de Janeiro, José Olympio, 1946.
——, *A crítica literária no Brasil*, São Paulo, Departamento de Cultura, 1952.
Monguió, Luis, *César Vallejo. Vida y obra*, Lima, Perú Nuevo, 1960.
Paz, Octavio, *Las peras del olmo*, México, Universidad Nacional Autónoma, 1957.
——, *Cuadrivio*, México, Mortiz, 1965.
Picón Salas, Mariano, *Obras selectas*, Madrid, Edime, 1962.
——, *Estudios de literatura venezolana*, Madrid, Edime, 1961.
Pino Saavedra, Yolando, *La poesía de Julio Herrera y Reissig*, Santiago de Chile, Prensas de la Universidad de Chile, 1932.
Reyes, Alfonso, *Cuestiones estéticas*, en *Obras completas*, t. I, México, Fondo de Cultura Económica, 1955.
——, *Simpatías y diferencias*, en *O.c.*, t. IV, México, FCE, 1956.
——, *El deslinde*, en *O.c.*, t. XV, México, FCE, 1963.
Rodríguez Monegal, Emir, *Literatura uruguaya del medio siglo*, Montevideo, Alfa, 1966.
——, *El viajero inmóvil. Introducción a Pablo Neruda*, Buenos Aires, Losada, 1966.
——, *El desterrado. Vida y obra de Horacio Quiroga*, Buenos Aires, Losada, 1968.
Rosenblat, Ángel, *La primera visión de América y otros ensayos*, Caracas, Ministerio de Educación, 1965.
Sábato, Ernesto, *El escritor y sus fantasmas*, Madrid, Aguilar, 1963.
Tamayo, Marcial y Adolfo Ruiz-Díaz, *Borges, enigma y clave*, Buenos Aires, Nuestro Tiempo, 1955.
Vita, Luis Wáshington, *Tendencias do pensamento estético contemporâneo no Brasil*, Río de Janeiro, Civilização brasileira, 1967.
Xirau, Ramón, *Tres poetas de la soledad*, México, Antigua Librería Robredo, 1955.
——, *Poesía hispanoamericana y española*, México, Imprenta Universitaria, 1961.

PARTE CUARTA

Capítulo I

Bachtin, Michail, *Dostoevskij. Poetica e stilistica*, traducción italiana del texto ruso de 1963, Turín, Einaudi, 1968.
Bakhtin, Mikhail, *Rabelais and his world*, traducción inglesa del texto ruso de 1965, Cambridge, Mass., MIT, 1968.
Bann, Stephen, *Concrete poetry. An international anthology*, Londres, London Magazine Editions, 1967.
Bense, Max, *Der Begriff Text*, en *Augenblick*, núm. 3/58, Darmstadt, J. G. Bläschke.
——, *Text und Kontext*, en *Augenblick*, núm. 1/59, Darmstadt, J. G. Bläschke.
——, *Theorie der Texte*, Colonia Kiepenheuer & Witsch, 1962.
——, *Konkrete Poesie* (anlässlich des Sonderheftes *Noigandres* zum zehnjährigen Bestehen dieser Gruppe für "Konkrete Poesie" in Brasilien), *Sprache im Technischen Zeitalter*, núm. 15/65, Stuttgart, Kohlhammer.
——, *Brasilianische Intelligenz*, Wiesbaden, Limes, 1965.
Borges, Jorge Luis, *Prólogo* de *Nueva antología personal*, Buenos Aires, Emecé, 1968.
Brito, Mário da Silva, *Pensamento e ação de Oswald de Andrade*, en *Revista Brasiliense*, núm. 16/58, São Paulo, Editôra Brasiliense.
Campos, Augusto de, *Pound (made new) in Brazil*, en *Ezra Pound*, vol. 1, París, L'Herne, 1965.

Campos, Augusto de, *Balanço da Bossa*, São Paulo, Perspectiva, 1968.
——, *Música popular de vanguarda no Brasil*, en *Revista de Letras*, núm. 3/69, Mayagüez, Universidad de Puerto Rico.
——, y Haroldo de Campos, *Re/Visão de Sousândrade*, São Paulo, Invenção, 1964.
——, y Haroldo de Campos, *Sousândrade*, Río de Janeiro, Agir, 1966.
Campos, Haroldo de, *Miramar na Mira*, introducción a *Memórias Sentimentais de João Miramar*, de Oswald de Andrade, São Paulo, Difusão Européia do Livro, 1964 (2ª ed.).
——, *Uma poética da radicalidade*, introducción a *Poesias Reunidas O. Andrade*, São Paulo, Difusão Européia do Livro, 1966 (2ª ed.).
——, *Metalinguagem*, Petrópolis, Vozes, 1967.
——, *Oswald de Andrade*, Río de Janeiro, Agir, 1967.
——, *O jôgo de amarelinha* (sobre *Rayuela*), *Correio da Manhã*, Río de Janeiro, 30 de julio de 1967.
——, *Romantismo e poética sincrônica*, en *Correio da Manhã*, Río de Janeiro, 23 de abril de 1967.
——, *Morfologia do Macunaíma*, en *Correio da Manhã*, Río de Janeiro, 26 de noviembre de 1967.
——, *A arte no horizonte do provável*, São Paulo, Perspectiva, 1969.
——, *Avanguardia e sincronia nella letteratura brasiliana odierna*, en *Aut-Aut*, núm. 109-110/69, Milán, Lampugnani Nigri.
Cândido de Mello e Souza, António, *Brigada ligeira*, São Paulo, Livraria Martins Editôra, 1945.
——, *Literatura e sociedade*, São Paulo, Editôra Nacional, 1965.
Cortázar, Julio, *Notas sobre la novela contemporánea*, en *Realidad*, núm. 8/48, Buenos Aires.
——, *Situación de la novela*, en *Cuadernos Americanos*, núm. 4/50.
Curtius, Ernst Robert, *Literatura européia e idade méida latina*, traducción portuguesa del original alemán de 1948, Río de Janeiro, Instituto Nacional do Livro, 1957.
Eliot, T. S., *Dante*, en *Los poetas metafísicos y otros ensayos*, traducción española de *Selected Essays* (1917-1932), Buenos Aires, Emecé, 1944.
Erlich, Victor, *Russian formalism*, 's-Gravenhage, Mouton, 1955.
Fernández Moreno, César, *Introducción a Macedonio Fernández*, Buenos Aires, Talía, 1960.
Gomringer, Eugen, *Die ersten Jahre der Konkreten Poesie*, en *Worte sind Schatten*, Reinbek bei Hamburg, Rowohlt, 1969.
Grembecki, Maria Helena, *Mário de Andrade e "L'Esprit Nouveau"*, São Paulo, Instituto de Estudos Brasileiros, 1969.
Hegel, G. W. Friedrich, *Esthétique*, traducción francesa del original alemán de 1835, París, Aubier, 1944.
Hocke, G. R., *Manierismus in der Literatur*, Hamburg, Rowohlt, 1959.
Hurtado, Efraín, *Entrevista con Severo Sarduy*, en *Actual*, núm. 5/69, Mérida, Universidad de los Andes.
Jauss, H. R., *Littérature médiévale et théorie des Generes*, en *Poétique*, núm. 1/70, París, Seuil.
Jakobson, Roman, *Linguistics and poetics*, en *Style in Language* (T. A. Sebeok editor), Cambridge, Mass., MIT, 1960.
——, *Essais de linguistique générale*, París, Minuit, 1963.
Kristeva, Julia, *Bakhtine, le mot, le dialogue et le roman*, en *Critique*, núm. 239/67, París, Minuit.
Le tesi del '29 (Il Circolo Linguistico di Praga), Milán, Silva, 1966. *Les thèses de 1929*, republicación del texto original escrito en francés, *Change*, núm. 3/69, París, Seuil.

Langer, Susanne, *Feeling and form*, Londres, Routledge and Kegan Paul, 1953.
Mallarmé, Stéphane (trad. esp.: *Sentimiento y forma*, México, UNAM, 1968), *Œuvres complètes* (especialmente: *Crise de vers, Étalages, Le livre, instrument spirituel*), París, Gallimard, 1945.
Marx, Karl, y Friedrich Engels, *Sur la littérature et l'art (textes choisis)*, París, Éditions Sociales, 1954.
McLuhan, Marshall, *Joyce, Mallarmé and the press*, *Sewanee Review*, núm. 1/54, Sewanee, Tenessee, The University of the South.
——, *The Gutenberg galaxy*, Toronto, University of Toronto, 1962.
——, *Understanding media: the extensions of man*, Nueva York, McGraw Hill, 1965.
Mendilow, A. A., *Time and the novel*, Londres, Peter Nevill, 1952.
Mukarovsky, Jan, *The esthetics of language*, en *A Prague school reader on Esthetics, literary structure and style* (Paul L. Garvin, editor), Washington, Georgetown University, 1964.
Obieta, Adolfo de, *Macedonio Fernández*, en *Papeles de Macedonio Fernández*, Buenos Aires, Editorial Universitaria de Buenos Aires, 1964.
Orfeo, revista de poesía y teoría poética, "Homenaje a Vicente Huidobro", núm. 13-14, Santiago de Chile.
Paz, Octavio, *Poesía en movimiento*, en *Poesía en movimiento* (antología), México, Siglo XXI, 1966.
——, *The word as foundation*, en *The Times Literary Supplement*, Londres, 14 de noviembre de 1968.
Pignatari, Décio, *Informação. Linguagem. Comunicação*, São Paulo, Perspectiva, 1968.
Pound, Ezra, *ABC of Reading*, Londres, G. Routledge and Sons, 1934.
Prado, Paulo, *Poesia pau-brasil*, *Poesias reunidas O. Andrade*, São Paulo, Difusão Européia do Livro, 1966 (2ª ed.).
Proença, M. Cavalcanti, *Roteiro de Macunaíma*, São Paulo, Anhembi, 1955.
——, *Mário de Andrade*, Río de Janeiro, Agir, 1960.
Propp, Vladimir, *Morfologia della fiaba*, traducción italiana del original ruso de 1928, Turín, Einaudi, 1966.
Romero, Sílvio, *História da literatura brasileira*, Río de Janeiro, Garnier, 1888.
Sarduy, Severo, *Escrito sobre un cuerpo*, Buenos Aires, Sudamericana, 1969.
Sklovskij, Viktor, *Theorie der Prosa*, traducción al alemán del original ruso de 1925, Frankfurt Main, S. Fischer, 1966.
Sola, Graciela de, *Julio Cortázar y el hombre nuevo*, Buenos Aires, Sudamericana, 1968.
Sousândrade's Stock en *The Times Literary Supplement*, Londres, 24 de junio de 1965.
Toppani, Gabriella, *Intervista con Borges*, en *Il Verri*, núm. 18/65, Milán, Feltrinelli.
Valéry, Paul, *Variété II*, París, Gallimard, 1930.
Videla, Gloria, *El ultraísmo*, Madrid, Gredos, 1963.
Undurraga, Antonio de, *Teoría del creacionismo*, en Vicente Huidobro, *Poesía y prosa*, Antología, Madrid, Aguilar, 1957.
Wellek, René, y Austin Warren, *Teoría literaria*, Madrid, Gredos, 1959, trad. del original inglés de 1955, 2ª ed.
Wilson, Edmund, *Axel's Castle*, Nueva York, Charles Scribner's, 1931.

Capítulo II

Agramonte, Arturo, *Cronología del cine cubano*, La Habana, ICAIC, 1966.
Bottone, Mireya, *La literatura argentina y el cine*, Cuadernos del Instituto de Letras, Universidad del Litoral, 1964.

Lara, Tomás, e Inés Roncetti de Panti, *El tema del tango en la literatura argentina*, Buenos Aires, Ediciones Culturales Argentinas, 1961.
Morin, Edgard, *L'esprit du temps*, Grasset, 1962.
Pagés Larraya, Antonio, *Política nacional de radiodifusión*, Buenos Aires, Conart, 1963.
——, *Proyección cultural de las comunicaciones*, Buenos Aires, Conart, 1963.
Valdés-Rodríguez, J. M., *Ojeada al cine cubano*, La Habana, ICAIC, 1964.
Varios, *Folklore argentino*, Buenos Aires, Ediciones Nova, 1959.
Varios, *Anuario de sociología de los pueblos ibéricos*, Bibliografía Sobre Comunicación de Masas en América Latina, vol. I, Madrid, 1967, pp. 192-6.

Capítulo III

Véanse algunos números monográficos de la revista *Casa de las Américas* (La Habana) como, por ejemplo, el núm. 26, de oct.-nov. de 1964, dedicado a la *Nueva novela latinoamericana*; el núm. 42, de may.-jun. de 1967, sobre el *Encuentro con Rubén Darío*; y el núm. 45, oct.-nov. de 1967, dedicado a la *Situación del intelectual latinoamericano.*

PARTE QUINTA

Capítulo I

Beyhaut, Gustavo, *Sociedad y cultura latinoamericanas en la realidad internacional*, Montevideo, CIR, 1959.
Bomfim, Manoel, *A América Latina — males de origem*, Río de Janeiro, H. Garnier, 1905.
Cortázar, Julio, entrevista en *Life*, vol. 33, núm. 7, 7 de abril de 1969, pp. 45-55.
Franco, Pablo, *La influencia de los Estados Unidos en la América Latina*, Montevideo, Ediciones Tauro, 1967.
Furtado, Celso, *Desenvolvimento e subdesenvolvimento*, Río de Janeiro, Editôra Fôndo de Cultura, 1961.
——, *Subdesenvolvimento e estagnação na América Latina*, Río de Janeiro, Civilização Brasileira, 1966.
Lacoste, Yves, *Geografia do subdesenvolvimento* (trad. del francés), São Paulo, Difusão Européia do Livro, 1966.
Stavenhagen, Rodolfo, *Siete tesis equivocadas sobre América Latina*, en *Política Exterior Independiente*, año I, núm. 1, Río de Janeiro, 1965, pp. 67-80.
Vieira de Mello, Mário, *Desenvolvimento e cultura — O problema do estetismo no Brasil*, São Paulo, Companhia Editora Nacional, 1963.

Capítulo II

Cândido, António, *Literatura e sociedade*, São Paulo, Companhia Editôra Nacional, 1965.
Césaire, Aimé, *Discours sur le colonialisme*, en *Présence Africaine*, París, 1955.
Fernández Retamar, Roberto, *Ensayo de otro mundo*, La Habana, Instituto del Libro, Colección Cocuyo, 1967.
Martínez Estrada, Ezequiel, *Radiografía de la pampa*, Buenos Aires, BABEL, 1933.
Paz, Octavio, *El laberinto de la soledad*, México, Fondo de Cultura Económica, 1950.
Reyes, Alfonso, *Tentativas y orientaciones*, en *Obras completas*, t. XI, México, Fondo de Cultura Económica, 1960.

Roa Bastos, Augusto, *Imagen y perspectivas de la narrativa latinoamericana*, en *Temas*, núm. 2, Montevideo, 1965.
Vitier, Cintio, *Lo cubano en la poesía*, Cuba, Universidad Central de Las Villas, 1958.
Bareiro Saguier, Rubén (ed.) *Literatura y sociedad*, serie de ensayos en *Aportes*, núm. 8, París, abril de 1968.
Bastide, Roger, *A poesia afro-brasileira*, São Paulo, Livraria Martins, 1943.
Benjamin, Walter, *Schriften*, Suhrkamp, Frankfurt/Main, 1955. Trad. parcial en *Œuvres choisies*, París, Julliard, y en *Angelus Novus*, Turín, Einaudi.
Bogatyrev, Pëtr y Roman Jakobson, *Die Folklore als eine besondere Form des Schaffens* (1929), republicado en R. Jakobson, *Selected writings*, IV, La Haya, París, Mouton, 1966.
Bourdieu, Pierre, *Champ intellectuel et projet créateur*, en *Les Temps Modernes*, núm. 246, París, noviembre de 1966.
Cândido, António, *Formação da literatura brasileira (1750-1880)*, 2 vols., São Paulo, Martins, 1959.
Schücking, Levin L., *The sociology of literary taste*, Londres, Routledge and Kegan Paul, 1944.
Werneck Sodré, Nelson, *História da literatura brasileira — seus fundamentos econômicos* (3ª ed.), Río de Janeiro, José Olympio, 1960.

PARTE SEXTA

Capítulo I

Agosti, Héctor P., *Por una política de la cultura*, Buenos Aires, Procyon, 1956.
Marinello, Juan, *Literatura hispanoamericana*, México, Universidad Nacional de México, 1937.
Schulman, González, Loveluck, Alegría, *Coloquio sobre la novela hispanoamericana*, México, Fondo de Cultura Económica, 1967.
Torres Rioseco, Arturo (ed.), *La novela iberoamericana. Memoria del Quinto Congreso del Instituto de Literatura Iberoamericana*, Albuquerque, N. M., The University of New Mexico Press, 1952.
Yáñez, Agustín, *El contenido social de la literatura iberoamericana*, México, El Colegio de México, 1944 (*Jornadas*, núm. 14).

Capítulo II

Cambours Ocampo, Arturo, *El problema de las generaciones literarias*, Buenos Aires, Peña Lillo, 1963.
Portuondo, José Antonio, *La historia y las generaciones*, Santiago de Cuba, Manigua, 1958.

Capítulo IV

Arciniega, Rosa, *Pedro Sarmiento de Gamboa (El Ulises de América)*, Buenos Aires, Sudamericana, 1956.
Booth, George y Margaret, *An Amazonian-Andes tour*, Londres, Edward Arnold, 1910.
Fuentes Benavides, Rafael de la (Martín Adán), *De lo barroco en el Perú*, Lima, Universidad Nacional de San Marcos, 1968.

ırrea, Juan, *Machupicchu, ciudad de la última esperanza,* Universidad Nacional de Córdoba, 1960.
:ón Portilla, Miguel, *El reverso de la conquista,* México, J. Mortiz, 1964.
ijares, Augusto, *El Libertador,* Caracas, Arte, 1965.
iliani, Domingo, *La novela mexicana de hoy,* en *Imagen,* suplemento núm. 31, Caracas, 15/31 de agosto de 1968.
:zzoni, Enrique, *La Argentina en sus novelistas y exégetas,* en *San Marcos,* núm. 10, Lima, Universidad Nacional de San Marcos, sept.-oct.-nov., 1963.
ımayo, Augusto E., *Informe sobre las colonias de Oxapampa y Pozuzo y los ríos Palcazu y Pichis,* Lima, Imp. Liberal, 1904.
ımayo Vargas, Augusto, *Literatura peruana,* Lima, Godard, 3ª ed., 1968, 2 vols.



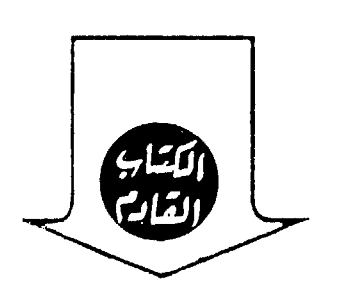
المحتوى

المترجم في سطور

- أحمد حسان عبد الواحد
- اديب مصري، له عدة مؤلفات منها:
لوركا مختارات جديدة، المكارثية والمثقفون
- ترجم كتاب صناعة الجوع (سلسلة عالم المعرفة).
- نشر العديد من المقالات والقصص والأشعار في عدة صحف ومجلات مصرية وعربية.

المراجع في سطور

- د. شاكر مصطفى.
- دكتوراه في الآداب.
- عمل في التدريس الثانوي والجامعي في سورية، وفي السلك السياسي ممثلا لبلاده عشر سنوات في السودان وكولومبيا والبرازيل.
- عمل وزيرا للاعلام في سورية (١٩٦٦/٦٥).
- له عدد من المؤلفات يجاوز الثلاثين في التاريخ والآداب بالاضافة الى مئات من الابحاث العلمية والأدبية.
- يعمل مساعداً لعميد كلية الآداب لتطوير برامج الإنسانيات والتخطيط - كلية الآداب - جامعة الكويت، ومستشاراً لتحرير مجلة «الثقافة العالمية» التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وأميناً عاماً للجنة التخطيط الشامل للثقافة العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم).



ثقافة الأطفال

تأليف: د. هادي نعمان الهيتي

صدر عن هذه السلسلة

١ـالحضـــارة — تأليف : د/ حسين مؤنس

٢ـاتجاهات الشعر العربي المعاصر — تأليف : د/ إحسان عباس

٣ ـ التفكير العلمي — تأليف : د/ فؤاد زكريا

٤ ـ الولايات المتحدة والمشرق العربي — تأليف : د/ أحمد عبدالرحيم مصطفى

٥ ـ العلم ومشكلات الإنسان المعاصر — تأليف : زهير الكرمي

٦ ـ الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها — تأليف :د/ عزت حجازي

٧ـالأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية — تأليف : د/ محمد عزيز شكري

٨ـتراث الإسلام (الجزء الأول) — ترجمة : د/ زهير السمهوري
تحقيق وتعليق : د/ شاكر مصطفى
مراجعة : د/ فؤاد زكريا

٩ـأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة — تأليف : د/ نايف خرما

١٠ـ جحـــا العربي — تأليف : د/ محمد رجب النجار

١١ـتراث الإسلام (الجزء الثاني) — ترجمة : د/ حسين مؤنس
د/ إحسان العمد
مراجعة : د/ فؤاد زكريا

١٢ـتراث الإسلام (الجزء الثالث) — ترجمة : د/ حسين مؤنس
د/ إحسان العمد
مراجعة : د/ فؤاد زكريا

١٣ـالملاحة وعلوم البحار عند العرب — تأليف : د/ أنور عبد العليم

١٤ ـ جمالية الفن العربي — تأليف : د/ عفيف بهنسي

١٥ـالإنسان الحائر بين العلم والخرافة — تأليف : د/ عبد المحسن صالح

١٦ـالنفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية — تأليف : د/ محمود عبد الفضيل

١٧ـالكون والثقوب السوداء	إعداد : رؤوف وصفي مراجعة : زهير الكرمي
١٨ـالكوميديا والتراجيديـا	ترجمة : د/ علي أحمد محمود مراجعة : د/ شوقي السكري د/ علي الراعي
١٩ ـ المخرج في المسرح المعاصر	تأليف : د/ سعد أردش
٢٠ ـ التفكير المستقيم والتفكير الأعوج	ترجمة : حسن سعيد الكرمي مراجعة : صدقي حطاب
٢١ـمشكلة إنتاج الغذاء في الوطن العربي	تأليف : د/ محمد علي الفرا
٢٢ـالبيئـة ومشكلاتهـا	تأليف : رشيد الحمد د/ محمد سعيد صباريني
٢٣ـالســرق	تأليف : د/ عبدالسلام الترمانيني
٢٤ـالإبداع في الفن والعلم	تأليف : د/ حسن أحمد عيسى
٢٥ـالمسرح في الوطن العربي	تأليف : د/ علي الراعي
٢٦ـمصر وفلسطين	تأليف : د/ عواطف عبدالرحمن
٢٧ـالعلاج النفسي الحديث	تأليف : د/ عبدالستار إبراهيم
٢٨ـأفريقيا في عصر التحول الاجتماعي	ترجمة : شوقي جــلال
٢٩ـالعرب والتحـدي	تأليف : د/ محمد عماره
٣٠ ـ العـدالـة والحـرية في فجـر النهضـة العربية الحديثة	تأليف : د/ عزت قرني
٣١ ـ الموشحات الأندلسية	تأليف : د/ محمد زكريا عناني
٣٢ـتكنولوجيا السلوك الإنساني	ترجمة : د/ عبدالقادر يوسف مراجعة : د/ رجا الدريني
٣٣ـالإنسان والثروات المعدنية	تأليف : د/ محمد فتحي عوض الله
٣٤ـقضايـا أفريقيـة	تأليف : د/ محمد عبدالغني سعودي
٣٥ـتحولات الفكـر والسياسـة في الشرق العربي (١٩٣٠ ـ ١٩٧٠)	تأليف : د/ محمد جابر الأنصاري

٣٦ـالحب في التراث العربي	تأليف : د/ محمد حسن عبدالله
٣٧ـالمســـاجد	تأليف : د/ حسين مؤنس
٣٨ـتكنولوجيا الطاقة البديلة	تأليف : د/ سعود يوسف عياش
٣٩ـارتقــاء الإنســـان	ترجمة : د/ موفق شخاشيرو
	مراجعة : زهير الكرمي
٤٠ـالرواية الروسية في القرن التاسع عشر	تأليف : د/ مكارم الغمري
٤١ـالشـعر في السودان	تأليف : د/ عبــده بــدوي
٤٢ـدور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية	تأليف : د/ علي خليفة الكواري
٤٣ ـ الإســلام في الصــين	تأليف : فهمي هويدي
٤٤ـاتجاهات نظرية في علم الاجتماع	تأليف : د/ عبدالباسط عبدالمعطي
٤٥ـحكايات الشطار والعيارين في التراث العربي	تأليف : د/ محمد رجب النجار
٤٦ـدعــوة إلـى الموسيقـا	تأليف : د/ يوسف السيسي
٤٧ـفكـرة القانـون	ترجمة : سليم الصويص
	مراجعة : سليم بسيسو
٤٨ـالتنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان	تأليف : د/ عبدالمحسن صالح
٤٩ـصراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي	تأليف : صلاح الدين حافظ
٥٠ـالتكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية	تأليف : د/ محمد عبدالسلام
٥١ ـ السينما في الوطن العربي	تأليف : جـان ألكســان
٥٢ـالنفط والعلاقات الدولية	تأليف : د/ محمد الرميحي
٥٣ـالبدائيــــة	ترجمة : د/ محمد عصفور
٥٤ـالحشرات الناقلة للأمراض	تأليف : د/ جليل أبو الحب
٥٥ـالعالم بعد مائتي عام	ترجمة : شوقي جلال
٥٦ـالإدمـــان	تأليف : د/ عادل الدمرداش
٥٧ـالبيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية	تأليف : د/ أسامة عبدالرحمن
٥٨ـالوجوديــــة	ترجمة : د/ إمام عبد الفتاح
٥٩ـالعرب أمام تحديات التكنولوجيا	تأليف : د/ انطونيوس كــرم
٦٠ـالايديولوجية الصهيونية (الجزء الأول)	تأليف : د/ عبد الوهاب المسيري

٦١ـالايديولوجية الصهيونية (الجزء الثاني)	تأليف : د/ عبد الوهاب المسيري
٦٢ـحكمة الغرب (الجزء الأول)	ترجمة : د/ فؤاد زكريا
٦٣ـالإسلام والاقتصاد	تأليف : د/ عبدالهادي علي النجار
٦٤ـصناعة الجوع (خرافة الندرة)	ترجمة : أحمد حسان عبد الواحد
٦٥ـمدخل إلى تاريخ الموسيقا المغربية	تأليف : د/ عبدالعزيز بن عبدالجليل
٦٦ـالإسلام والشعر	تأليف : د/ سامي مكي العاني
٦٧ـبنـو الإنســان	ترجمة : زهير الكرمي
٦٨ـالثقافة الألبانية في الأبجدية العربية	تأليف : د/ محمد موفاكــو
٦٩ـظاهرة العلم الحديث	تأليف : د/ عبدالله العمـر
٧٠ـنظريات التعلم (دراسة مقارنة)	ترجمة : د/ علي حسين حجاج
القسم الأول	مراجعة : د/ عطيه محمود هنا
٧١ـالاستيطان الأجنبي في الوطن العربي	تأليف : د/ عبدالمالك خلف التميمي
٧٢ـحكمة الغرب (الجزء الثاني)	ترجمة : د/ فؤاد زكريا
٧٣ـالتخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي	تأليف : د/ مجيـد مسعود
٧٤ ـ مشاريع الاستيطان اليهودي	تأليف : د/ أمين عبدالله محمود
٧٥ـالتصويـر والحيـاة	تأليف : د/ محمد نبهان سويلم
٧٦ـالموت في الفكر الغربي	ترجمة : كامل يوسف حسين
	مراجعة : د/ إمام عبد الفتاح
٧٧ـالشعر الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً	تأليف : د/ أحمـد عتمـان
٧٨ـقضايا التبعية الإعلامية والثقافية	تأليف : د/ عواطف عبدالرحمن
٧٩ـمفاهيـم قرآنيـة	تأليف : د/ محمد أحمد خلف الله
٨٠ـالزواج عند العرب (في الجاهلية والإسلام)	تأليف : د/ عبدالسلام الترمانيني
٨١ـالأدب اليوغسلافي المعاصر	تأليف : د/ جمال الدين سيد محمد
٨٢ـتشكيل العقل الحديث	ترجمة : شوقي جلال
	مراجعة : صدقي حطاب
٨٣ـالبيولوجيا ومصير الإنسان	تأليف : د/ سعيد الحفار

٨٤ـالمشكلة السكانية وخرافة المالتوسية	تأليف : د/ رمزي زكي
٨٥ـدول مجلس التعاون الخليجي ومستويات العمل الدولية	تأليف : د/ بدرية العوضي
٨٦ـالإنسان وعلم النفس	تأليف : د/ عبد الستار إبراهيم
٨٧ـفي تراثنا العربي الاسلامي	تأليف : د/ توفيق الطويل
٨٨ـالميكروبات والإنسان	ترجمة : د/ عزت شعلان مراجعة : د/ عبد الرزاق العدواني د/ سمير رضوان
٨٩ـالإسلام وحقوق الإنسان	تأليف : د/ محمد عماره
٩٠ـالغرب والعالم (القسم الأول)	تأليف : كافين رايلي ترجمة : د/ عبدالوهاب المسيري د/ هدى حجازي مراجعة : د/ فؤاد زكريا
٩١ـتربية اليسر وتخلف التنمية	تأليف : د/ عبدالعزيز الجلال
٩٢ـعقول المستقبل	ترجمة : د/ لطفي قطيم
٩٣ـلغة الكيمياء عند الكائنات الحية	تأليف : د/ أحمد مدحت اسلام
٩٤ـالنظام الإعلامي الجديد	تأليف : د/ مصطفى المصمودي
٩٥ـتغيير العالم	تأليف : د/ أنور عبدالملك
٩٦ـالصهيونية غير اليهودية	تأليف : ريجينا الشريف ترجمة : أحمد عبدالله عبدالعزيز
٩٧ـالغرب والعالم (القسم الثاني)	تأليف : كافين رايلي ترجمة : د/ عبد الوهاب المسيري د/ هدى حجازي مراجعة : د/ فؤاد زكريا
٩٨ ـ قصة الانثروبولوجيا	تأليف : د/ حسين فهيم
٩٩ ـ الأطفال مرآة المجتمع	تأليف : د/ محمد عمادالدين اسماعيل

١٠٠ ـ الوراثة والإنسان	تأليف : د/ محمد علي الربيعي
١٠١ ـ الأدب في البرازيل	تأليف : د/ شاكر مصطفى
١٠٢ ـ الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية	تأليف : د/ رشاد الشامي
١٠٣ ـ التنمية في دول مجلس التعاون	تأليف : د/ محمد توفيق صادق
١٠٤ ـ العالم الثالث وتحديات البقاء	تأليف : جاك لوب ترجمة : أحمد فؤاد بلبع
١٠٥ ـ المسرح والتغير الاجتماعي في الخليج العربي	تأليف : د/ ابراهيم عبدالله غلوم
١٠٦ ـ «المتلاعبون بالعقول»	تأليف : هربرت. أ. شيللر ترجمة عبدالسلام رضوان
١٠٧ ـ الشركات عابرة القومية	تأليف : د/ محمد السيد سعيد
١٠٨ ـ نظريات التعلم (دراسة مقارنة) الجزء الثاني	ترجمة : د/ علي حسين حجاج مراجعة : د/ عطية محمود هنا
١٠٩ ـ العملية الإبداعية في فن التصوير	تأليف : د/ شاكر عبد الحميد
١١٠ ـ مفاهيم نقدية	ترجمة : د/ محمد عصفور
١١١ ـ قلق الموت	تأليف : د/ أحمد محمد عبدالخالق
١١٢ ـ العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث	تأليف : شعبة الترجمة باليونسكو
١١٣ ـ الفكر التربوي العربي الحديث	تأليف : د/ سعيد اسماعيل علي
١١٤ ـ الرياضيات في حياتنا	ترجمة : د/ فاطمة عبد القادر الما
١١٥ ـ معالم على طريق تحديث الفكر العربي	تأليف : د/ معن زيادة
١١٦ ـ أدب أمريكا اللاتينية قضايا ومشكلات القسم الأول	تنسيق وتقديم: سيزار فرناندث مورينو ترجمة : أحمد حسان عبد الواحد مراجعة : د/ شاكر مصطفى

١١٧ ـ الأحزاب السياسية في العالم الثالث — تأليف : د/ اسامة الغزالي حرب

١١٨ ـ التاريخ النقدي للتخلف — تأليف : د/ رمزي زكي

١١٩ ـ قصيدة وصورة — تأليف : د/ عبدالغفار مكاوي

١٢٠ ـ سيكولوجية اللعب — تأليف : د. سوزاناميلر
ترجمة : د. حسن عيسىٰ
مراجعة : د. محمد عماد الدين إسماعيل

١٢١ ـ الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم — تأليف: د/ رياض رمضان العلمي

سلسلة عالم المعرفة

عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية تصدر في مطلع كل شهر ميلادي عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت ـ وقد صدر العدد الأول منها في شهر يناير ١٩٧٨ ويتولى الاشراف عليها لجنة تضم عددا من الشخصيات العلمية المعروفة على مستوى الوطن العربي كله.

تهدف هذه السلسلة إلى تزويد القارىء العربي بمادة جيدة من الثقافة تغطي جميع فروع المعرفة وكذا ربطه بأحدث التيارات الفكرية والثقافية المعاصرة. ومن الموضوعات التي تعالجها ـ ترجمة وتأليفا:

١ ـ **الدراسات الإنسانية** : الفلسفة، علم النفس والتربية، علم الاجتماع، السياسة والاقتصاد، التاريخ، الدراسات الحضارية، والجغرافيا وأدب الرحلات.

٢ ـ **الدراسات الأدبية واللغوية** : الآداب العالمية، الأدب العربي، علم اللغة.

٣ ـ **الدراسات الفنية**: علم الجمال وفلسفة الفن، المسرح، الموسيقا، الفنون التشكيلية، الفنون الشعبية.

٤ ـ **الدراسات العلمية** : تاريخ العلم وفلسفته، التكنولوجيا والإنسان، تبسيط العلوم الطبيعية (فيزياء، كيمياء، علم الحياة،

فلك) والرياضة التطبيقية (مع الاهتمام بالجوانب الإنسانية لهذه العلوم).

أما بالنسبة لنشر الأعمال الإبداعية، المترجمة أو المؤلفة، من شعر وقصة ومسرحية فأمر غير وارد في الوقت الحالي.

وفي حال الموافقة والتعاقد على الموضوع المؤلف أو المترجم تصرف مكافأة للمؤلف مقدارها ألف دينار كويتي، وللمترجم مكافأة بمعدل خمسة عشر فلسا عن الكلمة الواحدة في النص الأجنبي أو تسعمائة دينار أيهما أكثر بالإضافة إلى مائة وخمسين دينارا كويتيا مقابل تقديم المخطوطة المؤلفة أو المترجمة من نسختين مطبوعة على الآله الكاتبة.



الاشتراك السنوي : وهو مقصور على الفئات التالية :

● المؤسسات والهيئات داخل الكويت	١٠ دنانير
● المؤسسات والهيئات في الوطن العربي	١٢ ديناراً
● المؤسسات والهيئات خارج الوطن العربي	٨٠ دولاراً امريكياً
● الافراد خارج الوطن العربي	٤٠ دولاراً امريكياً

الاشتراكات :

ترسل باسم الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

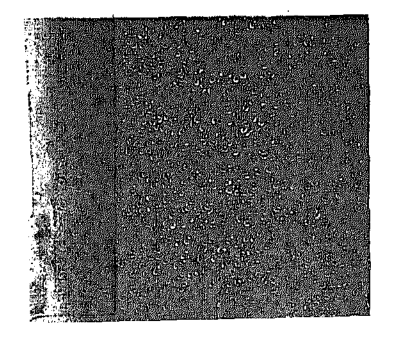
ص. ب ٢٣٩٩٦ الصفاة/ الكويت ـ 13100

برقيا ثقف ـ تلكس ٤٤٥٥٤ TLX No 44554 NCCAL



البلد	سعر النسخة
* الكويت	٥٠٠ فلس
* السعودية	١٠ ريالات
* العراق	دينار واحد
* الأردن	٧٥٠ فلس
* سوريا	١٥ ليرة
* لبنان	١٥ ليرة
* ليبيا	دينار واحد
* المغرب	١٥ درهم
* تونس	١ ١/٤ دينار
* الجزائر	٢٠,ـــ دينار
* مصر	١,ـــ جنيه
* السودان	١,ـــ جنيه
* عمان	١ ريال
* اليمن الجنوبية	٨٠٠ فلس
* اليمن الشمالية	١٠ ريالات
* البحرين	دينار واحد
* قطر	١٠ ريالات
* الامارات العربية	١٠ دراهم

طبع من هذا الكتاب خمسون ألف نسخة



مطابع الرسالة - الكويت